من التّرَفُّهِ
إلى جُهْدِ المُقِلّ

عندما بزغتِ « الموردُ » فصليّةً .. اشتهرتْ ، بين المجلّات ، بِدْعاً يترفَّلُ ، وتنفّستْ بُشرى لِوَرَثَةِ الأجداد .. فعانقها التراثيّون معقدَ مباهاةٍ ، وآثروها لنتاجهم وعاءً ومَكْنَزاً .. ولكنها ، غِبَّ الحصارِ الكارثِ الاثيم الذي تَلَبَّدَ بوطننا قاتلًا طامَّةً مجوِّعاً ، غابتْ عن السمير .. بلا ضجيجٍ ، وتَنَحَّتْ عن الساحةِ .. دونما تأوّهٍ ، وطارتْ الى مُنْقَلَبٍ مجهول .

وشاءَ قائدُنا الشريفُ صدام حسين (عَصَمَهُ اللّهُ ورضي عنه) ، إبّان الحصار ، أن يستلهمَ اللّهَ خيراً ، ويُنجدَهُ وينصرَهُ على القارعةِ الثلاثينية التي إشتهاها المجرمُ بوش أوجعَ عقوبةٍ للمؤمنين بربّهم ، والحِراصِ على كرامتهم .

وعندئذ زفَّ قائدُنا الفذّ بشارتَه لكل عراقيّ ، وشَرَحَ صدورَهم بأنّ الحصار آذنَ بالتآكلِ .

وتجاوباً مع هذا الفَأل أسفرت « المورد » ، واختالت بين المجلات قانعةً بالهجرة من موسمها الفصليّ الى موسمٍ عجيف يسوّغُ لها الظهور مرتين في السنة .

وبهذه النعمة تُنوهِبَ ، في العام الغابر ، عددُها الأوّلُ ، وانتظم الفرحُ أنصارَها ، ثم عوضدت تلك النعماءُ بالعدد الثاني الذي اصطفاهُ قرّاؤها مجموعاً على ما في بعض الموروث العربيّ من رؤىً وأحلام .

وأخيراً استطابتْ أن تسلكَ نهجَها على هذا الشاكلِ .. حتى يوم الخلاص من ضيم الحصار الذي جَثَمَ على عراقنا الحبيب بلا علّةٍ ، واستلذَّ تجويعَ العراقيين ، وتطويق المرضى بما يُعجّلُ تجنيزَ موتاهم ، وزَجْرَ الأطفال عن حليبهم .

و « المورد » تحت وطأة التقشُف العاصر ، وفي أفياء الزَهاد ، ستصبرُ مع الصابرين على ما أصابهم وأصابها في أيّام العُسْرة ، وستنازلُ الظالمينَ بالإرث الحضاري الاعزّ .. الى أن تَتَشَفّى بالحصار مدفوناً في ذمّة الشيطان ، وبالمحاصِرينَ وقد أذِلَ طاغوتُهم .. والى أن يُسعِدَ اللهُ المحاصَرينَ على أوزارِ الحصار ، وعند ذاك ستجودُ بأربعة أعدادٍ تتناغمُ مع فصولِ السنة ، وتتمطّى بين شروقٍ وغروبٍ على وَتيرةٍ مُثْلى لا تحيدُ عن مواسمها الموقوتةِ .

وهي ـ حِيالَ هذا المُتَمَنّى ـ ستحرصُ على إهابها الثابتِ بلا ضَجَرٍ ودونما جَزَعٍ ، وسَتُعَزّي قراءَها بالزادِ التراثي الأنفع ، وستعزفُ أوتارُها في مضاميرَ شَتّى .. وَفْقَ نَتاجٍ مختار ، بذوقٍ رفيع ، ممّا ترامى عليه تراثُنا العربي الاسلامي .

ومن الله التوفيقُ .

رئيس التحرير

استئناس بمعجم آيات الاقتباس

القسم الاول

بقلم
عبدالقادر التحافي
بغداد

الاستهلال :

١ ـ صدر كتاب « معجم آيات الاقتباس » صنع الاديب حكمة فرج البدري وترتيبه عن « دار الرشيد » ضمن سلسلة كتب التراث سنة ١٩٨٠ م ، وكان المؤلف فيه مفكراً وناقداً وعارضاً ومقوّماً .. وقد قدّم لمبحثه واستهدف غايته وشرح نهجه ثم ختم عمله بمعجم تفصيلي علمي .

٢ ـ اما التقديم فجاء فيه ما يختص بالاقتباس والايداع وما لحقهما من تفريع معنى وتباين اصطلاح . واما الهدف فاحتواء الآيات القرآنية المطابقة عروضياً لأوزان بحور الشعر العربي . واما الشرح فوضع النقاط على الحروف وايضاح ما لم يكن بمعروف او مألوف من المباني والمعاني التي تخبطت فيها المصادر والمراجع الشعرية بعد نزول القرآن الكريم . واولت اهتماماً اكثر بموقع الاقتباس منه فيما يتناول المحمود المقبول والمباح المبذول والمردود المرذول[١] .. واما الختام فالاقرار بأن الاقتباس النصي من آي القرآن الكريم مباح للشعراء الذين يضعون نصب اعينهم ان « الشعر كلام مؤلّف ما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه »[٢] ..

٣ ـ لقد سرني ما حققه الكتاب من تخصصية مفرطة لمادة موثّقة توافر لها العمق الثقافي والمعاصرة الرائدة مما ابعدها عن الكلام غير الموثق والاحكام العامة خصيم العرف العلمي .

الغاية :

٤ ـ تهدف هذه المقالة في متنها وملحقها الاول الى تحريك مناقشة واعية لبعض ما اورد المؤلف من آراء بغية توسيع مجال الانتقاء لما هو اصلح ، كما تهدف في ملحقها الثاني الى استدراك ما لم تنشط الرغبة بالمؤلف في ادخاله ضمن مواد معجمه .

الاقتباس :

٥ ـ عُني المؤلف الفاضل بفرع من الدراسات البلاغية يختص موضوع كتابه . هذا الفرع هو علم البديع الذي يعد الاقتباس ضرباً منه . وذكر ان الاقتباس ضرب من الصناعة البلاغية يضمّن فيه الشاعر او الناثر شيئاً من القرآن او الحديث .

وقد عدّه البلاغيون ضرباً من البديع بوصفهم اياه واحداً من المحسنات البلاغية التي يعنى بها . واردف ان البلاغيين القدامى لم يفرقوا بين ما هو « تضمين » على وجه العموم وما هو « اقتباس » على وجه الخصوص ، وعندهم « حسن التضمين » هو ان يضمّن المتكلم كلامه كلمة او آية او حديثاً او مثلًا سائراً او بيت شعر . ويقرر المؤلف بعد هذا انه بمرور الزمن خُصّ الاقتباس بالقرآن تمييزاً له على سائر الكلام ، ثم لم يلبث قليلًا حتى اضيف اليه الاخذ من الحديث .

وآخر ما استقر عليه اصطلاح الاقتباس هو ان يضمّن المتكلم كلامه « كلمة » او « آية » من الكتاب العزيز او الحديث الشريف ... وكان قد قيّد قبل ذلك الاصطلاح بقيد الاجماع فقال : « ان الاصطلاح لكي يكون اصطلاحاً يجب ان يكون عليه اجماع »[٣] ...

وتبعاً لما سلف لنا ان نقول ان المؤلف لم يضمّن كتابه شيئاً من الحديث ، وبهذا غاب عن صفحاته نصف الالتزام الذي ألزم به نفسه في معجمه هذا . إلّا ان اقتصار عنوان الكتاب على « معجم آيات الاقتباس » يصرف الفكر الى ان الآيات المقتبسة هي المقصودة لا غيرها .

٦ ـ ارى ان الاصطلاح الموافق لرأي المؤلف والمنسجم مع ما جاء في الكتاب من نصوص حوله هو ما اورده ابن حجة الحموي في خزانته وتعبيره : « هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية او آية من آيات كتاب الله خاصة ، هذا هو الاجماع ... »[٤] . ولنعطف عليه ما اورده السيوطي في الاتقان بأنه « تضمين النظم او النثر بعض القرآن لا على انه منه »[٥] ، وهذا ما نقله بحذافيره ابن معصوم في انوار الربيع[٦] ...

كلمة من آية :

٧ ـ ننتقل الى عرض المعنى الذي يوحيه نص « كلمة من آية » الوارد في متن تعريف الحموي .

قال « الراغب » في كلامه على مادة « كلم » في مفرداته ان الكلمة تقع على الاسم والفعل والاداة .. الخ .

قال تعالى ﴿ ...كبرتْ كلمةً تخرج من أفواههم ... ﴾ الكهف / ٥ .

وقال تعالى ﴿ ... إنّ الله يبشّرك بيحيىٰ مصدِّقاً بكلمة من الله ... ﴾ آل عمران / ٣٩ .

قيل هي كلمة « التوحيد » ، وقيل هي « كتاب الله » .

وقال تعالى ﴿ ... إنما المسيح عيسىٰ بن مريم رسولُ الله وكلمتُه التي ألقاها الى مريم ... ﴾ النساء / ١٧٠ . ١٠

قيل هي فعل الامر « كُنْ »(٧) .

وروى الابشيهي في المستطرف ما نصه(٨) :

وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في أخر سورة البقرة ﴿ ربّنا لا تؤاخذْنا إن نسينا أو أخطانا * ربّنا ولا تحملْ علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا * ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به * واعْفُ عنا * واغفرْ لنا * وارحمْنا * أنت مولانا فانصرْنا على القوم الكافرين *

ولعل فيما ذكرنا كفاية لإثبات ان جملاً قصاراً مثل ﴿ ولات حين مناص ﴾ ... ثم ﴿ ما دمت حيّا ﴾ وما شابه ، والتي سيكون لها شان فيما سنواصل من كلام ، تدخل حيّز الاقتباس من أحد ابوابه المشرعة .

ولقد اجاد المؤلف وافاد بايجازه معنى الكلمة عندما قال : انها الكلام المركب إلا ان تكون الكلمة من الاعلام القرآنية ، او اسم سورة ، او حرف افتتاح مثل ﴿ يس ﴾ و ﴿ طه ﴾ وغيرها(٩) .

نوعا الاقتباس :

٨ ـ الاقتباس الشعري عند البدري نوعان ، هما :

أ ـ الاقتباس الاشاري : هو الاقتباس الذي يغيّر فيه الشاعر لفظ النص وتركيبه .. او هو ما اشار اليه الشاعر من الايات ، من غير ان يلتزم بلفظها وتركيبها ، او هو ما عرف فيه ان الشاعر يشير الى آية من الايات القرآنية ..

ب ـ الاقتباس النصي : هو الاقتباس الذي يلتزم فيه الشاعر بلفظ النص القراني وتركيبه ... ومادته كل ما جاء من القرآن موزوناً على اعاريض الشعر وضروبه(١٠) .

٩ ـ التزم السيد البدري بالاقتباس النصي الذي على وجه الحقيقة هو اقتباس في نظره وبإقراره فاودعه المعجم .

١٠ ـ اقول : لو عدنا الى ما سبق الكلام عليه من معنى الكلمة بوجه العموم وانها تاتي مفردة كما تاتي مركبة لظهر لنا ان كل اقتباس اشاري هو اقتباس نصي ايضاً لأن وجود الكلمة يعني ثبوت وجود النص . ساضرب لذلك مثلاً ذكره المؤلف وقال انه من الاقتباس الاشاري الخارج عن صدد الكتاب . قال : من الاقتباس الاشاري قول الشاعر(١١) :

مدحت ابن سلم والمديح مهزّة
فكان كصفوان عليه تراب

واري ان كـ (صفوان عليه تراب) هو النص المشير الى قوله تعالى ﴿ ... كمثل صفوان عليه تراب ﴾ البقرة / ٢٦٤ . وكذلك كـ (صفوان عليه تراب) هو النص القرآني المكافىء لكلمة من آية هي : كمثل ﴿ صفوان عليه تراب ﴾ .

١١ ـ يضرب المؤلف مثلاً للاقتباس النصي قول الإمام الشافعي(١٢) :

أتلني بالذي استقرضت مني
وأشهد معشراً قد شاهدوهْ
فإنّ الله خلّاق البرايا
عنتْ لجلال هيبته الوجوهْ
يقول ﴿ اذا تداينتم بدينٍ
الى أجل مسمّىً فاكتبوهُ ﴾ البقرة / ٢٨٢

وإخال ان هذا مخالف لتعريف الاقتباس الذي اثبتناه آنفاً والذي احترز فيه السيوطي بقوله « لا على انه منه » وأيده ابن معصوم وأكده علي الجارم في البلاغة الواضحة بقوله معرفاً : الاقتباس تضمين .... والشعر شيئاً من القرآن الكريم و ... من غير دلالة على انه منه(١٣) .

وفي مثال البدري الذي ألمعنا اليه آنفاً الدلالة واضحة جداً على انه من القرآن الكريم وهي قول الشافعي : « فإن الله خلاق البرايا يقول ... » . وهذا يخرجه عن معنى الاقتباس المتعارف عليه اجماعاً .

لقد احسن ابن رشيق القيرواني حيث دوّن في « العمدة »(١٤) :

« اجود انواع التضمين ان يصرف الشاعر المضمّن عن معنى قائله ... » .

واضاف ابن حجة الحموي في خزانته عند الكلام على الايداع ناقلًا عن القزويني :

« ... وأحسنه ما زاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه ... » .

منزلة الاقتباس النصي

انتقل الى الاقتباس من القرآن نصاً واضرب مثلًا لم احظ تحته بطائل وهو قول عثمان بن يوسف الخطيب (من الخفيف)(١٥) :

ثق بوعد الإله فهو كريم
﴿ إنّه كان وعده ماتيّا ﴾
خفّف السير يا حبيبي وانزل
في مُقام الخليل وامكث مليّا
قبّل الارض عنده واتلُ جهراً
﴿ ذكر ﴾ مولاك ﴿ عبده زكريّا ﴾
وترجّ الندى فانت لدى من
لم يكن بالدعاء قطّ ﴿ شقيّا ﴾
خاف من بعده الموالي فنادى
ودعا ﴿ ربّه نداءً خفيّا ﴾
﴿ وهن العظم ﴾ وامتلا ﴿ الرأس شيباً ﴾
يا إلهي فمنك هب لي وليّا

لقد اقتبس الخطيب من قوله تعالى في سورة مريم :

﴿ ذكر رحمة ربّك عبده زكريّا * إذ نادى ربّه نداءً خفيّاً * قال ربّ إنّي وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربّ شقيّاً * وانّي خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليّاً * ..... إنه كان وعده ماتيّاً ﴾ .

فما النتيجة وما الحصيلة ؟ وما مقدار الثمر الذي طرحه ذلك الجهد ؟ ألا يرى القارىء الكريم معي ان المقتبس اسقط طائر البلاغة

من عليائه الى الحضيض مهيض الجناح ؟

ألا ينطبق على اقتباساتهم :

مـا كـلُّ من قـال شعـراً
الى السمـوِّ يصيـرُ
فللـدجاجـة ريشٌ
لكنّهـا لا تطيـرُ

ثم ما الفائدة التي اجتنيت من تلك الاقتباسات ؟ ألم تصفّد تلك الآيات المحكمة المحلقّة في سماء البلاغة بياناً وبديعاً ولمحة دالة بألفاظ وتراكيب دنيا قاتمة ؟ وماذا صنع الناظمون إلا ان اضافوا ظلّا داكناً على الصور القرآنية النورانية ذوات الاعجاز الكامل ! ربما لم تتجاوز الفائدة اشباع رغبة فنية او ممارسة ترف صناعي او حاجة في نفس المقتبس . وربما ارشدت صورهم الشعرية المرصعة بالنصوص القرآنية الى ما في القرآن الكريم من اغراض توافق مكنونات النفس الانسانية في دعائها او مطالبها والتماسها فضلًا عن إطلاع غير المسلمين او من يندر ان يقرأ القرآن من المسلمين قراءة تدبر، على ما في القرآن من صور رائقة ... وكل تلك لا توجب النزول الى دركات العتمة المحيطة والصفد المطوّق للاقتباسات .

التزامات معتمدة

١٢ ـ ذكرت البحور الشعرية باسمائها غالباً ـ وليس بانواعها ـ واما عند الضرورة القصوى لتخصيص الانواع فانني اعتمدت بعض تسميات الحنفي في عروضه إلّا « الرباعي » فالتسمية المناسبة له هي « مخزوم الرجز » ويحبّذ الحاقه بالرجز كنوع من انواعه [فع مستفعلن مستفعلن مستفعلُ] .

١٣ ـ إدخال مخلع البسيط تحت بحر البسيط .

١٤ ـ قد تكون الآية المقتبسة وردت في اكثر من سورة قرآنية ، كقوله تعالى :

● لله ميراث السموات والارض ● آل عمران / ١٨٠ ، الحديد / ١٠ .

فانا اشير الى مكان واحد لها فقط مفضلًا الموقع الذي ينسجم فيه معناها مع مقصد الشاعر .

١٥ ـ اذا وردت الآية القرآنية غير تامة اللفظ والتركيب في شعر شاعرين او اكثر منظومة على بحر واحد اخترت النص الاطول منهما كقوله تعالى : ﴿ واغفر لنا ربّنا إنك أنت العزيز ﴾ أطول من ﴿ إنك أنت العزيز ﴾ . فذكرت الأطول استدراكاً على الاقصر . اما اذا كان النصان في اكثر من بحر واحد فقد استغنيت عن ذكر احدهما غالباً .

١٦ ـ اعتمدت الرواية التي تتناسب واخلاقية النظم لتواكب الاقتباس المقبول شرعاً ، وربما اضطررت الى شيء من التغيير لذات السبب او لتقريب المقتبس من الاصل المقتبس عنه .

تعيين البحر

١٧ ـ ذكر السيد البدري ان رغبته لم تنشط به الى الافادة من قصار الجمل فلا جزء ولا نهك ولا خزم ولا ثلم(١٦) . ولكن ألم يسجّل في المعجم ﴿ فويلٌ للمصلّين ﴾ أليست هذه من قصار الجمل وهي من بحر الهزج الذي قال عنه المؤلف في كتابه « العروض » ان بحر الهزج مجزوء وجوباً حسب دائرته(١٧) ، كما سجّل من قصار الجمل ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ و﴿ آياته للناس ﴾ و﴿ السراط المستقيم ﴾ و﴿ كائنٌ من نبيّ ﴾ و﴿ واتّقوا الله الذي ﴾(١٨) .

فاذا اخترت انا ﴿ ولات حين مناص ﴾ تطابق [٢٢١١٢١٢١] وتعادل ثمانية مقاطع ، فكيف ساعين لها بحراً واحداً وقد دخلت البحر الكامل في شعر علي الشرقي :

يـا أهـل أقـراص الشعيـر تحمّلوا
عنتـاً يصـارعكم على الاقـراص
سيجيء دوركم على البـاغي الـذي
يرجـو المنـاص ﴿ ولات حين مناص ﴾

كما دخلت البحر المجتث في شعر الزهاوي :

تخشى بطـون شبـاع
من البطـون الخمـاص
سيطلبـون منـاصـاً
﴿ ولات حين منـاص ﴾

وهذا يوسف الذوق ادخلها البحر الخفيف :

من عـذيري والعـاذلون ألـوف
من فتـاة للشمس منهـا كسـوف
أسـرتني ﴿ ولات حين منـاص ﴾
وفـؤادي الى التصـابي ألـوف

١٨ ـ وفي عودة سريعة الى ما شمله الاجماع من تعريف الاقتباس نلاحظ ان ﴿ ما دمت حيّاً ﴾ هي كلمة من آية تدخل في صميم التعريف وان كانت من الجمل القصار فاين موقعها من البحور وأيها تدخل ؟ لقد دخلت بحسب اطلاعي البحور الآتية :

أ ـ الطويل : العباس بن الاحنف .

وكنت امـرءاً صعبـاً على من يقـودني
فـمـرّغت في عفر التـراب لكم خـدي
فـدومي على العهـد الـذي كـان بيننـا
فإنّي لكم ﴿ ما دمت حيّـاً ﴾ على العهد

ب ـ البسيط : ابو سليمان الخطابي البستي :

﴿ مـا دمت حيّـاً ﴾ اداري النـاس كلّهم
فـإنمـا نحن في دار المـداراة

جـ ـ الوافر : احمد الفخري :

أتشغـل بـالمفـاتن مقلتيـا
وتبقى العمـر منـاعـاً عصيّـا

ألم يلفتك تاريخ إليّا
ساكفر بالهوى ﴿ ما دمت حيّا ﴾

د ـ الكامل : علي الكيلاني :

يا جيرتي يا مبتغاي ومنْيتي
لا تجنحوا بعد التعاهد للجفا
لا تنكروا ما بيننا ، أنا عبدكم
وحبيبكم ﴿ ما دمت حيّاً ﴾ في الخفا

هـ ـ الهزج : عبدالقادر التحافي :

دع التحريض في دفعي
وفي تجريح إحساسي
أنا ﴿ ما دمت حيّاً ﴾ لا
أكنُّ الشر للناس

و ـ الرجز : محمد عزة :

لا كان غير الله في
عوني اذا ما رمت شيّا
مرضاة ربّي فلتكن
ما أبتغي ﴿ ما دمت حيّا ﴾

ز ـ المنسرح : محمد حبيب العبيدي :

انظر اليّ واعطف عليا
إن لم تعدني أكن شقيّا
أنت وربّي سلبت لبّي
يهواك قلبي ﴿ ما دمت حيّا ﴾

ح ـ الخفيف : كوثر الطهطاوي :

جرتِ بالهجر يا كعاب علينا
إذ تركت الحبيب نضواً شجيّا
وجفاني النعاس بعدك دوماً
ليس يلقى الجفون ﴿ ما دمت حيّا ﴾

ط ـ المجتث : عبدالباقي العمري :

لا زلتُ أحمد ربّي
﴿ ما دمت حيّاً ﴾ على ما
أعطى سليمان أرّخْ :
عبدالعزيز غلاما

ولكن أما تدخل هذه الكلمة المركبة ﴿ ما دمت حياً ﴾ بقية البحور ؟

نعم انها تدخل البحور الستة عشر كلها ، وفي الملحق (أ) المرفق بيان لمواقعها الممكنة في سبعة البحور المتبقية محددة بالرموز المعتمدة وهي (١) للمتحرك و (٢) لمتحرك وساكن معاً .

١٩ ـ اما ما يختص بكلمة اوسع تركيباً فغالباً ما تدخل الرجز والكامل باضافة او حذف حرف واحد وهذا يصدق على الكامل والطويل ويصدق على المنسرح والبسيط ويتحقق في المهيد والسريع ويطّرد في الرمل والرجز واليك مثالًا من الكامل والطويل :

ـ الكامل : ﴿ لا تحسبنّ الله مخلف وعده ﴾

ـ الطويل : ﴿ فلا تحسبنّ الله مخلف وعده ﴾ ابراهيم / ٤٧ .

وآخر من الرمل والرجز :

ـ الرمل : ﴿ ليس للإنسان إلّا ما سعى) .

ـ الرجز : ﴿ أنْ ليس للإنسان إلّا ما سعى) النجم / ٣٩ .

٢٠ ـ يتضح هنا ان دخول الكلمة / التركيب في اكثر من بحر واحد يعزى الى مطاوعتها للاوزان دون تغيير يذكر كـ ﴿ ما دمت حيّاً ﴾ و ﴿ جاءهم بأسنا ﴾ و ﴿ ولات حين مناص ﴾ وبتغيير طفيف كإضافة « حرف عطف » او حذف « لام قسم » وما الى ذلك ، هذا فضلًا عن امكانية خزم التركيب وكسعه . مثاله تسجيل المعجم للتركيب القرآني ﴿ اولئك شرٌ مكاناً وأضلُ عن سواء ... ﴾ المائدة / ٦٠ على النمط التالي :

[وانما ﴿ اولئك شرّ مكاناً وأضلُ عن سواء ﴾ القصد] ، فجاء مخزوماً (بانما) ومكسوعاً (بالقصد) . وقد يكون هنالك خزم افضل من خزم ومثاله ما فعله المؤلف عند خزمه التركيب القرآني ﴿ اقضِ ما أنتَ قاضٍ ﴾ طه / ٧٢ ، فقد خزمه بثمانية احرف ـ وهذا كثير ـ وادخله البحر المديد على الصيغة الاتية : [كن حكيماً و ﴿ اقضِ ما أنت قاض ﴾][١٩] .

ولعل أنسب منه ما خزمته بحرفين فقط وادخلته المجتث كما ياتي :

جبار ربُّ المواضي
قم ، ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾

الدائرة الضيقة

٢١ ـ ان تلك الاحتمالات المتعددة وما يواكبها من تداخل ، لاشك ، هي التي كانت ستضخم حجم المعجم لو تقصاها المؤلف الفاضل ، وبخاصة اذا ما برّز التداخل وتبادل الانواع الذي احتجن القسم الثاني من المعجم المزيد منه .

ومما يدعو الى زيادة حجم المعجم ورود اللفظة / التركيب في اكثر من آية وسورة فتدخل المعجم اكثر من مرة . ومثال ذلك دخول ﴿ وما على الرسول إلّا البلاغ ﴾ مرة عن سورة النور واخرى عن سورة العنكبوت[٢٠] . وبعضها تجاوز التكرار الثنائي فهذه ﴿ نِعم أجر العاملين ﴾ تدخل مستدركة عن سورة آل عمران واخرى عن سورة العنكبوت ومستدركة كرة ثالثة عن سورة الزمر[٢١] .

٢٢ ـ صرّح المؤلف الكريم بتخصص معجمه بمادة الاقتباس او ما شاكل شطور الشعر وابياته من القرآن الكريم مما هو مادة الاقتباس النصي ، وقد حاول فيه المؤلف ان يحيط قدر طاقته بهذه المادة .. وهو اذا فاتته الاحاطة وهي ليست مما يقع في وسع البشر فبحسبه ان لا يفوته شرف الريادة[٢٢] .

لقد كان المؤلف الرائد صادقاً مع نفسه ومع القارىء فيما ادعى من شرف الريادة وبذل جهد الطاقة لولا انه اضاف [أو] الى مادة الاقتباس

التي تخصص بها معجمه . لقد كانت مادة الاقتباس بحسب التعريف السابق [كلمة من آية أو آية] فصارت [او ما شاكل شطور الشعر وابياته] وهكذا خرج التعريف من ان يكون جامعاً مانعاً متفقاً عليه بدخول [او] التشكيكية عليه . وبها يتجرد المعجم من قسمه الثاني الذي لا يتحقق فيه شطر البيت بغير التداخل وتبادل الانواع ناهيك عن النصوص التي ستتمرد على القسم الاول التي لا تؤلف شطراً ولا بيتاً تاماً .

المستدرك

٢٣ ـ كنت اقوم بعملية تجميع للابيات الشعرية التي تضم كلمات من القرآن من خلال مطالعتي لكتب التراث ودواوين الشعراء عبر مسيرة زمنية استمرت بضع سنين . وكنت قد نشرت ثلاث حلقات من الاقتباس في مجلة الجندي العراقية في ثلاثة اعداد متتالية للاشهر آب وايلول وتشرين الاول سنة ١٩٦٧ م بعنوان [اقباس من التراث] . واخيراً احتجنت كراستي المخطوطة ذات المائتي ورقة ونيّف مجموعة لا باس بها من المختارات ، غير ان السيد البدري جمع فاغنى وتقصى فاثرى وجهد فعانى ورتّب فاعان . إلا انه على الرغم من الجهد الذي عاناه في الاستقصاء والحرص على استغراق الآيات فقد انفلت من بين يديه ما يمكن ان يستدرك عليه ، وقد سمى مثل هذا المستدرك سقطاً لا تسلم منه آنية الصيدلاني وهو يصفق الدواء[٢٣] .

ان سقط آنية الصيدلاني لما يزل يحتفظ بمواصفات الدواء النافع الناجع ولا يسقط الانتفاع به إلا بمرور المدة التي صنع لها ان كان من النوع الذي يؤثر فيه الزمن ، أما هذا الدواء المجازي والمعنوي في آن واحد فهو الذي لا يؤثر فيه الزمن مطلقاً .

وقيل قديماً وذهبت مثلاً [قد تجد في الاسقاط ما ليس في الأسفاط] . فكيف اذا كانت تلك العناصر نورانية التركيب اصلاً ؟.. اذن من هنا تشكّل هذا المستدرك الملحق (ب) بالمقالة والمسمى « المستدرك المنظوم » . وهو حتماً يتعقب اثر احسان المؤلف الفاضل ذي الاصالة الفكرية وبراعة الانتقاء وعمق الاستقصاء ، وتلك اشياء مفروغ من التسليم بجدواها .

الخاتمة

٢٤ ـ لا يعني وجود التفاعيل العروضية وجود الشعر ابداً . فانها ما لم تتآلف على هيئة مرسومة لدى الشعراء فانها لا يتاتى منها الشعر المعروف لدى اصحاب صناعته[٢٤] .

ان حد الشعر الصحيح ان يكون كلاماً مقفى موزوناً ، لا يقع مثله إلا من عالم به قاصد الى وزنه وتقفيته . وعلى هذا لا يعدّ من الشعر ما ورد في القرآن الكريم من آية او كلمة من آية تحاكي وتطابق التفعيلات العروضية .

٢٥ ـ اجاز الشيخ عز الدين عبدالسلام الاقتباس من القرآن الكريم ، وقد استدل بما ورد عن الرسول محمد (ﷺ) في قوله في الصلاة وغيرها :

[﴿ وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفاً ﴾ مسلماً ﴿ وما أنا من المشركين] .

[﴿ إن صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له ﴾ وبذلك أمرت وأنا من المسلمين][٢٥] .

وقوله (ﷺ) : [﴿ اللهم فالق الاصباح ﴾ وجاعل ﴿ الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ﴾ إقض عني ديني وأغنني من الفقر][٢٦] .

وكذلك بما جاء في سياق عهد ابي بكر الصديق عندما وافته المنية قوله : [... الخير أردت ، ولكل امرىء ما اكتسب ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ﴾][٢٧] .

٢٦ ـ انكر السيوطي وابن معصوم على الشعراء ضربين من الاقتباس المردود ، احدهما ما نسبه الله تعالى لنفسه واستعاذ بالله ممن ينقله الى نفسه ، وثانيهما تضمين آية كريمة في معرض هزل او سخف[٢٨] .

٢٧ ـ لقد حوّم المؤلف الفاضل حول الشبهات متدرعاً بفكر ثاقب وقريحة وقادة وسليقة نقادة ومتحصناً بالعلم الجم والمقدرة الكافية في محاولات موفقة للابانة عن مواقع الاباحة والقبول ومواقع الرفض والعزوف .

٢٨ ـ المقترحات :

لعل في المقترحات الآتية اشياء يسيرة لا تنال من ديباجة المؤلف ومعطيات معجمه شيئاً ما :



أ ـ تحديد تعريف مادة الاقتباس بنصوص القرآن الكريم فقط لأغراض هذا المعجم على ان تكون الكلمة المركبة ذات معنى تام غير مبتسر لذاتها بلا خزم ولا كسع ولا ما شابه ذلك مع حذف [او] التشكيكية منه .

ب ـ تدخل الكلمة المركبة الاقتباس النصي موجهة الى معنى يبتعد بها عن معناها القرآني على انها ليس منه وذلك باخراج الكلام الموزون مخرج التوجيه الذي هو الايهام او مخرج التورية او التشبيه وما شاكل ذلك .

جـ ـ الغاء القسم الثاني من المعجم لعدم موافقته شطور الابيات وتقصيره عن ادراك مداها .

د ـ الاكتفاء بذكر الكلمة المركبة ذات المعنى مرة واحدة وباطول نص لها اذا ما تكررت في سورة واحدة او في اكثر من سورة .

٢٩ ـ كانت تلك المقترحات بدوات دارت في الذهن دونتها على الورق ، فعسى ان تكون هذه المقالة دعوة لتصويبها وتاكيد صحتها او تصحيحها وتقويمها بمقدار ما فيها من الغوامض والموهمات التي نبت بي عن المسار اللاحب . والكمال لله وحده .

الملحقان

٣٠ ـ تتم المقالة بالاطلاع على الملحق (أ) المسمى « مواقع الكلمة المركبة » والاطلاع على الملحق (ب) المسمى « المستدرك المنظوم » وهما مرفقان بهذه المقالة .

الهوامش والمراجع

١ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي ـ ط ٣ ـ مصر ١٣٧٠ هـ ص ١١٢ .

٢ ـ العمدة ـ لابن رشيق القيرواني ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ ص ١٤ .

٣ ـ معجم آيات الاقتباس ـ حكمة البدري ـ بغداد ١٤٠٠ هـ ص ٩ .

٤ ـ خزانة الادب وغاية الارب ـ لابن حجة الحموي ـ مصر ١٣٠٤ هـ ص ٤٤٢ .

٥ ـ الاتقان ص ١١١ .

٦ ـ انوار الربيع ـ لابن معصوم ـ نجف ١٣٨٨ هـ ج ٢ ص ٢١٧ .

٧ ـ المفردات في غريب القرآن ـ للراغب ـ طهران ١٣٧٣ هـ ص ٤٥٥ .

٨ ـ المستطرف في كل فن مستظرف ـ للابشيهي ـ مصر ١٣٦٨ هـ ج ٢ ص ٢٤٩ .

٩ ـ معجم آيات الاقتباس ص ١٠ .

١٠ ـ المصدر نفسه ص ١٢ .

١١ ـ المصدر نفسه ص ١٩ .

١٢ ـ المصدر نفسه ص ٢١ .

١٣ ـ البلاغة الواضحة ـ علي الجارم ومصطفى امين ـ مصر ١٣٧٣ هـ ص ٢٧٠ .

١٤ ـ العمدة جـ ٢ ص ٨٠ .

١٥ ـ الجملة القرآنية في الشعر العربي ـ مجموع خطي ـ عبدالقادر التحافي ـ لغاية ١٤٠٤ هـ وعنه ظهر المستدرك المنظوم وهو الملحق ب بهذه الكلمة .

١٦ ـ معجم آيات الاقتباس ص ٤٤ .

١٧ ـ العروض في اوزان الشعر وقوافيه ـ حكمة البدري ـ بغداد ١٣٨٦ هـ ص ٧٧ .

١٨ ـ معجم آيات الاقتباس ، الصفحات ٧٨ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ على التوالي .

١٩ ـ المصدر نفسه ص ٥٧ .

٢٠ ـ المصدر نفسه الصفحتان ١٣٣ ، ١٣٤ .

٢١ ـ المصدر نفسه ص ١٢٨ .

٢٢ ـ المصدر نفسه ص ٣٨ .

٢٣ ـ المصدر نفسه ص ٤٥ .

٢٤ ـ العروض ، تهذيبه واعادة تدوينه ـ جلال الحنفي ـ بغداد ١٣٩٨ هـ ص ٦٠٢ .

٢٥ ـ فقه السنة ـ السيد سابق ـ بيروت ١٣٨٩ هـ ج ١ ص ١٤٦ .

٢٦ ـ انوار الربيع ج ٢ ص ٢١٧ .

٢٧ ـ الكامل في اللغة والادب ـ للمبرد ـ مصر ١٣٥٥ هـ ج ١ ص ١٢ .

٢٨ ـ الاتقان ص ١١٢ ، انوار الربيع ج ٢ ص ٢١٧ .

الملحق (ب) بمقالة الاستئناس
المستدرك المنظوم

* نذكر اسم الشاعر فاسم السورة فرقم الآية او الآيات المقتبس منها ونحصر الاقباس بين الاقواس والمرجع الاصلي لكل مقطوعة على الرغم من ان الاشعار جميعها مما يحتجنه مخطوط الجملة القرآنية في الشعر العربي لكاتب البحث .

البحر الطويل

شهاب الدين الحجازي ـ الاسراء / ٣٣ ـ عن (خديم الظرفا ونديم اللطفا) لمؤلف مجهول
أيا مَن طويل الليل بالهجر قصَّروا
أنيبوا وكونوا من أناس به تاهوا
وإن شئتمو تحيوا أميتوا نفوسكم
﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله ﴾
مراد على العمري ـ النصر / ١ ـ (الروض النضر للعمري ١ : ١٨٣)
ويشراك بالفتح المبين ولم تزل
من الله منصوراً وشانيك أربدا
ولما توالى البشر قلت مؤرّخاً
لقد ﴿ جاء نصر الله والفتح ﴾ أحمدا
منصور الهروي ـ المائدة / ٤٥ ـ (انوار الربيع لابن معصوم ٢ : ٢٤٢)
ومنتقب بالورد قبّلت خدّه
وما لفؤادي من هواه خلاص
فأعرض عني مغضباً قلت لا تجر
وقبّل فمي إن ﴿ الجروح قصاص ﴾
الخباز البلدي ـ طه / ٢٠ ، الاعلى / ٤ ـ (يتيمة الدهر للثعالبي : ٢ : ٢٠٩) .
كأن يميني حين حاولت بسطها
لتوديع إلفي والهوى يذرف الدمعا
يمين ابن عمران وقد حاول العصا
وقد جعلت تلك العصا ﴿ حيّة تسعى ﴾
وقائلة هل تملك الصبر بعدهم
فقلت لها : لا ﴿ والذي أخرج المرعى ﴾
محمد سعيد الحبوبي ـ الاحزاب / ٥٣ ، ص / ٢٥ ـ (ديوانه : قافية الباء)
محجّبة كفّ الردى لا تمسّها
لتقبض إلّا ﴿ من وراء حجاب ﴾
أقامت بجنب المرتضى وهي جنبه
وآبت الى ﴿ زلفى وحسن مآب ﴾
أحدهم ـ العصر / ١
أناشده الرحمن في جمع شملنا
فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده
فـ﴿ والعصر إن ﴾ العاشقين ﴿ لفي خسر ﴾
ابن خالويه ـ ابراهيم / ١٩ ، مريم / ٢٤ ـ (الاقباس للثعالبي : ١٨٤)
﴿ ألم تر أن الله ﴾ قال لمريم
﴿ وهزّي اليك ﴾ الجذع يساقط الرطَبْ
ولو شاء أن تجنيه من غير هزّه
جنته ولكن كل رزق له سببْ
عبدالحسين الصادق ـ طه / ٢٧ ـ (مآخذ الشعراء للعاملي ٢ : ٤٨)
وحقّك لم يملك لساني بياني
فعذراً أو ﴿ احللْ عقدةً من لساني ﴾
بهاء الدين العاملي ـ يس / ٩ ـ (الكشكول للعاملي : ١ : ١٤٣)
فمن قلّة التمييز حاليَ سيىء
وفعلي معتلٌ وهمّي ممتدُّ
كأن على الابصار منهم غشاوة
و﴿ من بين أيديهم ﴾ ومن خلفهم ﴿ سدُّ ﴾
ابن العربي ـ الشورى / ٢٣
رأيت ولائي آل طه فريضة
على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب الرحمن أجراً على الهدى
بتبليغه ﴿ إلّا المودّة في القربى ﴾
ابو طالب عبد مناف ـ الناس / ١ ـ (سيرة ابن هشام ١ : ١٧٧)
﴿ أعوذ بربِّ الناس ﴾ من كل طاعن
علينا بسوء أو ملحّ بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
ومن ملحق بالدين ما لم نحاول
عبدالمحسن الكاظمي ـ الانفال / ٦١ ـ (ديوانه : قافية اللام)
بني المجد إن شدّ الزمان عليكم
فشدّوا وإمّا يجهل الدهر فاجهلوا
﴿ أعدّوا ما إستطعتم ﴾ ، تأهّبوا
وإن جلجل الخطب المريع فجلجلوا
وله ايضاً : ـ الانفال / ٦٢ ـ (ديوانه : قافية الباء)
تنشّط وثب وازحف وجاهد ولا تدع
مجالًا بأن يرعى شويهاتك الذئب
﴿ وإن جنحوا للسلْم فاجنح لها ﴾ وإن
أبوا غير نار الحرب فلتنشب الحرب
محمد حبيب العبيدي ـ المائدة / ٤٨ ـ (ديوانه : ذكرى حبيب)
وما الدين إلّا واحد قد تعدّدت

شرائعه حتىٰ استقام اخيرها
﴿ لكلٍّ جعلنا شرعةً ﴾ خير شاهد
على ان مقياس الشعوب دهورها

وله ايضاً : ـ النساء / ٩٧
وألّهت أسرائيل عجلًا واننا
نؤلّه في عصر البخار عجولا
كفرت بعصر الكهرباء وينسما
جنى أهله ﴿ لا يهتدون سبيلا ﴾

ابن الرومي ـ الشعراء / ٢٢٦ ـ (ديوانه)
﴿ يقولون ما لا يفعلون ﴾ مسبّة
من الله مسبوب بها الشعراء
وما ذاك فيهم وحده بل زيادة
يقولون ما لا يفعل الامراء

احدهم : الحج / ٦٣
على بابنا قف عند ضيق المناهج
تفز بعليّ القدر من ذي المعارج
﴿ ألم تر أن الله أنزل ﴾ نعمة
علينا وولّانا قضاء الحوائج

عبدالرحيم البرعي ـ العنكبوت / ٦٣ ـ (ديوانه : حسب القوافي)
له الراسيات الشمُ تهبط خشية
وتنشقّ عن ماء يسيح ويخضل
وأحيا نواحي ﴿ الارض من بعد موتها ﴾
بمنسجم غيث من السحب يهمل

وله ايضاً : البقرة / ١٥
نبيٌ أتى والناس في جاهلية
يخوضون في بحر من الشرك زاخر
على الغيّ ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾ قد
هوت بهم الاهوا الى غير ناصر

وله : الاسراء / ١٠٩
وذات جمال في أباطح مكّة
محاسنها تحكي سناءً توقّدا
اذا ما رآها العاشقون رأيتهم
﴿ يخرّون للاذقان يبكون ﴾ سجّدا

وله : التوبة / ٢٦
نبيٌ تقيٌ أريحيٌ مهذّب
بشير لكل العالمين نذير
﴿ ويوم حُنينٍ إذ ﴾ رمى القوم بالحصى
فولّوا وهم عمي العيون وعور

خليل البصير ـ آل عمران / ١٨٠ ـ (شمامة العنبر : ١٣٠)
أتطمع في جنات عدن غداً وقد
توزّثت وجه الارض في الطول والعرض
أتأمل إحراز المواريث كلّها
﴿ ولله ميراث السماوات والارض ﴾

ملّا جرجيس الموصلي ـ البقرة / ١٢٧ ، النجم / ١٥ ـ (جوامع الموصل : ١٧٩)
﴿ وإذ يرفع ابراهيم ﴾ فيها قواعداً
بصدق عسى أن الجنان له ماوى
فخذ كل ثاني شطر بيت مؤرّخاً
جزى الله للمنشي لها ﴿ جنّة الماوى ﴾

عبدالباقي العمري ـ طه / ٣١ ـ (ديوانه : الترياق الفاروقي)
قضى نحبه آبنُ الطهر سيّدة النسا
سليلة فخر الكائنات أبي الغُرّ
قضى نحبه ابنُ الصنو شُبّر من غدا
أبوه حرياً في ﴿ أخي اشدد به أزري ﴾

وله ايضاً : طه / ١٢
خلعنا نفوساً قبل خلع نعالنا
غداة حللنا مرقداً منك مانوسا
وليس علينا من جناح بخلعها
لـ﴿ أنك بالواد المقدّس ﴾ يا موسى

احدهم : المائدة / ٧٥
لئن غبتم عني فإن محلّكم
لفي مهجتي بين الجوانح والحشا
وأرجو من الرحمن يجمع شملنا
و﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشا ﴾

شمس الدين النواجي ـ التوبة / ١٢٩ ـ (السمو الروحي في الادب الصوفي)
محمّد المختار أشرف من ﴿ دعا
الى الله ﴾ وانقادت اليه الشرائع
نبيٌ كريم طاهر ومطهّر
﴿ رؤوف رحيم ﴾ خاشع متواضع

البحتري ـ ص / ٢٣ ـ (ديوانه)
أبا الفضل ذي ﴿ تسع وتسعون نعجة ﴾
غنى لك فيها عن غزال لنا فرد
أتاخذه مني وقد أخذ الجوى
ماخذه مما أسرّ وما ابدي

عبدالقادر التحافي ـ المائدة / ٣ ـ (ديوانه)
فيا أهل وذي والتواصل الفة
ترود مراح النفس والقلب والصدرا
يضرّ بكم (أن تعتدوا ، وتعاونوا
على البرّ والتقوى ولا ﴾ تحملوا غدرا

البحر المديد

شهاب الدين الحجازي - البقرة / ٢ - (خديم الظرفا ونديم اللطفا)
في رسول الله مدحي مديد
ما عسى مدحاً أتى من بديه
وكتاب الله جاء بمدح
﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾
شهاب الدين الموصلي - الفلق / ٤
ثغره، أنقى من البرد
ريقه، أشهى من الشهد
هو ظبي من بني أسد
جاز (نفاثات في العقد ﴾

البحر البسيط

ابو الشيص الخزاعي - القيامة / ٢٧ ، ٢٩ - (اشعار ابي الشيص للجبوري)
يا ليت شعري متي تجدي عليّ وقد
أصبحت ربّ دنانير وأوراق
تجدي عليّ اذا ما ﴿ قيل منْ راقٍ ﴾
﴿ والتفت الساق ﴾ عند الموت ﴿ بالساقِ ﴾
اسماعيل الجوهري - الرحمن / ٥٤
يا ضائع العمر بالاماني
أما ترى رونق الزمان
لعلّنا نجتلي سروراً
حيث ﴿ جنى الجنتين دانٍ ﴾
رشيد ابو مرة - العلق / ١٠ - (مجلة الوعي الاسلامي ع ٦٠ / سنة ٥)
عدوّ اقتنا سود صحائفه
وليس يعرف في قاموسه عدلا
أيحرق المسجد الاقصى ونتركه
ليمنع الذكر او ﴿ عبداً اذا صلّى ﴾
احدهم : النساء / ٨٦
أهدى اليكم على بعد تحيّته
﴿ حيّوا بأحسن منها أو ﴾ فردّوها
عبدالرحمن القرقشندي - العلق / ٢
كم طارق منك بالاحسان يطرقني
مثل البروج أتى من أحسن الطرق
يا عالي القدر رفقاً، مشني ضعف
والله قد ﴿ خلق الانسان من علقٍ ﴾
عبدالقادر التحافي - الحج / ٦١ - (ديوانه)
رأيت في خطّه جمالاً
أفاضه ذائب النضار
منمّقاً آية تراها :
﴿ ويولج الليل في النهار ﴾
وله ايضاً : ص / ١٧ ، ١٩
لو كنت ﴿ داؤود ذا الأيد ﴾ الفتى الغلاّب
﴿ والطير محشورة كلٌّ له أوّاب ﴾
ما صحّ لي، والجوى بين الحنايا ثوى
تسكين طائر قلب في الهوى وثّاب
شهاب الدين الحجازي - الرعد / ٣٢ - (خديم الظرفا ونديم اللطفا)
يا سيد الرسل والبحر البسيط ويا
من فضلُ همّته تعلو به الهممُ
بعثت خاتم رسل الله كلّهم
﴿ في أمّة قد خلت من قبلها الامم ﴾
وله ايضاً : آل عمران / ٣
اختلعت رحمة فبسطي
زال وأولاده بغفة
فرُدَّها ربّنا الينا
﴿ وهبْ لنا من لدنك رحمة ﴾
صفي الدين الحلي - القيامة / ١٦ - (ديوانه)
سرّك إن صنته بصمت
أصلح بين الانام شانك
فلا تثق لامرىءٍ بسرّ
﴿ ولا تحرّكْ به لسانك ﴾
حسان بن ثابت - الانفال / ٧٤ - (ديوانه)
سمّاكم الله أنصاراً لنصركمُ
دين الهدى وعوان الحرب تستعرُ
﴿ وجاهدوا في سبيل الله ﴾ واعترضوا
للنائبات فلا خوف ولا ضجرُ
الشاب الظريف - الكهف / ٧٧ - (ديوانه)
ما أنصفوا الخضر الباني جدارهمُ
لمّا اراد بأن ينقضّ حين بني
فـ ﴿ استطعما أهلها ﴾ موسى وصاحبه
فلم يضيفوهما شيئاً، فكيف أنا
احدهم : الاعراف / ١١٦
وقام من بيننا خطيباً
كجدّه ملقياً مقالة
﴿ تلقف ما يأفكون ﴾ لكنْ

لا يدعي عندها الرسالة

عبدالمقتدر الدهلوي - آل عمران / ١٠٣

يا سائق الظعن في الأسحار والأُصلِ
سلِّمْ على دار سلمى فأبكِ ثم سلِ
يا طالب الجاه في الدنيا تكون غداً
﴿ على شفا حفرة من ﴾ جاحم الشعلِ

عبدالرحيم البرعي - الإسراء / ١ ، النجم /٩ - (ديوانه)

سارت الى المسجد الاقصى ركائبه
يزفُّه مسرج الإسرا وملجمه
فصار جبريل تحدوه محبته
من ﴿ قاب قوسين أو أدنى ﴾ يكلّمه

وله ايضاً : التوبة / ١١٠ ، المائدة / ٣

أتى وأمّته العمياء قد وقفت
﴿ على شفا جرف هارٍ ﴾ فحلّ عرى
وحزم الدم والميتات محكمه
﴿ وما أهلّ لغير الله ﴾ أو نذرا

النواجي - يس / ٤٠ - (الروض النضر ١ : ١٥١)

ساقٍ كبدر دجى يسعى بشمس ضحى
بين الندامى يفوق الغصن إن خطرا
فاعجبْ لشمس اضاءت في يدي قمرٍ
والشمس لا ينبغي ﴿ أن تدرك القمرا ﴾

احدهم : الصافات / ١٠٢ - (الروض النضر ١ : ١٥٣)

يا مانع الوصل يا حياتي
يا متلف القلب بالتجني
ذرني فقد زادني شجوناً
﴿ إنّي أرى في المنام أنّي .. ﴾

ابو محمد الخازن - الفرقان / ٢ - (الروض النضر ١ : ٣٧٨)

بشرى لقد أنجز الإقبال ما وعدا
وكوكب المجد في افق العلى صعدا
﴿ لم يتّخذ ولداً ﴾ إلّا مبالغة
في صدق توحيد من ﴿ لم يتّخذ ولدا ﴾

صفي الدين الحلي - طه / ١٨ - (ديوانه)

هذي عصاي ﴿ ولي فيها مآرب اخـ
ـرى أو ﴿ أهش بها ﴾ طوراً ﴿ على غنمي ﴾
إن ألقها تتلقّفْ كلما صنعوا
اذا أتيت بسحر من بيانهمِ

عبدالباقي العمري - الجمعة / ١١ - (ديوانه)

مديح آل النبي عندي
﴿ خير من اللهو ﴾ ﴿ والتجارة ﴾
أنجو به من عذاب نار
﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾

وله ايضاً : الزمر / ٦٣

أسرار آية إني جاعل ظهرت
بعدل منشيه في كل القضيّاتِ
أعطى مقاليد أحكام الامور له
من في يديه (مقاليد السماوات)

محمد العبدلي - يوسف / ٦٥ - (الروض النضر ٢ : ٤٤)

فجد عليها وأنعم بالقبول وإن
زهدْت فيها ، وخذها بالغاً وطرا
وقل لمن يعتني : هذي ﴿ بضاعتنا
ردّت الينا ﴾ فأرخنا : هدىً ظهرا

الطغرائي - الانعام / ٣٥ - (ديوانه)

حبُّ السلامة يثني همّ صاحبه
عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فإن جنحت اليه فاتخذْ ﴿ نفقاً
في الارض أو سلّماً في ﴾ الجو فاعتزلِ

عبدالله النقشبندي - النور / ٣٥ - (النجم الزاهر لنكتل كشمولة : ١٠٢)

ورتّل الآية العصماء معتصماً
بالنص دون ازدياد في ثناياه
﴿ الله نور السماوات ﴾ وما نزلت
الله نور ، أو آنّ النور الله

عبدالله الطرابلسي - الإسراء / ٢٣ - (سلك الدرر ٣ : ١٠٣)

واطلب على الصبر في الاحوال قاطبة
ولازم الصبر فهو المنهج الاطهر
واطلب من الوالدين الاكرمين رضى
و ﴿ لا تقل لهما أفٍّ ولا تنهر ﴾

صالح التميمي - الكهف / ٩٨ - (ديوانه)

ما كان سدّك للشطّ الذي ظلما
إلّا نجاة لاهل الكرخ حين طمى
سدٌّ علا لم يكن يأجوج يعبره
﴿ وما استطاعوا له نقباً ﴾ وان عزما

البحر الوافر

شهاب الدين الحجازي - آل عمران / ١٥ - (خديم الظرفا ونديم اللطفا)

جفا رضوان من هزجي
ولي بدل عذاره
﴿ وأزواج مطهّرة
ورضوان من الله ﴾

عبدالباقي العمري - الإسراء / ١ - (ديوانه)
وكم أسرى بـه روح المعاني
الى أقصى العلى مـع طول بُعدهْ
كما أسرى بـه مولاه ليلاً
فـ ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾
وله أيضاً : البقرة / ١١٢ ، هود / ٦٠
و ﴿ أسلم وجهه لله ﴾ طوعاً
وسلَّم ما لديه من عتيد
وقد رجعوا بأخزى من ثمود
وعادوا مثل ﴿ عادٍ قوم هُودِ ﴾
وله : الأعراف / ١٨٩ ، البروج / ١٥ ، هود / ٥٩
﴿ تعالى الله ﴾ ﴿ ذو العرش المجيدِ ﴾
وحلّت حكمة الملك الحميدِ
مليك عزَّ سلطاناً وقهراً
لنفخة ﴿ كلِّ جبّارٍ عنيدِ ﴾
محمد نوري القادري - التوبة / ٣٣ - (نور القمر لعبدالله فيضي : المقدمة)
لعبدالله نور ليس يخفى
تضيء به الليالي المدلهمّة
يريد الجاحدون ليطفئوه
﴿ ويأبى الله إلا أن يتمّ ﴾ ـه
البارودي - الرعد / ١٦ - (ديوانه)
وما الأيام إلا صائبات
تمرّ بكل سابغةٍ وترسِ
على هذا يسير الناس طرّاً
ويبقى ﴿ الله خالقُ كلِّ ﴾ نفس
حافظ ابراهيم - القلم / ٤ - (ديوانه)
لهم شيمٌ ألذُّ من الأماني
وأطرب من معاطاة النديمِ
كهمّك في الخلاعة والتصابي
وإن كانوا ﴿ على خلقٍ عظيمٍ ﴾
الرصافي - يس / ٣٦ - (ديوانه)
اذا أيقظتهم زادوا رقادا
وإن أنهضتهم قعدوا وِسادا
فـ ﴿ سبحان الذي خلق ﴾ العبادا
كأن القوم قد خُلقوا جمادا
بهاء الدين العاملي - الرحمن / ٤١ - (الكشكول ١ : ١٧١)
أضعتَ العمر عصياناً وجهلاً
وقلبك لا يفيق من المعاصي
ونفسك لم تزل أبداً جموحاً
فـويلٌ يوم ﴿ يؤخذ بالنواصي ﴾
عطا الخطيب - آل عمران / ٥٤
سنرجع ظافرين بعون ربّي
ويلقى الشامتون كما لقينا
دعوهم يمكرون بما استطاعوا
فـإنَّ ﴿ الله خير الماكرينا ﴾
الشاب الظريف - (الأنعام / ٢٨ - (ديوانه)
عريب كان لي معهم عهودٌ
ظننت بقاءها ولهم ودادُ
عهدتُ لديهم خلقاً جميلاً
وقد غضبوا ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا ﴾
المطوعي : - فاطر / ٣٧ - (معاهد التنصيص ٤ : ١٨٤)
غدا لمّا التحى ليلاً بهيماً
وكان كأنه القمر المنيرُ
وقد كتب السواد بعارضيه
لمن يقرا ﴿ وجاءكم النذيرُ ﴾
محمد حبيب العبيدي - لقمان / ١٨ - (ديوانه : ذكرى حبيب)
مشى تحت القنابل لم ترعْه
صواعقهن وهو على شفيرِ
فيا جيشاً على اسم الله يغزو
فيمحق ﴿ كلَّ مختالٍ فخورِ ﴾
وله أيضاً : الحج / ١٨
وفجر ينجلي عن ضوء شمس
وصبح بعده ياتي مساءُ
يكرّ على ذويه الدهر قسراً
و ﴿ إن الله يفعل ما يشاءُ ﴾
ابن الرومي : - الحشر / ٢ - (ديوانه)
وصفعان يجود بمصفعيه
ويصفع نفسه في الصافعينا
كهدم المشركين بيوتَ سوءٍ
﴿ بأيديهم وأيدي المؤمنينا ﴾
على الشرقي - الرحمن / ٢٧ - (ديوانه)
وفوق ضلال هذا الكون رشدٌ
صفتْ مرآته وجلاه جالِ
وربك كل شيء سوف يفنى
﴿ ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ ﴾
عبدالرحيم البرعي - الأعراف / ١٤٢ ، الطور / ١١ ، المائدة / ٧٠ - (ديوانه)
ولو قابلت لفظة ﴿ لن تراني ﴾
بـ ﴿ ما كذب الفؤاد ﴾ فهمت معنى

فـدرع محمـدٍ في الــذكـر لقـا
تـلا ﴿ والله يعصمـك ﴾ اطمـأنـا
ابن دانيال الموصلي ـ الروم / ٥٠ ـ (المختار من شعر ابن دانيال للدليمي)
وسلطـــان لـــه القِـــدْح المعلَّى
تـــأمـلْ ﴿ كيف يحيي الأرض ﴾ عـدلا
أزال نـــوالـــه الييس المـذِلاّ
بجـــود يمـــلا الثقلين فضـــلا
اسماعيل فرج ـ مريم / ١٧ ـ (المساجلات الموصلية)
بـــه لـــلانس يجتمـــع الشتـــاتُ
ويقتـــل بـــالصـدود ولا بيـــاتُ
ويحيي بـــالـــوصـــال ولا ممـــاتُ
وتبقى (البـــاقيـــاتُ الصـــالحـــاتُ)
خليل البصير ـ ابراهيم / ٢٨ ـ (شمامة العنبر للغلامي : ١٣٠)
أمن كفـــروا بـــانعمـــه تعـــالى
جـــزاؤكم العـــذاب مـــع الصُغـــارِ
فـــإنْ مبـــدّلي النعمـــاء كفـــراً
﴿ أحلُّـــوا قـــومهم داز البـــوارِ ﴾
البوصيري ـ فاطر / ٣٥ ـ (السمو الروحي في الأدب الصوفي)
بمـــدح المصطفى تحيـــا القلـــوبُ
وتغتفـــر الخطـــايـــا والـــذنـــوبُ
شـــريعتُـــه ﴿ صـــراطٌ مستقيمٌ ﴾
فليس ﴿ يمسُّنـــا فيهـــا لغـــوبُ ﴾
مكي الجوخي ـ الحج / ٤٧ ـ (سلك الدرر ٤ : ١٣٨)
لانت أعـــزُّ من طـــرفي وقلبي
فســـلْ عمـــا أقـــول شهـــود قلبـــكْ
ويـــوم لا أرى ذاك المحيـــا
اعـــادل فيـــه ﴿ يـــوماً عنـــد ربـــكْ ﴾
عبدالله الطرابلسي ـ الطلاق / ١ ـ (سلك الدرر ٣ : ١٠٣)
أعبـــدالله لا تجـــزعْ لضيم
وثِقْ بـــالله تتّضـــح المســـالـــكْ
وكن جلـــداً على صـــرف الليـــالي
﴿ لعـــلَّ الله يُحـــدث بعـــد ذلـــكْ ﴾
عبدالقادر التحافي ـ الليل / ١٢ ، المزمل / ١٧ ـ (ديوانه)
ولـــولا أيتـــان لظـــلُّ شعـــري
خصيم الشيب معطـــاراً خضيبـــا
همـــا ﴿ أنـــذرْتكم نـــاراً تلظّى ﴾
و﴿ يـــوماً يجعـــل الـــولـــدان شيبـــا ﴾
وله ايضاً : الحج / ١٤
يـــروز بفكـــره كـــل احتمـــالٍ
فينجم بعـــدُ ذا رأيٌ ســـديـــدُ
ويـــدرج في الفعـــال يـــريـــد أمـــراً
و﴿ انّ الله يفعـــل مـــا يـــريـــدُ ﴾
وله : التين / ٥ ، الأحزاب / ٧١ ، الفتح / ١ ، الانبياء / ١٠٤ ، ١٥
ويـــرفعْكم مـــراتب راقيـــاتٍ
ويـــردِ الخصم ﴿ أسفـــل ســـافلينا ﴾
ويمنحْكم ثمـــار الصفـــد ﴿ فـــوزاً
عظيمـــاً ﴾ يجتلي ﴿ فتحـــاً مُبينـــا ﴾
وتلـــك إرادة الـــرحمن تمضي
ألم يخبـــر بـ﴿ كنّـــا فـــاعلينـــا ﴾
ويـــأتيكم البشيـــر : بكم أداة
﴿ جعلنـــاهم حصيـــداً خـــامـــدينـــا ﴾

البحر الكامل

الابيوردي ـ غافر / ٢٤ ـ (انوار الربيع ٢ : ٢٤٢)
وقصـــائـــد مثـــل الـــريـــاض أضعتهـــا
في بـــاخـــل ضـــاعت بـــه الأحســـابُ
فـــإذا تنـــاشـــدهـــا الـــرواة وأبصـــروا الـ
ـممـــدوح ﴿ قـــالـــوا ســـاحـــرٌ كـــذابٌ ﴾
ابو الفضل الحبري ـ القصص / ٦٩
أشكـــو الأحبّـــة لا يغِبُ جفـــاؤهم
يبغي أذاي صغيـــرُهم وكبيـــرُهم
هم يعلنـــون لـــدى اللقـــاء مـــودتي
والله (يعلم مـــا تكُنُّ صـــدورُهم)
الخباز البلدي ـ الكهف / ٧٩ ـ (يتيمة الدهر للثعالبي ٢ : ٢٠٩)
قـــد قلتُ إذ ســـار السفين بـــه
والشـــوق ينهب مهجتي نهبـــا
لـــو ان لي عـــزّاً أصـــول بـــه
لاخـــذتُ ﴿ كـــلَّ سفينـــةٍ غصْبـــا ﴾
ابن نباته ـ الإنسان / ٥ ـ (انوار الربيع ٢ : ٢٤٨)
يـــا لائمي في خـــادم لي ســـيّد
قسمـــاً لقـــد زدت السلـــوّ نفـــورا
ولقـــد أدرت على المســـامـــع قهـــوةً
في الحب ﴿ كـــان مـــزاجُهـــا كـــافـــورا ﴾
شهاب الدين الحجازي ـ الفتح / ١٠ ـ (خديم الظرفا ونديم اللطفا)
كملتْ صفـــاتـــك يـــا رشـــا وأولـــو الهـــوى
قـــد بـــايعـــوك وحظُّهم بـــك قـــد نمـــا
متفـــاعلن متفـــاعلن متفـــاعلن
﴿ إنّ الـــذين يبـــايعـــونـــك إنّمـــا .. ﴾

وليد الاعظمي ـ الحج / ٢٣ (ديوانه : الزوابع)
جاءت تحييهم ملائكة السما
من كل باب : السلام عليكمُ
﴿ جنات عدن ﴾ للذين تصدقوا
﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ قيّمُ
البحتري ـ البقرة / ٢١٢ ـ (ديوانه)
فلو أنّ مشتاقاً تكلف غير ما
في وسعه لسعى اليك المنبرُ
نُعمى من الله اصطفاك بفضلها
﴿ والله يرزق من يشاء ﴾ ويقدرُ
ابو العتاهية ـ الحج / ٤١ ـ (ديوانه)
﴿ لله عاقبةُ الامور ﴾
طوبى لمعتبر ذكور
طوبى لكل مراقب
لله أوّاب شكور
البارودي ـ آل عمران / ٤٧ ـ (ديوانه)
الريح تكتب والغدير صحيفة
والسحب تنقط والحمائم تقرأ
صور تدلُّ على حكيم صانع
﴿ والله يخلق ما يشاء ﴾ ويبرأ
وله ايضاً : ابراهيم / ٣٩
وعلام أجهد في المطالب باذلا
نفسي وهذي للمطالب منتهى
فـ﴿ الحمد لله الذي وهب ﴾ العلى
وسرى الأذى عني فابصرت الهدى
محمد سعيد الحبوبي ـ النمل / ٤٠ ـ (ديوانه)
لم تبدُ شارقة تلوح أمامه
إلّا وعاد مكانها من خلفه
ترتدُّ رائضة القياد إذا التوى
﴿ من قبل أن يرتدّ ﴾ شاخصُ طرفه
حافظ ابراهيم ـ القمر / ١٠ ، الرعد / ٢٦ ـ (ديوانه)
ما زلت تختار المواقف وعرةً
حتى وقفت لذلك الجبّارِ
وهدمت سوراً ما أجاد به سوى
﴿ فرعون ذي الأوتاد ﴾ والأنهارِ
نعم الجزاءُ ونعم ما بُلّغته
في منزليك ﴿ فنِعْم عقبى الدارِ ﴾
شهاب الدين الحجازي ـ يوسف / ٦٧ ـ (خديم الظرفا ونديم اللطفا)
يا كاملا لا تعتمد إلّا على
من فضلُه عمّ الخلائق أجمعين

واقصد الى من لا يخيّب أملا
﴿ وعليه فليتوكّل المتوكّلون ﴾
الزهاوي ـ التوبة / ١١٠ ـ (ديوانه)
بالعلم قد لبس العراق حضارة
ما ان تردّت مثلها الأمصارُ
يا علم قد كانت ربوعك جنة
غنّاء ﴿ تجري تحتها الانهارُ ﴾
وله ايضاً : الدهر / ١٠
لا تغترر إن كان يو
م ضاحكاً مرحاً منيرا
فلسوف تشهد بعده
﴿ يوماً عبوساً قمطريرا ﴾
وله من الكامل الثاني عشر ـ سبأ / ١٢
طيّارةٌ طارت
وكأنها نسرُ
فـ﴿ غدوها شهرٌ
ورواحها شهرُ ﴾
الرصافي ـ ص / ٣٢ ـ (ديوانه)
غربت فابقت كالشواظ عقيبها
شفقاً بحاشية السماء طويلا
﴿ حتى توارت في الحجاب ﴾ وغادرت
وجه البسيطة كاسفاً مخذولا
الحمدوني ـ الاعراف / ١٧٥ ـ (ذيل زهر الآداب للقيرواني : ١٥٤)
قل لابن حرب طيلسا
نُكَ قوم نوحٍ منه أحدث
كـ﴿ الكلب إنْ تحملْ عليـ
ـه ﴾ الدهر ﴿ أو تتركه يلهثْ ﴾
ابن سينا ـ الاعراف / ١٧١
خمراً تظلّ لها النصارى سُجّدا
ولها بنو عمران أخلصت الولا
لو أنها يوماً وقد ولعت بهم
قالت : ﴿ ألستُ بربّكم قالوا بلى ﴾
خليل خداده ـ الروم / ٥٠ ـ (شمامة العنبر : ٣٣٣)
يا خافضاً رفْع الظنون وناصباً
علَم اليقين ولا يكون مُشكّكا
من بعدما قنط الورى من رحمةٍ
﴿ فانظر الى آثار رحمة ﴾ ربّكا
خليل البصير ـ الشورى / ٢٨ ـ (شمامة العنبر : ٣٣٣)
يا من يذكّر خلّه

كرم الكريم ونعمتة
هذا قديماً دأبه
يعفو ﴿ وينشر رحمتة ﴾

احدهم : - البقرة / ١٤٤ - (المعجم الجغرافي لبغداد القديمة للشيخلي)

قرّت عيون المؤمنين بقِبلةٍ
سطعت أهلّة رشدنا بهداها
فلفضلها نادى الإله حبيبه
﴿ لنُولّينّك قِبلةً ترضاها ﴾

عبدالرحيم البرعي - العلق / ١ ، ٣ - (ديوانه)

قالت أتاه الشّبْعُ بالمتعبّد
برسالةٍ ﴿ اقرأ باسم ربّك ﴾ وابتدِ
فاجاب لستُ بقارىء من مولدي
فتنى عليه ﴿ اقرأ وربّك الاكرمُ ﴾

وله أيضاً : الزمر / ٩

وعلى شهيد الدار عثمان الذي
من نوره استحيت ملائكة السما
من أنزلت فيه : ﴿ أمّن هو قانتٌ ﴾
ذاك الذي جمع الكتاب المحكما

وله : الأعراف / ١٠٠

فتعالَ نسمعك السجوع برامةٍ
سحراً ونذكرك النقا وزرودا
واسنخ ﴿ نقصُ عليك من أنبائها ﴾
ما كان منها قائماً وحصيدا

نعمة الله النعمة - الرعد / ٤١ - (المساجلات الموصلية)

الله يحكم لا مبرد لحكمه
والمرء منقادٌ لامر الباري
يمحو ويثبت ما يشاء ﴿ وعنده
أمّ الكتاب ﴾ بسائر الاعمار

رفيق بن جابر - الفتح / ٢

يا أوّلاً في المرسلين وآخراً
الله خصّكَ بالكمال ليرضيَكْ
أوحى اليك لكي تكون حبيبَه
﴿ ويتمّ نعمتَه عليك ويهديَكْ ﴾

البدر بن حبيب الحلبي - التوبة / ٩ - (رحلة الخياري ج ٣)

لله ما أحلى محاسن جلّق
وجهاتها اللاتي تروق وتعذُبُ
بنهيْر ربوتها الفرات وروضها
يا صاح ،كم ﴿ كنّا نخوض ونلعبُ ﴾

احدهم : الحج / ٢٢

مُنحتْ قلوب العاشقين بخدّه
نملاً ونمّ بها النجيعُ الأحمرُ
فاعجبْ لهم شهداءُ مسكنهم لظىً
﴿ ولباسهم فيها حريرٌ ﴾ أخضرُ

جرجيس الإربلي - النحل / ٣٠ - (جوامع الموصل : ١٨٤)

يا من أتى يبغي العلى
والارتقا في المرتقين
سعد المؤرّخ : بالبنا
﴿ ولنِعْمَ دارُ المتّقين ﴾

البوصيري - المزّمّل / ٦ ، النساء / ٤٨

الله أكبرُ انّ دين محمّدٍ
وكتابه أقوى و ﴿ أقومُ قيلا ﴾
عمّ البريّة عدله ، فصديقه
وعدوّه ﴿ لا يُظلمون فتيلا ﴾

محمد بن بختيار بن عبدالله - الواقعة / ٧٦ - (ذيل تاريخ مدينة السلام لابن الدبيثي ١ : ١٨٦)

قسماً بمن سكن الفؤاد وانّه
قسمٌ به ﴿ لو تعلمون عظيمٌ ﴾
اني به صبٌّ كئيبٌ مدنفٌ
قلق الفؤاد مولّهٌ مهمومُ

عبدالقادر التحافي - طه / ٧ ، الحشر / ١٤ - (ديوانه)

درب السلامة مفرد علمٌ
لا يقتفي ﴿ عوجاً ولا أمتاً ﴾
أمّا الغواة ، فخادعٌ زندٌ
مجموعهم ، ﴿ وقلوبهم شتّى ﴾

وله أيضاً : الزمر / ٥٣ ، الحج / ٧٨

يا فتية الشعب المشرّد عنوةً
عن أرضه وبها كريم تلادِهِ
﴿ لا تقنطوا من رحمةِ الله القريـ
ـبِ ﴿ وجاهدوا في الله حقّ جهادِهِ ﴾

وله : الأنعام / ٤٤

فكأنهم من فتنة الدنيا ﴿ نسوا
ما ذُكّروا ﴾ واستحسنوا دنيا الفتون
أوَلم تطالعْ شاخصاتٍ عيونهم
سطراً تجلّى آيةً بين المتون
دحض الإله به فعالَ القاسيا
ت قلوبهم من حيث ﴿ كانوا يعملون ﴾
﴿ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذ
ناهم ﴾ على بغتٍ فها ﴿ هم مُبْلِسون ﴾

رحلة مغربي الى حضرموت

عام ٨٦٥ هـ - ١٤٦٠ م

تقديم وتعليق
د. عبدالهادي التازي
جامعة محمد الخامس - المغرب

كان فيمن عرفنا من الرحالة المغاربة الذين كتبوا عن رحلتهم الى اليمن الرحالة الذي انتقل من مدينة فاس الى حضرموت في نهاية القرن العاشر واوائل القرن الحادي عشر الهجري ، أي القرن السادس عشر الميلادي ، في نفس الوقت تقريباً الذي توسط فيه أحمد المنصور الذهبي لابن العقاد المكي لدى خاقان الترك حتى يعينه هذا قاضياً على اليمن(١)..

ويتعلق الامر بالشيخ يوسف بن عابد الادريسي الحسني الذي سجل حديث رحلته في كتاب أملاه على بعض مريديه ..

وقد كان في اوائل من قدم هذه المخطوطة للقراء زميلنا العزيز الاستاذ علي سالم سعيد بكير الأمين الحالي لمكتبة الاحقاف للمخطوطات بمدينة تَرِيم بحضرموت(٢) جنوب الربع الخالي من الجزيرة العربية .

وقد كان فيما رواه الاستاذ بَكِير ان ابن عابد هذا من مواليد منطقة أنكاد شرقي المغرب سنة خمس وستين وتسعمائة هجرية ١٥٥٨ م وانه توجه الى فاس لطلب العلم بجامع القرويين ، وسنه عشرون سنة ، حيث سكن بيتاً له في المدرسة المصباحية وهي تقابل أحد أبواب الجامع الاعظم .

ومن المغرب ينتقل ابن عابد الى مصر حيث يلتقي في الازهر الشريف - بعدد من مشاهير العلماء قبل أن يتوجه الى مكة لاداء مناسك الحج وزيارة مدينة الرسول ﷺ ، ومن مرسى جدة قصد حضرموت بواسطة أحد المراكب اليمنية المنتشرة بالمنطقة ، في شهر المحرم سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، يناير ١٥٨٤ ، حيث أرسى به المركب في بلدة جازان على ساحل البحر الأحمر ، ومن هناك اتجه صحبة قافلة الى أن انتهى الى حضرموت ، الى قرية عيْنات جنوب شرقي مدينة تَرِيم لياخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم (ت ٩٩٢ - ١٥٨٤) ، وقد لذُ لابن عابد المقام بحضرموت فتزوج وأنجب وسكن على مقربة من مدينة (سيؤن) في قرية تحمل اسم (مريمة) وبها أدركته الوفاة هناك عام أربع وأربعين وألف ١٦٣٤(٣).

هذا ما يتصل برحلة ابن عابد باختصار ، وقد اهتم ببعضها آخرون(٤).

فهل هذا كل ما تتوفر عليه المكتبة اليمنية من رحلات مغربية ؟ ذاك ما اريد أن اخصص له هذا الحديث ...

أثناء زيارة ودية للزميل العزيز والاستاذ الجليل عبدالله الحِبْشي في بيته بصنعاء (٩ / ٩ / ١٩٩٢) تجاذبنا أطراف الحديث حول المخطوطات التي تتصل بالمغرب ... كان حديثاً متنوعاً يسلمنا جانب منه الى جانب آخر ...

وفي معرض حديثنا عن رحلة يوسف بن عابد سالفة الذكر أهداني صورة منها مع تاليف آخر لابن عابد : (الدرة الفاخرة فيمن لقيته من رجال الآخرة) ، ثم اطلعني الاستاذ على صورة لرحلة اخرى كان تاريخها يسبق تاريخ رحلة ابن عابد باكثر من قرن وربع القرن ... وقد أحسن فيّ الظن فطلب اليّ أن اشتغل بها على نحو ما فعلت بالمخطوطة اليمنية : (النصوص الظاهرة في اجلاء اليهود الفاجرة) لاحمد بن أبي الرجال(٥)... ملفتاً نظري الى ان لها نسخاً اخرى في مكتبة الاحقاف بمدينة تَرِيم من حضرموت .

ومنذئذ جعلت (الرحلة) في المحفظة التي تلازمني وأصبحت مشغلتي بل انها كانت في صدر ما جعلني اصمم على أن أرحل من صنعاء الى حضرموت ..!

وهكذا ركبنا الطائرة(٦) صباح السبت يوم ثاني عيد المولد ، ١٢ ايلول ١٩٩٢ من صنعاء الى (الرُيان) مطار (المكلا) التي أصبحت عاصمة محافظة حضرموت ...

ومن (الريان) أخذنا طائرة اخرى في اتجاه الشمال نحو مدينة سِيئُون ... التي اشتهرت بكثرة مساجدها ومعالمها ...

وفي صباح اليوم الموالي وهو (الجمعة) اتجهنا بالسيارة نحو مدينة (تَرِيم) التاريخية ...

وتعتبر مكتبتها (الاحقاف) منجماً ثرياً بالمخطوطات التي تتناول سائر حقول المعرفة من علوم القرآن والحديث والسيرة النبوية

وعلم الكلام والفقه واصوله وعلم الفرائض والمواريث والتصوف والادب وعلوم اللغة والبيان والنحو والتاريخ وعلم الفلك والمسافة والحساب الى جانب العلوم البحتة وعلوم السياسة ونظام الدواوين ...

وهناك وجدنا انفسنا مع رجال علمٍ وفضلٍ يحيطون بنا ، وان المرء ليشعر بأنهم يرغبون في تقديم المساعدة اليه بكل ما يملكونه ...

كانت مناسبة لتبادل الحديث مع السيدين الفاضلين : حسين أحمد عبدالله الكاف ، والسيد عبدالقادر بن سالم ابن شهاب[٦] ، وكلاهما يعمل مساعداً لمحافظ المكتبة الاستاذ الجليل علي سالم سعيد بكير الذي لم يلبث أن عاد من مدينة سيئون على دراجته النارية ..

جولة ممتعة في سجلات المخطوطات التي تحتضنها (مكتبة الاحقاف) هذه ... وقد كان عليَّ أن اركز بحثي على المخطوطات التي تتصل بالمغرب ومنها « رحلة المغربي الى حضرموت » التيّ تمت قبل رحلة ابن عابد بنحو سبع وعشرين ومائة سنة على ما أسلفنا ...

وقد وجدت فعلًا مخطوطة ثانية للرحلة بعنوان : « هذه رحلة المغربي الذي خرج من بلده لزيارة بلد تَرِيم » ، وهي تحمل رقم ٢٨٨٣ وقد كان الفراغ من كتابتها صباح الجمعة ١٤ ربيع الثاني عام ١٣٣٧ - (١٧ يناير ١٩١٩) بقلم شيخ بن عبدالله بن سالم الشِّري ..

وقد كانت المخطوطة التي أهداها اليّ الزميل الحِبْشي تحمل عنواناً هكذا : (بذل النحلة لمن يحب الناصحين الكرام الأجلة ، بذكر ما أودعه المغربي من شمائل تَرِيم وأهلها في الرحلة) .

وإذا كانت مخطوطة (تَرِيم) لم تشر للأصل الذي استقت منه النص فان مخطوطة الحبشي تنص في الصفحة الاولى على ان المخطوطة كانت نقلًا عن الصفحات الأخيرة لكتاب « صلة الأهل ... » للشيخ محمد بن عوض بافضل المتوفى بعد سنة ١٣٦٩ - ١٩٥٠[٧].

وقد أسلمني هذا التعليق الى مخطوطة (صلة الاهل بتدوين مناقب آل أبي فضل) التي كان لها أيضاً إسم ثان : جمع الشمل ، للمتفرق من مناقب آل أبي فضل ، نسبة الى العارف بالله فضل بن عبدالله بافضل .

وهنا وقفت في الصفحة ٤٨٨ من المخطوط على تمهيد لذكر الرحلة جاء فيه ما يلي :-

(... ومن فضلاء بني فضل وأتقيائهم رجل كثيرٌ فضله وعلمه ، مجهول إسمه ، صحب الإمام العارف بالله محمد بن أحمد أحد كبار العلويين ورافقه في ذهابه الى الحج وإيابه الى مدينة تريم ، وحين قفلا من الحج رافقهما الى بلدهما أحد علماء المغرب ، فدوّن رحلة لطيفة ذكر فيها بعض ما رآه من حالهما في السفر ، ثم ما شاهده بتريم من أحوال سكانها العلويين ... ومن جاورهم من الصالحين فاستحسنت إيرادها برمتها لنفاستها وعظم فائدتها ، ولدلالتها على ما يخفى على الكثير من الناس ، من صفات اولئك الاكياس ، وجعلتها لهذا المؤلف مسك الختام وبدر التمام ، وتاريخ هذه الرحلة كان سنة خمس وستين وثمانمائة في السنة التي توفى فيها سلطان الملا ، واكليل تاج الملا سيدنا عبدالله بن أبي بكر العيدروس[٨] ، ويحتمل أن يكون الشيخ جمال الدين محمد ابن الفقيه عبدالله بن فضل بالحاج[٩] هو الذي حج مع السيد محمد بن أحمد نظراً الى اتفاق التاريخ ، ولانه حج في ذلك الوقت ... وعلى كل حال فالقصد نشر المحاسن المطوية ، وإظهار القضايا الخفية لينتفع بها الموفقون من البرية ، وقد قرئت على الحبيب الإمام علي ابن محمد الجِبْشي[١٠] ، فاغتبط بها وذاكر عليها ، وقرأت مراراً كذلك على سيدي الإمام أحمد بن الحسن العطاس (ت ١٣٣٤ - ١٩١٥)[١١] فايدها وتكلم في شانها ، وأوصى بالتمسك بما فيها ، ومن كلامه رضي الله عنه قوله : « لاحت لي بارقة في شان رحلة المغربي الى تريم ، وقد وقع فيها بعض تحريف من حيثية الاسماء والمعرفة لا من حيث الوقوع . وتخيل لي المجلس كله ودخوله على السيد الى آخرها ... وأهل الباطن شالين القصبة معهم يجيئون بخبز من المخبا والمخبا ، والذي ما يوافق كشفهم الصريح المطلق ما يقبلونه ، ولو اجتمعوا (كذا) عليه جميع القائلين » . قلت : وفي كلامه هذا أبلغ ردع لمن أنكرها ولم يثق بصحة نقلها ، (اذا قالت حذام فصدقوها)[١٢] ، خصوصاً والمتكلم على نور من ربه وناظر بعين قلبه انتهى . وهذه هي الرحلة المشار اليها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه رحلتي الى مدينة تَرِيم ... وبعد أن يورد نصها كاملًا يختم المغربي حديثه بالإخبار بأن والده دوّن رحلته أيضاً الى حضرموت وانه كان يحيل عليها إلا أن الولد - بعد وفاة والده - فتش عنها بين الكتب فلم يظفر بها ...

وبالرجوع الى مخطوطة صنعاء ، وجدت انها تقتبس من كتاب (صلة الأهل) وتجعل لها مقدمة مقتبسة من التمهيد السالف الذكر ، فجاءت المقدمة على هذا النحو :

هذه رحلة رجل صالح مغربي رحل بعد الحج والزيارة من بندر جدة في صحبة سيد شريف من أكابر السادة العلويين اسمه محمد بن أحمد ، وشيخ جليل من صلحاء آل أبي فضل ، عام خمسة وستين وثمانمائة وهو العام الذي توفي فيه سيدنا الإمام سلطان الملا عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، وقد قرئت على سيدنا الحبيب الإمام علي بن محمد ابن حسين الحبشي فاغتبط بها وذاكر عليها ، وقرئت مراراً عديدة على الحبيب الإمام أحمد بن حسين بن عبدالله العطاس فايدها وتكلم في شانها وأوصى بالتمسك بما فيها ، وقال : لاحت لي بارقة في شان رحلة المغربي الى تريم ، وقد وقع فيها بعض تحريف من حيثية الاسماء والمعرفة لا من حيث الوقوع الى آخر ما ورد في النص السابق ... انتهى كلامه رضي الله عنه . قال : وهذا أوان الشروع في الرحلة ، قال الشيخ المغربي رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه رحلتي الى مدينة تَرِيم ...

* * *

وقد كان مما أثار انتباهي في ذلك (التمهيد) من كتاب (صلة

الأهل) ما ورد في شهادة الإمام أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس (ت ١٣٣٤ - ١٩١٦) حول التحريف المرتكب في الاسماء من لدن الرحالة المغربي ... وخاصة ما تبع ذلك (التمهيد) من (تعليق) للشيخ محمد عوض بافضل يشير فيه الى وجود من « أنكر الرحلة ولم يثق بصحتها » !! وهنا كانت لي جولة اخرى من البحث حول هذا الموضوع الذي أصبح بالنسبة إليّ مثيراً وملذاً في ذات الوقت !

في تاليفه بعنوان « أدوار التاريخ الحضرمي » يتعرض الاستاذ محمد بن أحمد بن عمر الشاطري للحالة الاقتصادية في حضرموت أثناء القرن التاسع عندما كانت تحت حكم الدولة الكثيرية الأولى الذي استمر ثلاثة قرون أو تزيد ... فيؤكد - اعتماداً على (رحلة المغربي الى تَرِيم) ، موضوع حديثنا - انهم أي الحضارمة - في عهد هذه الدولة - كانوا يتوفرون على الاكتفاء الذاتي - وانهم نتيجة لذلك يتمتعون بالاستقلال الاقتصادي الحقيقي[١٣]...

وقد كان يشير بذلك - على ما سنرى - الى ما ورد في ثنايا الرحلة من ان الناس في حضرموت كانوا لا يستوردون غير إبر الخياطة وموسى الحلاقة وكحل العيون ...

يضاف الى هذا ان الاستاذ الشاطري - وهو في معرض الحديث عن الحياة الاجتماعية في المدينة ، وان القوم كانوا فيها مثلًا في السلوك والاستقامة ، والتبتل والقناعة ، أعجبته العبارة التي أجمل فيها ذلك المغربي الهوية التي تميّزت بها المدينة ، وكانت هذه العبارة : « إنهم أي أهل تَرِيم بالملائكة أشبه » التي ظل المغربي يرددها والتي نالت من الاستاذ الشاطري حظها في وجدانه[١٤]...

والى هنا كان كل شيء على ما يرام بيد أن الاستاذ الشاطري بعد أن استفاد من النص واستغلّه لاطروحته - أتى بتعليقٍ في هامش تاليفه المذكور - أقول في الهامش - كان يقصد به أن يوثق من جهة نقلَه عن الحالة الاقتصادية والحالة الاجتماعية لكنه في نفس الوقت طرح سؤالًا من شانه أن يضعف اطروحته ...

وهكذا فبعد أن أكد الاستاذ الشاطري وجود رحلةٍ منتشرة بين الناس تسمى (رحلة المغربي) تشتمل على وصف لحضرموت في القرن التاسع تقريباً ... ويشير فيها صاحبها الى الاكتفاء الذاتي والوضع الاجتماعي ، بعد ذلك يطرح هذا السؤال : هل الرحلة المغربية حقيقية أم رواية خيالية ؟ ثم يتولى الشاطري نفسه الجواب ، فيذكر ان الناس اختلفوا ، فمنهم من قال بأن الرحلة حقيقية ، وان نصوصها رحلت من المغرب بواسطة أحد الأشراف الادارسة الى حضرموت[١٥]، لكن في الناس - يتابع الشاطري كلامه - من قال : ان واضعها هو السيد حسن بن علوي ابن شهاب وانه جعلها على لسان المغربي ليكون محتواها أدعى لقبولها ! ويضيف الشاطري الى هذا ان الاستاذ محمد بن هاشم[١٦] - رحمه الله - أخبره بان السيد حسن بن علوي ابن شهاب أخبره بانه هو الذي وضعها !! لكن الشاطري - بالرغم من كل هذا استند الى الرحلة فيما نقله عن الاكتفاء الذاتي ... وعن الوضع الاجتماعي واختتم تعليقه كما ابتدأه ، أي انه يريد أن يجمع بين بعض المعلومات التي تتضمنها الرحلة وبين ما رواه عن ابن هاشم ...!! قال بالحرف : ويدل الغموض والإجمال والمبالغة في بعض الجوانب على انها موضوعة لكن من أحسن ما قال مؤلفها فيها عن السلف الصالح بتَرِيم أنهم بالملائكة أشبه ...!

وقد دفعني الفضول الى ملاحقة السيد حسن بن علوي ابن شهاب ، فمن يكون هذا السيد الذي قالوا عنه : انه واضع الرحلة ؟

يحكي عنه أهل تريم انه كان من رجالات العلم ، وانه كان من المدرسين برباطها أي معهدها العلمي الشهير ، قبل أن ينتقل الى سنغافورة ...

وقد أنشأ له هناك في سنغافورة جريدة سماها (الوطن) ، وأنشأ رسالة وجهها الى أهل حضرموت يطالب فيها بتطوير التعليم سماها (نحلة الوطن) فأثارت ضجة كبرى في الأوساط الحضرمية المحافظة وعارضه المشايخ فكتب بعضهم رسالة أسماها : إتحاف أهل القبلة في الرد على صاحب النحلة ... وعلى هذا وقع الرد بتاليف : « الانصاف بين النحلة والاتحاف » ...

قال بعضهم : ولما قرر ابن شهاب أن يعود في الاخير الى وطنه (حضرموت) فكر في طريقةٍ يسترضي بها مواطنيه الحضارمة ، فوضع هذه « الرحلة » ونسبها الى مغربي مجهول قاصداً الى نشر محاسن السابقين ليكسب عطف اللاحقين !! وقد أدركه أجله في تَرِيم عام ١٣٣٢ - ١٩١٤ .

وقد سألت الاستاذ بكير أمين مكتبة الاحقاف للمخطوطات عما يعتقده فاكتفى بإحالتي على ما قاله هو في حديث له استشهد فيه بما ورد في كتاب (أدوار التاريخ الحضرمي) سالف الذكر ...

ولعل مما بث الشك في بعض الناس ما أورده الزركلي في ترجمة ابن شهاب من انه نسب تاليفه (الإنصاف ...) الى أحد الأزهريين[١٧]!

وعلى نحو ما اقترحه عليٌ الاستاذ الحِبْشي في صنعاء ، قال الاستاذ بكير : الآن ونحن مع قاضي مغربي ، فإننا نرجو أن يساعدنا على (تحقيق المناط) حول الموضوع الذي انقسم الناس فيه على فئتين !!... فعلًا كنت اقرأ هذا الخلاف على وجوه زملائي الذين كانوا يتحدثون اليّ !

وان في أبرز ما أطمعني في محاولة الاستجابة الى رغبة زملائي أن « المغربي » الذي دوّن الرحلة المذكورة عام ٨٦٥ - ١٤٦٠ م قام أكثر من مرة بمقارنات ومفارقات في بعض العادات بين المغرب وبين حضرموت ...

لقد أفاد ان والده كان على نصيب من العلم وانه سمع منه ذات يوم أثناء إملاء الدرس أشياء كثيرة عن حضرموت وبخاصة مدينة تَرِيم ... التي تحتضن عدداً كبيراً من الاشراف العلويين أضفى عليهم والده وصفاً جميلًا وعلق بذهنه فكره مراراً في الرحلة ، فلقد قال الوالد عنهم : « إنهم

بالملائكة أشبه » ، ويظهر ان اغراق الوالد في وصف حضرموت وأهل حضرموت دفع بالولد الى أن يسال والده : هل ما إذا كان دوّن رحلته تلك ؟ وهو السؤال الذي أجاب عنه الوالد بنعم !

وقد كانت خيبة الولد شديدة عندما لم يعثر على نصوص الرحلة بعد وفاة والده !

وعندما سمحت ظروف الولد بالقيام بمناسك الحج ، قصد مدينة (جدة) ، وهناك أخذ يسال عن الطريق التي يمكن أن توصله الى حضرموت وقد استفاد من المعلومات التي قدمها له أحد معارف والده .

وانتظر السفينة الذاهبة من ميناء جدة الى ميناء الشّحر ليأخذ مكانه ضمن الحجاج العائدين الى اليمن ... كان على المركب أن يخترق البحر الاحمر من الشمال الى الجنوب مروراً بميناء (المخا) ليجتاز مضيق باب المندب ثم ليقطع خليج عدن ويقصد ميناء الشّحر.. القريب من المُكَلا ...

وهناك أخذ يبحث عن أهل تريم التي كان يسمع بها من والده ... فتعرف على شخصين اثنين كانا مفتاحه للوصول على المدينة كان أولهما أحد أشراف المدينة ، وهو : محمد بن أحمد ... والثاني تلميذه الشيخ بافضل .

وقد ركز « المغربي » اهتمامه على السيدين المذكورين ... وهنا قدم وصفاً دقيقاً للشريف الذي كان ذا تؤدة وسكينة ... إن الحجاج كانوا يتسابقون لخدمته وتقديم القهوة والكعك له في الصباح ... ثم يتناهبون ما يفضل عنه تبركاً به ! وقد استيقظ المغربي ذات ليلة فوقع بصره على الاثنين يتدارسان القرآن ، واستيقظ ثانية ليجد الاثنين على حالهما الأول فاستمر يقظاً يراقبهما حتى طلوع الفجر حيث اذن الشيخ بافضل وأم الشريف بالناس قبل أن يستانف الاثنان مدارسة القرآن ...

لقد أمضى الركاب سبعة أيام بين ميناء جدة وبين ميناء الشحر ، ومن الغريب انه بالرغم من مرور كل تلك المدة على متن المركب ، فان المغربي لم يجرؤ على تقديم نفسه للسيدين المذكورين اللذين ـ بدورهما ـ لم يكونا فضوليين فيسالا الغريب عن اسمه وأصله ووجهته !

ولقد لفت نظر المغربي المتاع الذي يحمله الفريقان والذي لم يكن يتجاوز طرداً واحداً كانت الكتب أهم ما في ذلك الطرد الذي كان يحمله الشيخ بافضل على كتفه !

وتبع « المغربي » السيدين المذكورين حتى وصلا الى بيت في ذلك الميناء ، فدخله الشريف صحبة رفيقه من غير أن يلتفتا معاً الى هذا المغربي !

وقد وقعت عين المغربي على مسجد قريب من البيت فقصده واستراح بصحنه ، فغشيه النوم ... ولما استيقظ لمح الشيخ بافضل فاتجه اليه يساله عن الشريف الذي كان هناك موجوداً بالمسجد ينتظر صلاة الظهر ... وبعد أداء الفريضة سمع رجلاً يقول للشريف : هيا بنا نعود للبيت ، فعرف ان هذا الرجل هو صاحب البيت ... وهنا ساله أحدهم : متى وصلتم الى الميناء ؟ فاجابه بانه جاء مع مولانا الشريف ومع الشيخ ! فوجهت له الدعوة ليصحبهما الى البيت، فلبى الطلب ، وسره جداً أنه عندما وقعت عليه عينا الشريف تبسم له وقال : أهلاً بصاحبنا في السفر !! وهنا جرؤ المغربي على مخاطبة الشريف بقوله : وسارافقكم الى تَريم ..! وكانت فرصة أن يحكي المغربي عن رحلة والده وعن أمنيته هو في أن يقف على ما وقف عليه والده ... فاجابه الشريف : تظفرون بما أملتم إن شاء الله ..!

ولما كان في حديث خاص مع الشيخ بافضل أخبره بانه يحج لأول مرة اداءً للفرض ، وهنا سمح « المغربي » لنفسه أن يلقي سؤالاً على بافضل : وهل ان هذه هي حجته الاولى ؟ فاجابه الشيخ بانها ليست حجته الأولى ، وانهم يحجون هذه المرة نيابةً عن غيرهم في مقابلة اجرة تسلمها ، فساله المغربي عن قدر تلك الاجرة ، فاجابه : بان الشريف استُؤجر للحج والزيارة بحصة من العملة الرائجة حددها الشيخ بافضل للرحالة المغربي العدد والنوع والوصف ... أما غير الشريف فإنما يتقاضى تقريباً نصف ما يتقاضاه الشريف عدداً ونوعاً ووصفاً على ما سنقرأه في النص ...

لقد أقاموا بميناء الشّحر أربعة أيام قبل أن يقصدوا مدينة تريم مع قافلة من الجمالة ... وكان عليهم أن يقطعوا اسبوعاً كاملاً قبل أن يصلوا الى محطة بضاحية المدينة حيث بعث الشريف من أخبر أهل تريم بمقدمه ... وهنا توالت وفود الأشراف الذين كانوا يتهافتون عليهم طالبين منهم الدعاء ...

وقبل الوصول الى بيت الشريف اقترح الشيخ بافضل على « المغربي » أن ينزل عنده فاجابه المغربي بانه يفضل أن ينزل في مسجد قريب من بيت الشريف ... وهنا أرسله صحبة غلام له الى مسجد بني أحمد ...

وفي مسجد بني أحمد هذا أخذ المغربي فكرة عن اهتمامات أهل مدينة تَريم عندما ظلت عينه لا تقع إلا على العابدين الذاكرين ... وهنا ذكر ان كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي كان من بين المواد المتناولة ... وهناك تذكر من جديد قولة والده : « إن أهل تَريم بالملائكة أشبه ! » .

وقد كان المغربي يعتقد ان هذه المجالس ستنتهي بصلاة العشاء ، لكنه فوجيء بان الامور عادت الى ما كانت عليه من دروس وغيرها ... وقد ورد عليه الشيخ بافضل يطلب اليه أن يلتحق ببيت الشريف لتناول ما تيسر ، فاجاب المغربي بانه جاء الى تريم ليمتع نفسه بمثل هذه المشاهد ، فافهمه الشيخ بان في هؤلاء الناس من لا يعود الى بيته إلا بعد أن يصلي الضحى ..! ودخلا البيت الذي كان يضم بعض الاشراف وهنا حضر الطعام ... الذي كان يتالف من : خبز الذرة مع بعض المرق .

وقد أفهم الشريف ضيفه المغربي بان الإقامة في تريم لا تصفو إلا

بالقناعة وميسور العيش ، كما تحدث اليه عن وجود رجال في تَرِيم يطوون الاشهر لا يذوقون فيها غير الاسودين التمر والماء !!

وبعد أن خرج الجميع استأذنت - يقول منشىء الرحلة - الشريف في العودة الى الجامع فاجابني : إن أردت أن لا تنام فاذهب الى المسجد !! فعلاً ظل المسجد حياً بمن فيه من العُبّاد والمتبتلين الذين لا يفتاون يترددون على المسجد بمصابيحهم ومصاحفهم ... وهنا نذكر مرةً اخرى قول والده : « انهم بالملائكة أشبه » !!

ان المسجد في حركة دائمة ، وما تنتهي حلقة إلا الى حلقة اخرى ... وأخذ المغربي يتساءل : هل هناك مسجد على وجه الأرض على نحو هذا المسجد ؟!

وقد قدر للمغربي أن يحضر مظهراً آخر من الحياة الاجتماعية مما يعبّر عن مركز الاشراف هناك . لقد وقع الاعلان في المسجد عن وفاة أحد رجال الفضل بالمدينة ... وطُلب من الناس أن يقرأوا الفاتحة على روح الشريف أحمد بن أبي بكر ... وصدر الأمر لاحد الحاضرين يحمل إسم عبدالرحمن بان يسرع الى المسجد الذي كان يؤم فيه ذلك المتوفى ... ويطلب الى الحاضرين أن يقدموا للصلاة بهم الشيخ باغُشير في انتظار أن يعين لهم إمام جديد ... وكان أحمد بن أبي بكر هذا يؤم بالناس الصلوات الخمس في مسجد من مساجد آبائه ...

وقد لاحظ الرحالة المغربي أن أداء صلاة الصبح أيضاً لا يعني انصراف الناس لمشاغلهم اليومية ! ولكنه يعني بداية نشاط علمي جديد .. فقد افتتح مجلس لتدرس شمائل الإمام الترمذي ولم يتوقف الشيخ عن درسه إلا للاستعداد للذهاب لتشييع جنازة الشيخ أحمد ابن أبي بكر ...

وقد أخذ الشيخ بافضل ضيفَه « المغربي » الى بيت الشريف لتناول الفطور الذي كان يتالف من القهوة وخبز الذرة .

وذهب المغربي صحبة الشريف لحضور الجنازة ... وهنا شاهد عادات خروج الجنازة ، ولاحظ كيف ان الاسرة تُهيمن على مشاعرها فلا نواح ولا صياح وإنما هو الاستسلام لقضاء الله ... وقد أمكنه مع هذا أن يحضر ما يمكن أن نسميه حفلة التابين ...

فقد قام شاب من الاشراف لا يتجاوز سنّه السابعة عشرة وهو الذي كان قد صلى بالناس ... وذكر أن خاله السيد أحمد بن أبي بكر انتقل الى جوار ربه ، وهو الذي عهد له بان يصلي بالناس عليه ... وطلب منه أن يطلب من الحاضرين الدعاء والمسامحة وأنه يوصيكم بتقوى الله ... وأضاف الى هذا نصيحة توجّه بها الى أهل البيت خاصة : وهي ان يبتعدوا عن مخالطة أضدادهم ... وقد حرص « المغربي » على أن ياتي بالنص الكامل لهذه النصيحة التي وجد فيها ما يفسر السر في احتفاظ المدينة بخصائصها وفضائلها . ان مدار التربية على أن لا يخالط الصالح الفاسد ، وانه لكي تحقق هذه النصيحة يجب أن لا يهمل الاباء واجبهم ويتركوا ابنهم يخالط أضداده . ولما جلس قام آخر ليُثنّي على أهمية عدم السماح بمخالطة المرء لمن يشعر انه يفترق معه في الخصال والسلوك ..!

وفي طريقه الى الشيخ بافضل أدى وصفاً مختصراً لطريقة بناء البيوت في تريم بواسطة اللبنات المتكونة من التراب المخلوط بالتبن ...

وقد جرى حديث بين المغربي وبين الشيخ بافضل في بيت هذا الأخير : سال المغربي مستضيفه عن المذهب الذي يتبعه أهل تريم ... وعن طريقتهم في تربية أبنائهم ..

وهكذا فبعد أن أكد الشيخ بافضل لضيفه ان الطريق المتبع في البلاد ليس إلا المذهب المرتكز على كتاب الله وسنّة رسول الله ، وقال له : انهم حريصون جداً على أن تُترجم أعمالهم عمّا يرددونه من أقوال : أي انهم يطبقون العلم على العمل ، أكثر من هذا وأحسن اننا سمعنا من الشيخ بافضل عن فكره التربوي الذي وجد فيه المغربي ما يدعو لتسجيله كاملاً ... ان الحضارمة يربون أولادهم باحتفاظهم بهم في بيوتهم ويعملونهم بافعالهم قبل أقوالهم ... وربما منعوا أولادهم من الذهاب الى حضور مجالس المدرسين الذين هم على غاية من الاستقامة والكمال خوفاً عليهم من لقاء بعض أضدادهم أثناء الذهاب والإياب في الطريق ...

وبمناسبة تناول القهوة مع الشيخ بافضل ... ساله المغربي : عن المكان الذي تجلب منه القهوة ؟ فاجابه بافضل : بانها من اليمن ... فسمح المغربي لنفسه بإلقاء المزيد من الاسئلة : وهل إن باقي المواد يؤتى بها كذلك من اليمن ؟ فاجابه : لا ... ان اغلب ما نحتاج أليه هو من بلادنا إلا ثلاثة أشياء : الإبرة ، والموسى والكحل ... كل هذه البضاعات تاتينا مع الحجاج ... فساله عن الثياب ؟ فاجابه : بانها أيضاً من صنع اليمنيين ، بل انها تزيد عن الحاجة ، ولذلك فإن تجارنا يذهبون بها الى اليمن معاوضة بالبن . وهنا ساله المغربي عن السِّكة التي تُضرب في البلاد ويتعامل بها الحضارمة في أخذهم وعطائهم ... فاجابه : ان أكثر المعاملة إنما تتم مقايضة بالقمح أو الذرة أو التمر ، ولم يكتُم بافضل أن هناك عملة مضروبة يتعامل بها ولكنها قليلة جداً ، وان بعض الناس فقط هم الذين يتوفرون عليها ، وهي تتميز بنقش فيها يحمل إسم الجلالة ، وهنا يضيف بافضل معلومة تتصل بالعملة الرائجة (الريال) على نحو ما سبق عندما كان يتحدث عن الاجور التي يتقاضاها اللذين يحجون نيابةً عن غيرهم ... وعلى ما سنرى في النص ... وساله المغربي ؟ وكيف السبيل الى تكسير الدينار ، فاجابه : لا وجود للدينار عندنا ...

وبعد هذا اتيحت الفرصة للمغربي أن يحضر مشهداً آخر لم يعتد حضوره ولا حتى السماع به : ذلك هو تنصيب الإمام الذي يعوض ذلك الإمام المتوفى الذي حضر جنازته ..

بَعْلاً راح صحبة الشيخ بافضل الى المسجد المقصود حيث حضر جمع غفير من الاشراف وغيرهم من المصلين ، وبعد أن تقدم أحد الاشراف فصلى بالناس الظهر ، قام أحدهم فاثنى من جديد أحمد بن أبي

بكر الذي ـ كما قال ـ مضت عليه اثنتان وخمسون سنة وهو محافظ على الجماعة ... لم يتاخر عن واجبه إلا لعذر شرعي ... ولقد قالت عنه اخته مريم بحضرة كثير من الشريفات : إن أخاها ما شبع قط اختياراً ! وانه كان لا يعرف النوم في رمضان إلا إذا طلعت الشمس وصلى الضحى ! وانه يستيقظ قبل الظهر فيتوضأ ويستانف عبادته الى اليوم الموالي ! وإننا ـ يتابع ذلك الاحد كلامه ـ اجتمعنا هنا لتعيين واحدٍ منكم يقوم بوظيفة الإمامة وفيكم الكفاية والاهل ، فأجابه أحد الحاضرين من الاشراف ، وهو عبدالله ، بقوله : ان المحافظين على صلاة الجماعة بهذا المسجد لا يقلون عن خمسة وعشرين من أبنائكم ، وفيهم تسعة من العلماء العاملين المدرسين ، فعينوا أنتم منهم من تحبون ... وأخذ القوم يتدافعون تلك الوظيفة حتى انتهى الأمر الى القرعة ! فاقترعوا فخرجت القرعة على الشريف عبدالله ... وهنا قرئت الفاتحة وختم المجلس بالدعاء .

وقد رأى « المغربي » في هذه التسوية أمراً جديداً عليه فاخبره الشيخ بافضل بأن الوظيفة في بلاده تكليف يصحبه أجر معلوم ...

ويقصد المغربي مسجداً آخر لينتظر فيه الشيخ بافضل ، وهنا يشهد لقطة اخرى تمثل نشاط الحياة العلمية في المدينة ، ويتعلق الأمر باستاذ لا يتجاوز الخامسة عشرٍ من عمره يتصدر حلقة فيها المراهقون والكهول والشيوخ ... وأمامه مَن نُسمّيه في المغرب « بالسارد » أو النقيب كما يسميه ابن الجماعة ... وكان هذا السارد بالصدفة شيخاً يسرد ما تيسر من الكتاب ويسكت ، فيتحرك ذلك البحر الخضم فيلقي ما يلقي ...

ويحكي هنا عن حادثةٍ وقعت في أعقاب هذا الدرس ، فقد رفض أحد الحاضرين شربَ القهوة التي قدمت اليه رغم حبه لها وذلك مجاهدة لنفسه وتربية لإرادته ! وتنتهي هذه الحادثة الى درس قويّ في آثار الإرادة عندما تكون صادقة ... وان المرء يجب أن يتخلص من عبودية أية شهوة أو نشوة ، حتى ولو كانت قهوة ، وحتى لو كانت قهقهة !

وقد كان من أروع ما نقله « المغربي » عن ذلك الاستاذ الفتى ... نظرية تربوية اخرى ذكرتني فيما نسمعه من مختلف المربين ـ كيفما كانت حيثياتهم ـ وعلى اختلاف أزمانهم ومراتبهم ومشاربهم عن الدور العظيم الذي يمكن أن تؤديه القدوة التي تُشاهد بالبصر وليست التي تسمع بالاذان ...

فلقد عرف ذلك الاستاذ الفتى كيف يقنع مستمعيه بأن عيون الصبيان ـ وليس آذانهم ـ هي المنفذ الواسع الذي يتلقى منه الصبي ، ويقول ذلك الفتى : ان ما يتعلمه الصبيان عن طريق المشاهدة من أفعال آبائهم وأمهاتهم وممن يختلطون بهم في صغرهم ينتفعون به انتفاعاً عظيماً أو يتضررون به ضرراً عظيماً وليس كذلك ما يسمعونه بآذانهم ، فإنّ ما يرونه رؤيا عين يقلدونه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ـ فصلاح أولادنا متوقف على ما يشاهدونه في بيتهم الذي تربوا فيه ، وسلوكنا يظهر فيما يراه أولادنا من أفعالنا اليومية ... وهم قد ينسون ما سمعوه بآذانهم ولكنهم لا ينسون ما شاهدوه باعينهم ! والآباء والمعلمون عاجزون عن تحريك الناس للعمل ما لم يكونوا هم من أهل العمل ..! وما نشاهده من الصلاح في أكثر إخواننا أهل البيت إنما حصل لهم من مشاهدة آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم الصالحين الذين تربوا بينهم ..!

لقد اعترف هذا المغربي بان هذا الكلام أخذ منه ماخذه ، وانه لم يتمكن هو من كتابته ولكنه اعتمد على أحد الحاضرين فنسخه له ...

ثم تقدم المغربي الى هذا الاستاذ الفتى وأخبره بانه قدم من الحج مع الشريف محمد بن أحمد ..

وهناك لقطة لا بد أن تثير انتباهنا : تلك أن « المغربي » طلب الى هذا العالم الشاب أن يجيزه ، فقد دأب العلماء المغاربة من قديم على أن يطلبوا اجازات من المشايخ في المشرق على ما سنرى ...

وقد عاد اليه الشيخ بافضل قبيل صلاة المغرب فاطلعه « المغربي » على ما سمع في هذا الدرس ، ثم ترجاه في أن يجد له سكناً ولو باجرة ... وهنا دله على (دويرة) يتملكها رجل طاعن في السن ، كان يعرف جيداً الشريف محمد بن أحمد ، فوجد في المغربي نعم الانيس !

وانتهى بهما الحديث الى النوم حتى إذا اقترب الفجر خرجا الى المسجد على عادة الناس في المدينة ... وبعد الصلاة حلق الحاضرون على الامام ليتلقوا درسه في أحاديث (منهاج العابدين) للامام الغزالي ...

وبعد العودة الى المنزل سأل المغربي صاحب البيت عن ذلك الشيخ ؟ فقال له : انه (باعبيد) ممن يقومون الليل في ركعة واحدة ... ولم يلبث المغربي أن ذهب عنده لداره فتعرف عليه عن كثب حيث سمع منه ما ذكّره مرة اخرى فيما رواه عن والده عن أهل هذه البلدة : إنهم بالملائكة أشبه ! وهنا ساله الشيخ باعبيد عن والده ومتى زار تَرِيم ؟ فاجابه بانه زارها منذ ثلاث وثلاثين سنة ... فساله : وهل دوّن رحلته ؟ فاكد له المعلومة التي سلف أن قدمها في بداية الرحلة ، وأن المخطوطة لم يُعثر عليها فيما خلفه والده ...

فماذا يمكن أن يخطر على البال في أمر « المغربي » الذي وصفه مؤلف كتاب (صلة الاهل » باحد علماء المغرب ونعتته مخطوطة الحِبشي بالرجل الصالح ؟ لقد ظهرت لي بعض خيوط في بادىء الأمر جذبتني معها فترة من الوقت ! فلقد عرفنا من خلال هذه الرحلة أن هناك رحلةً سابقة لوالد المؤلف ... فهناك إذن رحلتان : رحلة هذا الولد ورحلة ذلك الوالد .

ومن خلال استعراض عابر لفهرس الرحلات المغربية ، لاح لي أن أقرب من يمكن أن تنسب اليه رحلة الوالد هو محمد بن سليمان بن داود الجزولي الذي نسب له ابن القاضي في (لقط الفرائد) رحلةً قبل أن يتوفاه الله عام ٨٦٣ - ١٤٠١ هـ[١٨]، بيد اني لم ألبث أن استبعدت هذا الافتراض ، فقد كان الرجل متصدياً للتدريس بالحرمين وأدركه أجله

بين أهله وبنيه هناك بمكة.

فلنرافق مصنف الرحلة لنتحسس خطواته ونقف عند أقواله: عندما وجد «المغربي» نفسه في مجلس عزاء لاحظ ان العادة في تريم تختلف عنها في المغرب، فاهل الميت هناك صابرون محتسبون أما في المغرب فان الهلع يؤدي بالاهل الى أن يفقدوا أعصابهم...

فعلاً لقد تحدثت كتب النوازل الفقهية في المغرب عن هذه الظاهرة...

ورد في كتاب (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والاندلس والمغرب) تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى بفاس سنة ٩١٤ - ١٥٠٩، وهو معاصر لتاريخ الرحلة، اقول أول ورد الحديث عن اجتماع النساء للبكاء على الميت بالصراخ ولطم الخدود[١٩]... ولقد فوجىء المغربي مرة اخرى وهو يحضر تنصيب فقيه يؤم بالمؤمنين في صلاتهم باحد المساجد الكبرى بتريم، فوجىء عندما سمع أن الائمة هناك لا يتقاضون أجوراً وانه يكفيهم أن تُجمع عليهم كلمة المسلمين.. ولم يفته أن يذكر أن الامر في بلده المغرب على غير ما رآه في حضرموت.

والواقع ان العمل أيضاً جرى في المغرب على أن يتقاضى الأيمة أجرة على ما يقومون به، وقد حفلت كتب الفقه والنوازل، على الخصوص بالقضايا التي تتصل باجرة الامامة والامام... وقد تحدث عن هذا كذلك الامام الونشريسي سالف الذكر في أكثر من مكان من كتابه المعيار[٢٠].

وقد قرأنا من مصنف الرحلة «المغربي» يبدي رغبته في الحصول على الاجازة، وهنا تذكرت افادة جليلة عن رحالة مغربي آخر، هو أبو سالم العياشي الذي لقي الشريف محمد باعلوي الحضرمي بمكة عام ١٠٦٤ - ١٦٥٤ وطلب منه الاجازة، فاجازه الشيخ باعلوي بما عنده عن شيخه عبدالله بن علي عن شيخ بن عبدالله، عن والده عبدالله بن شيخ عن عمه ابي بكر بن عبدالله العيدروس، عن والده وعن عمه عمر المحضار ابني عبدالرحمن السقاف... الخ.

أضف الى كل هذا ان التاريخ الذي تمت فيه الرحلة الى تريم (٨٦٥ - ١٤٦٠) كان ظرفاً مرشحاً بالنسبة للمغاربة - للقيام بهذه الرحلة، فقد غلب التصوف في تلك الفترة من التاريخ بعد أن سقطت سبتة في يد البرتغال عام ٨١٨ - ١٤١٥، وبعد أن صدر قرار البابا نيكولاس الخامس بتاريخ ٨ محرم ٨٥٨ - ٨ كانون الثاني ١٤٥٤ الذي يخول فيه الاستيلاء على بقية السواحل المغربية[٢١].

وقد داعبني الشعور بان هناك تعمداً في إغفال الرحالة لإسمه ونسبه وبلدته بل وفي إغفال التدقيق للاعلام الشخصية الواردة في الرحلة مما عبر عنه الشاطري «بالغموض والإجمال»: محمد بن أحمد - الشيخ بافضل أحمد بن أبي بكر - عبدالرحمن باغُشَير - أحمد - عبدالله - الشريفة مريم - الشريفة نور بنت محمد - الشيخ باعبيد..

وثمة عنصر آخر لم يمكن إغفاله، ذلك هو تعلق المغاربة بالمشرق وخاصة بَني عمهم... من العلويين. وهكذا بدا أن مُنشىء الرحلة من المعتبَرين عن ذلك التعلق بالاشراف العلويين الحُسينيين (بضم الحاء) الذين نزلوا حضرموت في نفس التاريخ تقريباً الذي نزل فيه أبناء عمهم العلويون الحسنيون (بفتح الحاء) بالمغرب[٢٢].

هناك نقاط كانت تغازلني للبقاء الى جانب الاطروحة التي تنسب الرحلة الى عالم مغربي بالرغم مما كان يطفو أحياناً على الاسلوب الإنشائي من كلمات عليها مسحة الحداثة مما ساكَلَ متابعته للقارىء النبيه الذي يعيش مع اسلوب الأمس البعيد، ويمارس اليوم تراكيب تستمد من روافد اخرى غير اللغة العربية: أجِدُني في أنس عظيم.. وبِتُّ أن يشرح لي - يا تُرى هل - لعلك تعبان! حفلة التنصيب - الحقيبة - الزورق مال المركب...

وأرجو أن أقول أيضاً انه لم يشوش عليَّ التاريخ المتأخر للمخطوطات التي تتحدث عن الرحلة، لانني افترضت انها قد تكون نقلت من مخطوطة من عشرات آلاف التي تعج بها هناك رفوف المكتبات العامة والخاصة...

لكن كلمة واحدة في الرحلة هي التي أنهت صلاحية (تاشيرتي) لمواصلة رحلتي! كانت كلمة لا تتجاوز أربعة أحرف، هي التي كانت وراء تحولي، وليس ما نقله بعضهم بصيغة (قيل) و (يقال) من الافعال المبنية للمجهول التي لا تتناسب ومنهاج البحث العلمي...

وحتى لا أطيل على القارىء حول هذه الكلمة ذات الأحرف الأربعة... أذكر انها لفظ (ريال)... فقد ذكره منشىء الرحلة مرةً باسمه وعدده بل ونعته بالاشرفي... ثم ذكره مرة ثانية عند حديثه عن السكة المضروبة في حضرموت!

ان اسم (الريال) لم ينسجم اطلاقاً في وجداني مع نعت الاشرفي... ولكانما قرأتُ (الدولار الاشرفي)!!.. إسم (الريال) انما ظهر حديثاً، وان المعروف لدى سائر الذين يتتبعون تاريخ العملة سواء عند المغاربة أو المشارقة هو ان كلمة (الريال) لم تكن قد وجدت بعد في ذلك العصر... فكيف ساغ استعمالها قبل تاريخ ميلادها باكثر من قرنين!!

وكلمة (الريال) أولا من أصل اسباني (Réale)، وهو اسم أصبح يطلق في العالم الاسلامي، في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري - السابع عشر والثامن عشر الميلادي، على القطع الكبيرة من العملة الفضية الاوربية التي كانت رائجة دولياً في ذلك التاريخ.

وقد أطلق (الريال) أيضاً على التالر (thaler) الجرماني الذي توالى إصداره الى القرن التاسع عشر، وعلى الريال الفرنسي القديم (ÉCU)، وعلى السكودو (SCUDO) الريال الايطالي القديم.

وفي القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر أخذ التالر المنسوب الى ماري تيريز (Marie- Thérese) النمساوي مكان سائر القطع

المنافسة وأصبح رائجاً في منطقة البحر الاحمر ، ولو أن كلمة (الريال) احتفظت بإسمها وبقيمتها كذلك .

وقد ظهر إسم الريال في النظام النقدي للبلاد الاسلامية المعاصرة في نهاية القرن الماضي : الحجاز واليمن والعراق وهو الاسم الذي كان يعطي للقطعة الفضية الكبيرة وقد كان شكله هو شكل ثالر (ماري ثيريز) سالف الذكر ..

وفي سنة ١٢٩٧ ـ ١٨٨٠ ظهر ريال في السوق من قبل سلطان زنجبار (ZANZIBAR) وفي بلاد فارس والبلاد المجاورة كذلك ، وكان عملةً يحسب لها حسابها ، حيث كانت العشرون ريالًا توازي جنيهاً استرلينياً في بعض الأوقات .

وقد عرف في الوثائق المغربية ريال (بومدفع) وهو نقد اسباني يحمل شعار (أعمدة هرقل) التي أخذها المغاربة (١٢٦٨ ـ ١٨٥٢) على انها مدفع[٢٣].. كما ظهر ريال (بو وذن) لانه يحمل شعار الملك الاسباني (١٨٧٠ م ـ ١٢٨٧ هـ) أميدي (Amedée) الذي كانت أذنه ظاهرة في الريال ، وكان هناك ريال يحمل اسم العاهلة الاسبانية ايزابيل ، ويسميه المغاربة ريال المرأة !

وفي النظام النقدي المغربي المسمى بالحَسَني (نسبة الى الملك الحسن الاول) ـ (أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) كان الريال يعادل ما يسمى (دورو) عند الاسبان ، ويعني القطعة الفضية التي ضربت في أوربا لحساب المغرب ، وكانت توازي خمس فرنكات أو بسيطات .

أوردت كل هذه المعلومات لأبرز أكثر أن كلمة (الريال) لم يكن لها وجود هناك في القرن العاشر الهجري ، ومن ثم فإن استعمالها في مصنفات سابقة لهذا التاريخ يدعو للتساؤل ...

وبعد هذا الحديث عن كلمة (الريال) ... لنعد الى النعت بالاشرفي[٢٤]. ان الكلمة طبعاً نسبة الى الاشرف ، فمن هو هذا الاشرف الذي قصده محرر الرحلة ؟ لا شك ان هذا المحرر كان يفكر في الاشرف اسماعيل ابن العباس الذي ولي سنة ٧٧٨ ـ ١٣٧٧ واستمر الى عام ٨٠٣ ـ ١٤٠١ ... وقد كان من أهم ملوك الدولة الرسولية التي حكمت اليمن[٢٥]...

واعتقد ان اختيار الاشرف هذا لتنعت به الريالات ، اختيار مرتجل أيضاً وان نظرة عابرة على مصادر التاريخ اليمني ، وعلى المجاميع التي تهتم بالنقود والعملات والسكة ، لم تُردد جملة « واحدة » فيها ـ حسب علمي ـ عبارة « الريال الاشرفي » .!! وانما تردد الدنانير والاواقي والللكوك[٢٦]، ومعنى كل هذا ان هذا النعت أيضاً يدعو للتساؤل ...

وإذْ وقفنا أمام هذه التساؤلات التي تفرض علينا إتخاذ الموقف الذي تقتضيه الامانة العلمية ... فإننا نشعر ان من واجبنا ـ من جهة اخرى ـ أن نعترف بالمجهود الذي بذله منشىء الرحلة في سبيل أن يقدمها الينا على ما هي عليه ...

فعلًا كان مجهوداً رائعاً يستحق الوقوف عنده لانه يعبّر عن فكر خصب كما يعبّر عن ثقة في النفس ...

لقد كان على ذلك المنشىء أن يقرأ جيداً الفصل الخاص ببلاد اليمن من رحلة ابن بطوطة التي كانت قد ظهرت في مصر عام ١٣٨٨ ـ ١٨٧١ بعد أن صدرت بباريس مصحوبة بترجمتها للفرنسية عام ١٨٥٨ م[٢٧].

لماذا ابن بطوطة بالذات ؟ لأن هذا الرحالة المغربي كتب الكثير عن المنطقة وتحدث مثلًا عن « الذُّرة » مرتين كمادة غذائية هناك ... ومن هنا جاءت الفكرة لمنشىء الرحلة بان يفكر في تقديم الذرة كصحنٍ من الصحون المعروفة في حضرموت ...

ونحن نتحدث عن الطعام ، لا بد أن نلتفت الى كلمة (كعك) الواردة في الرحلة المغربية والتي كان لها وجود أيضاً في رحلة ابن بطوطة ، على نحو ما كان لكلمة (الدويرة) وجود كذلك .

ولم يكن هذا هو الاقتباس الاول والاخير من ابن بطوطة ، فان هناك اقتباساً آخر يتصل بتعلق المغاربة بالمنطقة ... وتجدر تلك الصلات ، فقد وجد ابن بطوطة ان هناك ـ منذ القدم ـ نقاط لقاءٍ عديدة بين أهل المغرب وتلك الجهات[٢٨]...

وبالاضافة الى كل هذا فإن الحديث عن سلوك الحضارمة واستقامتهم وزهدهم واكتفاءهم باليسير كل هذه لقطات لم يهملها ابن بطوطة !

ولكن هل لم يلتفت منشىء الرحلة لغير ابن بطوطة ؟ اعتقد انه استوحى أيضاً من رحلة يوسف بن عابد الادريسي الفاسي ... فقد تحدث ابن عابد عن السبب الذي دعاه الى المجيء الى حضرموت وان والده رحمه الله كان وراء تلك التوجيه ... وكما تأثر « المغربي » الذي زار تَريم ، فقد رأينا ابن عابد هو بدوره يتأثر من تلك المجالس العلمية .. واذا كان ابن عابد أشار الى وجود بعض الاتراك في المجالس العلمية فإن منشىء الرحلة ـ وهو فطن جداً ـ كان يعرف ان الاتراك لم يحن وقتهم للوصول الى اليمن في الوقت الذي رتب فيه رحلته ... على ان هناك ظروف عيد الاضحى وملابساته في هذه الرحلة أو تلك مما لا يخفى على القارىء الذي يقارن بين الرحلتين ...

وماذا عن اختياره لكتب أبي حامد الغزالي كمادة للدرس آنذاك ؟ أعتقد ان كاتب الرحلة كان يتوفر جيداً على ما كتبه الامام الشلّي في كتابه (المشرع الروي) الذي عرّفنا بان تآليف الامام الغزالي كانت في صدر مراجع الامام العيدروس علاوة على ما سجلته أيضاً رحلة يوسف ابن عابد ... وليس من الصدفة أن يختار منشىء الرحلة اسم الجامع العتيق في تَريم : مسجد بن أحمد ، وليس باعلوي ، حتى يضفي صبغة القدم على مروياته ..!

وقد نجح منشىء الرحلة في رسم صورة للمنافسة التي كانت بين حضرموت والجهات الاخرى في اليمن وخاصة أواسط القرن التاسع ،

عندما كانت تسجل بعض الاحتكاكات والمواجهات على ما تؤكده نفس المصادر اليمنية .

والحديث عن « القهوة » الذي ورد مراراً وتكراراً كان يقصد الى ابراز أن المنطقة كانت على ذلك العهد من هواة القهوة ، ويكفي أن نعرف ان الامام العيدروس كان من هواة هذا المشروب[٢٩]... وبما أن « وصول » المغربي الى تريم كان يصادف وفاة العيدروس فلا بد أن يجد المدينة وهي ما تزال تحتفظ بما كان في أيام العيدروس !

ومن جهة اخرى فان (القهوة) التي لم تكن معروفة في المغرب آنئذ ، لا بد أن تلفت نظر ذلك « المغربي » اليها والى شاربيها ولا بد في التالي من تكرار ذكرها ... لانها بالنسبة اليه جديدة .

وفي هذا الصدد أذكر بانني على مثل اليقين من أن صاحب التاليف أطلع أيضاً على رحلة أبي سالم العياشي الذي عبّر عن استغرابه من تناول أهل مصر للقهوة مع انها « ليست طعاماً ولا دواءً ولا مما يشتهى ! » على حد تعبير العياشي في رحلته[٣٠]...

وان حديث « منشىء الرحلة » عن عادة المغاربة في نُواح نسائهم على الميت ... وعادتهم في أدائهم الاجرة للأئمة الذين يؤمون بالناس ... أقول : ان ذلك الحديث إستقاه ، بدون شك ، عن طريق قراءة كتب النوازل التي أشرنا اليها ، والتي كانت منتشرة في المشرق أيضاً ، علاوة على ما نعرفه عن الهجرة المبكرة لبعض المغاربة من أمثال الهاشمي التونسي الى تلك المناطق ، ممن كانت لهم صلة بباقي المهاجرة من الجهات الاخرى وخاصة منهم الحضارمة[٣١].

ومن المجهود المبذول من طرف منشىء الرحلة حديثه عن التاريخ الذي صادفه بتريم يوم ١٤ محرم ٨٦٥ وكان يوافق خريف ذلك العام (٣٠ ت ١-١٤٦٠) ، لقد كان ذكياً في اختيار ذلك التوقيت أيضاً ، وقدر ان موسم الحج ينتهي حوالي منتصف شهر ذي الحجة ، وهو الوقت الذي أزمع فيه على الرحيل نحو حضرموت ... بحيث لم يكن هناك وقت ضائع ...

وقد أثار انتباهي في الرحلة تلك (السيناريو) الذي اخترعه منشىء الرحلة ليحكي لنا قصة الشيخ أحمد بن أبي بكر الذي تناول لحم العيد فشوش على بطنه ولازمه المرض الى أن التحق بربه ..!

لقد كانت القصة على العموم محبوكة بشكل مقبول ، وان منشئها ليستحق التنويه عليها وخاصة في اتقانه التعبير عن تقدير المغاربة لتلك الخصال الحميدة التي يتوفر عليها أهل اليمن ، كما وإتقانه التعبير عن شعور أهل حضرموت إزاء ذلك المغربي الذي زار بلادهم على نحو ما حكاه ابن بطوطة الطنجي وهو يشيد بعطف اليمنيين على الغريب أو على نحو ما سيحكيه ابن عابد الفاسي وهو يثني على أريحية الحضارمة ...

وبعد فلقد كانت « الرحلة » اضافةً جميلةً وفريدةً لادب الرحلات في المشرق والمغرب ، ولادب (المقامات) الذي دشنه الهمداني ... وهي ان دلت على شيء فإنما تدل على ما كان يهيمن على فكر منشئها من اقتناعٍ بما يربط بين اليمن والمغرب من أواصر تجعل منهما بلدين يثق كل منهما بالآخر وتجعلهما معاً يتبادلان فيما بينهما التقدير والود بالرغم مما يفصل بينهما من مسافات شاسعة . ومن يدري ؟ فقد يكون منشئها قصد الى اقحام كلمة (الريال الاشرفي) ، ليختبر القراء فيما قد يختفي !!

النص الكامل للرحلة مع التعليقات

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رحلتي الى مدينة تَرِيم[٣٢]، اختصرتها غاية الاختصار ، وقد رحل قبلي الى هذه المدينة المباركة مدينة تريم ، والدي رحمه الله ، إلا أن رحلته كانت وأنا في سن الطفولية[٣٣]، فلما ترعرعتُ وصرت أحضر دروسه سمعته ذات يوم يذكر رحلته الى حضرموت[٣٤] ويخصص بالذكر بلداً هناك إسمها تَرِيم ، وقد أغرق ذات يوم من الايام في وصفه لما عليه الاشراف أهل البيت الطاهرين من العلم والعمل الساكنين بتريم حتى ختم وصفه بقوله : انهم بالملائكة أشبه ! فاثّر كلامه معي ، وصرت كلما سنحت فرصة عاودته عن أخبار رحلته ، وقد قلت له يوماً : لو دونتم رحلتكم ؟ فقال لي : قد دونتها ، وما أتت عليه - بعد ذلك - إلّا مدة يسيرة وفارق الدنيا ، رحمه الله ، ولقد فتشت بعد موته على تلك الرحلة فلم أعثر عليها ، غير ان وصفه لاولئك الاشراف الطاهرين المطهرين لا يزال يطن باذني ، ومراراً كثيرة يخطر ببالي أن أرحل الى تلك المدينة لزيارة من بها من العلماء والاولياء من أهل البيت النبوي ، حتى عزمت على أداء فريضة الحج وزيارة الشفيع الاعظم ﷺ ، وتوجهت الى الحرمين الشريفين وحججت وزرت قبره ﷺ ورجعت الى بَنْدر[٣٥] جدة ، وسالت عن حضرموت وكيف الرحلة اليها ، فاحسن لي بعض معارف والدي فارشدني الى كيفية الرحلة اليها ، فصممت حينئذ عزمي على الرحيل ، الى بلد تريم ، وبعد أيام حضرت الساعية[٣٦] الذاهبة الى بندر الشِّحْر[٣٧] وعبرت فيها مجاناً ، فلما كنت في الساعية بين الحجاج العائدين الى اليمن وحضرموت ، أخذت أسال عن أهل حضرموت وأذكر تَرِيم فدلني أحد الحجاج من أهل الشِّحر على رجلين هما من مدينة تريم : أحدهما من الاشراف اسمه محمد بن أحمد والثاني تلميذه الشيخ بافضل[٣٨]، فجئت اليهما وتعرفت بهما وأخذت في مراقبة حركات ذلك الشريف وسكناته ، فعرفته رضي الله عنه جالساً في موضعه ، لا ينتقل منه إلا لقضاء حاجته ، ورأيته مفترشاً حصيراً ومعه شملة[٣٩] سوداء خفيفة ، رأيته يتوضا من ابريق معه كان من الخزف ، رأيته في الصباح يشرب قهوة[٤٠] كانت آنيتها من خزف أيضاً ، رأيت الحجاج في الصباح يقدم له بُعضهم كمكاً[٤١] ناشفاً ، فياخذ منه يسيراً ، ثم يتناهب الحجاج فضلته للبركة بسُؤره .

قمت ليلة من الليالي ، فوجدت الشريف جالساً والشيخ بافضل أمامه ، وهما يتدارسان القرآن عن ظهر قلب ، فعدت ونمت ، ثم استيقظت فوجدتهما على حالتهما الأولى فراقبتُهما حتى طلع الفجر ، فأذن الشيخ بافضل للفجر فاسرعت فتوضأت ، وصلينا خلف الشريف مع كثير من الحجاج ، ولا تسأل عن رقة صوته ، وعن حسن صلاته ، وبعد ذلك مكث الشريف وصاحبه الشيخ بافضل يتدارسان القرآن حتى طلعت الشمس ، أما الشريف فقام يصلي ، وأما الشيخ بافضل فقام ليعمل قهوة ، فذهبت اليه وساعدته حتى قدمتها بيدي الى المولى الشريف ، وشرب منها ما تيسر وتناول مما قدمه الحجاج من الكعك ، وقد مرّت علينا سبعة أيام بالبحر ، ويوم الثامن أرست بنا السفينة في مرسى بندر الشّحر وكنت في خلال تلك المدة أتمنى أن يسألني الشريف أو الشيخ بافضل عن إسمي وعن إسم بلادي أو الى أين أقصد ؟ فلم يكن شيء من ذلك ! فتذكرت وصف والدي رحمه الله لاولئك الأشراف حيث قال : إنهم بالملائكة أشبه ! فوصل الى الساعية أرباب الزوارق فسمعت الشريف يقول للشيخ بافضل : استاجز لنا زورقاً إجارة صحيحة ، إلا أن رُبان الساعية ، أحسن الله اليه ، حالاً تقدم الى الشريف فقال : ان القارب مال(٤٢) الساعية حاضر لتعبروا عليه الى الساحل معنا ، فتفضلوا ، فقام الشريف وأخذ الشيخ بافضل ما معه ، وما مع الشريف من المتاع ، ولكن أتدري ما هو ذلك المتاع ؟ هو زنبيل(٤٣) فيه كل ما معهما من آنية وفراش وكتب وزاد ، جمله الشيخ على كتفه وأنزلوا ، ونزلت أنا خلفهم بإجازة ربان الساعية أحسن الله اليه ، فلما أوصلنا الى الساحل ، تقدم الشريف يمشي وتبعه الشيخ بافضل وزنبيله على كتفه ، فودعهم ربان الساعية ، وطلب منهما الدعاء ، فتقدم الشريف يمشي وتبعه الشيخ بافضل وتبعتُهما حتى وصل الشريف الى بيت فدخله ودخل الشيخ بافضل ، ولم يلتفتا إليّ ! فنظرت يميناً ويسرةً فوقع نظري على مسجد كان قريباً من ذلك البيت ، فقصدته ونزلت برحبته ، فاضطجعت وغشيني النوم ، فلما استيقظت رأيت الشيخ بافضل داخل المسجد ، فذهبت اليه ، وقال لي : أنت هنا ؟ فقلت له : أين الشريف ؟ فاشار اليه داخل المسجد ، فاتبعت بصري وإذا بالشريف قائم يصلي ، فاسرعت وتوضأت هناك من ماءٍ مالح(٤٤) وبعدها أذن المؤذن لصلاة الظهر ، واجتمع الناس وأقيمت الصلاة ، فطلب إمام المسجد من الشريف أن يتقدم فامتنع(٤٥).

وقضينا الظهر الى أن خرج كل من في المسجد إلا الشريف والشيخ بافضل صاحبه ورجلان من أهل البلد ، فتقدم أحدهما الى الشريف ، فسمعته يقول له : هيّا تفضلوا نعود الى البيت ، فعرفت أنه رب البيت الذي نزل به الشريف ، فوثب الشريف ووثبوا كلهم ، ووثبت أنا معهم ، فتقدم إليّ أحد الرجلين أحسن الله اليهما ، وقال : متى جئتم البَنْدر ؟ فقلت له : بصحبة مولانا الشريف ، فقال لي : تفضل علينا ، فقمت وتبعتهم حتى وصلنا المحل المهيأ لمولانا الشريف وعندما رآني مولانا الشريف تبسم في وجهي ، وقال لي : أهلاً بصاحبنا في السفر ! فسررت حينئذ سروراً عظيماً واغتنمت الفرصة وقتئذ فقلت له : وان شاء الله أكون معكم الى تريم لزيارة أمثالكم بها ، فقال : نية صالحة . وهل حدثت لكم الآن ، أم هي معكم من قبل ، فاخبرته بان والدي رحمه الله ، قد رحل الى تريم ، وأخبرته بما تقدم وبما سمعته من قول أبي ، وأني لا أزال من ذلك الوقت وخاطري متحرك للزيارة ، فبشرني ببشارة عظيمة وقال : إن شاء الله تظفرون بما أملتم ، ثم قال لي وللحاضرين : إني أعتاد ضجعة قبل الظهر وهذا اليوم لم أتمكن منها فاستاذنكم فيها ، فتحولنا الى مجلس آخر ، فقال لي الشيخ بافضل : معكم نية لزيارة أهل البيت بتَريم ؟ فقلت له : نعم ، قال : وهل حججتم قبل هذا العام ؟ فقلت : لا ، وانما حججت هذه السنة عن فرضي ، وهل حججتم أنتم قبل هذا العام ؟ فقال : نعم قد حججنا ، وهذه المرة حججنا بالإجارة عن غيرنا ، فقلت له : وكم في الغالب مبلغ الإجارة من بلدكم ؟ فقال : ان الشريف استؤجر للحج والتسليم على جده بنحو خمس عشر ريالاً أشرفية(٤٦) والفقير بنحو ثمانية منها ، فقلت له : وأين تكون هذه ؟ فقال : تكفينا لمؤنتنا ذهاباً وإياباً وزيادة ، وهنا وددت أن يشرح لي المؤنة بالتفصيل فاحجمت عن ذلك حياء ، وبالجملة فمدة إقامتنا ببندر الشّحر أربعة أيام ، وبعدها توجهنا الى تَريم مع الجمّالة ، وكانت المسافة ما بين الشّحر وتَريم سبعة أيام ، إلا انها بمشي خفيف جداً ، وعشية يوم الثامن وصلنا محلاً خارج البلد ، ومنه بعث الشريف بشيراً الى تَريم يخبر أهله بعودته ،وبعد برهةٍ يسيرة تلقانا الكثير من الاشراف وغيرهم ويطلبون منا كلّا على حدته الاستغفار والدعاء ، وعرجنا على المقبرة لزيارة شريف منهم يدعى بالشريف المقدّم ، فزرناه فقط ، ومن المقبرة الى بيت الشريف محمد ، وقبل أن نصل اليه قال لي الشيخ بافضل : تنزل عندي ؟ فقلت له : أنزل في أقرب مسجد الى بيت مولانا الشريف ، فقال لغلام : إذهب بهذا الى مسجد بني أحمد(٤٧) ، فتوجهت مع الغلام حتى المسجد ورجع الغلام ، ودخلت أنا المسجد والوقت قبل المغرب ، وأخذت أطوف في أنحائه فعرفت محل الوضوء وغيره ، وكانت معي حقيبة صغيرة ، فيها بعض متاعي ، وما أحتاج منه مما لا بد منه فوضعتها أمامي ، وجلست حتى أذن المؤذن لصلاة المغرب فاقبل الناس أفواجاً أفواجاً وأقيمت الصلاة ، وبعد أن فرغنا منها صليت ركعتين وأخذت أنظر من في المسجد من الاشراف ، فإذا بعضهم قائم وبعضهم ساجد ، وبعضهم جالس ، مستقبل القبلة ، ورأيت في ناحية من المجلس قوماً يدرسون القرآن عن ظهر قلب ، ثم رأيت تلامذة مصطفين ينتظرون استاذهم للتدريس ، فجاء الاستاذ وشرع في الدرس يقرأ لهم في إحياء الإمام الغزالي(٤٨) ويقرر لهم تقريراً دقيقاً جداً ، ثم دققت النظر فيمن في المسجد فرأيت الجميع على نهاية من الادب وما رأيت أحد قد يتكلم مع آخر ، بل كل منهم في شغله مشغول بربه ، وعندئذ تذكرت ما قاله والدي رحمه الله ، انهم بالملائكة أشبه ! وبينما أنا على هذه الحالة وإذا بمؤذن العشاء وبعده بمدة وجيزة اقيمت الصلاة ، وتقدم الإمام وأحرم بصلاة العشاء فغشيني من الهيبة والجلال

ما غشيني عندما سمعت تكبيرة الاحرام ، وقد قرأ في الاولى سورة ق ، وفي الثانية المزمل ، ولا تسأل عن حسن تلك القراءة وتاثيرها في القلوب ، وما فرغنا من صلاة العشاء وجلسة بعدها حتى عاد اولئك العباد وانتصبوا يصلون ، أما أنا فمكثت في محل أخر قاعداً أمتع بصري برؤية اولئك الطاهرين المطهرين ، وبعد ذلك جاءني الشيخ بافضل وقال : هيا بنا لناخذ ما تيسر في بيت مولانا الشريف وإنه أرسلني اليك ، فقلت له : إني جئت الى هذا البلد لمشاهدة اولئك العباد وأجدني في أنس عظيم ، ودعني انتظرهم حتى يفرغوا من صلاتهم لالتمس بركتهم ، بلثم أكفهم الكريمة ، فقال : قم وأحدثك خارج المسجد ، فقمت وخرجنا من المسجد ، فقال لي : إن في هؤلاء من لا يعود الى بيته إلا في الغد بعد أن يصلي الضحى ، ومثل هؤلاء في البلدة كثيرون ، وسترى في منزل الشريف من هو مثل هؤلاء وفوقهم ، علماً وعملاً ، فقلت له : هيا بنا ، فتقدّم وأنا خلفه حتى وصلنا المحل المهيأ للجلوس فيه ، فسلم الشيخ بافضل ، وردُ عليه أكثرهم ، وجلسنا ، وقلت : لا بد وأن يستنكروني ، فيسألوا عني الشيخ بافضل ، فلم يكن شيء من ذلك ، أما المجلس فمفروش من الحصير المتخذ من خُوص النخل ، وفيه نحو من عشرةٍ من الأشراف ، ولا تسمع لاحد صوتاً كأنما على رؤوسهم الطير ، وقد وددت أن اسأل صاحبي الشيخ بافضل عن اسمائهم ، فحال بيني وبين سؤالي جلال المجلس وهيبته وبعده حضر الطعام في قصعتين واجتمع الكل عليه ، وكنت قد اقتصرت على القصعة التي تليني ، وهي من خبز طعام الذرة(٣٩)، ولا أعرف بماذا كان إدامها لانها مثرودة بمرقة لا لحم فيها ، فلما رآني المولى الشريف مقتصراً على ما حولي ، قال لي : كل من هذه القصعة الثانية ، فامتثلت وأكلت منها وكان إدامها فيه حموضة ، وعندئذ قال الشريف مخاطباً لي : إن الإقامة ببلدنا تريم لا تصفو إلا بالزهد والقناعة بميسور العيش ، فاجابه أحد الاشراف ، كانت على رأسه خوذة(٤٠)، فقال : لو زهدنا حقيقة لما جمعنا بين إدامين ، وانما الزاهد الحقيقي هو متبوعنا الأعظم ﷺ ، فقال آخر : الحمد لله على إتصالنا به ، والحمد لله على وجود رجال من أهل البيت هم موجودون اليوم بتَرِيم يطوون الاشهر لا يذوقون فيها غير الاسودين : التمر والماء ! فسمعت واحداً منهم يقول : نعم ، نعم ، ولما رفعنا أيدينا عن الطعام تقدم الشيخ بافضل فاستأذنهم ليذهب الى بيته ، فاذن له المولى الشريف ، وبعده استأذن الجميع في الإنصراف ، وانصرفوا وبقيت أنا آخر القوم ، فقال لي الشريف : الى أين تذهب ؟ ان هذا المنزل هو مهيأ للزوار الغرباء ، فقلت له : الى المسجد ، فقال لي : إن أردت أن لا تنام فاذهب الى المسجد لانك زائر ، فقلت له : إن شاء الله ، وانصرفت وأمر غلاماً يوصلني الى مسجد بني أحمد فاوصلني ورجع ، أما أنا فدخلت المسجد وقد تركت حقيبتي فيه ، فلما دخلته رأيت الذين فارقتهم فيه وهم على حالتهم التي تركتهم عليها وما بقي غير مصباح ضئيل نوره ، يصلي بالقرب منه رجلٌ طويل متابطاً مصحفاً ينشره تارة ويطويه اخرى ، وحالا أخذت أصلي بغدية(٤١) العشاء والوتر ، فلما فرغت من صلاتي اعتكفت وجلست ممتلئاً أنساً بمشاهدة اولئك الناس الذين أكرمهم مولاهم باصطفائه لهم ، وأخذت افكر في نفسي ، وأقول : يا هل ترى يوجد في مسجد آخر في بلد اخرى ، أمثال هؤلاء ، ولكنني تذكرت وصف والدي رحمه الله لاهل البيت بتريم حيث قال : انهم بالملائكة أشبه ! فغلب عليّ ظني انهم معدوموا النظير ، وبينا أنا على تلك الحالة وفيما أظن قد مضى من الليل نصفه الاول ، واذا برجلٍ دخل الى المسجد فاسرج مصباحاً وبعده استقبل القبلة وانتصب مع المنتصبين وبعده جاء آخر ، وهكذا الى أن غص المسجد بالزحام وعاد المسجد الى حالته التي كان عليها ، ما عدا الاستاذ المدرس سابقاً ، وبعد أن أذن المؤذن للفجر الاول رأيت رجلاً دخل فتخطى الصفوف ، حتى جثى(٤٢) بين يدي أحد الاشراف الشيوخ وأسرُ اليه كلاماً ورجع من حيث أتى ، فلما أذن المؤذن الاذان الثاني للفجر وركع القوم ركعتي الفجر تكلم ذلك الشريف وقال : إقرأوا الفاتحة للسيد أحمد بن أبي بكر ، فانه انتقل الى رحمة الله تعالى ، وبعده قال أحدهم : رحمه الله ولقد صليت العشاء البارحة خلفه ، ثم إن الشريف الاول قال : يا عبدالرحمن اذهب الى مسجدهم هناك ، وقل لهم : عمي يقول لكم دَعُوا الشيخ باغُشير(٤٣) يصلي بكم صلاة الصبح ، وغداً سنعين لكم واحداً للإمامة ، وبعد ذلك اقيمت الصلاة وتقدم الإمام وصلى بالقوم فقرأ في الاولى بعَمّ يتساءلون ، وفي الثانية إذا السماء إنشقت(٤٤)، وانقضت الصلاة ولا أعرف فيما مضى من عمري اني صليت الفجر بوضوء المغرب إلا تلك الليلة ! وقد عددتها من بركتهم رضي الله عنهم آمين ، أما أكثر المصلين فقد لزموا أماكنهم حتى الإسفار فانفضُ أكثرهم الى صحن المسجد واصطفوا ، فعرفت ان هناك درساً ، وبعده بزمن يسير قام من الصف أحد الاشراف ، وجلس أمام التلامذة ، وشرع يقرأ لهم في شمائل الإمام الترمذي(٤٥) رضي الله عنه ، ولا يذكره ﷺ ، إلّا بقوله الحبيب الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، واستمر الدرس الى أن كادت أن تطلع الشمس فختم الدرس بقوله : الى هنا نختم الدرس لاجل تشييع الجنازة ، وختم الدرس ، وبينا أنا على حالتي ، وإذا بالشيخ بافضل قد أخذ بيدي ، وقال : قم ، فتناولت حقيبتي وخرجنا من المسجد الى بيت مولانا الشريف ، فلما دخلنا ، حالًا جلس الشيخ وجلست والتراب فراشنا ، فقال لي الشيخ كيف أنت ، وكيف بت ؟ وأخبرته بما كان لي ، وسألته عن الرجل المتأبط للمصحف يطويه تارة وينشره اخرى ، فقال : أما المصباح فيأتي به معه من بيته ويستضيء به لانه ربما أرتج عليه في القراءة ، ثم جاء غلام يحمل الينا قهوة وقطعتين من خبز الذُرة ، وبعد أن شربنا وأكلنا قلت للشيخ بافضل أين مولانا الشريف ؟ فقال قد ذهب لتشييع جنازة بعض الاشراف فهل لك في التشييع ؟ قلت له : نعم ، ولكني اريد أن أقضي حاجتي وأتوضأ ، فساعدني ، أحسن الله اليه ، وتوضأت وذهبنا الى بيت المتوفى ، فوجدناه قد امتلأ بالمشيِّعين يتلون كتاب الله عن ظهر قلب إلا القليل ،

حتى خرجت الجنازة يتقدمها رجل يجْهر بالتهليل تارة ويسكت اخرى ، ومشى المشيِّعون ، وكنت منتظراً أن أسمع بكاء الباكيات والنائحات تبعاً لعادة بلدي[٥٦]، فلم أسمع شيئاً من ذلك مطلقاً حتى وصلنا الجبّانة[٥٧]، وحالًا نودي للصلاة عليه فتقدم للصلاة عليه غلام شاب من الأشراف لا يتجاوز سنه السابعة عشر من السنين ، فلما سلم من الصلاة إنفتل وقابل القوم وقال : يا معاشر المسلمين ، لقد قَدِم على مولاه خالي السيد أحمد رحمه الله ، وقد عهد اليّ أن أصلي بالناس عليه ، وأن أطلب له منكم الدعاء والمسامحة وأنه يوصيكم جميعاً بتقوى الله ، ويوصيكم أهل البيت خاصة بالابتعاد عن مخالطة أضدادكم ويقول : اعلموا أن مدار التربية عليها ، وأنه لا يتخلف عن سلوك طريقة أهله الصالحين ، إلا من أهمل أبواه تربيته وتركاه يخالط أضداده ، وهذا ما عهد به إليّ أن أبلغكموه وسكت ، ثم قام آخر ، وقال : تمسكوا بهذه الوصية ، وعضوا عليها بالنواجد تفلحوا تفلحوا ، ثم حملت الجنازة وشيعت حتى المقبرة ، ومكثنا هناك ما شاء الله ، وتفرق الناس ، وكنت ملتزماً للشيخ بافضل ، فلما وقع نظري على مولاي الشريف تقدمت اليه ولثمت يده وتأخرت ، وتقدم اليه الشيخ بافضل وسارّه بكلام وتأخر وأمسك بيدي ومشينا معاً وقال لي : الآن اذهب بك الى منزلي ، حتى وصلنا بيت الشيخ بافضل وكانت بيوت بلدة تريم لاطئة بالارض مبنية بالتراب المخلوط بالتبن[٥٨]. فدخلنا بيت الشيخ بافضل ، وجلسنا فابتدرني الشيخ بافضل بقوله : أهلًا بك وسهلًا كيف رأيت البلد ؟ فقلت : رأيت أهلها أهل البيت كما وصفهم والدي وفوق ذلك ، وهل لهم طريقة مخصوصة بهم في سلوكهم ومدونة في كتبهم ؟ فقال لي : إن طريقتهم الكتاب والسنة وتطبيق العلم على العمل ، وطريقتهم مدونة في أعمالهم وأفعالهم ويربون أولادهم باحتفاظهم بهم في بيوتهم ويعلمونهم بأفعالهم قبل أقوالهم ، ومعلومكم أنهم في بيوتهم مشغولون دائماً بربهم حتى من يخدمهم كانوا على غاية من الصلاح والاستقامة ، وربما منعوا أولادهم من الذهاب الى حضور مجالس المدرسين الذين هم على غاية من الاستقامة والكمال ، خوفاً عليهم من لقاء بعض أضدادهم حين الذهاب والإياب في الطريق ، فيسترقون من طباعهم . هكذا بلغت بهم المحافظة على تربية أولادهم لانهم علموا حقّ العِلْم ما في المخالطة من الخير والشر ، وأنت سترى بعينك ما يؤيد ما قاله والدكم ، وقلته لكم ، ونحن ـ والحمد لله ـ بينهم وفي بركتهم ونسأل الله أن يرزقنا كمال الادب المرضيّ عند الله معهم ، فإن الأدب المعلول لا يفيد صاحبه أبداً بل ربما عاد عليه بالضرر ، وهنا دخل علينا غلام معه القهوة فوضعها بيننا وذهب ، فتناولها الشيخ وجعلها في آنية صغيرة من خزف وناولني منها إناءً واحداً ، وهنا قلت للشيخ : من أين يجلب اليكم البن ؟ فقال : من اليمن ، فقلت له : لعل ما تحتاجون اليه كذلك يأتيكم من اليمن ، فقال : لا ! وإنما هي القهوة فقط من اليمن ، وأغلب ما نحتاج اليه إنما هو من[٥٩] بلادنا إلا إبر الخياطة ومواسي الحلاقة وكحل العيون فيأتينا به الحجاج مع رجوعهم من الحج ، فقلت له : وهذه الثياب تنسجونها هنا ؟ فقال : نعم وتزيد عن الحاجة فيذهب بها التجار الى اليمن فيبيعونها هناك مِعاوضةً بالبُن ، فقلت له : وأيّ ضريبةٍ تتعاملون بها في أخذكم وعطائكم ؟ فقال : إن أكثر المعاملة هنا إنما هو بالحنطة الحمراء والحنطة البيضاء والتمر ، وتوجد هنا ضريبة بالتعامل بها ولكنها قليلة جداً ولا توجد إلا عند بعض الناس مكتوب فيها لفظ الجلالة ، ويقال : إن مائة قطعة منها تساوي ريالًا واحداً في اليمن[٦٠] ، فقلت له : وكيف السبيل هنا الى تكسير الدينار ، فقال : لا وجود للدينار عندنا ولا نعرفه[٦١]. وعندها عاد الينا الغلام ووضع بيننا إناء فيه تمر ، وأكلنا منه ما تيسر ، وبعد ذلك قال لي الشيخ : أولى لك أن تنام قليلًا فإذا جاء الوقت أيقظتك ، فقلت له : أحسن الله اليك ، وخرج من عندي واضطجعت وغشيني النوم حتى عاد فأيقظني فانتبهت وجلست وجلس هو أمامي ، وقال : قرب وقت الظهر فهل لك في الوضوء ؟ فقلت له : نعم ، فدلني على محله فتوضأت ، وعدت الى محلنا ، فقال لي الشيخ بافضل : ان الشريف الذي توفي وشيعنا جنازته اليوم كان إماماً للصلوات الخمس في مسجدٍ من مساجد آبائه ، وسيجتمع بعض الاشراف الآن في ذلك المسجد وينصِّبون غيره لتلك الوظيفة ، فهل تحب أن تحضر وترى ؟ فقلت له : نعم أحسن الله اليك ، فقال : بسم الله نذهب الى ذلك المسجد ، فخرجنا من البيت وتوجهنا الى المسجد ودخلناه والمؤذن يؤذن للظهر فيه ، وبعد أن فرغ من الاذان أخذنا في صلاة التحية والراتبة[٦٢]، وما فرغنا من ذلك إلا وقد اجتمع ناس كثيرون من الاشراف وغيرهم ، حتى اقيمت الصلاة وتقدم أحد الاشراف فصلى بالقوم الظهر ، ولما انقضت الصلاة وراتبتها والناس جلوس تكلم أحد الاشراف الشيوخ وقال : رحم الله أخانا أحمد بن أبي بكر ، فلقد مضت عليه اثنتان وخمسون سنة وهو محافظ على الجماعة بهذا المسجد ، وكان هو الإمام كما عرفتموه ، وما عرف انه تاخر عن ذلك إلا لعذر شرعي ، جاءني مرة وقال : أكلتُ يوم الثالث عشر من أيام التشريق لحماً فشوش عليّ في باطني واستمر معي ذلك التشويش نحو أربعين يوماً ، فأليت بعد ذلك أن لا أذوق اللحم مطلقاً !! وهو كما عرفتموه على جانب عظيم من الزهد في الدنيا ، والصبر على الفقر مع نهاية العفة ، فكانت اخته الشريفة مريم لا تفارق الوضوء إلا بالنوم . ولقد أخْبَرَتْ بحضرة كثير من الشرائف[٦٣] اللاتي أتينها ضحوة هذا اليوم للتعزية به « أنّ أخاها أحمد ما شبع قطُ اختياراً وكان لا يعرف النوم في شهر رمضان إلا بعد أن تطلع الشمس ويصلي صلاة الضحى ويستيقظ قبل الظهر فيتوضأ ويقرأ القرآن من أوله الى سورة يوسف قبل أن يؤذن للظهر » . وإنا قد اجتمعنا الآن هنا لتعيين واحد منكم يقوم بوظيفة الإمامة في هذا المسجد وفيكم الكفاية والاهلية ، فاشكروا الله على ذلك ، فاجابه أحد الحاضرين من الاشراف بقوله : ان المحافظين على صلاة الجماعة بهذا المسجد لا ينقصون عن خمسة وعشرين من ابنائكم وفيهم تسعة من العلماء العاملين المدرسين فعينوا

منهم من تحبون ، فتكلم آخر وقال : لقد أحسنت يا جد[٦٤] عبدالله دفعتها عن نفسك وأنت تعلم أنك أحق بها من الجميع ، وما زال القوم يتدافعون تلك الوظيفة حتى آل بهم الحال الى القرعة فاقترعوا ، فخرجت القرعة على الشريف عبدالله الذي كان أول من دفعها عن نفسه فقبلها بلا استثناء ولا كلام ، وبعد ذلك قرئت الفاتحة وختم المجلس بالدعاء وانفض الحاضرون وخرجنا من المسجد ، ولقد كنت أظن أن لهذه الوظيفة أجرةً قياساً على ما في بلدنا[٦٥] وأخبرت الشيخ بافضل بذلك ، وقلت له : ولكن أشراف تَرِيم هم أمة لانفسهم ! فقال لي الشيخ بافضل : وكذلك يبعثون يوم القيامة أمةً لانفسهم ! رزقنا الله الادب الحقيقي معهم أمين ! وهنا قلت للشيخ بافضل : من فضلكم أن تتركوني في أحد المساجد ، وتمضوا لشأنكم ، فقال لي : أذهب بك الى مسجد فيه درس ، وامكثْ به حتى أعود لك ، ومشينا معاً حتى وصلنا الى المسجد ، فقال لي : ادخل واجلس واسمع حتى أعود لك ، فدخلت المسجد فرأيت حلقة الدرس فملت اليها وجلست فنظرت الى المتصدر ، فإذا هو غلام لا يتجاوز الخامسة عشرة من السنين من عمره ، ثم نظرت الى المريدين حوله ، فإذا فيهم المراهق والكهل والشيخ ، فعجبت ثم عدت فنظرت الى ذلك الفتى المتصدر فرأيت على رأسه عمامة بيضاء تضم تحتها اذنيه وعليه ثوب أبيض أيضاً واسعة أكمامه وفي مرفقيه رقعتان وفي منكبه الأيمن رقعة ، وصدره بارز وأمامه شيخ كبير مهيب يقرأ ويسكت[٦٦]، فإذا سكت تحرك ذلك البحر الخضم ، فقذف من مكنون جواهره ما لا سبيل الى التعبير عنه ، وبعد ذلك بمدة يسيرة ختم المتصدر الدرس ، وحضرت القهوة وأديرت على الحاضرين فشربوها إلا واحداً منهم تركها أمامه فلم يشربها ، فقال له مَن بجنبه : اشرب القهوة ، فقال : لا حاجة لي بها ، فقال له : هل أنت صائم ؟ قال : لا ، فتكلم ذلك الفتى المتصدر وقال : إنه أشدكم محبةً للقهوة ، وله أيام منها ، وما تركها إلا لشدة توقانه اليها ! وهنا دخل رجل من الاشراف ومعه غلام يمكن أنه في سابع سنة من عمره وصافح القوم وجلس ، فقال الفتى المتصدر للرجل الداخل : خذ ذلك الإناء واشرب ما فيه من القهوة فإنها من نصيب هذا الغلام ، ولعله ولدك ، فقال : نعم ، وقد جئنا به لتدعو له بالفتوح ليكون مثل مَن في سنه من أبنائكم وأبناء غيركم ، وقد بذلنا جهدنا فيما يحبه ويفرح به لاجل أن يجتهد في طلب العلم والعمل ولكنه يحب اللعب ! فقال ذلك الفتى لذلك الرجل : أنت دخلت ونحن نتكلم في واقعة حال القهوة ، وأخبره بترك الشريف عُمَر للقهوة ، قال : وهكذا كانت طريقة أجدادك وأجداد ولدك يفطمون أولادهم عن الشهوات من مثل الذي يحبه ولدك ويفرح به[٦٧]، وقد أخبرني والدي رحمه الله

قال : كنت ـ وأنا صغير ـ أحب القهوة وأعوّل عليها خصوصاً بعد رجوعي صباحاً من المسجد الى البيت ، وذات يوم من الايام عدت الى البيت على عادتي فوجدت أمي في مصلاها على عادتها فجئت اليها وسلمت عليها فالتفتت مبتسمة فسررت سروراً عظيماً بابتسامها في وجهي ثم قالت لي : يا عبد القهوة ، هذا اليوم ، ربنا ما أعطانا قهوة ، ولو انك تركت شرب القهوة لكان أحسن ! فقلت لها : انما أشرب القهوة لما أجده منها من النشاط يوم أشربها ولا كذلك يوم لا أشربها ! قال : فقالت لي أمي : يا ولدي حفظك الله أنت في العاشرة من السنين من عمرك والنشاط ضروري لك فان رضيت على نفسك أن تكون عبداً لشهواتك فقد خالفت طريقة أهلك ! وأعرضت عني ، وقامت وأحرمت بصلاة الضحى ، قال والدي : فرأيت اختي خارج باب المنزل تشير عليّ بالمجيء اليها فقمت اليها وقبلت يدها ، وأخذتني الى مجلسٍ آخر وجلست وأجلستني أمامها وقالت قد سمعت ما قلته لامي ، ومِن متى عرفت هذا الكلام ، فيا أخي تحقق أن المرشد لك الى هذا الكلام مع أمك هو شيطان الشهوات فتبْ الى الله تعالى من ذنبك كما تبت من القهقهة فيما مضى ، قال والدي : فسكت فمدت يدها وصافحتني ، وقالت لي : هيا تب الى الله على يدي بصدق ، وأنت منشرح الخاطر ، قال والدي ، فتبت الى الله ، ثم قالت لي أختي ، متع الله لي بها ، اعلم يا أخي أن من لا توبة له فلا حال له ولا مقام له ، وهي بمثابة الارض للبناء ، ومن لا أرض له لا بناء له ، ولا سبيل الى التقرب الى الحضرة القدسية الالهية إلا بالتخلي أولًا من الأوصاف الذميمة لانها نجاسات معنوية ، كما لا يمكن التقرب بالعبادات مع النجاسات الصورية ، وأنت يا أخي أنقش كلامي هذا على قلبك ، ثم ناولتني قطعة من خبز الذُّرة ، ثم قال والدي : فصممت العزم على كمال الاقتداء بجدي الاعظم ﷺ ، ولم أعرف من بعد ذلك اني شبعت ، بل قد عصبت الحجر على بطني من الجوع مراراً ! وسكت والدي ، فقلت له : إنك قلت إن عمتي مريم ، قالت لك : كما تبت من القهقهة ، وما هي توبة القهقهة ؟ فقال لي والدي : بارك الله فيك ، كنت وأنا ابن ثمان سنين رأيت ما يضحكني فضحكت وقهقهت ، وكانت أمي تراني وتسمعني ، وأختي حاضرة أيضاً وغيرها ، فلم نشعر إلا بامي تكفكف دموعها ، ثم قالت : أصبحت بيوتنا ـ أهل البيت النبوي الآن ـ كالاسواق محل الغفلات ، فما هذه القهقهة يا ولدي بارك الله فيك ، فابتدرتني أختي ، متع الله لي بحياتها ، فاستتابتْني ، وبعد أن إستتابتْني من هذه وأنا في الثامنة من السنين ، ومن تلك وأنا في العاشرة فكلُّ من في البيت حتى الخدامين كانوا يوبخونني ويقولون لي : عسى توبة مقبولة ، ثم ان ذلك الفتى المتصدر حفظه الله التفت الى ذلك الرجل وقال له : على مَن قرأ القرآن ولدك ؟ فقال له على المعلم عبدالله ، فسكت الفتى طويلًا ثم قال : ان عيون الصبيان هي الباب الواسع النافع في تربيتهم وتعليمهم فما يتعلمونه بالمشاهدة من أفعال آبائهم وأمهاتهم ، وممن يختلطون بهم في صغرهم ينتفعون به انتفاعاً عظيماً أو يتضررون به ضرراً عظيماً ولا كذلك ما يتعلمونه بآذانهم ، فما يشاهدونه بعيونهم يقتدون به ، ولو مِن غير قصد ، وإذا نظرت الى أفعال الصبيان وحركاتهم رأيتهم يتمثلون بمن حولهم ويحاكونهم فيما يرونه صادراً منهم إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر ، وصلاح أولادنا إذا نحن تحققنا ما تقدم متوقف على ما يشاهدونه في

بيتهم الذي تربوا فيه ، وصفاتنا تظهر في أولادنا فما يرون[٦٨] أولادنا من أفعالنا اليومية المختلفة تؤثر فيهم تاثيراً بليغاً وتبقى معهم زمناً طويلاً ، وإذا مات أباؤهم فقد ينسون تعاليمهم التي سمعوها بأذانهم ولا ينسون أبداً ما شاهدوه بأعينهم ، والاباء والمعلمون وإن كان فيهم همة ، ومثلهم غيرهم ، فهم لا يقدرون على تحريك الناس للعمل ما لم يكونوا هم من أهل العمل ! لان الناس يميلون بطبعهم الى الاقتداء بمن حولهم في العوائد والاخلاق

وان لم يقصدوا نلك[٦٩]، وان كل من ينظر الى شخص فاسد لا يلبث أن يكتسب منه شيئاً يضر به ! فكيف بمن يخالط المفسدين ، وهذه الشريفة : نور بنت محمد فانها لم تدخل بيتاً من البيوت ولا ترددت على أهله إلا طهرت ما فيه وصيرت كلام أهله جليلاً وقويماً ، وما نلك إلا لاستقامتها التي جعلت لها هذا التأثير في القلوب ، وما نشاهده اليوم من الصلاح في أكثر إخواننا أهل البيت ، ومثله ما نسمعه فيمن تقدم عن آبائنا ، فإنما حصل لهم من مشاهدة آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم الصالحين الذين تربوا بينهم ، وأنت يا أخي إحفظ ولدك من مخالطة من لا يليق به ولا بنا مخالطته حتى ولو كانوا من أبناء جنسنا الغافلين آباؤهم ، المغرورين بنسبهم والمشغولين بما لا يفيدهم ، ونحن داعون لك ولولدك ، وسكت قليلاً ، وحالاً أذن المؤذن لصلاة العصر وأنا معجب غاية الإعجاب من نلك الفتى الشاب المتجلبب بوقار الشيوخ وجلالهم وهيبتهم ، ولكن ما يصدر من أهل البيت النبوي لا ينكر ولا يستنكر ! ولعمري إنهم أهل لذلك وفوق نلك ، إني سمعت نلك الكلام ولم أتمكن من حفظه ، ولكن رأيت حينئذ من يكتبه من الحاضرين فطلبت منه أن يستنسخ لي منه نسخة وما قصر فكتب لي نلك أحسن الله اليه آمين ، وبعدما تقدم أقيمت صلاة العصر ، وما تقدم غير نلك الفتى الشريف حفظه الله وأمد في أوقاته آمين ، وبعد أن إنقضت صلاة العصر تقدم المامومون يلثمون أكف الشريف ، فتاخرت أنا حتى لم يبق غيري فتقدمت اليه وجثوت بين ركبتيه وأخذت يده ولثمتها وقلت له : غريب زائر طالب دعاكم ، فقال : بارك الله فينا وفيك ، فقلت له : وقدمت الى هذه البلد مع مولاي الشريف محمد من الحج ، فقال : هنيئاً لكم ، ونطلب منك أن تستغفر لنا وتقرأ الفاتحة[٧٠] بنيَّة قبول استغفارك لنا ، فامتثلت أمره ، واستغفرت الله لي وله وقرأت الفاتحة ، ثم قلت له : اطلب منكم ، أن توصوني وتجيزوني[٧١] وتدعوا لي ، فسكت ثم قال : أوصيك ونفسي بتقوى الله ، والاجازة فاطلبوها من الوالد محمد ، وأما الدعاء فنحن داعون لكم بخير ، ونهض من محله وخرج من المسجد ، وخرجت خلفه من المسجد ، ونهبت أمشي خطوات وأنا أشكر الله تعالى على منه عليَّ بزيارة أشراف هذه البلد أهل البيت الطاهر وترحمت على والدي مراراً فوق عادتي إذ لولاه لما اهتديت الى هؤلاء الأولياء الحقيقيين ، وقبل المغرب بمدة وجيزة عاد اليّ الشيخ بافضل ، ولما التقيت به قال : حضرتم الدرس ؟ فقلت له : نعم أحسن الله اليكم ، وأطلب منكم أن تعينوني على محل آوي اليه ولو بأجرة ، فقال : هكذا تحبون ؟ فقلت له : نعم ، فقال لي : تحبونه من الآن ؟ فقلت له : نعم ، فقال : ممكن إن شاء الله تعالى فهيّا بنا اليه ، فتوجهنا معاً حتى أوصلني الى دويرة ، فنادى : يا سالم ! فخرج اليه رجل قد أنهكت قواه الشيخوخة ، وبعد مصافحته . قال له الشيخ بافضل : هذا غريب جاء هنا للزيارة ويطلب منكم تؤونه مدة أيام ، فحالاً قال الشيخ : قبول ، هذا هو هنا ينزل ، وبيت الخلاء قريب ، ولكن إن فتح الله علينا بشيء اقتسمناه معه ، فقلت له : لا بأس ، وحالاً دخلت وجلس الشيوخ رب المنزل ، واستأذن الشيخ بافضل وانصرف ، فقال لي رب المنزل ، هو أنت الغريب جئت مع الحبيب محمد بن أحمد ، فقلت له : نعم ، فقال وحججت هذه السنة ؟ فقلت له : نعم ، فقال استغفر لنا واقرأ لنا الفاتحة فامتثلت وبعد نلك قال لي : حج مبرور وسعي مشكور وذنب مغفور وتجارة لن تبور ، يا لها من سعادة الحج ومصاحبة محمد بن أحمد الى تَرِيم ، إعذر ! إعذر ابغينا لك عشاء ، ولكن ما معنا إلا تُميرة وبا ننتظر[٧٢] الى ما بعد العشاء إن فتح الله بشيء وإلا بانقدم الموجود ! فقلت له : عندي ما قد فتح الله عليَّ به ، ولكن إئتوني بمن يذهب الى السوق ، فقال لي الشائب[٧٣]: الوقت مغرب وغداً يكون خير ، ولعلك متوضيء فقلت له : نعم ، فقام مِنْ عندي وذهب ثم عاد وقال : هيا نريد المسجد فخرجنا معاً وجئنا الى المسجد وصلينا المغرب واعتكفنا حتى العشاء ، ورجعنا الى البيت وجيء بالعشاء ، فقال الشائب : فتح الله ، ناس عندهم عُرُس وارسلوا لنا عشاء جزاهم الله خيراً فوُضع بيننا في قصعة ، فاكلناه فقال الشائب : هذا عندنا يسمونه الخمير[٧٤]، وبعد أن اكتفينا منه قال الشائب : الآن وقت النوم ، ولعلك تعبان ، والمقام ، متى تقوم من النوم لاجل أن ننبهك فقلت له : متى قمت أنت من نومك فأيقظني ، فقال لي : أنا شيبة ولا يجيئني النوم إلا قليل يا ولدي ، فقلت له : أيقظني قبل طلوع الفجر بقليل ، ثم قال لي عرفت مكان الخلا ؟ فقلت له : نعم وكان مصباحنا تلك الليلة القمر إذ هي ليلة الرابع عشر من شهر محرم الحرام[٧٥]، واضطجعت ونمت براحة حتى كان الوقت ، فأيقظني وتوضأت ، وخرجنا معاً الى المسجد واعتكفت حتى اذن الفجر وتقدم الإمام وصلى بنا صلاة طويلة جداً قرأ في الاولى سورة الحديد ، وفي الثانية بالحاقة[٧٦]، وانتهت الصلاة ، وبعدها بمدة طويلة اصطف المريدون أمامه يدرس لهم في (منهاج العابدين)[٧٧] ، وكلهم كانما على رؤوسهم الطير ، لا يتكلمون ولا يسالون بل رأيتهم والهيبة قد أحدقت بهم والسكينة قد غشيتهم وانتهى الدرس قبل طلوع الشمس بزمن يسير وبقينا في المسجد الى أن طلعت الشمس ثم صلينا صلاة الإشراق[٧٨]، ورجعت الى البيت ، وجلس الشائب وجلست فقلت له : من نلك الإمام الذي صلى بنا الصبح ؟ فقال هو الشيخ باعبيد من كبار الجم الزيان[٧٩] ممن يقومون الليل في ركعة واحدة ، فقلت له : أين يسكن ؟ قال : هو جاري فقلت له : هل يمكنني أن أزوره ؟ فقال يمكنك وخصوصاً الآن ، فقلت له : الآن أزوره ، فنادى رجلاً جاره فاتى فقال له إذهب بهذا الرجل الى يا عبيد ، فذهبت

معه واستأذن فدخلنا ورجع الرجل، أما أنا فسلمت عليه وصافحته وجلست، فقال: من أين؟ فقلت له: غريب جئت الى هنا مع الحاج[8] الشريف محمد بن أحمد وصاحبه بافضل، وقصدي زيارة أهل هذه البلد وأنتم في الجملة، وقد صليت الصبح خلفكم اليوم، قال: وهل حضرتم الدرس؟ فقلت: نعم، فقال لي ان الطلبة الذين رأيتهم في الدرس هم من أهل بيت الرسالة، وما نتكلم به معهم، فإنما هو منهم أخذناه، وعنهم رويناه، ثم إني أخبرته بما سمعته من والدي في وصفهم الى أخره، فقال لي: في أي عام زار والدكم هذه الديار؟ فقلت له: منذ ثلاث وثلاثين سنة: عام اثنتين وثلاثين وثمانمائة[8]، فقال لي: هل دوّن رحلته؟

فقلت له: نعم لأني أذكر انه كان يذكرها ويحيل عليها إلا اني لم أتجاسر عليه مدة حياته بالسؤال عنها لما له من الهيبة وبعد موته فتشت عليها في كتبه فلم أظفر بها. انتهى ما وجد من هذه الرحلة والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الهوامش والمصادر

(١) العباس بن ابراهيم: الاعلام، ج ٥، ص ٢٥٥، تحقيق: عبدالوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية ١٩٧٦.

(٢) علي سالم سعيد بكير: رجل وكتاب: رحلة في سبيل العلم من المغرب الى حضرموت. مجلة الحكمة ـ لسان حال اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين ـ العدد ١٢٣ ـ السنة الخامسة عشر، يوليه ١٩٨٥، صفحة ١٤ ـ ٢٠، صنعاء، عدن.

(٣) تقع مريمة على مقربة من مدينة سيؤن، وقد انشئت على مقربة من ضريحه مدرسة للمعلمين، حيث ترحمت عليه صباح عودتي من حضرموت، الاحد ١٣ / ٩ / ١٩٩٢.

(٤) رددت الزميلة فاطمة خليل في اطروحتها: (الرحلة في الادب المغربي) لنيل دكتوراه الدولة بجامعة محمد الخامس ١٤٠٧ ـ ١٤٠٨ = ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨، رددت بعض ما كان صدر عن تلك الرحلة في بعض المجلات ... وقد قام بتحقيقها أخيراً د. أمين توفيق الطيبي بعد أن رأى، ولا أدري كيف وافقته زوجته على ذلك ؟! رأى إسقاط مقدمة من ٢٧ صفحة يتناول فيها المؤلف سيرة الامام ادريس الاكبر وخروجه الى المغرب أيام هارون الرشيد وقيام الادارسة في المغرب وانتسابه اليهم ... كما يتناول فيها المؤلف الحديث عن القبائل في بلاد أنقاد كاولاد طلحة بن يعقوب والاحلاف .. كانت هذه المعلومات في نظرنا لا تقل ـ أن لم تفق ـ أهمية عن رحلة ابن عابد الذي كان يقصد ـ دون شك ـ الى اثراء معلوماتنا عن الدولة الادريسية التي أسدت الى المغرب معروفاً لا يجعله الاستاذ الطيبي والسيدة زوجته، هذا الى إسقاط أسماء أقارب ابن عابد ..! وقد نشر هذا التحقيق والتقديم والتعليق من لدن الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، رقم الايداع القانوني ٨١٥ ـ ١٩٨٨.

(٥) نشر هذا البحث من قبل مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء بمجلته عام ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠. كما نشر بمجلة (البحث العلمي) ذو الحجة ١٤٠١ ـ تشرين الثاني ١٩٨١.

(٦) اغتنم هذه الفرصة لاجدد شكري لكل الذين ساعدوني لتحقيق هذه الامنية بعد انتهاء أعمال الندوة الدولية لحماية المخطوطات اليمنية، التي انعقدت بدار المخطوطات، صنعاء القديمة، جوار الجامع الكبير فيما بين ٧ / ٩ ايلول ١٩٩٢ .. وأخص بالذكر سعادة الاستاذ بافقيه، رئيس الهياة العامة للاثار والمتاحف والمخطوطات ولنائبه الدكتور يوسف فضل .. والسيد الوكيل وكذا لرفيقي في الرحلة الاستاذ عبدالمالك المقحفي.

ولا بد لي أن أذكر بتقدير كبير عناية الزميل الاستاذ أحمد الادريسي سفير صاحب الجلالة، والسيدة الفضلى حرمه.

(٧) عبدالله محمد الحبشي: مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء (بدون تاريخ)، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(٨) عبدالله بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف الشهير بالعيدروس، يكنى أبو محمد، ترجم له الشلي باعلوي في الجزء الاول من كتابه المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي، ولد في العشر الاول من ذي الحجة سنة احدى عشر وثمانمائة، وقد سماه أبوه عبدالله ولقبه العيدروس بمعنى الاسد، قال بخرق: الاصل العيتروس فلعل التاء أبدلت دالًا لاتحاد المخرج ... نشا بمدينة تريم ... ومات والده فقام بتربيته عمه عمر المحضار وزوجه بابنته ... أخذ عن عمه علوماً عديدة كما تفقه على جماعة منهم الشيخ عبدالله باغُشير، وسمع الحديث على خلائق لا يحصون بحضرموت واليمن والحجاز ... قدم نقيباً على بني علوي وهو ابن خمس وعشرين سنة ... كان ملازماً لقراءة إحياء علوم الدين ومطالعته حتى كاد أن يحفظه ...

محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي، المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل ابي علوي، طبعة اولى، عام ١٣١٩، ج ١، ص ١٥٣.

(٩) لم أقف على ترجمة للشيخ جمال الدين هذا فيما أتوفر عليه من مصادر يمنية، فهل القصد الى جمال الدين محمد بن أحمد بن عبدالله ابن محمد الشهير بابن علي بافضل المولود بتريم والذي تفقه وتصدر للتدريس بعدن حيث أدركه أجله عام ٩٠٣ = ١٤٩٨ ؟

اعلام الزركلي ... ٦، ص ٢٣٢.

(١٠) علي بن محمد بن حسين الجنبشي (ت ١٣٣٣ = ١٩١٥) من وجوه العلويين في حضرموت له نظم، وقد ذُكر في تاريخ الشعراء الحضرميين .. هذا ويضبط الشيخ عبدالحي الكتاني الجنبشي بكسر الحاء وسكون الباء وقال: ان الحبشي لقب لاحد بيوتات بني علوي اليمنيين، وكذا وردت بالكسر في كتاب نيل الوطر .. وكذا سمعت الزميل عبدالله الحبشي ينطق اسمه ويصحح ذلك لمن ينطقها بفتح الحاء والباء، وقد تردد ذكر علي الحبشي هذا عند الكتاني في كتابه (فهرس الفهارس والاثبات) ص ١٣٠ ـ ٥٠٣ ـ ٦٩٤ ـ انظر هذا الكتاب ـ طبعة دار الغرب الاسلامي باعتناء د. احسان عباس، بيروت، لبنان سنة ١٤٠٢ = ١٩٨٢.

(١١) يعتبر العطاس هذا من أعيان العلويين في حضرموت .. جمع مكتبة لا نظير لها في بلاده ، وكان مسموع الكلمة عند القبائل ، وعلى يده عقد الصلح بين الدولة القميطية والقبائل الدوعنية ، وقد أملى « وصايا » و « إجازات » ورسالة في « القبائل الحضرمية » . قف على كتاب : عقود الالماس بمناقب الامام أحمد بن حسن العطاس .

راجع عبدالله الحبشي : مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ، ص ٤٦٢ .

(١٢) حذام : امرأة في الجاهلية من العرب اليمانية يضرب بها المثل في حدة البصر وصدق الخبر وتلقب بزرقاء اليمامة ، فيها قيل : أبصر من زرقاء اليمامة ، وقال الشاعر :

إذا قالت حذام فصدقوها
فإن القول ما قالت حذام !

(١٣) الجزء الثاني ص ٦٣ ، مكتبة الارشاد بجدة ، طبعة بيروت .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) لقد جرفتني هذه المعلومة في بداية الامر الى التفكير في أن التسد باحد الاشراف الى السيد الطاهر بن عبدالله الادريسي الذي نجد له ذكراً في المصادر اليمنية التي تحدثت عن أيام محمد المؤيد بالله ، وهي تقول بالحرف :

وصل في أيامه ، رضوان الله عليه ، السيد الجليل العالم النبيل الطاهر بن عبدالله الادريسي من بلاد المغرب الاقصى ... فاستدعى مولانا الحسن عليه السلام وصوله الى مقامه وعرف ما عنده من فنون العلم وانه من أهل بيت مُلك ... فقربه كثيراً وأقام عنده أياماً ... وأرسله مع بعض خواصه الى الامام عليه السلام ... وقد أعطاه الامام عطاءً جزيلاً وكتب معه دعوة الى المغرب الاقصى . ت.د.م. جزء ٨ ص ٨٠ .

(١٦) محمد بن هاشم بن عبدالرحمن ... بن طاهر العلوي ، ولد بحضرموت وتلقى علومه على جماعة من شيوخ تريم ... وقد رحل الى جاوة عام ١٣٢٥ = ١٩٠٧ وساهم في تحرير صحفها ، وتزعم البعثة المرسلة الى مصر سنة ١٣٤٤ = ١٩٢٥ ثم عاد الى مسقط رأسه وأحيى بعض الندوات والجمعيات ، وقد أدركه أجله سنة ١٣٨٠ = ١٩٦١ .

عبدالله الحبشي : مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن صفحة ٤٦٩ .

(١٧) ترجم الشيخ خير الدين الزركلي لابن شهاب هذا في الاعلام : ج ٢ ، ص ٢١٤ ، قال عنه : انه جاهر بآراء كان ينشرها في الصحف المصرية كالمؤيد والمنار والصحف الحضرمية كمجلة الامام ، وجريدة الاصلاح الصادرة في سنغافورة ، ويقول عنه : انه كان عنيفاً في جدله كثير النقد للشيوخ فكثر خصومه من أهل تريم وغيرها ... ويضيف الزركلي الى هذه المعلومات ان كتابه « الانصاف بين الصلة والاتحاف » نسبه الى أحمد فهيم صدقي الدسوقي الازهري ، ويختم ترجمته بان له أيضاً كتاب (الرقية الشافية في الرد على النصائح الكافية) وان له شعراً في بعضه جودة ... انظر تاريخ الشعراء الحضرميين لعبدالله بن محمد بن عمر السقاف ، جزء ٥ ، صفحة ٢٣ / ٣٢ .

علي سالم سعيد بكير : رجل وكتاب ، رحلة في سبيل العلم الى حضرموت ، مجلة الحكمة ، عدد ١٢٣ ، تموز ١٩٨٥ .

(١٨) هذا عالم من سوس انتقل الى مكة فكان من أعلام المدرسين بها وليس هو الشيخ محمد بن محمد بن سليمان الجزولي مؤلف دلائل الخيرات المتوفى عام ٨٦٩ . ابن القاضي : لقط الفرائد من لقاظة حقق الموائد ، تحقيق محمد حجي ـ مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر ، الرباط ١٣٩٦ = ١٩٧٦ .

العباس بن ابراهيم ، الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ، ج ٥ ، ص ٤٠ ، الطبعة الملكية ، الرباط ١٩٧٦ .

(١٩) المعيار ، الجزء ٦ ص ٤١٩ ، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ١٤٠١ = ١٩٩١ م .

(٢٠) انظر ، ج ١ من المعيار ص ٢٢١ ج ٧ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ٤٧٣ ـ ٤٧٨ .

(٢١) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ، رقم الايداع القانوني ٢٥ / ١٩٨٦ ـ مطابع فضالة المحمدية ، المغرب .

(٢٢) ترجم أبو سالم العياشي في رحلته (٢ ، ٨٩) لشيخه السيد محمد باعلي نقلاً عن (بهجة المفاخر في معرفة النسب العالي الفاخر) فقال : محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن علي بن محمد بن علوي بن عبدالله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب والزهراء البتول بنت المصطفى ﷺ ـ ابن عابد : ملتقط الرحلة ...

وقد تولت المصادر المغربية الاخرى التاريخ لنسب العلويين الحسنيين د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج ٩ ، ص ١٠ .

(٢٣) من رسالة السلطان مولاي عبدالرحمن بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٢٦٨ = ٦ شباط ١٨٥٢ : « وها نحن جعلنا ... للريال ذي المدفع عشرين أوقية وللذي لا مدفع فيه تسع عشرة أوقية وللبسيطة التي بالمدفع خمس أواق وللتي لا مدفع لها أربع أواق ...

الناصري : الاستقصا ، طبعة البيضاء ، ١٩٥٦ ، ج ٩ ، ص ٦٤ .

د. التازي : العملة ودور السكة بالمغرب ، مجلة اكاديمية ، المملكة المغربية ، عدد ٤ تشرين الثاني ١٩٨٧ .

(٢٤) وردت كلمة الاشرفي عند الربان المعروف شهاب الدين ابن ماجد في قصيدته الشفالية :

وكل ضرب الاشرفي منه
فلا تسل من بعد ذاك عنه

د. التازي : ابن ماجد والبرتغال : مجلة البحث العلمي ، عدد ٣٦ ، ١٩٨٦ .

(٢٥) علي الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تصحيح محمد بن علي الاكوع الحوالي : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، طبعة ثانية ١٩٨٣ .

(٢٦) اللكوك : جمع لك وقد تولى الرحالة المغربي ابن بطوطة تفسيرها عندما كان بمدينة سيوستان .. فقال : انها مائة الف دينار ، وبهذا يرتفع إشكال استاذنا محمد الاكوع في تحقيقه لقرة العيون لابن الديبع ، القسم الثاني ، ص ١١٦ ، تعليق ٤ ، مطبعة السعادة ، صنعاء .

(٢٧) وقفت في مكتبة الاحقاف على طبعة لابن بطوطة لم أقف عليها في

جهة من الجهات ! ويتعلق الامر بطبعة ثانية لرحلة ابن بطوطة تحت عام ١٣٢٢ = ١٩٠٤ على نفقة الشريف مولاي أحمد بن عبدالكريم القادري الحسني المغربي الفاسي (مطبعة التقدم ، شارع محمد علي بمصر) ، وكانت الطبعة الاولى بمطبعة وادي النيل ١٣٨٨ = ١٨٧١ . وقد طبع الشريف القادري هذا ـ على ذمته ـ كتباً اخرى بالمطبعة الحجرية بفاس : مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي وطبع عام ١٣٢٢ ، وكشف الاسرار عن علم الغبار للامام القلصادي ، طبع ٣١٨ .

(٢٨) د. التازي : الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، آب ١٩٨١ .

(٢٩) د. التازي : ابن ماجد والبرتغال .. مجلة « البحث العلمي » العدد ٣٦ ، صفحة ٦٠ ، سنة ١٤٠٦ = ١٩٨٦ ، التعليق ٦٣ .

(٣٠) رحلة العياشي ٢ .

(٣١) في حديث أدلى به د. محمد الهاشمي التونسي لجريدة (المقطم) ١٣ / ١٤ ايلول ١٩٢٩ بمناسبة عودته من جاوة لبلاده تونس ، ذكر ان عدد الحضارمة الموجودين هناك يربو على ثلاثين ألف نسمة ، وقد وصفهم بالذكاء والنشاط والصبر ولو انه اخذ عليهم القطيعة فيما بينهم الخ ... والحديث يدل على ان هذا المغربي كان على صلةٍ قوية بمهاجرةِ حضرموت ..

ـ د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج ٧ ، ص ٣١١ .

(٣٢) تَرِيم (بوزن أمير) تعتبر من أشهر المدن في اقليم حضرموت ، ويقول ياقوت : ان حضرموت اسم للناحية بجملتها ، ومدينتاها شبام وتريم ، دخلها الاسلام عندما عاد وفد حضرموت من عند النبي ﷺ في السنة العاشرة ، وكان أول عامل عليها هو زياد بن لبيد الذي كان يقيم تارة في ترين وتارة في شبام .

وفي أيام بني أمية دخلت تريم كغيرها تحت هيمنة الاباضية الى أن قامت أول دولة سُنِّية : دولة آل راشد في مطلع القرن الخامس الهجري (مذهب الشافعي في الفقه ، ومذهب الاشعري في العقيدة) ... وتمضي هذه الدولة لتاتي بعدها دولة آل يماني التي أسسها مسعود بن يماني (ت ٦٤٨ = ١٢٥٠) وجعل مركزها في تريم ... ومن آل يماني انتقل الحكم الى الدولة الكثيرية الاولى في آخر القرن الثامن حيث استمروا ثلاثة قرون أو تزيد وفي عهد هذه الدولة يتحدث « المغربي » عن تريم التي كانت تعيش على انفراد من الدولة الحاكمة في بقية اليمن ... ومن آل كثير انتقل الحكم الى آل يافع قبل أن يعود الكثيريون مرة اخرى ... لتجري عجلة الزمن حتى تصل الى العهد الحاضر ...

٣٣) هكذا في النسخ الاخرى عوض الطفولة ... وهو استعمال مطروق على نحو استعمال كلمة الشبابية .

٣٤) ناحية كبيرة كانت تعرف باسم (الاحقاف) وتقدر مساحتها بنحو ١٢٠ الف ميل مربع ، وقيل : انها سميت كذلك لسبب ذكره بعض المؤرخين ، وذلك ان عامر بن قحطان أول من نزل الاحقاف فكان إذا حضر حرباً أكثر من القتل فصاروا يقولون عند حضوره : « حَضَرَ مَوْت » ! ثم صار ذلك لقباً عليه .. بينما جاء في اسطورة يونانية ان رائحة شجر اللبان الذكر التي اشتهرت بها منطقة حضرموت كانت مُميتة مما دعاهم الى اطلاق اسم (أرض الموت) على الوادي الذي تنبت فيه الشجرة التي تفرز اللبان ... تغلب عليها الجفريون ... وبعد ظهور الاسلام تناولتها أيدي الخلفاء الراشدين ثم الدولتين الاموية والعباسية ... المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية ... دار الكلمة ـ صنعاء ١٤٠٦ = ١٩٨٥ .

(٣٥) البندر : كلمة فارسية (ج بنادر) المكان الذي ترسو عليه المراكب بالمرساة ، أو مدينة ساحلية يرأسها شاه بندر ، أي رئيس الميناء الذي يقوم بوظائف الشرطة والجمارك ، وهناك معنى آخر للبندر ، على سبيل المجاز : وهو القنصل الاجنبي الذي يتولى في أي ميناء معين حماية حقوق أبناء بلده ، والبندر استعمال غير معروف ببلاد المغرب ، وهو من الكلمات التي استعارها الاستعمال الاوربي من الفاظ البحر .. فالبرتغاليون يطلقون على الميناء (Bandel) على نحو استعارتهم لكلمة أمير البحر (Almiral) [illegible] (Azcenal) وأنجر (Anchar) وحبل (Cabl) وغراب (Alabus) [illegible] (Carraca) ورأس بر (Rasbec) على الشاطىء الغربي لباب المندب وشحر (Cach) على الشاطىء الجنوبي للجزيرة وجوادر (Guadel) جزر عند سواحل الحجاز الغربية .

عن كتاب ثلاثة أزهار في معرفة البحار لاحمد بن ماجد . تحقيق ونشر ثيودور شوموفسكي ، ترجمة وتعليق : د. منير مرسي . كلية التربية ، جامعة عين شمس ١٩٦٩ ، القاهرة .

(٣٦) يقصد بالساعية ، السفينة لانها بالفعل ساعية بين ميناء وآخر ...

(٣٧) ميناء لحضرموت ، واليه ينسب اللُبان الشحري ، لانه يوسق منه ، وكثيراً ما تنسب البضاعات للموانىء التي شحنت منها أو نزلت بها على نحو ما نسمعه عن الهيل الذي يسميه المغاربة قاقلة نسبة الى الميناء الذي ياتي منه ، وعلى نحو القهوة اليمنية التي تسمى (مخا) لانها آتية من ميناء المخا (Mokha) ، والبخور الجاوي لكونه آتي من جاوة .

(٣٨) يلاحظ أن أهل الديار الحضرمية يلزمون الكنية الالف على لغة القصر فيقولون لبني حسن : باحسن ، ولبني حسين : باحسين ، ولبني علوي باعلوي ـ انظر المشرع الروي ، ج١ ، ص ٢٨ .

(٣٩) كساء واسع يشتمل به ج شملات ، وأم شملة كنية عن الدنيا ...

(٤٠) يلح كاتب الرحلة على ترديد القهوة كمشروب لاهل اليمن الذين يقول شاعرهم :

إذا أنت لم تشرب على الصبح قهوةً
فيومك يوم لا يفارقه الكسل !

ومعلوم ان القهوة اليمنية التي كانت تشحن الى العالم من ميناء المخا (MOKHA) لم تكن معروفة آنذاك في المغرب ، وانما يعود ظهورها للقرن العاشر الهجري ، ويبدو ان هذه البداية كانت متعثرة قرابة القرنين ، فقد كتب ابو سالم العياشي (ت ١٠٩٠ ـ ١٦٧٩) في رحلته « ان أهل مصر يتكارمون بينهم بشراب البُن الذي يسمونه القهوة ، ونحن لا نعرفها وليست عندنا بطعام ولا دواء ولا شهوة ! » محمد المهناوي : القهوة بالمغرب ..

جريدة العلم ٢٩ / ٩ / ١٩٩١ .

(٤١) كلمة دخيلة من أصل مصري وليست باعجمية ، نوع من الحلوى على شكل سوار أو دملج ، وقد وردت في رحلة ابن بطوطة ، وهو بالمنطقة

عمان ...

(٤٢) القارب مال السفينة ... يعني القارب الذي هو ملك للسفينة وتابع لها ، وهذا تعبير جار على السنة المشارقة اليوم ، وبخاصة في جهات الخليج ، البيت مال الاستاذ ، أو البيت تبع الاستاذ ... وفي المغرب نستعمل تعبير ذياله ...

(٤٣) الزنبيل : ج زنابيل : الجراب أو الوعاء أو القفة ، انظر مادة (زبل) في كتب اللغة ...

(٤٤) يلاحظ انتباه كاتب الرحلة للحديث عن طعم الماء الذي يوجد في ميناء الشِّحر ووصفه بالمالح ...

(٤٥) كأن كاتب الرحلة يريد القول : بانه نظراً لكون الشريف غير مقيم في البلد فإنه لا ينبغي له أن يؤم بالناس ...

(٤٦) يلاحظ هنا ان كاتب الرحلة ذكر المبلغ عدداً ونوعاً ووصفاً على ما اشرنا في التقديم ، واذا كان عدد قطع العملة ووصفها لا يهمنا فإن نوعها : (الريال) استوقفنا كثيراً ووجدنا فيه السرّ الذي يختفي وراءه القول الفصل حول رحلة المغربي الى تريم وهو ما سنخصص له نهاية هذا التحليل .

(٤٧) مسجد بني أحمد هذا يحمل اليوم اسم مسجد بني علوي ، ويقول الاستاذ بكير : انه من اشهر مساجد تريم ... وهو المسجد العتيق فيها ، لان أول من أسسه السيد الامام علي بن علوي بعد انتقال السادة العلويين الى تريم أواخر القرن السادس ، وعندما تحدث الشلي صاحب « المشرع الروي » عن مساجد تريم المعروفة في وقته قال : وأعظم مساجدها بالاتفاق مسجد القوم المعروف قديماً بمسجد بني أحمد ، واشتهر بمسجد آل باعلوي في هذا الزمان ، ثم تضعضع بعض أركانه ذرمَّمه ولده ، ثم طال به الزمان ، فانتدب لعمارته الشيخ عمر المحضار ... والواقف اليوم على المسجد سيلاحظ ان قاعته الداخلية تتالف من ثلاثة بلاطات تاخذ من المحراب الذي تبدو عليه ملامح القدم ، وتنتهي الى صحن بسيط ، ويلاحظ انه لا توجد نوافذ لهذا المسجد وله بابان فقط ، أحدهما يوجد قبالة المحراب مباشرة والثاني دخلنا منه ، وهو من جهة القبلة ، وقد ألحقت بهذا المسجد قاعة مغلقة تتخذ جامعاً في وقت الشتاء يسمونها الحمّام ، وقد وجدتُ من مرافقه بيوتاً للوضوء والاستحمام ... ـ علي بن سالم بكير : الجامع في التاريخ الجامع ، ١٣٩٥ = ١٩٧٥ .

(٤٨) بين سنتي ٤٨٨ ـ ٤٩٨ = ١٠٩٦ ـ ١١٠٦ الف الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي كتابه الشهير : إحياء علوم الدين أثناء إقامته في دمشق والقدس من ستة عشر جزءاً زاد عدد صفحاتها على ثلاثة آلاف صفحة ، فصل فيها آداب الطعام والزيارة والحج والسفر والصوم والتلاوة والنكاح والصحبة ، ومعاشرة الخلق ، وما يليق إذ وجد الانسان في مختلف الامكنة كالمساجد والاسواق والشوارع والحمامات وغيرها فجاء موسوعة كاملة عن آداب السلوك ، استشهد فيها بالسنة وتصرفات الصحابة وكبار الشخصيات الاسلامية في مختلف المناسبات المذكورة .

(٤٩) سيرذد صاحب الرحلة (الذرة) كمادة أساسية في المنطقة ، وقد تساءلت عن السر ، فقال لي بعض الزملاء بانها كانت أرخص من الزرع .. والذي أراه أن صاحب الرحلة كان يقتدي بالرحالة المغربي ابن بطوطة وهو يتحدث عن الطعام في تلك المنطقة ، فلقد ردد ذكر الذرة مرتين عندما كان في ظفار وفي عُمان ، وهما على مقربة من حضرموت ...

(٥٠) الخوذة : ما يجمنه المحارب على رأسه ليقيه ...

(٥١) القصد الى الشفع ...

(٥٢) هناك جثا يجثو ، وجثى يجثي : جلس على ركبتيه ...

(٥٣) باغُشير بضم الغين على التصغير كما هو في المشرع الروى .

(٥٤) عم يتساءلون : سورة النبا رقم ٧٨ ـ وسورة إذا السماء انشقت : سورة الانشقاق رقم ٨٤ .

(٥٥) محمد بن عيسى الترمذي نسبة الى ترمذ .. أدركه أجله بمسقط رأسه ترمذ عام ٢٧٩ = ٨٩٢ من تصانيفه الجامع الكبير والشمائل النبوية والتاريخ والعلل في الحديث ...

(٥٦) هنا نجد أن كاتب الرحلة يقارن بين العادات في مدينة تريم والعادة في بلاده المغرب ... وقد كان هذا مما شجعني على إرضاء زملائي في اليمن لاشتغل بالرحلة وحول مصداقية هذه المقارنة ، انظر التقديم ...

(٥٧) استعمال كلمة (الجبانة) بمعنى المقبرة مطروق في المغرب الاوسط والادنى .

(٥٨) لاطئة بالارض يعني ليست كبيوت مدينة شبام التي تتصاعد طباقاً طباقاً فوق بعضها حتى تصل الى نحو تسع طبقات تقل أو تزيد .

(٥٩) ينبغي أن نقف قليلاً لنعرف عن التنافس الذي كان يظهر احياناً بين حضرموت وبين غيرها من الجهات الاخرى في اليمن .. ان كلام كاتب الرحلة يؤخذ منه ذلك ، وهو ما يمكن أن نقرأه في كتب التاريخ اليمني من أمثال كتاب قرة العيون باخبار اليمن الميمون تاليف ابي الخيا عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي (القسم الثاني) تحقيق وتعليق محمد بن علي الاكوع الحوالي ، مطبعة السعادة ، الصفا ، ١٣٩٧ = ١٩٧٧ .

(٦٠) الحديث عن العملة هنا يذكرنا في الحديث السابق عنها عندما حدد صاحب الرحلة مبلغ الاجرة التي تدفع للذي ينوب عن غيره في الحج عدداً ونوعاً ووصفاً ... وهي القضية التي سنتناولها في خاتمة هذا التحليل .

(٦١) نتساءل هنا كيف يمكن قبول عدم وجود الدينار باليمن مع أن كتب التاريخ اليمني ما انفكت تردد ذكر الدينار كعملةٍ على ذلك العهد .

(٦٢) الراتبة تعني نافلةً غيز تحية المسجد ، تؤدى عند الاذان وقبل صلاة الفريضة ، نرى هذا في مساجد المشرق التابعة لبعض المذاهب ، والمعهود في المغرب الاكتفاء بتحية المسجد وصلاة الفريضة ...

(٦٣) يلاحظ جمع الشريفة على شرائف وليس على شريفات المعهود عندنا في المغرب .

(٦٤) الذي قرأناه يا جد عبدالله ، نداء للشخص بإسم حفيده وليس بابنه ... وقد يكون الاصل يا عبدالله وأقحمت كلمة (جد) ...

(٦٥) هنا أيضاً نجد ان كاتب الرحلة يقارن بين العادات في مدينة تريم والعادة في بلاده المغرب ، وكان هذا مما شجعني ـ كما أسلفت ـ على إرضاء زملائي في اليمن ... انظر التقديم ...

(٦٦) هذا ما نسميه في المغرب (الشارد) ويختاره الشيخ من عيون طلبته النابهين لانه يكون له بمثابة المساعد الامين يرشده ـ بادب ـ لما قد ينسى الحديث عنه في تقريره ، ويجيبه عما يسال عنه مما فات في

مجالس سابقة ... وقد سبقت الاشارة الى التعريف به في التقديم .

(٦٧) هذا يذكر في قول الامام البوصيري : والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم .

(٦٨) (فما يرون أولادنا) على لغة أكلوني البراغيث ... ولم يكن هذا أول استعمال ، لهذه اللغة في المصادر اليمنية المتعلقة بهذه الرحلة .

(٦٩) هذا كلام جيّد جداً بالنسبة لرجال التربية الذي يتوقون الى تكوين ناشئة صالحة ...

(٧٠) القصد الى سورة الفاتحة : وهي السورة الاولى من القرآن الكريم ...

(٧١) حرصُ المغاربة على نيل الإجازة من غيرهم أمر معروف من قديم وقد ذكرنا في الخاتمة نموذجاً لهذا الحرص وضربنا مثلاً بابي سالم العياشي الذي استجاز الشيخ باعلوي الحضرمي ...

(٧٢) تركيب غريب من صاحب الرحلة على نحو التركيب بعده : (بانقدم) وقد جاءت غرابته من انه يشبه التعبير السائد الآن في بعض البلاد العربية ، مصر مثلاً ، والذي يفيد معنى الاستقبال سننتظر .. سنقدم ... فهل هكذا أيضاً كانت صياغة الكلام في تريم أثناء القرن التاسع ؟!

(٧٣) عبارة الشائب .. سمعتها في طرابلس (ليبيا) ، يطلقونها على الطاعن في السن وكانوا يقصدون بها الملك السابق ادريس السنوسي رحمه الله .

(٧٤) سالت بعض رفاقي في حضرموت ، عن القصد من الخصير ؟ وهل هو معروف اليوم ؟ فذكر لي انه طبيخ يشبه الهريسة المعروف بالحجاز ... وأذكر بالمناسبة ان من بين الصحون التي تناولتها علاوة على بنت الصحن (نوع من الحلوى) هناك ما سمي لي بالحضرمية وهي عبارة عما نعرفه في المغرب بـ (البيمارة) وهي تعتمد على الفول المطحون وعليه غلالة من زيت الزيتون وكمون وفلفل وليمون .

(٧٥) ليلة الرابع عشر من المحرم ٨٦٥ توافق ٣٠ تشرين الاول ١٤٦٠ فالوقت اذن وقت خريف ، ولا بد اننا سننتبه لكون التاريخ يناسب لمن غادر موسم الحج ، واتجه ـ عبر جدة نحو ميناء الشحر ...

(٧٦) سورة الحديد هي السورة رقم ٥٧ أما سورة الحاقة فتحمل رقم ٦٩ .

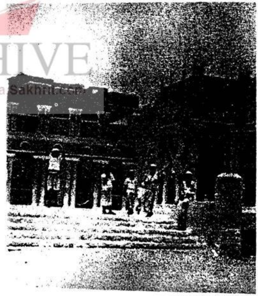
(٧٧) الاسم الكامل للتاليف : منهاج العابدين الى الجنة ، قيل انه آخر تاليف للامام أبي حامد الغزالي في التصوف .. معجم المطبوعات .

(٧٨) القصد الى صلاة الضحى

(٧٩) الزيان يعني الحسن ، يقال قمر زين

(٨٠) لا ينبغي أن ننسى ان العادة في المغرب على أن يحمل الشريف لقب (الحاج) لان انتسابه لاهل البيت يغنيه عن هذا اللقب الذي يُعطى عادة لغير الاشراف .

(٨١) يلاحظ التوثيق في ذكر تاريخ صاحب الرحلة ، وكذا في رحلة والده ، مع اعادة المعلومات التي ابتدأ بها ، والجدير بالذكر ان التاريخ الذي كُتب هنا بالكلمات كتب في نسخة لاحقة بالارقام الهندية .

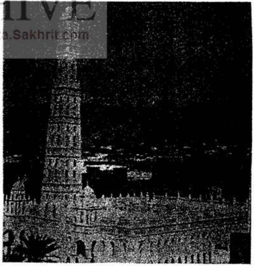


هنا تقع مدرسة الوسطى في مدينة سيئون حيث تكثر المساجد ، ومن أعظمها جامع العمودي نسبة الى اسرة تنحدر من عمود الدين .

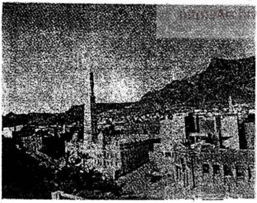




تظل المباني معبّرة عن الهوية اليمنية التي كانت مضرب المثل في الاصالة والحضارة : (لقد كان لسبأ في مساكنهم آية) .



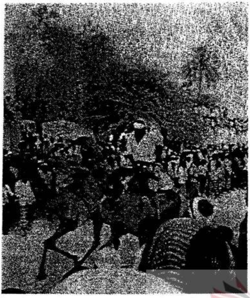
هذه مدينة ترِيم ... على مقربة من هذا الجامع توجد مكتبة الاحقاف التي تحتضن آلاف المخطوطات التي تتناول سائر حقول المعرفة .



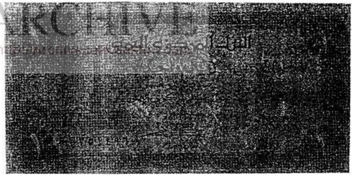
مدينة ترِيم التي تجر وراءها تاريخاً حافلاً بالاحداث والرجال ...



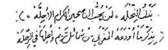
مدخل فندق البستان في تريم ، وهو اول فندق في المدينه ، ويتوفر على مسابح تستمد مياهها من عيون صافية دافئة .



على مقربة من تريم يقع قبر النبي هود عليه السلام ، ويقصدها الزوار عادة على الجمال ويحتفل بعودتهم للمدينة بطريقة خاصة .



الريال كان المفتاح للوصول الى الحقيقة !



غلاف مخطوطة صنعاء التي أهديت لي يوم ٩ / ٩ / ١٩٩٢ ، ويلاحظ أنها تحمل هذا العنوان : (بذل النحلة ، لمن يحب الناصحين الكرام الأجلة بذكر ما أودعه المغربي من شمائل تريم وأهلها في الرحلة) .


بسم الله الرحمن الرحيم
هذه رحلتي الى مدينة تريم اختصرتها غاية الاختصار
وقد ... الى هذه المدينة المباركة مدينة تريم والدي
رحمه الله الآن رحلته كانت وانا في سن الطفولية فلما
ترعرعت وصرت احضر درسه سمعته ذات يوم يذكر
دولة الى حضرموت ويخصص بالذكر بلدا هناك اسمها
تريم وقال ... ذات يوم من الايام بتريم في مسجد ...
الاشراف اهل البيت الطاهرين من العلم والعمل الساكنين
بتريم ...

صورة من الورقة الاولى من رحلة « المغربي » عن مخطوطة مكتبة الاحقاف لمدينة تريم



توصيل من الاشراف العلويين بالمشرق عما توصلوا به من العاهل المغربي في محرم الحرام ١١٩٥ .



احدى الوثائق الرسمية التي تعبّر عن صلة العلويين الحسنيين في المغرب بالعلويين الحُسينيين في المشرق.
رسالة من ملك المغرب محمد بن عبدالله الى أولاد عمه هناك ، وهي بتاريخ ١٤ ذي الحجة.



جانب من مخطوطة (صلة الاهل) المحفوظة في مكتبة الاحقاف بمدينة تَريم ونجد فيها أن الرحلة قرئت مراراً عديدة على الإمام أحمد ابن حسن العطاس فايدها وأوصى بالتمسك بما فيها ... ومن كلامه رضي الله عنه قوله : لاحت لي بارقة في شان رحلة المغربي الى تريم ..

من قواعد التحقيق العلمي

توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه

بقلم
هـــلال ناجـــي
الاعظمية ص . ب ٤٠٦٨

كان العلامة عبدالسلام محمد هارون رائداً في تقعيد قواعد « تحقيق النصوص ونشرها » لم يسبقه أحد من العرب ـ فيما أعلم ـ إذ صدرت الطبعة الاولى من كتابه هذا سنة ١٩٥٤ .

وكان الفقيد قد أشار في مقدمة طبعته الاولى هذه الى محاضرات المستشرق الالماني برجستراسر بكلية الآداب المصرية ، وذكر انه لم يوفق الى الاطلاع على شيء منها .

وبالفعل فان هذه المحاضرات[1] لم تصافح عيون القراء إلّا عام ١٩٦٩ حين أعدها وقدم لها الدكتور محمد حمدي البكري ونشرها بعنوان « اصول نقد النصوص ونشر الكتب » .

ان فقيدنا الجليل قد تناول موضوع « تحقيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم المؤلف » في كتابه المشار اليه بصورة مختصرة[2]، كما افرد فقرة في محاضرته القيمة المعنونة « تجربتي مع التراث العربي » لموضوع « تصحيح نسبة الكتب الى مؤلفيها »[3] وهي مما يندرج في باب « تحقيق اسم المؤلف » .

وقد رأيت ان أصل حبلي بحبله ، وأن أفصّل الحديث في هذا الموضوع من خلال تجربتي وما وقفت عليه ، وأن أصنع من هذا كله باقة أضعُها بتواضع عند قبره وهو يرقد رقدته الابدية ـ رحمه الله ـ تعبيراً عن عظيم تقديري لجهوده الخالدة في احياء التراث العربي وتأصيل قواعد نشره .

ان عنوان المخطوط قد يكون مفقوداً أو منظماً أو مزيفاً . وقد يكون المخطوط غفلاً من اسم المؤلف ، أو منسوباً لغير مؤلفه .

وكنت حين عقدت النية على تحقيق ألفية الآثاري في الخط قد وُفِّقْتُ الى الحصول على ثلاث مخطوطات منها ، فالنسخة التي اتخذتها أمّاً وهي نسخة السيد حسن حسني عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ كانت خالية من عنوان المخطوطة واسم ناظمها معاً .

وكانت مخطوطة العطارين بتونس منسوبة لمؤلفها ولكنها زائفة العنوان ، ابتكر لها الناسخ عنواناً من عنده هو : « سبيل الدراية في علوم الخط وفنون البراية » .

وخلت المخطوطة الثالثة وهي مخطوطة جامعة برنستون من العنوان ايضاً ، ولكنها نسبت لمؤلفها الحقيقي .

فعنوان المخطوط كان مفقوداً في النسخ الثلاث ، لكنني بعد التنقير عنه ظفرت به في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي الذي أورد عنوانها وهو « العناية الربانية في الطريقة الشعبانية »[4] وأشاد بها في قوله : انّ الآثاري لم يسبق الى مثلها ، ثم أورد بعض آراء الآثاري في الخط منثورة نقلًا عن الالفية في ثلاثة عشر موضعاً .

وقد عزز ما تقدم بيت في الالفية نصه :

فـاغز بهـا يـا طـالب « العنـايـه »
مـــا زينـة الـراوي سـوى الـدرايـه

هذا بالاضافة الى ان مصنف الالفية قد نص على اسمه في متنها بقوله :

واعطف وقــل بـالفضــل والاحســان
يـا ربّ جد بـالعفو عن « شعبـان »

واذكر انني حين تصديت لنشر كتاب « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب »[5] لمؤلفها عبدالرحمن بن يوسف ابن الصائغ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ كانت بحوزتي اربع مخطوطات من هذا الكتاب أقدمها مخطوطة دار الكتب الوطنية في تونس واصلها مفقود وكانت على ميكروفلم مخرومة الوسط ، وكانت غفلًا من العنوان ومن اسم المؤلف ، وقد كتب على الورقة الاولى ما نصه « رسالة في علم الكتابة » .

أمّا المخطوطة التيمورية فقد كتب على الورقة الاولى منها « رسالة في الخط وبري القلم » لابن الصائغ .

وكانت مخطوطة السيد حسن حسني عبدالوهاب غفلًا من العنوان ومن اسم المؤلف .

وأمّا المخطوطة الرابعة وهي مخطوطة دار الكتب المصرية فقد كان عنوانها « كتاب فيه صناعة الكتابة » تاليف الشيخ عبدالرحمن ابن الصائغ .

وقد اضيف الى اعلاها وبخط مغاير عبارة « كتاب تحفة اولي الالباب » .

المخطوطات الاربع كانت غفلًا من العنوان . غير اني جزمت به مستنداً الى ما ورد في ايضاح المكنون ١ / ٢٤٣ من وجود نسخة من « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب » تاليف عبدالرحمن بن الصائغ في دار الكتب العمومية وهو دليل يؤكد عنوان المخطوط ، ولانه

ليس لابن الصائغ كتاب في الخط غير « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب » كما نص على ذلك مترجموه .

×

ومن الكتب المخطوطة التي نشرت بعنوان مغلوط منسوبة لغير مؤلفيها الكتاب المعنون « نقد النثر » المنسوب لقدامة بن جعفر والذي حققه ونشره الدكتوران طه حسين وعبدالحميد العبادي معتمدين على نسخة الاسكوريال الناقصة ، وطبع مرات بهذا الاسم المغلوط والنسبة المغلوطة .

ثم لما ظفر الدكتور علي حسن عبدالقادر بمخطوطة كاملة من الكتاب في مكتبة جستر بتي في دبلن بارلندة ، صحح خطأ شاع سنين طويلة ، فاذا عنوان الكتاب الحقيقي « البرهان في وجوه البيان » واسم مؤلفه اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، وبعنوانه الصحيح هذا وبنسبته الصحيحة الى مؤلفه الحقيقي طبع الكتاب في بغداد ثم طبع في القاهرة[١].

وتواجه المحقق صعوبة بالغة حين تكون المخطوطة فريدة من جهة ، وغفلاً من عنوانها واسم مؤلفها من جهة اخرى .

فلا بُدّ أنذاك من البحث عن الدليل العقلي والدليل النقلي لاثبات عنوان المخطوط الضائع واسم مؤلفه المجهول .

ففي دار الكتب المصرية مخطوط فريد محفوظ برقم ٢٢٨١ ـ تاريخ تيمور ، فقدت منه صفحة عنوانه ، والصفحة الاولى من خطبة مؤلفه ، فضاع بذلك عنوان الكتاب واسم مؤلفه معاً . وقد وهم بعض مفهرسي دار الكتب فسمّوا الكتاب « تراجم الشعراء » ونحلوه الى الثعالبي .

ان دراسة النص من الداخل كانت تنفي نسبة الكتاب الى الثعالبي ، فقد ورد في المخطوط شعر لابن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، والثعالبي توفي سنة ٤٢٩ هـ . وفيه شعر في مدح عائلة الدوامي وهي اسرة اشتهرت في اواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين .

ووردت في النص عبارة تدل على انه صنف أيام المستنصر بالله العباسي الذي ولي الخلافة سنة ٦٢٣ هـ وهي : « وأنا أقول : قاتله الله ، لو شاهد هذه الايام المستنصرية » فلا وجه اذن لنسبة هذا المخطوط الى الثعالبي ، فهو مصنف بعد وفاته بقرنين . وبدأت رحلة محقق الكتاب الاستاذ شاكر العاشور وراء اسم المخطوط واسم مصنفه التي استمرت عشر سنين وانتهت بالتوفيق والنجاح التامين .

لقد وجد المحقق في المخطوط اشعاراً نسبها المصنف الى نفسه مدح بها بعض خلفاء بني العباس ، وقد ازال بعض العابثين اسم الممدوح .

وقد ظفر المحقق المذكور ببعض تلك القصائد في مخطوطة ديوان ابي المجد اسعد بن ابراهيم بن الحسن بن علي الاربلي ، مما مدح به الخليفة المستنصر بالله العباسي وهي مخطوطة أصلها في الظاهرية ومصورتها في المجمع العلمي ببغداد . وهكذا توصل الى اسم مصنف المخطوط . وبقي أمر الغوص في مظان ترجمته بحثاً عن « عنوان المخطوط » ومن خلال رحلة المحقق المضنية هذه وقف عن كتاب « تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي وفيه ترجمة لمجتني المروءة عبدالله بن أحمد الحنفي » ورد فيها ما نصه : « ذكره شيخنا الصدر العالم مجد الدين أسعد بن ابراهيم النشابي الاربلي في كتاب « المذاكرة في ألقاب الشعراء » وقال : كان عبدالله بن أحمد الحنفي يلقّب مجتني المروءة ، وكان صديقاً لعبدالله بن المقفع . ولقّب مجتني المروءة لكثرة ذكره المروءة ، فحق ذلك قوله :

لا تحسبَنّ أنّ المـــرو
ءَةَ مطعمٌ ، أو شــرب كـــاس
أو في الـــولايـــة والمـــوا
كب ، وللـــراكب ، واللبـــاس
لكنّهـــا كَـــرَمُ الفـــرو
ع ، زكَتْ على كرم الغراس » .

وهذا النص منقول من المخطوطة الفاقدة العنوان ، وبالظفر به توصل المحقق بشكل قاطع الى اسم المخطوط وهو « المذاكرة في القاب الشعراء »[٢].

مثل هذا العناء عانته الدكتورة وداد القاضي حين وقفت أمام مصورة مخطوطة محفوظة في مكتبة كوبريللي بالاستانة عنوانها جواهر الحكم ورقمها ١٢٣٤ تم نسخها سنة ٥٩٧ هـ .

فقد وجدت ان صفحة العنوان كتب عليها بخط واضح « كتاب النوابغ والحكم للزمخشري رحمه الله تعالى أمين » . بينما جاء على ظهر الورقة نفسها ما يلي : « قال بديع الزمان الهمذاني رحمه الله تعالى برحمته وأسكنه اعلى فسيح جنته بمنّه وكرمه » . الى أن يقول في الصفحة ذاتها : « فهذا كتاب لقبته « جواهر الحكم ونوابغ الكلم » ..

فالمخطوطة تنسب مرة للزمخشري وثانية لبديع الزمان الهمذاني ، واسمها على صفحة العنوان « النوابغ والحكم » . واسمها في داخل النص « جواهر الحكم ونوابغ الكلم » . وقد اكتشفت المحققة ان خط الصفحتين الاولى والثانية مختلف عن خط سائر المخطوطة ، فجزمت بأن الورقة الاولى دخيلة على الكتاب دون ريب . وتساءلت هل يمكن أن تكون المخطوطة من تاليف الزمخشري ، فنفت ذلك لأسباب عدة من بينها ان المؤلف يتحدث عن أناس لقيهم وعن أمور شاهدها في القرن الرابع الهجري ، والزمخشري توفي سنة ٥٣٨ هـ . ولأن المخطوطة تعج بالهجوم على المتكلمين ، وخاصة المعتزلة ، ومثل هذا لا يمكن أن يصدر عن الزمخشري وهو معتزلي . ثم ناقشت المحققة مدى صلة هذا المخطوط ببديع الزمان وبكتاب منسوب اليه اسمه « جواهر الحكم ونوابغ الكلم » فجزمتْ بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يصنفه بديع الزمان لان مؤلفه يتحدث عن أمور شاهدها سنة ٣٤٣ هـ ، ولم يكن بديع الزمان قد ولد حينئذ .

وهكذا وجدت نفسها أمام مخطوط مجهول العنوان ، مجهول اسم المؤلف .

ولغرض التوصل الى مؤلف الكتاب فانها درست النص من الداخل دراسة واعية متأملة بهدف تحديد الزمان الذي عاش فيه والمكان الذي تحرك خلاله ، والاشخاص الذين درس عليهم أو قابلهم ، وموافقه منهم ، ثم الركائز الفكرية التي اعتمدها في الحقول العلمية المختلفة كالدين والفلسفة والكلام والاخلاق ، فضلاً عن الاوضاع الاجتماعية والنفسية التي كان يعبّر عنها ، والمشكلات الشديدة الظهور في ادبه ، وانواع نشاطه الادبي ، فانتهت من ذلك كله الى أن هذا الكتاب المجهول هو من تصنيف ابي حيان التوحيدي ، وانه جزء من كتاب اكبر منه .

ان هذه الادلة كانت تمثل الدليل العقلي ، وهي لوحدها غير كافية لتاكيد نسبة الكتاب الى « التوحيدي » ما لم تعزز بالدليل النقلي . وقد كان لها ذلك حين وفقت الى مخطوطة كتاب رحلة قطب الدين النهروالي المتوفى سنة ٩٢٠ هـ ، فوجدت النهروالي فيها ينقل في مواضع كثيرة عن كتاب « بصائر الحكماء وذخائر القدماء لأبي حيّان التوحيدي » وان ما ينيف على عشرين نقلاً من البصائر قد وردت في المخطوطة المجهولة التي كانت تحاول تحقيق عنوانها ونسبتها .

وهكذا تظافر الدليل النقلي مع الدليل العقلي في اثبات ان هذه المخطوطة هي جزء من كتاب « البصائر والذخائر » لابي حيان التوحيدي(٨).

شبيه بهذا مخطوطة ظفر بها العالم الجليل الشيخ حمد الجاسر في مكتبة دير الاسكوريال في اسبانيا . كانت غفلاً من اسمها ومن اسم المؤلف . وقد استرعت اهتمام الشيخ لان مصنفها اورد نصوصاً لغوية عن قدماء علماء اللغة ومقطوعات شعرية لشعراء متقدمين ، واخبار وحكم وامثال ، قلّ أن يعنى بها من ليس من جلة العلماء . ومن خلال استقراء النص توصل الى انّ مصنفها عاش في شرق البلاد الاسلامية في القرن الخامس الهجري . توصل الى ذلك من خلال شيوخه اللذين أخذ عنهم ، وكان مصنف المخطوطة قد ذكر من اجداده اسحاق بن أبي العباس الاموي ، مما أكد انتسابه الى بني امية . كما ذكر من مصنفاته « الدرة الثمينة » و « الفيصل » و « تلو الحماسة » و « منية الاديب » .

وفي ضوء ما تقدم من حقائق استطاع الشيخ حمد التوصل الى مصنف المخطوطة وهو الشاعر المشهور محمد بن احمد الابيوردي ، الذي عدّ ياقوت في معجم الادباء كتاب « الدرة الثمينة » من مصنفاته . وتأكد ذلك أيضاً بما ورد في مخطوطة « زاد الرفاق » ـ وهي من مؤلفات الابيوردي المحفوظة بدار الكتب المصرية ـ إذ ورد فيها قول الابيوردي في اثناء الكلام على حماسة ابي تمام : ...وتقفيت اثره في انتقاء ما يضاهيها من أشعار المحدثين ، ووسمت الاوراق المشتملة عليها بـ : « تلو الحماسة » . عزز هذا كله ما عُرف به الابيوردي من اهتمام باللغة إذ اجمع ياقوت والذهبي والسيوطي على انه له في اللغة مصنفات لم يسبق اليها . وهكذا توصل الشيخ الجاسر الى اسم المصنف وإن لم يستطع إماطة اللثام عن اسم المخطوطة .

ومن المخطوطات التي زُيّف عنوانها واسم مؤلفها ، مخطوطة في دار الكتب الوطنية في تونس تحمل رقم ٣٧٤٥ عنوانها « كتاب ري الظما في من قال الشعر من الإما » تأليف ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي .

وحين قام الدكتور جليل العطية بفحص المخطوطة ودراستها من الداخل انتهى الى انها لا يمكن أن تكون من تصنيف ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، لانّ مصنفها ينقل عن رواة عاصرهم توفوا في القرن الرابع الهجري ومنهم : محمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩ هـ) وعلي بن سليمان (ت ٣١٥ هـ) وجعفر بن قدامة (ت ٣١٩ هـ) وجحظه (ت ٣٢٤ هـ) .

ومن المستحيل على ابن الجوزي سماع اشخاص توفوا قبله بنحو قرنين . ثم ان المصنف أشار في مخطوطته هذه الى كتاب آخر له يدعى « القيان » وهو من مصنفات ابي الفرج الاصفهاني الشهيرة .

وبالاضافة الى هذا فانه روى كثيراً من اخباره عن عم له يدعى الحسن بن محمد ، والحسن هذا عم ابي الفرج الاصفهاني ـ كما تذكر المصادر ـ (انظر نقط العروس لابن حزم ص ١١٢) .

ثم ان المصادر التاريخية وكتب الطبقات تذكر لابي الفرج الاصفهاني كتاباً باسم « الاماء الشواعر » وهذا ينطبق مع مادة المخطوطة انطباقاً تاماً .

وقد انتهى محقق الكتاب(٩) من هذا كله الى ان عنوان المخطوطة الصحيح هو « الاماء الشواعر » وان مصنفها الحقيقي هو ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني .

ومن المخطوطات التي نسبت الى غير مصنفيها مخطوطة « توشيع التوشيح » . فقد نسب الكتاب في الصفحة الاولى من المخطوطة الى محمد بن عساكر .

ومحمد بن عساكر هذا هو ناسخ المخطوطة وليس مصنفها .

ان هذا الكتاب في الاصل يضم مجموعة من الموشحات الاندلسية والمغربية والمشرقية مع معارضاتها التي نظمها مصنف المخطوط .

وقد استطاع محقق الكتاب العثور على بعض هذه المعارضات في كتب اخرى منسوبة الى الصفدي ، فصحّت نسبة الكتاب اليه(١٠).

ومن المخطوطات التي نسبت الى غير مصنفيها مخطوطة جوتنجن من كتاب « الموفقيات » فقد كتب على ورقة العنوان ما نصه :

الموفقيات لابي عبدالله الكاتب الدمشقي

ولكنّ مخطوطة باش اعيان العباسيين بالبصرة من الكتاب ذاته صححت هذا الوهم حين نسبت المخطوطة الى الزبير بن بكار .

وقد طبع الكتاب بعنوان « الاخبار الموفقيات »(١١)، واعتقد ان الاصوب في تسميته ، « كتاب الموفقيات في الاخبار » على ما ذكر ابن النديم في الفهرست . أو « الموفقيات في الأخبار والاشعار » على ما ذكر ابن خير الاشبيلي .

ومن المخطوطات النادرة التي حققناها مخطوطة محفوظة في مكتبة نور عثمانية بالاستانة وعليها رقمان رقد قديم هو ٣٧٤٥ ورقم حديث هو ٣٢٢٤ . والمخطوطة غفل من اسمها واسم مؤلفها ، وغفل من تاريخ نسخها واسم ناسخها وهي من موقوفات السلطان عثمان خان بن السلطان مصطفى خان .

ولتمرسنا باسلوب ضياء الدين ابن الاثير والمامنا بدقائق حياته ، فقد جزمنا بأنها جزء من رسائله بالادلة الآتية :

١ - ان استقراء مناسبات هذه الرسائل يرسم لنا صورة للحياة السياسية والادبية التي عاشها ضياء الدين ابن الاثير ، وهي صورة لا تختلط بغيرها من حيث الشخوص والاحداث وتقطع بنسبة هذه الرسائل اليه .

٢ - قال ابن خلكان في ترجمة ضياء الدين ابن الاثير في وفيات الاعيان ٥ / ٣٩١ ما مثاله : « وله في كيفية خروجه مستخفياً رسالة طويلة ، شرح فيها حاله . وهي موجودة في ديوان رسائله » .

وأقول : ان هذه الرسالة موجودة في كتابنا هذا تحت رقم (٣٨) . وهي من أوثق الادلة على ان المخطوطة المجهولة هي جزء من ديوان رسائله .

٣ - ومما عزز نسبة المخطوطة لضياء الدين ابن الاثير ، الرسالة المرقمة (٣٩) - بحسب ترقيمنا - ، فقد صدرها بقوله : « كتاب كتبه في المعنى الى أخيه الاكبر مجد الدين أبقاه الله تعالى » .

فمعلوم ان المحدث الكبير مجد الدين المبارك هو الاخ الأكبر لضياء الدين ابن الاثير .

٤ - ومن الادلة القاطعة ان نقولاً من هذه الرسائل قد اثبتها ابن الاثير في بعض مصنفاته وعزاها لنفسه صراحة ، ومن ذلك القطعة الواردة في الرسالة رقم ٥٦ والتي اولها : « ولكنها الايام التي تبدي لنا من جورها كلّ غريبة ... » فهذه القطعة اوردها ابن الاثير في المثل السائر ١ / ١٩٦ ونسبها لنفسه ، وصدّرها بقوله : ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب أذم فيه الزمان ، ثم اورد النص المتقدم .

٥ - ومن ذلك ان ابن الاثير اورد في المثل السائر ١ / ٣٦٧ قطعة من رسالة كتبها الى الملك الافضل يهنيه بملك مصر . وهذه القطعة هي جزء من الرسالة رقم ١٩ من مخطوطتنا المجهولة .

٦ - ان المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم ابن الفرات قد اثبت في الجزء الثاني من المجلد الرابع ص ١٧٤ - ١٧٥ من تاريخه ، قطعة من رسالة كتبها ابن الاثير الى بعض اخوانه . وهذه القطعة على ما شابها من تصحيف وتحريف هي بعض من الرسالة المرقمة ٣٨ من مخطوطتنا المجهولة . وقد عزز نسبتها الى ابن الاثير ان ابن واصل في كتابه « مفرج الكروب » ٣ / ١١٢ أوردها منسوبة الى ابن الاثير .

وهكذا تظافرت الادلة لتقطع كل شك وترد كل شبهة في صحة نسبة هذه الرسائل لضياء الدين ابن الاثير ، وفي انها جزء من ديوان رسائله الذي قال عنه ابن خلكان انه في عدة مجلدات[١٢].

وقد يعتري المخطوط تغيير في عنوانه من صُنع محققه ، كما حدث لكتاب « الوسائل الى معرفة الاوائل » لعبدالرحمن السيوطي ، الذي نشره المرحوم محمد اسعد طلس في بغداد عام ١٩٥٠ بعنوان « الوسائل الى مسامرة الاوائل » خلافاً لما نص عليه السيوطي في مقدمته . ثم أعاد نشره الدكتوران ابراهيم العدوي وعلي محمد عمر في القاهرة سنة ١٩٨٠ بعنوانه الصحيح[١٣].

نظير هذا نشرة المرحوم عبدالعزيز الميمني الراجكوتي لكتاب ابي عمرو الزاهد فقد نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - بعنوان « كتاب المداخلات » والصواب انه « المداخل في اللغة » كما نصّ على ذلك المعري في رسالة الغفران وبالعنوان الصحيح نشره محمد عبدالجواد في القاهرة[١٤].

ومن المخطوطات التي وهم بروكلمان وصانع فهرس دار الكتب المصرية بالقاهرة في نسبتها المخطوطة الفريدة المرقمة ١٥٠٠ أدب . فقد أشار بروكلمان في اثناء ترجمة شُميم الحلي الى مخطوطتين من كتابه « الأنيس الجليس في التجنيس » احداهما في الموصل والاخرى في القاهرة وهي مخطوطتنا موضوعة الكلام[١٥].

وحين قصدت الموصل ووقفت على المخطوطة المذكورة ، وجدت أن لا علاقة لها بشميم الحلي ولا بفن التجنيس ، وانما هي مخطوطة مجهولة المؤلف اغلبها قصص ومواعظ دينية وعنوانها « أنيس الجليس في التجليس » - كذا - وهي في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل . ومصدر الوهم الذي وقع فيه بروكلمان ، اعتماده على كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي . وحين صوّرت مخطوطة القاهرة اتضح انها تخلو من ذكر مؤلفها ، وان صانع فهرس دار الكتب المصرية توهم ان مصنفها هو شميم الحلي لمّا وجد في المصادر التي ترجمت للاخير من اشارة الى كتاب له عنوانه « أنيس الجليس في التجنيس » ، ولم يلتفت الى الفرق الظاهر بين العنوانين . فمخطوطة دار الكتب تحمل عنوان « الأنيس في غرر التجنيس » وكتاب شميم الحلي المفقود كان بعنوان « أنيس الجليس في التجنيس » فشتّان ما هما .

حين انتفت نسبة هذه المخطوطة الى شميم الحلي بخلوها من اسمه واختلافها كلياً عن مخطوطة الموصل ، كان عليّ فحص النص من الداخل والغوص في كتب الطبقات والتراجم بحثاً عن مؤلفها . فتضافرت لديّ الادلة الآتية مؤكدة ان الكتاب من تصنيف الامام عبدالملك بن محمد الثعالبي :

١ - ان الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ في مخطوطة الوافي بالوفيات - القسم الثاني الورقة ٢٦٩ قد ذكر للثعالبي كتاباً

عنوانه « الأنيس في غزل التجنيس » .

٢ ـ ان ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ في مخطوطة عيون التواريخ الورقة ٤٥٧ ذكر كتاباً للثعالبي عنوانه « الأنيس في غزل التجنيس » .

٣ ـ وذكر ابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ في مخطوطة طبقات النحاة واللغويين كتاباً للثعالبي عنوانه « الأنيس في غريب التجنيس » .

وليس يخفى على العارفين بالمخطوطات سهولة تحريف كلمة (غزل) الى غزل أو غريب .

٤ ـ ان مصنف المخطوطة المصرية يشير في مقدمته الى كتاب آخر له في هذا الفن إذ يقول : « وبعد فان اجناس التجنيس كثيرة ، واقسامها جمّة ، ولهذا الخادم في تعديد اقسامها وايراد أمثالها والتنبيه على عيونها وعيوبها ، وغررها وعررها كتاب لطيف يجمع مستوفاها وناقصها ومشاكلها ومماثلها ومشتقها ومركبها ، وغير ذلك مما يطول الكتاب بسياقة ذكره واعادة شرحه ... » . وليس يخفى ان للثعالبي كتاباً آخر عنوانه « أجناس التجنيس » ذكرته المصادر بهذا الاسم ونشره الدكتور ابراهيم السامرائي بعنوان « المتشابه » وهذا دليل آخر يعزز ان المخطوطة للثعالبي .

٥ ـ تنحاز مقدمات كتب الثعالبي بالآتي :

آ ـ اهداؤها الى بعض مشاهير عصره ، متخذاً من المقدمة والاهداء سبيلًا لاسباغ المدائح على من أهدي اليه الكتاب ، استجلاباً لرضاه وتقرباً منه ، واستدراراً لعطائه .

ب ـ انه اعتاد في مقدماته أن يذكر مادة الكتاب ، ويعدد ابوابه بشكل تفصيلي .

وهاتان الميزتان واضحتان تمام الوضوح في مقدمة مخطوطتنا هذه ، مما يعزز نسبتها للثعالبي .

٦ ـ من خصائص كتب الثعالبي : الاعادة . فهو ينقل نصوصه ومعلوماته من كتاب الى آخر ، ولكنه في هذا النقل وتلك الاعادة يعرضها عرضاً جديداً ، وكثيراً ما يستشهد بالشواهد ذاتها ولكن في مبحث جديد ولغرض جديد . فهو يستخدم النصوص ، ذاتها استخدامات متعددة في كتب متعددة لاغراض متعددة . وهذه الصفة واضحة في مخطوطتنا هذه . فشواهدها الشعرية تطفح بها كتب الثعالبي ولا سيّما « اليتيمة » ، لكنه هناك أوردها في غضون تراجم شعراء معينين كمختارات من اشعارهم ، أمّا هنا فانّ هذه الشواهد ترد لتاكيد غرض من اغراض التجنيسات المركبة التي عقد عليها الكتاب .

٧ ـ وثمة دليل آخر فان الشعراء الذين استشهد المؤلف باشعارهم هم من الذين ألف الثعالبي الاستشهاد باشعارهم في مصنفاته ، كالبستي وابي الفضل الميكالي والمطوعي وقابوس بن وشمكير وابن دُوَسْت وابن مطران والعتبي والرستمي والصاحب بن عباد وسواهم ، وليس فيهم شاعر واحد متاخر عن عصر الثعالبي . وهذا دليل داخلي يدعم ان الكتاب من تصفيه .

وهذا كله انتهى بنا الى تاكيد نسبة الكتاب الى أبي منصور الثعالبي[16] انموذج آخر من المخطوطات المجهولة المصنف واجهت صديقنا الدكتور طارق الجنابي واعني كتاب « ائتلاف النُصرة في اختلاف نُحاة الكوفة والبصرة » في مخطوطته الفريدة المحفوظة في مكتبة شهيد علي بالاستانة برقم ٢٣٤٨ . كانت المخطوطة غُفْلًا من اسم المؤلف ، واسم الناسخ . غير ان الناسخ ذكر انه فرغ من نساختها سنة ثماني مئة للهجرة . وكان الدكتور احمد صبحي فرات قد نشر بحثاً قيّماً في مجلة المانية عن مؤلف هذه المخطوطة استطاع من خلال النص التوصل الى الحقائق التالية :

١ ـ ان المصنف عاش في زمن الملك اليمني الاشرف اسماعيل بن العباس (٧٧٨ ـ ٨٠٣ هـ) الذي تذكر المصادر اهتمامه بالعلم والشعر ، والمصنف خدمه بهذا الكتاب .

٢ ـ ان كتب التراجم والتواريخ تذكر عدداً من العلماء المقربين من الملك الاشرف من بينهم : عبداللطيف الشرجي (ت ٨٠٢ هـ) وابنه احمد بن عبداللطيف (ت ٨١٢ هـ) .

٣ ـ ان مؤلف المخطوطة من تلامذة الفيروز أبادي مؤلف القاموس المحيط إذ ذكره في المخطوطة بعبارة : شيخنا .

وقد رجح الدكتور المذكور ان مصنف المخطوطة هو « احمد بن عبداللطيف الشرجي » لأن الزبيدي ذكره في خطبة تاج العروس كواحد من تلامذة الفيروز أبادي الذين قرأوا القاموس المحيط عليه عام ٧٩٧ هـ ، وقد ذكر احمد هذا انه قرأه على المؤلف .

أمّا الدكتور طارق الجنابي فقد رجّح ان مصنف هذه المخطوطة هو « عبداللطيف الشرجي الزبيدي للاسباب الآتية :

١ ـ ان المترجمين للأب وللابن ، عدّوا للاب كتباً ومصنفات ولم يذكروا لابنه شيئاً من ذلك .

٢ ـ ان السخاوي في الضوء اللامع عدّ الاب شيخاً للنحاة في عصره بقطره وان الملك الاشرف قرأ عليه بعض تصانيفه ، وان الملك المذكور كان شديد الحفاوة به وقد بالغ في الاحسان اليه . فلا بدع أن يخدمه الاب بهذا الكتاب .

٣ ـ ان الانتهاء من تصنيف الكتاب وقع سنة ٨٠٠ هـ ، والابن لم يجاوز الثامنة والشعرين من عمره في حين ان عمر الاب ثلاثة وخمسون عاماً ، وهو عمر النضج والشهرة ورسوخ القدم .

وهكذا قرّ عند الدكتور طارق ان المؤلف هو عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي الزبيدي اليماني . لا ابنه احمد بن عبداللطيف[17] .

وفقدان اسم المصنف من المخطوط مشكلة واجهتها وأنا احقق مخطوطة « منهاج الاصابة »[18] فقد كانت المخطوطة فريدة في الدنيا محفوظة بدار الكتب الوطنية في تونس برقم ٧٩٦٩ وورقة العنوان فيها مكتوبة بخط مغاير للنص، ممّا يؤكد سقوط ورقة الاصل. لكن ذلك لم يقدح في صحتها إذ ورد عنوان الكتاب في مقدمته حيث قال المؤلف : « ولمّا رأيتُ هذه الصناعة الشريفة الثناء، العظيمة السناء، قد درست معاهدها، وطمست معالمها، وفسدت آلاتها، وتغيرت حالاتها، عملت هذا الكتاب وسمَّيْتُهُ « منهاج الاصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة » ليكون تذكرة لي في مدة حياتي، وأثراً صالحاً بعد مماتي » .

ولقد ثبت لي بالدليل القاطع انّ هذه المخطوطة هي كتاب « منهاج الاصابة » حين ظفرت بنقول منها أوردها القلقشندي في صبح الاعشى في الصحائف ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ من الجزء الثالث، وكانت هذه النقول جميعها موجودة في مخطوطتنا هذه. لكنّ المخطوطة كانت خُلْواً من اسم المصنف، فكان سندنا في التوصل اليه ما ذكره الزبيدي في « حكمة الاشراق » من ان محمد بن احمد الزفتاوي قد صنّف في علم الخط كتاب « منهاج الاصابة » وانتفع به أهل مصر. وكان سندنا أيضاً ما ذكره مصنف المخطوط من انه مختصر في قلم الثلث وما ابتُكر منه من الاقلام، وهو الوصف ذاته الذي وصف به القلقشندي هذا الكتاب .

واذكر انني قرأت على الصحيفة ٣٢٨ من المجلد السادس من مجلة معهد المخطوطات ـ وهو مجلد قديم صدر عام ١٩٦٠ ـ، خبراً مفاده وجود مصورة فريدة لديهم من (شرح ديوان الحسن بن أسد الفارقي) أصلها في كتابخانة ملي طهران برقم ٢٧٦ .

فاستأثر الخبر باهتمامي لاني كنت آنذاك اصنّف كتاباً عن الحسن بن أسد الفارقي أضمّ اليه ما تناثر من شعره في شتيت المظان، فبعثت الى المعهد اطلب مصورتها. فلما وردت وفحصتها من الداخل اتضح انها ليست شرحاً لديوان الفارقي ولا ديواناً له. وانما هي نسخة اخرى من كتاب « الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب » للحسن بن أسد الفارقي أيضاً. وهذه النسخة لم يكن قد وقف عليها محقق « الافصاح » الاستاذ الجليل سعيد الافغاني، كما لم يقف على مخطوطة اوقاف بغداد. وقد اعتمد في نشرته الثانية وهي نشرة علمية متقنة صدرت ضمن منشورات جامعة بنغازي سنة ١٩٧٤ على مخطوطات المدينة المنورة وباريس ودار الكتب المصرية[19].

وقد تنبه الاستاذ الفاضل عبدالاله نبهان الحمصي الى خطأ في الجزء الأول من فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية صحيفة ٣٩٩ ـ رقم الكتاب ١٧٧ . إذ ذُكر ان هذا المخطوط هو : (نظم الضوابط النحوية للسخاوي). وقد توصل الباحث الفاضل الى خطأ ذلك، وان وجه الصواب فيه ان المخطوطة هي (نظم الفرائد للمهلبي) حيث قورنت المخطوطة بما نقله السيوطي في الاشباه والنظائر النحوية ٢ / ٤٤ عن المهلبي[20].

ومن المخطوطات التي نسبت الى غير مؤلفيها كتاب « الحنين الى الاوطان » فقد نشره اعلام معروفون منسوباً الى الجاحظ. نشره اولًا الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة سنة ١٩١٥ ، ونشره المستشرق الشهير ريشر ضمن مجموع يضم ٢٩ رسالة من آثار الجاحظ. وهي فيه الرسالة الخامسة والعشرون ـ طبع المجموع في شتوتجارت سنة ١٩٣١ . واعيد نشر طبعة الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة سنة ١٩٣٢ . ثم نشر بتحقيق المرحوم الاستاذ عبدالسلام محمد هارون ضمن رسائل الجاحظ ـ الجزء الثاني ص ٣٧٩ ـ ٤١٢ ، في القاهرة[21].

وكان الاستاذ حسن السندوبي قد نفى نسبة هذا الكتاب للجاحظ وقال فيما قاله : من قرأ هذا وقرنه بشيء من كتب الجاحظ أو وازن بينه وبين طريقته في التاليف، لا يشك مطلقاً في أن الجاحظ منه براء، وانه من تلفيق الوراقين الذين يجمعون شتى العبارات الى بعضها في كتاب، ثم ينسبونه الى مؤلف مشهور ليلقى الرواج عند الناس. ومن العجب أن الشيخ طاهر الجزائري ـ رحمه الله ـ وهو الذي وقف على طبعه يخدع به، ولا يفطن الى ان نسبته الى الجاحظ كذب وافتراء »[22].

وقد صدّر الاستاذ عبدالسلام محمد هارون نشرته في الدفاع عن نسبة الكتاب وردّه الى الجاحظ، معللًا ذلك بأن الكتاب لا يحمل سمة من السمات التي توحي بأنه ليس من صنع الجاحظ، فهو جارٍ على طريقته في التأليف ونهجه .... واسلوبه التعبيري لا يُجافي ما عهدناه أيضاً من بيانه، ومقدمة الكتاب أية على ذلك. كما انه ليس في نصوص الكتاب، ولا في رجاله، ولا في حوادثه ما يجاوز زمنه زمان الجاحظ، وان كثيراً من نصوصه مشتركة بين هذا الكتاب وبين سائر كتب الجاحظ، وتلك سمة جاحظية معروفة .

ثم انتهى الى القول : فعلى ذلك كله تنتفي الريبة في أن يكون هذا الكتاب منحولًا، بل هو جاحظي جاحظي[23].

لقد استطاع صديقنا الدكتور جليل العطية أن يقيم الدليل العلمي القاطع على ان رسالة « الحنين الى الاوطان » التي نشرت عدة مرات منسوبة الى الجاحظ، ليست له، وانما هي لمؤلف آخر اسمه (موسى بن عيسى الكسروي) كان معاصراً للجاحظ وشيخاً لمحمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي. ففي غمرة تحقيقه لكتاب (الحنين الى الاوطان) لمحمد بن سهل المذكور على مخطوطتين احداهما في مكتبة جستر بتي بدبلن مكتوبة في القرن الخامس الهجري، والاخرى في مكتبة آيا صوفيا بالاستانة، تكشفت له الحقيقة التالية :

١ - ان (موسى بن عيسى) قد صنّف كتاباً في (الحنين الى الاوطان) وحدّث تلميذه محمد بن سهل عن سبب تأليفه له .

٢ - ان محمد بن سهل تصفح كتاب شيخه المذكور، فاخذ منه ما استحسنه، وضم اليه ما فاته وهو كثير، وبوّبه تبويباً خاصاً، وقد صرّح بذلك في خطبة الكتاب .

ان النصوص التي اقتبسها (محمد بن سهل) من كتاب شيخه موسى بن عيسى موجودة في رسالة (الحنين الى الاوطان) المنسوبة الى الجاحظ ، وهو أمر يقطع بأن الرسالة المذكورة ليست للجاحظ(٢٤).

وعلى ذكر الجاحظ وما نسب اليه من المصنفات ، لا بدّ من الاشارة الى ان الكتاب الذي نشره الاستاذ رمضان ششن بعنوان « كتاب أمل الآمل » منسوباً الى الجاحظ(٢٥)، ليس له . فمخطوطة الكتاب التي اعتمدها المحقق وهي محفوظة بمكتبة ولي الدين بالاستانة برقم ٣٦٣١ ليس فيها اشارة الى اسم المؤلف أو تاريخ تأليفه . وقد شكّ محققه في نسبته للجاحظ لاختلاف الاسلوب . رغمْ ان الجاحظ ألّف كتاباً اسمه « الآمل والمأمول » هو في الضائع من تراثه .

واضاف : لعلّ المؤلف هو الثعالبي . أو رجل عاش في القرن الرابع الهجري .

ولقد توصل المحقق الثبت الدكتور جليل العطية الى مصنف هذا الكتاب ، واتضح انه محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي « من علماء القرن الرابع الهجري » . فمن مصنفاته موسوعة « المنتهى في الكمال » وتضم اثنى عشر كتاباً . ذكرها النديم في الفهرست . وكتاب « الآمل والمأمول » هو السابع في الموسوعة(٢٦).

ويلاحظ هنا ان المصنف قد نصّ في خاتمة كتابه على ما يلي : « تم كتاب الآمل والمأمول » . ولكن محققه السيد رمضان ششن غير العنوان فجعله « أمل الآمل » وشتان ما هما . ومن النصوص التي نسبت لغير مؤلفها شرح لقصيدة الشنفري الشهيرة بلامية العرب ، طُبع بهامش شرح الزمخشري للقصيدة المذكورة والمسمى « أعجب العجب في شرح لامية العرب » المطبوع في القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ .

فقد نسب هذا الشرح للمبرد . وهذا وهم لأن الشارح يصرح في غير موضع من شرحه انه من تلامذة ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب . فكيف يصح أن يكون المبرد هو صاحب الشرح ؟!! وهل كان المبرد يوماً تلميذاً لثعلب ؟!

وكما نُسب للجاحظ وللمبرد ما ليس لهما فقد نسب للثعالبي ما ليس له أيضاً ومثال ذلك كتاب « طرائف الطرف » ومنه مخطوطات في باريس ومكتبات كوبريلي وأيا صوفيا وطويقبوسراي ولالهلي وغيرها .

وقد صورت منه مخطوطة ولدى فحصها من الداخل وجدت مصنفها يقول : « فاني اردت أن اجمع طرفاً من الطرائف ... اكثرها لاهل العصر والقريبي العهد ممن ادركت زمانه وقرأت عليه ديوانه ، واودعتها [في] مقدمة الابواب في كل باب من شعر المتقدمين ... » ثم رأيت بين من اختار لهم شعراء لم يدركهم الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، كالابيوردي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ والطغرائي المتوفى سنة ٥١٤ هـ وعمر الخيام المتوفى سنة ٥١٥ هـ والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وسواهم . وهو أمر يقطع بنسبة الكتاب الى غير الثعالبي .

ووجدت مخطوطة منه في دار الكتب المصرية نسبت الى البارع الهروي(٢٧)، فطفقت الاحق تراجم المذكور واخبار تصانيفه فثبت لي الآتي :

١ - ان البارع الهروي هذا هو : الحسين بن محمد بن عبدالوهاب الدباس الهروي البغدادي المتوفى سنة ٥٢٤ هـ .

٢ - نصّ ياقوت في معجم الادباء على ما يلي : قال : الفضلاء الملقبونَ بالبارع في خراسان ثلاثة ، أحدهم بالبارع الهروي ، وهو صاحب كتاب « طرائف الطرف » وهو أدونهم في الفضل مرتبة »(٢٨).

٣ - ان حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون قد وصف كتاب « طرائق الطرف » بما يلي : « مختصر على اثني عشر بابا فيه الاشعار والامثال والحكم . أوله : أما بعد حمد الله تعالى أولى ما افتتح به كلّ مقال انخ للبارع الحسين بن محمد بن عبدالوهاب الدباس البغدادي الشاعر المتوفى سنة ٥٢٤ الهروي البغدادي »(٢٩).

ووصف حاجي خليفة لمحتويات الكتاب وأوّله يطابق تماماً المخطوطة التي بين أيدينا . وهكذا جزمنا بأن مصنف « طرائف الطرف » هو البارع الهروي البغدادي وليس الثعالبي .

وكان المستشرق « فلوجل » قد نشر في فينا عام ١٨٢٩ كتابا للثعالبي بعنوان « مؤنس الوحيد » . وهذا المطبوع في حقيقته قطعة من محاضرات الراغب الاصفهاني المتوفي سنة ٥٠٢ هـ ، فهو ليس للثعالبي(٣٠) . ومما نسب للثعالبي وهو ليس له كتاب « الفرائد والقلائد » . الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٠١ هـ منسوباً الى الثعالبي على هامش كتابه « نثر النظم » . ثم طبع منسوبا الى الثعالبي بعنوان « الامثال » في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ . وكان قد طبع بعنوان « أحاسن المحاسن » منسوباً الى علي بن الحسين الرفجي في القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ ضمن كتاب « خمس رسائل »(٣١).

قال صديقنا الدكتور محمود الجادر : ان المخطوطات والطبعات الثلاث المذكورة هي بأجمعها كتاب واحد وقد تاكد لديّ بما لا يقبل الشك أنها جميعاً ليست للثعالبي . وانما لابي الحسين محمد بن الحسن بن احمد الاحوازي . والدليل القاطع على ذلك هو ان الثعالبي نفسه اورد في كتابه « سحر البلاغة » ذكر الاحوازي ونسب اليه ثلاثة وعشرين نصا وصفها بقوله : « ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الاحوازي في كتابه الفرائد والقلائد » . وقد وجدت هذه الاقوال الثلاثة والعشرين موجودة بأجمعها في المطبوع باسم الفرائد والقلائد المنسوب الى الثعالبي(٣٢).

نظير هذا الكتاب المعنون « مكارم الاخلاق » الذي نشره الاب لويس شيخو اليسوعي في مجلة المشرق ببيروت سنة ١٩٠٠ م منسوباً الى الثعالبي .

ان هذا الكتاب ليس للثعالبي ، فهو منتخبات من كتاب الاحوازي الذي تقدم ذكره والمعنون « الفرائد والقلائد »[٣٣].

وفي دار الكتب المصرية مخطوطة بعنوان « درر الحكم » برقم ١٠٧ ه أدب ، منسوبة ... الثعالبي ، وهي بخط أمير الخطاطين ياقوت المستعصمي فرغ منها سنة ٦٨١ هـ . وهذه النسبة مغلوطة إذ ورد في خاتمة المخطوطة ما نصه : تم المجموع بحمد الله وحسن توفيقه ، وفرغ من جمعه وكتبته ياقوت المستعصمي في رمضان سنة احدى وثمانين وستمائة للهجرة ... » . وكلمة (جمعه) تقطع كل شك في ان مصنف الكتاب هو ياقوت بالذات[٣٤].

في القاهرة بين عامي ١٩٣٦ - ١٩٣٨ صدرت الطبعة الاولى من ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان . حققه ثلاثة من جلة علماء مصر هم : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي . ثم صدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٥٦ .

وقد نهد المرحوم الدكتور مصطفى جواد لتفنيد نسبة الشرح الى العكبري ، فاستدل على ذلك بالآتي :

١ - ان شارح ديوان المتنبي درس الديوان على شيخه مكي بن ريّان الماكسيني بالموصل سنة ٥٩٩ هـ وقرأه بالديار المصرية على الشيخ عبدالمنعم بن صالح التيمي . والماكسيني نحوي ضرير مشهور توفي بالموصل سنة ٦٠٣ هـ ولم يكن شيخاً لابي البقاء العكبري في علم من العلوم ولا مسمعاً له . أما عبدالمنعم بن صالح فكان علامة مصر في النحو ولد سنة ٥٤٥ وتوفي سنة ٦٣٣ فبالامكان من الناحية التاريخية أن يكون تلميذاً للعكبري المولود سنة ٥٣٨ هـ والمتوفى سنة ٦١٥ هـ ، ولا يجوز العكس ، ثم ان الشيخ عبدالمنعم لم يدخل العراق والعكبري لم يدخل مصر .

٢ - ثم ان شارح ديوان المتنبي قال في شرحه : فسمعت شيخي أبا الفتح نصرالله بن محمد الوزير الجزري يقول ... » وهو ابن الاثير المولود سنة ٥٥٨ هـ والمتوفى سنة ٦٣٧ هـ . وكيف يكون ابن الاثير شيخاً للعكبري وقد ولد بعده بعشرين عاماً ؟ وتوفي بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة ؟!

٣ - في شرح بيت المتنبي :

يـــدبُر الملـكَ من مصرٍ الى عـدَنٍ
الى العراق فارض الروم والنُوبِ

أشار الشارح الى امتلاك الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب لمدينة آمد في ارض الروم ، ومعلوم تاريخياً ان احتلاله اياها تم سنة ٦٣٠ هـ فكيف يذكر العكبري في شرحه حادثة وقعت بعد وفاته بسنوات طويلة ؟!

٤ - قال شارح الديوان في موضع من شرحه : « ونقلته بخطي » ومعلوم ان العكبري كان ضريراً منذ الصغر ، والتعبير المذكور يشير الى عكسه ، اعني ان الشارح كان بصيراً ، فهو ليس العكبري .

٥ - وفي شرح الديوان ما يدل على ان الشارح دخل الموصل أو كان من أهلها وانحدر الى بغداد ثم ارتحل الى الكوفة وسافر الى بلاد الشام والحجاز والعكبري لم يكن من أهل الموصل ولا دخلها ولا دخل الكوفة .

٦ - والدليل الاخير ان لمؤلف الشرح كتابين في النحو هما : « نزهة العين في اختلاف المذهبين » و « الروضة المزهرة » . ولم يذكر أحد هذين الكتابين في تآليف العكبري .

تلك هي الادلة التي ساقها الدكتور مصطفى جواد في نفي كون الشرح للعكبري . ثم استطاع بعد ذلك من خلال تعمقه في قراءة نص الشرح اكتشاف الحقيقة . قال : فقد جاء في الشرح في بيان قول المتنبي :

تتقـــاصـــر الافهـــام عن إدراكـــه
مثـل الـذي الافـلاك فيـه والـــدُنـا

قوله « قال ابو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل بالرفع ... » وهكذا كشف شارح ديوان المتنبي عن اسمه .

وعاج مصطفى جواد الى سيرة علي بن عدلان يستقريها في المصادر فوجده قد ولد بالموصل سنة ٥٨٣ هـ ودرس فيها الادب على مكي بن ريان الماكسيني النحوي المشهور وقرأ عليه ديوان المتنبي وارتحل الى بغداد طلباً للعلم وهناك أخذ على ابي البقاء العكبري ، وسمع الحديث من جماعة ودرس فنون الآداب وأولع بحل المترجم والالغاز ثم ارتحل الى بلاد الشام ماراً بالكوفة ، ودخل حلب وكانت ملتقى العلماء والادباء وطلاب الحديث في اوائل القرن السابع واجاز له العلامة تاج الدين زيد بن الحسن الكندي ، وكان يلم بدمشق ثم يرجع الى حلب ، وقد رأى فيها جمال الدين ابن القفطي وياقوتاً الحموي . كما لقي ابن خلكان وصاحبه . ثم قصد الديار المصرية ودرس على عبدالمنعم بن صالح التيمي الاسكندراني وقرأ عليه ديوان المتنبي . وصار علّامة في الادب ولغة العرب ، حاذقاً في حل المترجم والالغاز . وألّف كتاب « عقلة المجتاز في حلّ الالغاز » وكتاباً في « المترجم » صنفه للملك موسى بن العادل الايوبي وطار صيته ونظم الشعر . وألّف الشرح الجسيم لديوان المتنبي وسمّاه « التبيان في شرح الديوان » وهو مأخوذ من تسمية شيخه العكبري لاعراب القرآن ، بالتبيان في إعراب القرآن . وألّف في النحو « نزهة العين في اختلاف المذهبين » و « الروضة المزهرة » وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٦ هـ[٣٥].

وغنيّ عن البيان ان تفاصيل سيرة ابن عدلان تنطبق وما ورد من اخبار شارح الديوان تمام الانطباق .

وهكذا رُدّ كتاب التبيان وهو انفس شرح لديوان المتنبي الى صاحبه ومؤلفه الحقيقي .

وبعد : فقد كنت قبل اعوام طوال قد نشرت مقالة في مجلة ـ المكتبة ـ العراقية[36]، دعوت فيها صُنّاع فهارس المخطوطات الى فحص المخطوط من الداخل قبل فهرسته . كي لا تضيع جهود طائلة وأوقات ثمينة في ملاحقة مخطوط وتصويره واحضاره ، حتى اذا ما فحصه المحقق من الداخل اتضح انه شيء آخر غير ما ذكر في الفهرست ، فتضيع جهود ويهدر مال ، ويقتل وقت ، ويموت أمل . وانتهيت الى القول : فليس من الفهرسة في شيء نقل ما كتب على صفحة العنوان وتعداد أوراق المخطوط وقياساته ونوع خطه . الفهرسة العلمية لا تقوم بغير دراسة النص من الداخل ، واستبطانه للوصل الى اسمه واسم مصنفه على وجه القطع واليقين ، لاوجه التقدير والتخمين . بذلك تقضي الأمانة العلمية .

كان ذلك في بواكير السبعينات ، واليوم ونحن على اعتاب التسعينات اكتب هذا موضحاً بالامثلة قاعدة مهمة من قواعد التحقيق العلمي ، ألا وهي قاعدة « توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه » ، لينتفع به شبابنا المعتز بتراثه العربي الاسلامي ، الدارج على دروب العلم والمعرفة . والحمد لله على ما انعم انه نعم المولى ونعم النصير .

المصادر والمراجع

(١) القاها المستشرق الالماني بكلية الاداب سنة ٣١ ـ ١٩٣٢ .
(٢) تحقيق النصوص ونشرها ص ٤٠ ـ ٤١ .
(٣) مجلة المجمع الاردني نيسان ١٩٨٣ ص ١٢٥ .
(٤) نشرت هذه المخطوطة ببغداد في مجلة المورد المجلد ٨ ، العدد ٢ ، ١٩٧٩ م .
(٥) نشرت هذا الكتاب في تونس سنة ١٩٦٧ .
(٦) نشر هذا الكتاب الدكتوران احمد مطلوب وخديجة الحديثي في بغداد سنة ١٩٦٧ . ونشره الدكتور حفني شرف بالقاهرة سنة ١٩٦٩ .
(٧) نشره السيد شاكر العاشور ببغداد سنة ١٩٨٩ .
(٨) نشرت هذه المخطوطة بتحقيق الدكتورة وداد القاضي بعنوان « البصائر والذخائر » ، الجزء السابع . الدار العربية للكتاب ليبيا ـ تونس ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .
(٩) نشرت هذه المخطوطة بتحقيق الدكتور جليل العطية في بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .
(١٠) صدر توشيع التوشيح تاليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي بتحقيق البير حبيب مطلق في بيروت سنة ١٩٦٦ .
(١١) حققه الدكتور سامي مكي العاني وطبعه في بغداد سنة ١٩٧٢ .
(١٢) صدرت هذه الرسائل ضمن منشورات جامعة الموصل ـ ندوة ابناء الاثير بتحقيق : د. نوري القيسي وهلال ناجي سنة ١٩٨٢ .
(١٣) نشرته مكتبة الخانجي في القاهرة في ١٩٢ صحيفة .
(١٤) نشر الميمني كتاب المداخلات في المجلد التاسع ص ٤٤٩ ـ ٤٦٠ الصادر سنة ١٩٢٩ من مجلة مجمع دمشق . وصدرت نشرة محمد عبدالجواد عن مكتبة الانجلو المصرية في القاهرة سنة ١٩٥٦ .
(١٥) انظر تاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان ـ الترجمة العربية ، ج ٥ ، ص ١٧٤ .
(١٦) صدر الكتاب بتحقيقنا في الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي الصادر في كانون الثاني ١٩٨٢ م .
(١٧) صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب في بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م بتحقيق الدكتور طارق الجنابي .
(١٨) نشرت هذا الكتاب في العدد الخاص بالخط العربي من مجلة المورد (العدد الرابع ـ المجلد الخامس عشر) الصادر سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م ، بغداد .
(١٩) انظر ما كتبته بهذا الشان في المجلد الثالث والعشرين ـ الجزء الثاني ص ١٢٨ ـ ١٢٩ من مجلة معهد المخطوطات العربية الصادر في نوفمبر ١٩٧٧ م ، ذو القعدة ١٣٩٧ هـ .
(٢٠) انظر المرجع السابق ص ١٢٩ ، وقد طبع مؤخراً كتاب نظم الفرائد وحصر الشرائد لمهلب بن حسن المهلبي بتحقيق الدكتور عبدالرحمن العثيمين .
(٢١) ذخائر التراث العربي الاسلامي ١ / ٤٢٠ .
(٢٢) ادب الجاحظ ص ١٥٣ .
(٢٣) الجزء الثاني من رسائل الجاحظ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .
(٢٤) انظر مقدمة المحقق الدكتور جليل ابراهيم العطية لكتاب « الحنين الى الاوطان » لمحمد بن سهل بن المرزبان ـ بيروت ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .
(٢٥) صدرت الطبعة الاولى من الكتاب في بيروت ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م .
(٢٦) الحنين الى الاوطان : محمد بن سهل بن المرزبان : مقدمة المحقق ص ١٥ .
(٢٧) فهرس القاهرة ثاني ٣ / ٢٤٤ (كتبت سنة ٨٦٤ هـ) .
(٢٨) معجم الادباء (طبعة مرجليوث) ٢ / ٢٤١ .
(٢٩) كشف الظنون ٢ / ١١٠٩ ـ ١١١٠ .
(٣٠) انظر بروكلمان ـ الترجمة العربية ٥ / ١٩٥ ـ ١٩٦ وانظر « الثعالبي ناقداً وأديباً » .
(٣١) وذكر بروكلمان انه طبع في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ بعنوان « العقد النفيس ، ص ١٦٣ ؛ ونزهة الجليس » ٥ / ١٩٣ .
(٣٢) الثعالبي ناقداً وأديباً ص ١٦٤ .
(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٦٥ .
(٣٤) المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
(٣٥) في التراث العربي : تاليف مصطفى جواد ٢ / ٢٣٩ ـ ٢٥٤ .
(٣٦) أعدت نشر هذه المقالة في كتابي هوامش تراثية ص ٣ ـ ٦ . بغداد ١٩٧٣ .

طبقات الشعراء لمحمد بن سلام

بين مقالة المورد « طبقات الشعراء مخطوطا ومطبوعا »

وكتاب « برنامج طبقات فحول الشعراء »

دراسة
د. علي جواد الطاهر
كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة

أنجز كاتب « مقالة المورد » كتابه « محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء » - عام ١٩٦٤ وهو متعاقد للتدريس في قسم اللغة العربية بكلية الاداب من جامعة الرياض (الملك سعود) ويمضي اجازته ببيروت حيث مكتبة الجامعة الاميركية . وقد استطاع - وهو في الرياض - أن يحصل من معهد المخطوطات العربية في القاهرة على صورة من صورة لمخطوطة مكتبة حكمت عارف بالمدينة ، وصورة لمخطوطة اخرى في مكتبة جستربيتي بدبلن في أدنبرة . وأن يجري مقابلة بين هاتين المخطوطتين ومطبوعة الاستاذ محمود محمد شاكر . وهمّ أن يكتب الى الاستاذ محمود محمد شاكر يبشره بعثوره على النسخة التي كانت الأساس الذي اعتمد عليه في تحقيقه وقد فقدها . ولكن الدكتور مازن المبارك بيّن له ان الاستاذ محمود محمد شاكر ليس في الحال التي يمكن مكاتبته فيها وكانه يشير الى سجن أو احتجاز أو توقيف .

حين انتهى المؤلف من كتابه أقرأه ثلاثة أساتذة كرام من زملائه هم : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور عزة حسن والدكتور مازن المبارك .

وفاتح « مكتبة النهضة » في بغداد لنشره فوافقت (سنة ١٩٦٥) فارسل اليها المخطوطة ، ولكن المكتبة لم تستطع النشر .

ولا باس ، وليس المؤلف على عجلة من أمره ، ويهمه أن يُطلع الباحثين والقرّاء على المهم من كتابه قبل أن يصدر مطبوعاً ، وهكذا فعل .

نشر الباب الاول بفصليه : « حياة ابن سلام » و « فنون علمه ومؤلفاته » (بعد أن اكتفى من فنون العلم بتعريفها مختصراً الشواهد عليها) في « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » - الجزء الاول من المجلد الحادي والاربعين ، كانون الثاني ١٩٦٦ / رمضان ١٣٨٥ ص ص ٥٨ - ٧٥ . الجزء الثاني من المجلد الحادي والاربعين ، نيسان ١٩٦٦ / ذو الحجة ١٣٨٥ ص ص ٢٧٥ - ٢٨٩ .

ونشر الفصل الأول من الباب الثالث وعنوانه « الشعر المفتعل الموضوع » في مجلة « الاداب » ، بيروت ، سن ١٣ ، ع ١٢ (كانون الاول - ١٩٦٥) . ونشر الفصل الثاني وعنوانه « الطبقة من الشعراء » في مجلة « الاديب » ، بيروت ، سن ٢٦ ، ج ٤ نيسان ١٩٦٧ ؛ والفصل الثالث في « الاديب » أيضاً من السنة نفسها - ج ٥ ، مايو ١٩٦٧ بعنوان « أسس جزئية في تصنيف الشعراء » .

واحتفظ بالباب الثاني بفصليه : « طبقات الشعراء مخطوطا » و « طبقات الشعراء مطبوعاً » حتى ينتهي من خبر الشيخ محمود محمد شاكر الى نتيجة .

ثم عاد الى العراق (قسم اللغة العربية - كلية الاداب - جامعة بغداد) ولكتاب « طبقات الشعراء » مكانته من نفسه ، ويهمه كثيراً أن يعاد تحقيقه - بعد أن وجد النسخة المخطوطة التي افتقدها الشيخ محمود محمد شاكر في مكتبة جستربيتي بدبلن . ولا شك في أن الاستاذ محمود محمد شاكر هو الأصل في التحقيق ، وقد بذل في نشره إياه سنة ١٩٥٢ جهداً وزاد علماً وحاز اختصاصا ، ولكن لا تبدو على الاستاذ محمود محمد شاكر دلالة على سعيه لاعادة التحقيق . وليس صحيحاً أن يحقق الكتاب على غير علمه وبدون علمه .

وعرض على الدكتور نوري حمودي القيسي فكرة مؤداها أن يشتركا في اعادة التحقيق مع حفظ حق الاستاذ محمود محمد شاكر في المقدمة بان يوضع اسمه في مقدمة المحققين بسبب ما سيأخذه المحققان من تحقيق الاستاذ شاكر الصادر سنة ١٩٥٢ . لقيت الفكرة قبولاً ، ولكني فضلت عرضها على الاستاذ محمود محمد شاكر ، فكتبت اليه رسالة أجاب عنها : انه حصل على المخطوطة الضائعة التي استقرت في مكتبة جستربيتي بدبلن ، وانه أعاد التحقيق عليها . وقد خرج الامر عن يده لانه موكول الى دار المعارف التي نشرت التحقيق الاول .. وكان طبيعياً ، بعد ذلك ، أن نصرف النظر عن محاولة التحقيق الجديد .. وقد أردفت الرسالة الأولى بأخت لها رجوته فيها بالرجوع في عنوان الكتاب من « طبقات فحول الشعراء » الى « طبقات الشعراء » .

قررت سنة ١٩٧٠ كتاب « طبقات الشعراء » على طلبة الماجستير من أجل الإلمام بالمطبوع والمخطوط خلال درس « التحقيق » ، وكان تحقيق الاستاذ شاكر محط المراجعة والتقدير .

وأصدر الاستاذ شاكر تحقيقه المنتظر سنة ١٩٧٤ عن مطبعة

المدني بالقاهرة بجزءين ـ أو سفرين ـ كما سماهما . وكانت الطبعة الجديدة محط المراجعة والتقدير عندما قررت « محمد بن سلام » موضوعاً لطلبة الدكتوراه عام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ، ولا تقلل الملاحظات عليها من قيمتها ومكانة صاحبها العلّامة .

ثم رأيت أن أنشر الفصلين في عنوان واحد هو « طبقات الشعراء ـ مخطوطاً ومطبوعاً » ، ووصل خلال ذلك (عام ١٩٧٨) كتاب بعنوان « ابن سلام وطبقات الشعراء » للدكتور منير سلطان . الكتاب جيد حسن التاليف علمي المنهج ، أشرت الى ما أفدت منه لدى إعداد الفصلين للنشر ، وحين انتهيت قدمته الى مجلة « المورد » ببغداد فنشرته في العدد الثالث من المجلد الثامن (ص ص ٢٥ ـ ٤٦) لعام ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .

وصل العدد ـ أو أوصل ـ الى الاستاذ محمود محمد شاكر فرأى أن يرد عليه بكتاب كامل انتهى بالصفحة ١٧٩ ، سماه « برنامج طبقات فحول الشعراء » ، القاهرة ، مطبعة المدني ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .

وللاستاذ محمود محمد شاكر أن يقول في الرد ما يشاء ، وهو العالم العلّامة . ولكاتب مقالة « المورد » تنبيه واحد خلاصته انه كان يود لو تفضل الاستاذ محمود محمد شاكر فلاحظ ان كاتب مقالة « المورد » ذكر ملاحظاته على مطبوعتيه في فقرتين منفصلتين . أورد في الفقرة الأولى ما يحسن ذكره على الطبعة الاولى (١٩٥٢) كما هي لدى ورودها في سياق تسلسل طبعات الكتاب المختلفة والملاحظة على أيٍّ منها في ذلك السياق هكذا : طبعة ليدن (١٩١٤ ـ ١٧) ، طبعة السعادة (١٩٢٠) ... الطبعة الاولى لتحقيق (أو شرح) الاستاذ محمود محمد شاكر ـ (دار المعارف ، ١٩٥٢) ، طبعة المكتبة المحمودية (١٩٦٨) ، طبعة بيروت لطبعة ليدن (د . ت = ١٩٦٩) ، الطبعة الثانية لتحقيق (قراءة وشرح) الاستاذ محمود محمد شاكر (القاهرة ، المدني ١٩٧٤) .

يقول كاتب مقالة « المورد » انه وقف عند الطبعة الاولى (١٩٥٢) كما هي ، وذكر عليها تسع الملاحظات المهمة (أولًا ، ثانياً ... تاسعاً) كما هي ، كما لاحظها سنة ١٩٦٤ ، ولم يزد عليها شيئاً ، ولو شاء لزاد دون أن يسمح لنفسه بالوقوف عند خطأ تافه جاء فيه المجرور مرفوعاً (ص ٢٢ من مقدمة المحقق) « وقد جمعت من كتاب [بضم الباء] الاغاني لابي الفرج كل ما وقفت عليه ... » أجل إن كاتب مقال المورد أراد أن يبقى معها كما كان ، لانه بصدد تعريفها كما هي وكما عرّف غيرها في السياق ، وليلم بالوصف من تقع له أو يعتمد عليها . وهذه النقاط التسع ما زالت قائمة على تلك الطبعة . ومعنى هذا أن قول الاستاذ محمود محمد شاكر ـ وهو يرد على نقاط الملاحظات على الطبعة الاولى (١٩٥٢) ان كاتب مقالة المورد لم يقرأ الطبعة الثانية أو انه مر بها سريعاً « بلا احتفال ولا عناية » (ص ١١٢ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ...) قول غير وارد . وينظر ـ زيادة في التاكد ـ القسم الاخير من المقالة (مقالة المورد) . غير وارد ، لان المسألة ـ هنا ـ مسألة الطبعة الأولى وليست مسألة الطبعة الثانية . وأحسب ان ما ذكره الاستاذ محمود محمد شاكر نفسه (ص ١٥٥) يدل على أن كاتب مقالة « المورد » قد قرأ الطبعة الثانية ، وهو هنا ـ في هذه الحال ـ أي كاتب مقالة المورد ـ يصف هذه الطبعة الثانية ، وقد حل مكان وصفها من منهج البحث لدى سياق الكلام على الطبعات في تسلسلها الزمني .

ويبقى السؤال : لم أطنب كاتب مقالة المورد في الكلام على الطبعة الاولى وأوجز في الكلام على الطبعة الثانية . وهو سؤال قد يرد ، وجوابه ان كاتب مقالة المورد اكتفى ـ هنا ـ بما جاء هناك عما تتكرر الملاحظة عليه في الطبعتين وأشار الى نقاطه إشارة ، وهي (١) تسمية الكتاب بطبقات فحول الشعراء مع انه « طبقات الشعراء » . (٢) ادخال ما جاء في كتب خارج المخطوطة (كالاغاني والموشح ...) في متن الكتاب المحقق على أن هذا الذي جاء في الكتب الخارجية هو هو في الكتاب المحقق وهو يسد مكان الضائع من النسخة المخطوطة وكانه لم يضع . (٣) زيادة أشطر وأبيات على شواهد محمد بن سلام . (٤) عمى أبي خليفة . (٥) عد أحمد بن حنبل بين من روى عن محمد بن سلام وأن ابن سلام من شيوخه وأحمد بن حنبل من تلاميذه . (٦) عد كل من روى عنه محمد بن سلام شيخاً له . (٧) إثبات كتاب « غريب القرآن » بين مؤلفات محمد بن سلام . (٨) حدة الاستاذ المحقق مع المستشرق يوسف هل صاحب الفضل المبكر في بعث كتاب « طبقات الشعراء » بين عامي ١٩١٤ ـ ١٩١٨ . وأوربة تغلى في حربها العالمية الأولى .

وزاد كاتب مقالة المورد ـ في حاشية ـ ان الاستاذ محمود محمد شاكر لم يعمل فهرساً بالمصطلحات الادبية ـ النقدية ، واستغرب ـ كاتب مقالة المورد ـ وجود ـ أو بقاء وجود ـ بشامة بن الغدير في طبقات الشعراء الاسلاميين .

وكانت النقاط قد مرت كلها مشروحة لدى الملاحظة على الطبعة الاولى ، واذا كان الذي بقي منها هو هو في الطبعة الثانية فلا خير في اعادة التفصيل فيه . وحين سلمت الطبعة الثانية مما اوجب الملاحظة على الطبعة الأولى اكتفى كاتب مقالة المورد بالتنبيه لـ « تلك السلامة » ، فقال : « ... ولكنه ـ أي الاستاذ محمود محمد شاكر ـ تجنب ـ فيما عدا ذاك ـ أشياء مما وقع للتحقيق الاول ، يكفي من ذلك انه اعتمد على المخطوطتين الاساسيتين ، وانه تجنب التصرف بنسب جميل بثينة ، والممزق ، وزاد على فهارسه السابقة ، فهرساً لمباحث العربية والنحو والفوائد ، وفهرساً لالفاظ من اللغة أخلت بها المعاجم ... » .

قلت : سؤال قد يرد ، وقد ورد فعلًا ، فقال الاستاذ محمود محمد شاكر (ص ١٥٨) : « ان الطبعة الثانية لم تنل من اهتمامه (...) إلّا ما يتجاوز عمودين من مجلة المورد في مقالة حافلة فيها اثنان وأربعون

عموداً » ، ويزيد ـ هنا ـ أن الاثنين وأربعين عموداً للموضوع (طبقات الشعراء مخطوطاً ومطبوعاً) كله ، ولم تكن الستة والاربعون الباقية للطبقة الاولى والآن ، يبدو أن كتاب الاستاذ محمود محمد شاكر « برنامج طبقات فحول الشعراء » لا يغيّر كثيراً مما جاء في مقال المورد ، وصاحب المقال ما زال عند برهاناته على آرائه في اسم الكتاب وأنه « طبقات الشعراء » وليس « طبقات فحول الشعراء » ، وأن ليس لمحقق (شارحاً كان أم قارئاً) أن يدخل ما جاء متناثراً في عدة كتب (منها الاغاني ...) في متن الكتاب الذي يحققه ليسد النقص على أن ذلك المتناثر هو هو من نصوص الكتاب كما كان عليه الكتاب المحقق نفسه ، وليس لمحقق أن يزيد على الابيات التي استشهد بها مؤلف الكتاب المحقق ، أبياتاً اخرى ليست من أصل الكتاب ولم يكن المؤلف يجهلها .

هذا موجز القول في نقاط طال الكلام فيها ، ويصعب أن يختلف فيها اثنان ، ومنها ما لاحظه آخرون ـ أقصد التصرف باسم الكتاب ـ قبل مقالة المورد وبعدها .

وتبقى بنقاط حاجة الى شيء من التفصيل ، وهذه هي :

١ ـ عمى أبي خليفة الفضل بن الحباب راوي كتاب خاله محمد بن سلام (طبقات الشعراء) . قال صاحب مقالة المورد : « عاش أبو خليفة طويلًا فهو من المعمّرين . وإذا عد في « العميان » وذكر انه « كان أعمى » فلا بد من أن يكون ذلك قد حدث على الكبر . وليس لدينا ما يعين تاريخ العمى » ـ المورد ، العمود الأول ، ص ٢٩ .

وأعاد القول في معرض النقاط ، « سادساً » : « لدى قراءة المقدمة نلاحظ انه في كلامه على أبي خليفة يقول « كان أعمى » ، وقد يوهم مثل هذا التعبير بانه كان أعمى منذ الطفولة كبشار مثلًا ، ولم يكن في أخبار أبي خليفة ما يدل على ذلك ، وإنما هي تشير الى أن عماه كان متاخراً ، لكبره .. وقد عمّر » .

قال الاستاذ محمود محمد شاكر (ص ١١١) : « ثم انتهى الى « سادساً » [المورد ص ٤٢] فذكر ما قلته في ترجمة أبي خليفة أنه « كان أعمى » ، وأخذ عليّ إثبات ذلك ، مع اني نقلته عن معجم الادباء لياقوت ، وترجمته في « نكْت الهميان في نُكَت العميان » للصلاح الصفدي ، ورأى أنه « لم يكن في اخبار أبي خليفة ما يدل على ذلك ، وإنما تشير الى أن عماه كان متاخراً ، لكبره ... وقد عُمّر » فانا نقلت ما هو موجود ، ولكن الدكتور أتى بشيىء لا دليل عليه لا من مرجع ولا من بديهة عقل ... » .

والتعليق على هذا :

أ ـ ان كاتب مقالة المورد لم ياخذ على الاستاذ محمود محمد شاكر إثبات انه « كان أعمى » ولكنه خشي على القرّاء من الوقوع في وهم التاكد أنه « كان أعمى » مدى عمره ومنذ الولادة وهذا ما لا دليل عليه ، أما انه انتهى أعمى ، وكان أعمى فلا نقاش فيه أو في ذكره لدى الترجمة .

ب ـ كان كاتب مقالة المورد يطمح الى صيغة أكثر إبانة حتى لو جاءت مفصلة .

جـ ـ ما زال كاتب مقالة المورد يؤكد ان ليس لدينا ما يعين تاريخ العمى .

د ـ ان كثيرين ممن وصفتهم المصادر بالعمى لم يكونوا عمياناً منذ الولادة ، وكتاب الصلاح الصفدي شاهد على ذلك .

هـ ـ نقل الاستاذ محمود محمد شاكراً أخباراً من « الاغاني » الى متن « طبقات الشعراء » مروية عن أبي خليفة . وفي هذه المنقولات ما يرد : أخبرني ابو خليفة .. أو اخبرني الفضل بن الحباب الجمحي في كتابه الى (...) أو ... فيما كتب به اليّ أو وكتب اليّ .. وفي هذا ما يدل على أن أبا خليفة كان يكتب .

٢ ـ قال صاحب مقالة المورد : « ونلاحظ أنه ـ أي الاستاذ محمود محمد شاكر ـ يجعل « أحمد بن حنبل » بين من روى عن محمد بن سلام شانه في ذلك شان ثعلب وأبي حاتم والرياشي والمازني والزيادي ... وبالمسألة حاجة الى تثبت ودراسة خاصة » .

وقال الاستاذ محمود محمد شاكر (ص ١١٢) : « ثم ... إنه ـ كاتب مقالة المورد ـ يلاحظ أني جعلت « أحمد بن حنبل بين من روى عن محمد بن سلام ... » ومضى الاستاذ يبرهن على صحة قوله بان أحمد بن حنبل أصغر من محمد بن سلام بخمس وعشرين سنة ، وابن سلام دخل بغداد سنة ٢٢٢ هـ وأحمد بن حنبل في الثامنة والخمسين من عمره ، وابن سلام في الثالثة والثمانين من عمره .. وقد كتب عن ابن سلام قرينُ أحمد وصديقه « يحيى بن معين ... فماذا يستنكر إذن ، من أن يكون أحمد قد كتب عنه أو سمع منه لغة أو شعراً أو خبراً وحدّث به ... ومع هذا فانا لم أقل هذا استنباطاً فيؤخذ عليّ ، بل هذا هو الذي قاله ياقوت في معجم الادباء في ترجمة « محمد بن سلام الجمحي » (٧ : ١٣) قال : « وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل وابنه عبدالله ، ومع ذلك فانا لم أكن أكتب « تحقيقاً » في ترجمة أحمد بن حنبل ، وحملت ما نقل الينا ... » .

والتعليق على هذا :

أ ـ ان الحجج الثلاث الاولى (أي سلام اكبر عمراً من أحمد بن حنبل ، ابن سلام دخل بغداد ، صديق أحمد بن حنبل روى عن محمد بن سلام) ليست أكثر من نظريات أو فرضيات . ويبقى نقل الخبر عن ياقوت (٧ : ١٣) . ولا باس بياقوت ناقلًا للاخبار ، ولكن لا بد من ملاحظات على نقله ومن ذلك سعة كتابه وتنوع أبواب علمه بين البلدان والاعلام ، وانه ينقل ، ينقل فقط ، وما يتيسر ... ولا بأس فللرجل فضله على العلم . ثم تاتي ملاحظة بُعد « اهتمامات » ياقوت عن « الامام أحمد بن حنبل » .

كل هذا يرد ، ويدعو الى التريث أو « التحوط » لدى رواية الخبر .

ولا تعفى الحال صاحبها حتى حين لم يكن « يكتب « تحقيقاً » في ترجمة أحمد بن حنبل أو محمد بن سلام » .

ومعلوم أن العلم بالامام أحمد بن حنبل لا يطلب عند ياقوت وفي « معجم الادباء » وانما يطلب في الكتب التي اختصت بالفقهاء والمحدثين وبالحنابلة منهم خاصة ، وباحمد بن حنبل على وجه الخصوص . ولدينا كتاب ألفه عالم حنبلي هو ابو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧) خاصاً بالامام أحمد بن حنبل على وجه الاستقصاء ، ووقفة خاصة عند شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ومن روى عنهم .

- ما الرأي في أن نحتكم الى كتاب ألفه حنبلي عن حنبلي ؟

- ليكن .

- ونقرأ كتاب الشيخ ابن الجوزي عن الإمام أحمد بن حنبل فلا نراه يذكر في شيوخه أو فيمن روى عنهم اسم محمد بن سلام .

ويكرر صاحب مقالة المورد انه لا ينفى - في ملاحظته - نفياً باتاً امكان أن يروى أحمد بن حنبل عن محمد بن سلام ، وإنما هو يدعو الى « التثبت والدراسة » ، ويزيد هنا أنه في مقالته عن محمد بن سلام المنشورة في مجلة « مجمع اللغة العربية بدمشق (نيسان ١٩٦٦ / ذو الحجة ١٣٨٥ - ص ص ٢٧٥ - ٢٧٦) وقف عند باب « الحديث » من علوم محمد بن سلام ، وعند من روى عن محمد بن سلام فعددهم نقلاً عن الخطيب البغدادي - وهو موضع ثقة في الموضوع ، ثم قال : « وزاد آخرون : « الإمام أحمد بن حنبل » نقلاً عن الانباري في « نزهة الالباء » فاحس ضعف المصدر في بابه وقال في الحاشية : « ولم يذكر ابن الجوزي في كتابه عن أحمد بن حنبل اسم محمد بن سلام بين من ذكر من مشايخ أحمد بن حنبل وكبار من روى عنهم . ويبدو أن في المسالة مبالغة أو التباس » .

ان الذي أراده كاتب مقالة المورد « التثبت والدراسة » ثم مراعاة النسبة والتناسب . فليس مناسباً أن نقول « روى عنه - عن محمد بن سلام - أحمد بن يحيى ثعلب ، وابو حاتم ، والرياشي ، والمازني ، والزيادي وأحمد بن حنبل » فنضع أحمد بن حنبل مع من كانوا تلاميذ بمعنى الكلمة في سياق واحد وبدون إعلام القارىء بالفارق الكبير بمقدار الرواية .

٣ - وقال كاتب مقالة المورد : « ويعد - الاستاذ محمود محمد شاكر - كل من روى عنه محمد بن سلام في طبقات الشعراء خبراً أو شعراً - شيخاله (...) ويبدو أن الاستاذ محمود شاكر توسع كثيراً في معنى « الشيخية » ، وإلّا كيف نضع بشار [بشاراً] - مثلاً - مع يونس بن حبيب ... » .

وقال الاستاذ محمود محمد شاكر (ص ١١٣ - ١١٤) : « ... أما لفظ « شيخ » فانه عند أهل العلم من الائمة ، لفظ مشترك ، أو شبيه بالمشترك . فكما يدل على العالم الذي تلازمه دهراً طويلاً تتلقى عنه ، أو تروى عنه ، فانه يدل أيضاً على من لم تلقه إلّا مرة واحدة ، ولم ترو عنه إلّا حديثاً . والذين يتكلمون في أسانيد الاخبار والاحاديث يقولون مثلًا : « روى هذا الخبر (الخبر من الاخبار) محمد بن جرير الطبري ، عن شيخه فلان بن فلان ، ولم يرو عنه غير هذا الحديث المفرد » أي انه لقيه مرة واحدة ، وسمع منه خبراً واحداً لم يرو عنه غيره ، فيسمونه « شيخاً » لروايته عنه خبراً واحداً ليس غير ... » .

والتعليق على هذا :

أ - الاستاذ محمود محمد شاكر عارف عالم بمداليل ألفاظ أهل العلم من الائمة . وكلام كاتب مقالة المورد يستنكر هذا التسهل بالمصطلح وان كان يرمي أولًا الى ضرورة بيان الاهم والاقل أهمية في هؤلاء الذين نطلق عليهم لقب « شيوخ محمد بن سلام » - أسبعين كانوا كما وردوا في الطبعة الاولى أم تسعة وتسعين كما بلغ العدد في الطبعة الثانية - « وإلّا كيف نضع بشاراً - مثلًا - مع يونس بن حبيب ، يريد أن يقول كيف نضع من لم يرو عنهم محمد بن سلام إلّا بيتاً واحداً أو خبراً واحداً في ميزان واحد - من التعداد - مع من تلمذ عليهم محمد بن سلام ، وأخذ عنهم علمه وأخباره ، ولزمهم طويلًا طويلًا حتى ولا غنى لدارسهم من العودة الى تلميذهم .

ونعود الى بشار الذي عده الشيخ محمود محمد شاكر من شيوخ محمد بن سلام (ط ١ ، ص ١٢ ؛ ط ٢ ، ص ٣٥) فلا نرى لابن سلام عنه إلّا سؤالًا واحداً جاء فيه : « أخبرنا أبو خليفة ، أنبانا ابن سلام قال : سالت بشاراً العقيلي عن الثلاثة فقال ... » .

يريد بالثلاثة الاخطل وجريراً والفرزدق ، والرواية نقلًا عن كتاب « الاغاني » - فهل يكفي هذا لان نعدُ بشاراً في شيوخ محمد بن سلام ؟ وهل كان بشاراً شيخاً من الشيوخ له مكانه من المسجد وتلامذته الذين يصنعون حلقة درسه ؟

ويمكن لكاتب مقالة المورد أن يصر على ما في إطلاق « شيخ » على من روى امرؤ عنه بيتاً واحداً أو خبراً واحداً .. من توسع ، التوسع حاصل كما في نظرة الى بشار في شيوخ محمد بن سلام - مثلًا - يمكن ، وينظر في حجة للاستاذ محمود محمد شاكر تقول - : « والذين يتكلمون في أسانيد الاخبار والاحاديث يقولون مثلًا : « روى هذا الخبر (الخبر من الاخبار) محمدبن جرير الطبري عن شيخه فلان بن فلان ، ولم يرو عنه غير هذا الحديث الفرد » .

ينظر - كاتب مقالة المورد - في هذه الحجة ويقول : ان « شيخية » فلان بن فلان لم تحصل للطبري لانه « لم يرو عنه غير هذا الحديث الفرد » وإنما حصلت لان فلان بن فلان هذا كان « شيخاً » للطبري ، وان الطبري كان تلميذه ، وكل ما في الامر ان التلميذ (الطبري) لم يرو عن شيخه (فلان بن فلان) « غير هذا الحديث الفرد » ولا تدل على أن الطبري « لقي فلان بن فلان مرة واحدة ، وانه سمع منه خبراً واحداً » . كان فلان بن فلان شيخاً ، وكان الطبري تلميذاً ، ولكن التلميذ لم يرو عن

الشيخ غير لخبر واحد أو حديث واحد . فلان بن فلان ـ هنا ـ شيخ لانه شيخ بمعنى الكلمة ، والطبري تلميذ بمعنى الكلمة أيضاً .

٤ ـ قال صاحب مقالة المورد : « ويثبت ـ الاستاذ محمود محمد شاكر ـ بين مؤلفات محمد بن سلام كتاب « غريب القرآن » معتمداً على ياقوت في ذلك . وليس « غريب القرآن » لابي عبدالله محمد بن سلام وإنما هو [لابي عبيد] القاسم بن سلام . وكان الخطأ في النسبة (قديماً) نبه عليه القدماء » .

وقال الاستاذ محمود محمد شاكر (ص ١١٥) ـ بعد ما أصلح ما ورد في الجملة الاخيرة من خطأ نحوي جاء فيه خبر كان مرفوعاً ـ « ... أنا لا أستطيع أن أجزم بان ياقوتاً قد وهم ، بمثل هذه القوة التي أنكر عليه من أنكر ، وليس بعيداً أن يكون لابن سلام كتاب صغير في « غريب القرآن » اطلع عليه ياقوت أو غيره ، ولم يصل الينا بعد ، كسائر ما لم يصل الينا من كتب المؤلفين ... » آخذاً عليه ـ على كاتب مقالة المورد ـ أنه لم يبين لنا من هم هؤلاء « القدماء » الذين نبهوا على خطأ ياقوت ؟... » . والتعليق على هذا :

ان كاتب مقالة المورد كان ـ وما زال ـ غير مقتنع بأن يكون بين مؤلفات محمد بن سلام كتاب في « غريب القرآن » . ولكاتب المقالة لذلك أسباب ، فاذا ترك دواعي التضعيف التي يراها في ياقوت لتاخره زمناً (ت ٦٢٦ هـ) ، ولانه غير متخصص ، وترك دواعي التضعيف التي يراها في ابن النديم لانه كان «ورّاقاً» أكثر منه عالماً ولانه لم يذكر «غريب القرآن » عندما خصص كلامه بمحمد بن سلام وبتعداد كتبه ، بل انه في الصورة التي ورد الينا عليها كتابه جعل « طبقات الشعراء » كتابين ، ونسب الكتاب الواحد مرة لمحمد بن سلام ومرة لابن أخته الفضل بن الحباب ؟! اذا ترك كاتب مقالة المورد هذا وذاك ، فانه يرجع الى محمد بن سلام نفسه فيراه رجل أدب وعلم بالشعر ورواية لغة وأخبار ، أما الذي هو رجل قرآن وحديث فهو القاسم بن سلام ، ويكفي أن يكون له : الغريب المصنف ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، وعدد آي القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وفضائل القرآن . ولم نر لمحمد بن سلام شيئاً ـ شيئاً فقط ـ من هذا .

هذه هي قناعة كاتب مقالة المورد ، وقد وقع اقتراب منها في رأي الاستاذ محمود محمد شاكر حين ناقش القوة في الانكار وليس الانكار نفسه ، وانتهى بانه « ... وليس بعيداً أن يكون لابن سلام كتاب صغير في « غريب القرآن » اطلع عليه ياقوت أو غيره ، ولم يصل الينا بعد ، كسائر ما لم يصل الينا من كتب المؤلفين » . فالمسالة مسالة ليست بعيداً ، وليست مسالة جزم .

ثم ياتي الشطر الثاني من كلام الاستاذ محمود محمد شاكر ، وهنا يوضح كاتب مقالة المورد الموقف فيقول من حق الاستاذ محمود محمد شاكر أن يطالب بذكر القدماء الذين نبهوا على خطأ ياقوت ، لان تنبيه القدماء لم يقع تخصيصاً على ياقوت وإنما على الخلط بين أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي عبدالله محمد بن سلام . فهذا الخلط أقدم من ياقوت ، والتنبيه له كذلك قديم ، أقدم منه بنحو من ثلاثة قرون أو أكثر . وقد أورد كاتب مقالة المورد ذلك في ترجمته لمحمد بن سلام في « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » كانون الثاني ١٩٦٦ / رمضان ١٣٨٥ (ص ٦٠) بصدد « خبر أورده أبو الطيب اللغوي (المتوفى عام ٣٥١ هـ) وهو يتحدث عن دواعي تأليف كتاب « مراتب النحويين» ، ويبين جهل الناس وتخليطهم : « حتى يظن قوم أن القاسم بن سلام البغدادي ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات أخوان ! ولقد رأيت نسخة من كتاب « الغريب المصنف » على ترجمته : تاليف أبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي ، وليس أبو عبيد بجمحي ولا عربي ؛ وإنما الجمحي محمد ، مؤلف كتاب طبقات الشعراء » ووفاة « اللغوي » سابقة على وفاة « ابن النديم » باكثر من ثلاثين عاماً في تقدير ، وباكثر من نصف قرن في تقدير آخر !

وقال كاتب مقالة المورد في الحاشية على ما ذكره أبو الطيب اللغوي : « ويبدو ان هذا الوهم بقي على الزمن فقد ورد في سماع (من القرن السادس) في آخر النسخة الدمشقية لكتاب الاموال » ... عن ، عن ... أبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي ... وأبو عبيد القاسم بن سلام ... من كتبه الغريب المصنف ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن ... والاموال ... » فكأن القاسم بن سلام جمحي كمحمد بن سلام .

٥ ـ أما مسالة « يوسف هل » ناشر كتاب « طبقات الشعراء » لاول مرة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ وأورية في اتون الحرب العالمية الكبرى .. فلم يطلب كاتب مقالة المورد من الاستاذ محمود محمد شاكر أن يلبسه « سرابيل الثناء والتمجيد والحمد » ولا أن يتغاضى عن خطأ في رأيه أو تصوره ـ ولا أقول في سقه وضغنه ـ وإنما طلب أن يقال فيه الذي له والذي عليه ، ويكتفي من الذين له بما قاله الاستاذ محمود محمد شاكر (ص ١١٦) : « والذي لا شك فيه عندي ان الرجل مشكور كل الشكر لما فعل ، ومذكور بالخير لفضله وسابقته » .

فالرجل جدَّ واجتهد وليس مناسباً الّا ننوه بجده وجهده ونحن نبين أغلاطاً له ، يدفعنا ايماننا بأنفسنا وسوء ظننا بغيرنا ، الى أن نقف عندها وحدها فضلاً عما نكون حملناها ما لا تحتمل .

الخلاصة : نشكر يوسف هل على جده وجهده ، ونبين أغلاطه على الوجه العلمي .

أما تعريج الاستاذ محمود محمد شاكر على المستشرقين عموماً وعلى « الاعجمي فرانز رورنتال المسكين » ص ١١٧ ـ ١٢٧ فهي ـ شان وقفات اخرى ـ استطراد ، خارج الصدد . وللاستاذ محمود محمد شاكر أن يقول في هذه الوقفات ما يقول .

٦ ـ قال صاحب مقالة المورد : « ولم يستغرب الاستاذ المحقق ـ محمود محمد شاكر وجود بشامة بن الغدير ص ٥٦١ في الاسلاميين مع ما تذكره المصادر من جاهليته » .

وروى الاستاذ محمود محمد شاكر هذا الخبر ص ١٠٧ وقال انه « يقابل ص ٧١٨ في الطبعة الثانية » وزاد (ص ١٠٧ ـ ١٠٨)

قال : وأنا لا أدري على وجه التحقيق هل قرأ الدكتور علي جواد الطاهر كتاب « طبقات فحول الشعراء » في طبعتيه أو لم يقرأه ، بيد أن مقالة المورد توهم أنه قرأ الطبعتين (...) ولكني أعود فاشك في ذلك ، لاني قلت في مقدمة الطبعة الأولى [ص : ٢٠ - ١] ما ياتي :

« وصنيع ابن سلام في الطبقات دالٌ على أنه يَعدُّ المخضرمين في الجاهليين تارة ، وفي الاسلاميين تارة ... وابن سلام لم يَعدُ في مقدمة كتابه بان يذكر طبقات الجاهليين ، ثم طبقات المخضرمين ، ثم طبقات الاسلام ، بل كل ما قاله [ص : ٢١] : « ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين ، فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة وما قال فيه العلماء ... » ، فهذا كلام مطلق لا حدّ فيه ولا تعيين . والذي بأيدينا من كتاب الطبقات ، وما نقل عنه الناقلون ، يدل على أن ابن سلام فرّق المخضرمين بين طبقات شعراء الجاهلية وطبقات شعراء الاسلام ، فذكر في الثالثة من الاسلاميين كعب بن جعيل ، ويقال انه شهد الجاهلية ، وعمرو بن أحمد ، وهو مخضرم لا شك فيه ، وسحيم بن وثيل الرياحي ، وهو مخضرم أيضاً .. وفي السادسة من الاسلاميين ، ذكر بشامة بن الغدير وقراد بن حنش وهما جاهليان فيما نعرف فلعلّ ابن سلام عدّهما من المخضرمين ، لخبر بلغه عن ادراكهما الاسلام ، وإن لم يسلما » .

« وهذا موجود بنصه أيضاً في مقدمة الطبعة الثانية (ص ٦٤، ص ٦٥) ، والامر لا يحتاج الى بيان ، ولا حيلة لي إذا غلبني الشك في أن الدكتور علي جواد الطاهر ، لم يقرأ الكتاب في طبعتيه جميعاً ، بل تصفحهما تصفُّحاً على عجل ، متلمساً الخطأ ، أو لما يتوهم أنه خطأ » .

والخلاصة في التعليق على هذا :

أ - لم يرد في مقالة المورد استغراب لرأي الاستاذ محمود محمد شاكر فيما رأى ان ابن سلام عدّ شعراء مخضرمين في الجاهليين تارة ، وعدّ شعراء مخضرمين آخرين في الاسلاميين تارة .

ب - إنما كان كاتب مقالة المورد يود لو أن الاستاذ محمود محمد شاكر « استغرب » وجود بشامة بن الغدير في الاسلاميين مع ما تذكره المصادر من جاهليته » .

فالاجماع قائم على أن بشامة بن الغدير جاهلي ، وانه لم يدرك الاسلام ، أو يقترب كثيراً من عصره ، وانه لم يكن باي حال من الاحوال وأي تصور مخضرماً ، فكيف يكون مخضرماً وقد مات - باجماع الاخبار - في الجاهلية والاستاذ محمود محمد شاكر نفسه يعرف أنه جاهلي .

جـ - وهل يكفي في حجة الدفاع عن ورود بشامة بن الغدير الجاهلي المتوفى قبل الاسلام أن نقول : « فلعل ابن سلام عده من المخضرمين لخبر بلغه عن إدراكه الاسلام . ما الموجب للترجي بعد نصاعة الدليل ؟

د - ان ابن سلام يعلم تماماً - وكما هو اللازم - ان بشامة بن الغدير جاهلي ، وانه مات قبل الاسلام فلا يمكن أن يعد مخضرماً ، ولو كان - جدلًا - مخضرماً على هذه الدرجة من الضعف والترجي لكان الاولى بدفعه الى الجاهليين مع ذكر ما بلغ ابن سلام عن ادراكه الاسلام .

هـ - ونرجع الى « طبقات الشعراء » الذي بايدينا لمحمد بن سلام نفسه فنقرأ : الطبقة الثامنة من الاسلاميين .

عقيل بن علفة ، بشامة بن الغدير ، شبيب بن البرصاء ، قراد بن حنش . ونقرأ على ص ص ٥٦٣ - ٤٦٤ من الطبعة الأولى (شرح الاستاذ محمود محمد شاكر) :

أخبرنا أبو خليفة ، أخبرنا ابن سلام قال : حدّثني أبو عبيدة أن بشامة بن الغدير كان كثير المال ، وكان ممن فقأ عينَ بعير في الجاهلية ، وكان الرجل إذا ملك ألف بعير فقأ عينَ فحلها .

وكان قد أقعد ، فلما حضرته الوفاةُ لم يكن له ولد فقسم ماله بين اخوته وبني أخيه وأقاربه ، فقال له زهير بن أبي سُلمى - وهو ابن اخته : ماذا قسمت لي يا خالاه ؟ فقال : أفضل ذلك كله ! قال : ما هو ؟ قال : شعري .

فيزعم من يزعمُ أنّ زهيراً جاءه الشعر من قِبَل بشامة » .

وفي حاشية الكتاب من هذه الطبعة : « إقرأ مثل هذا الخبر في الاغاني ١٠ / ٣١٢ ، وديوان زهير : ٣٢٥ » .

هذا ما جاء في الطبعة الاولى .

ونعود الى الطبعة الثانية : الطبقة الثامنة - من الاسلاميين ، والشعراء الاربعة هم هم وفي ص ص ٧١٨ - ٧١٩ ، صميم الخبر هو هو .

فاذا كان زهير نفسه جاهلياً جاهلياً مات قبل الاسلام فما أولى أن يكون خاله بشامة بن الغدير أعرق منه في الجاهلية وأبعد عهداً عن الاسلام .

٧ - يامل كاتب مقالة المورد أن يعود ثانية الى الطبعة الثانية التي قرأها وشرحها الاستاذ محمود محمد شاكر ليسجل ملاحظاته الاخرى خدمة للكتاب .

وهو هنا ، يسال ، لهذه المناسبة ، عن السر العلمي الذي جعل الشيخ محمود محمد شاكر يضبط الحاء من « ابن حذام » بالكسر ، والمعلوم ان حذام بفتح الحاء - وقد كسر الشيخ الحاء في الطبعتين (ط ١ ، ص ٣٣ ؛ ط ٢ ، ص ٣٩) .

ثم اننا نعلم جيداً ان كتاب « طبقات الشعراء » مجلد واحد في النسختين المخطوطتين المعتمد عليهما ، ولكن القارىء يراه لديه عند طبعته الثانية في « سفرين » وهذا من عمل المحقق في استجابة لدواعي الطباعة والنشر ، ويقتضي الموقف أن يشرح المحقق ذلك للقارىء ، وهو يحدثه (ص ٧١) عن «سيرتي في العمل .. » ...

وبعد ..

ففي كتاب الاستاذ محمود محمد شاكر « برنامج طبقات فحول الشعراء » أشياء اخرى ، يمكن لقارىء أن يقف عندها ، ولكاتب مقالة « المورد » أن يداريها . ولكن كاتب المقالة هذا لا يريد أن يبذل من الوقت

أكثر مما بذل . ولا يريد أن ينتهي دون أن يبين أن كاتب المقالة حين كان يضع - في المورد - كلمات معينة من كلام الاستاذ محمود محمد شاكر - في الطبقات - بين أهلة (قوسين) ، وحسب ذلك الاستاذ محمود محمد شاكر غمزاً وهمزاً ولمزاً (ص ١٦٩ ، ١٧١) فإن للاستاذ محمود محمد شاكر أن يعدها كما يشاء وكما صور له ذلك الذي أوصل اليه « مجلة المورد » . أما كاتب المقالة نفسه ، فقد كان على أعلى درجات حسن الظن والتقدير والاحترام ، وكانت الأهلة لديه تقول : انظروا التواضع ، تأملوا العلم ، لاحظوا الثقة بالنفس ، أكبروا - معنا - الشيخ الذي يدعو الى « نقد » عمله ، ويعلن « البراعة » مما صدر عنه وظهر له أنه غير جدير به ، لقد كان في « صراحته » أبين مما يود أن يوصله اليه محب معجب فيرده « الحياء » .

ثم ..

اؤكد للقارىء أن كاتب مقالة المورد ما زال هو هو من تقدير علم الاستاذ محمود محمد شاكر كما كان قبلها وهو يدرّس « طبقات الشعراء » لطلبة الماجستير والدكتوراه - وهم أحياء شهود يتصدرون كراسي التدريس في الجامعات داخل العراق وخارجه ، هو هو كما كان قبل المقالة ، وكما كان بعدها وقد أوصل اليه كتاب الاستاذ محمود محمد شاكر « برنامج طبقات فحول الشعراء » خلساً .

ولو لم يكن كاتب مقالة المورد بعد « البرنامج » كما كان قبله لما « دبج » مقالة الإعجاب والإطراء والثناء على « الشيخ محمود محمد شاكر » في مجلة « الفيصل » - داعياً ، في كل حال ، الى استثمار كنوزه ، والى انتفاع الجامعات بعلومه . واذا كان الاستاذ محمود محمد شاكر قد فهم مقالة « الفيصل » على غير حقيقتها فله ذلك ، ويكفي كاتبها أنه قال ما في نفسه من تقدير كما كان يريد ، ويكفيه - بعد ذلك - أن يفهمها القرّاء على أنها ضرب من الشجاعة .

ويقرر - هنا - كاتب المقالتين في « المورد » و « الفيصل » - ان كل ما أمكن أن يكون « لبرنامج طبقات فحول الشعراء » من صدى في نفسه ، هو ما شرعت تردده هذه النفس للنفس - بين حين وحين - من كلمات الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا أن تُصيبوا قوماً ... » أجل . وقلما أكمل الآية حتى آخرها .

وملاحظة اخرى - للذين لم يحصلوا على نسخة من « برنامج طبقات فحول الشعراء » ، نقول ان حرص الاستاذ محمود محمد شاكر على هذا الكتاب حبّب اليه أن يقدمه بين مؤلفاته وتحقيقاته لدى الترشيح لعضوية « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة . وزاد هذا فيه ، فعزم على أن « يجلّد » « سفري » كتاب الطبقات (الصادر عام ١٩٧٤) ليمكن لكتاب « البرنامج » أن يتصدر الجزء الاول بعد « الجلاد » الاول مباشرة وقبل مقدمة الطبقات لينزل الكتابان الى السوق - على هذه الصورة - كتاباً واحداً . عزم الاستاذ محمود محمد شاكر ، ونفذ العزم ، وذلك حقه ، وهكذا وصل الطبقات الى السوق العراقية (عام ١٤١٠ / ١٩٨٩ ؟) وأول ما يطل على الناس من كتاب محمد بن سلام كتاب الاستاذ محمود محمد شاكر : « برنامج طبقات فحول الشعراء » .

المصادر والمراجع

ابن سلام وطبقات الشعراء - دكتور منير سلطان ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٧٧ .

الاغاني - أبو الفرج الاصبهاني (ت ٣٥٦) . القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٣٦ .

الاموال - أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) القاهرة ١٣٥٣ .

برنامج طبقات فحول الشعراء - أبو فهر محمود محمد شاكر . القاهرة ، مطبعة المدني ، د.ت (١٤٠٠ / ١٩٨٠ ؟) .

تاريخ ابن حنبل - ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧) ، القاهرة ، نشر محمد أمين الخانجي ١٣٤٩ .

طبقات الشعراء - محمد بن سلام - مخطوطة المدينة المنورة (مكتبة شيخ الاسلام) مصورة معهد المخطوطات العربية في القاهرة .

- مخطوطة مكتبة جاستريتي - دبلن ، ايرلندة (مصورة عنها) .

- ط . بريل ١٩١٣ - ١٩١٨ بتحقيق يوسف هل .

أعادت بيروت طبعها تصويراً ، دار النهضة العربية د.ت .

- ينظر في أدناه : طبقات فحول الشعراء ..

طبقات الشعراء مخطوطاً ومطبوعاً - علي جواد الطاهر . بغداد ، مجلة المورد ، العدد الثالث ، المجلد الثامن ، خريف ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .

طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام ، شرحه محمود محمد شاكر . القاهرة ، دار المعارف للطباعة والنشر ، ١٩٥٢ . الطبعة الاولى في جزء واحد .

طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر . القاهرة ، مطبعة المدني ١٩٧ (الطبعة الثانية في سفرين) - ينظر أعلاه ، طبقات الشعراء .

الفهرست - محمد بن اسحاق ابن النديم . القاهرة ، مط . الاستقامة د.ت ، الرحمانية ١٣٤٨ .

محمد بن سلام - علي جواد الطاهر ، دمشق ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد الحادي والاربعون .

١ - حياته ، الجزء الاول ، كانون الثاني (يناير) ١٩٦٦ / رمضان ١٣٨٥ .

٢ - فنون علمه ومؤلفاته ، الجزء الثاني نيسان (ابريل) ١٩٦٦ / ذو الحجة ١٣٨٥ .

محمود محمد شاكر - علي جواد الطاهر - الرياض ، مجلة الفيصل ، العدد ٩٦ المجلد الثامن ، جمادى الاخرة ١٤٠٥ / آذار (مارس) ١٩٨٥ ، باب « وأنت تقرأ » .

مراتب النحويين - أبو الطيب عبدالواحد ، اللغوي ، الواحدي ، الحلبي (ت ٣٥١) . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٥٥ (ت ٦٢٦) .

معجم الادباء - ياقوت الحموي (ت ٦٢٦) . القاهرة ، دار المامون ، إشراف أحمد فريد رفاعي ١٩٣٦ / ١٣٥٥ .

مقالة المورد - ينظر في أعلاه : طبقات الشعراء مخطوطاً ومطبوعاً .

الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء - المرزباني ، أبو عبدالله محمد بن عمران (ت ٣٨٤) . تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، دار نهضة مصر ١٩٦٥ .

نزهة الالباء في طبقات الادباء - الانباري كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد (ت ٥٧٧) ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٥٩ (أعيد طبعه في بيروت ١٩٧٠) .

نكت الهميان في نكت العميان - الصفدي ، الصلاح الصفدي خليل بن ايبك ، المتوفى سنة ٧٦٤) ، القاهرة ١٩١١ (اعيد طبعه تصويراً) .

علل الاعراب والحركات الاعرابية في العربية

دراسة
د. قيس اسماعيل الاوسي
جامعة صدام للعلوم الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

ان المشتغلين بعلم النحو، ولا سيما المتأخرين منهم، كانوا غير بعيدين عن علم الكلام، إنْ لم يكونوا من المشتغلين به، لذلك جاءت عِللهم أقرب الى عِلل المتكلمين منها الى عِلل المتفقهين: « اعلمْ ان عِلل النحويين ـ وأعني بذلك حذّاقهم المتقنين، لا ألفافهم المستضعفين ـ أقرب الى عِلل المتكلمين، منها الى عِلل المتفقهين، وذلك أنهم إنما يُحيلون على الحسّ، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفّتها على النفس، وليس كذلك حديث عِلل الفقه، وذلك أنها إنما هي أعلامٌ وأماراتٌ لوقوع الاحكام، ووجوه الحكمة فيها خفية عنا، غير بادية الصفحة لنا ... »[1].

وعِلل النحو وإنْ كانت ترجح عِلل الفقه، وتُلحق بعلل الكلام، إلا انها لا تبلغ علل المتكلمين وبراهين المهندسين: « واعلم أنا مع ما شرحناه وعُنينا به فاوضحناه من ترجيح عِلل النحو على عِللِ الفقهِ، وإلحاقها بعِلَلِ الكلامِ، لا ندّعي أنّها تبلغُ قدرَ عِلل المتكلمين، ولا عليها براهين المهندسين »[2].

وكان غرض النحاة من دراسة عِلل النحو هو البحث عن الاسباب والاسرار التي تحكّمتْ في التزام العرب ما التزموه من قوانين النحو وأحكام الإعراب في كلامهم: « إنّا لسنا ندّعي أنّ عِلل أهل العربية في سَمتِ العِلل الكلامية البتة، بل ندّعي أنها أقربُ اليها من العِلَلِ الفقهية، وإنا حَكّمنا بديهة العقل، وترافعنا الى الطبيعة والحسّ، فقد وفّينا الصنعة حقها، وربأنا بها أفرع مشارفها. وقد قال سيبويه: « وليس شيءٌ مما يُضطرون اليه، إلّا وهم يحاولون به وجهاً »[3]. وهذا أصلٌ يدعو الى البحث عن عِلل ما استكرهوا عليه، نَعمْ ويأخذ بيدك الى ما وراء ذلك، فتستضيء به وتستمد التنبُّه على الاسباب المطلوبات منه ... »[4].

وينفرد هذا البحث بدراسة (عِلل الإعراب والحركات الاعرابية في العربية)، وكان الزُّجّاجي قد سجل جانباً منها في كتابه « الإيضاح في عِلل النحو »، وجاء هذا البحث ليدرس العِلل التي فاتت الزُّجّاجي، أو التي كان الزُّجّاجي قد أغفلها، كما يدرس عِلل النحاة المتأخرين، وهي كثيرة، لكنها متناثرة ومبعثرة في كثير من كتب النحو، ولا تتوفر لها فهارس تشير الى وجودها، فلَمْ يكن من سبيل للكشف عنها إلّا أن أصبر نفسي مع هذه الكتب، أتوغل فيما احتشد من سطورها وكلماتها، وأنا أتصفح وجوهها وأتطلع فيها، باحثاً عن كل ما له علاقة بها.

(الإعراب) لغةً:

يجيء (الإعراب) في اللغة لمعانٍ، منها: (الإبانة)، يُقال: « أعربَ عن حاجته): إذا أبان عنها. و (التحسين)، يُقال (أعربتُ الشيء) أي: حَسّنتُهُ. و (التّغيير)، يُقال (عَرِبَتْ مَعِدَةُ الرجلِ) إذا تغيّرت. و (الانتقال)، يُقال (عَرِبَتْ الدابّةُ في مرعاها) أيْ: جَالت[5].

وكلمة (الإعراب) في (علم النحو) قد تكون منقولةً من قولهم (عَرِبَتْ مَعِدَتُهُ) إذا فَسَدَتْ، فكأنّ المعنى في (الإعراب): إزالةُ الفساد ورفعُ الإبهام، ألا ترى أنك لو قُلتَ: (هذا زيدْ) و (رأيتُ زيدْ) و (مررتُ بزيدْ)، فلَمْ تُغيّر آخر الكلمة، لكان ذلك لَبساً وإفساداً. فاذا خالفتَ بين الحركات في آخر الاسم، ودللتَ بكل واحدة على معنى، اتضح المقصود وزال اللُّبس والفساد، فـ (أعربتُ) على هذا القول مثل (أعجَمتُ) بمعنى: أزَلتُ عُجْمَتَهُ، و (أشكَيْتُ الرجلَ) بمعنى: أرضيتُهُ وأزلتُ شِكايَتَهُ. فهذه (الهمزة) تُسمى (همزة السَّلب)[6].

والانسب لكلمة (الإعراب) أن تكون ماخوذةً من (الإبانة)[7]، يُقال: (أعربَ عن نفسه) إذا بيَّن ما في ضميره وأوضحه، و (رجلٌ مُعْرِب) أيْ: فَصيح يكشف عن مقاصده ويوضحها، و (أعربَ عنه لسانه) أي: أبانَ وأفصح، و (أعربَ عن الرَّجُلِ) أيْ: بيَّن عنه وتكلّم بحُجْته، ومنه قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الثُّيِّبُ تُعْرِبُ عن نفسها » أيْ: تُفصِحُ، ومنه الحديث الاخر: « فإنّما كان يُعرِبُ عمّا في قلبه لِسانُهُ »، ومن هذا أن يُقال للرجلِ الذي أفصَحَ بالكلام: (أعرَبَ)[8].

وهو مُشتَقٌّ من لفظ (العرب) ومعناه، وذلك لِما يُعزى اليهم من الفصاحة، يُقال: (أعرَبَ) و (تَعرَّبَ) إذا تَخَلَّقَ بِخُلُقِ العرب في البيان والفصاحة، كما يُقال (تَمَعْدَدَ) إذا تكلم بكلام مَعَدّ[9].

وإنما سُمّيَ (الإعرابُ) إعراباً لتبيينهِ وإيضاحهِ،

فـ (الإعرابُ) الذي هو من موضوعات (النحو) إنّما هو : الإبانةُ عن المعاني وايضاحها بالألفاظ ، و (أعربَ كلامَهُ) : إذا لم يَلْحَنْ في الإعراب[10].

وذلك أنّ النحويين لمّا رأوا في أواخر الاسماء والافعال حركاتٍ تدل على المعاني ، وتبين عنها ، سمّوها (إعراباً) ، أي : بياناً ، وكأنّ البيان بها يكون ، كما يُسمى الشيء باسم الشيء إذا كان يشبهه أو مجاوراً له[11].

ويؤكّد هذا أنّ (المبني) إنما سُمّي مبنياً لبقائه على حالة واحدة كالبناء المرصوص[12].

فـ (الإعراب) هو : الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكَلِم ، ألا ترى أنّك لو قلت : (ضرب زيد عمرو) ، بالسكون من غير اعراب ، لم يُعلَمِ الفاعل من المفعول ، فلما كانت الاسماء تعتورها المعاني ، فتكون فاعلةً ، ومفعولةً ، ومضافاً اليها ، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جُعِلَت حركات الإعراب فيها تنبىءُ عن هذه المعاني ، فقالوا : (ضَرَبَ زيدٌ عمراً) ، فدلّوا برفع (زيد) على أنّ الفعل له ، وبنصب (عمرو) على أنّ الفعل واقعٌ به . وقالوا : (ضُرِبَ زيدٌ) ، فدلّوا بتغيير أوّل الفعل ورفع (زيد) على أنّ الفعل ما لم يُسَمَّ فاعلُه ، وأنّ المفعولَ قد نابَ منابَهُ . وقالوا : (هذا غلامُ زيدٍ) ، فدلّوا بخفضِ (زيد) على اضافة (الغلام) اليه ، وكذلك سائر المعاني ، جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتّسعوا في كلامهم ، ويُقدّموا الفاعل إنْ أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة الى تقديمه ، وتكون الحركات دالّةً على المعاني[13].

وفي هذا يقول ابن فارس : « إنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني ، ألا ترى أنّ القائل إذا قال : (ما أحسن زيد) لَمْ يُفَرِّقْ بين التعجُّبِ والاستفهام والذمّ إلّا بالإعراب »[14].

ويقول في (باب ذكر ما اختُصَّتْ به العرب) : « من العلوم الجليلة التي خُصَّت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يُعرف الخَبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما مُيّز فاعل من مفعول ، ولا مُضاف من منعوت ، ولا تَعجُّب من استفهام ، ولا صَدرٌ من مصدر ، ولا نعتٌ من تاكيد . وذَكَرَ بعض أصحابنا أنّ الإعراب يختص بالإخبار ، وقد يكون الإعراب في غير الخبر أيضاً ، لإنّا نقول : (أزيدٌ عندَكَ ؟) و (أزيداً ضَرَبْتَ ؟) ، فقد عَمِلَ الإعرابُ وليس هو من باب الخبر »[15].

ويقول أيضاً : « فأمّا الإعراب فبه تُميَّز المعاني ويوقَف على أغراض المتكلمين ، وذلك أنّ قائلًا لو قال : (ما أحسن زيد) غير مُعربٍ ، أو : (ضرب عمرو زيد) غير مُعرب ، لم يوقَف على مُراده ، فإذا قال : (ما أحسنَ زيداً !) أو (ما أحسنَ زيدٌ) أو (ما أحسنُ زيدٍ ؟) ، أبانَ بالإعرابِ عن المعنى الذي أراده . وللعَرَبِ في ذلك ما ليس لغيرها ، فهُم يُفرّقون بالحركات وغيرها بين المعاني .. يقولون : (هذا غُلاماً أحسنُ منه رَجُلًا) يريدون به الحال في شخصٍ واحد ، ويقولون : (هذا غُلامٌ أحسنُ مِنهُ رَجُلٌ) فهُما إذن شخصان ، وتقول : (كَمْ رَجُلًا رأيتَ ؟) في الاستخبار ، و (كَمْ رَجُلٍ رأيتَ !) في الخَبَرِ يُرادُ به التكثير ، و (هُنَّ حَوَاجُّ بيت الله) إذا كُنَّ قد حَجَجْنَ ، و (حَوَاجُّ بيت الله) إذا أردنَ الحَجَّ ، ومن ذلك : (جاء الشتاءُ والحَطَبَ) لَمْ يُرِدْ أنّ الحطبَ جاء إنّما أراد الحاجة اليه ، فإن أراد مجيئهما قال : (والحطبُ) . وهذا دليلٌ يدلُّ على ما وراءَهُ »[16].

ويقول ابن الخشاب في فائدة (الإعراب) : « وفائدته أنه يَفرّقُ بين المعاني المختلفة التي لو لَمْ يدخل الإعراب الكلمة التي تتعاقبُ عليها تلك المعاني التبستْ . والمثال في ذلك المسألة المذكورة ، وهي قولهم : (ما أحسنَ زيداً) و (ما أحسنَ زيدٌ) و (ما أحسنُ زيدٍ) ، صيغة الكلام واحدة ، ومعانيه مختلفة ، فإذا نصبتَ (زيداً) وفتحت النون من (أحسنَ) كان الكلام تعجُّباً ، وإذا رفعتَ زيداً مع فتح النون كان الكلام نفياً للإحسان عنه ، وإذا رفعتَ النون وجَرَرتَ زيداً كان الكلام استفهاماً عن الشيء الذي هو أحسنُ ما في زيد ، كأنك سألت : أعَينُ زيدٍ أحسنُ ما فيه أم أنفُهُ أمْ فَمُهُ ؟ الى غير ذلك مما يَصُحُّ الاستفهام عنه منه ، فلولا اختلاف الحركات ، التي هي الرفع والنصب والجر المتعاقبة على دال (زيد) ، التبستْ هذه المعاني ، فلم يكن بين بعضها وبعض فرقٌ في اللفظ ، الى غير ذلك من المسائل التي تتبين فيها فائدة الإعراب »[17].

ولو اقتُصِرَ في البيان على حفظ المرتبة ، فيُعلَمُ الفاعلُ بتقدُّمه والمفعول بتأخُّرِهِ ، لَضاقَ المذهبُ ولَمْ يوجد من الاتّساع بالتقديم والتاخير ما يوجد بوجود الإعراب ، ألا ترى أنّك تقول : (ضربَ زيدٌ عمراً) و (أكرمَ أخاكَ أبوكَ) ، فيُعلَمُ الفاعل برفعه والمفعول بنصبه سواء تقدم أم تاخر[18].

ان المعنى هو مُوجِبُ الإعراب في الاصل ، نحو : (الفاعلية) و (المفعولية) و (الإضافة)[19]، هذا قول جميع النحويين إلّا قُطرُباً ، فإنه عاب عليهم هذا الاعتلال ، وقال : لَمْ يُعرَبِ الكلام للدلالة على المعاني والفَرقِ بين بعضها وبعض ، لإنّا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة المعاني ، كقولهم : (إنّ زيداً أخوكَ) و (لعلَّ زيداً أخوكَ) و (كأنّ زيداً أخوكَ) ، كما توجد في كلامهم أسماء مختلفة الإعراب مُتّفقة المعاني ، كقولهم : (ما زيدٌ قائماً) و (ما زيدٌ قائمٌ) ، فلو كان الإعرابُ إنّما دَخل الكلام للفرق بين المعاني ، لوَجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه ، لا يزول إلّا بزواله .

قال قُطْرُب : وإنّما أعرَبَتِ العرب كلامها لان الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جَعلوا وَصْلَهُ بالسكون أيضاً للزمهم الإسكان في الوقف والوصل ، ولَلَزِمَهُم الإبطاء عند الإدراج ، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك مُعاقِباً للإسكان ، ليعتدل الكلام ، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرّكٍ وساكن ، ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين

ساكنين في حشو كلمة ولا في حشو بيتٍ ، لانهم في اجتماع الساكنين يُبطئون ، كما لم يجمعوا بين أربعة أحرف متحركة ، لانهم في كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم ، لذلك جَعلوا الحركة عَقِبَ الإسكان .

وقيلَ لِقُطْرُب : فهلّا لزموا حركةً واحدةً لانها مُجزئة لهم ، إذْ كان الفرض إنما هو حركة تعقب سكوناً ؟ ، فقال : لو فعلوا ذلك لضيّقوا على أنفسهم ، فأرادوا الاتساع في الحركات وأن لا يحظِروا على المتكلِّم الكلام إلّا بحركةٍ واحدة .

والفساد واضح في مذهب قُطْرُب واحتجاجه ، فلو كان سبب الإعراب ـ كما زَعَمَ قُطْرُب ـ هو جعل التحريك مُعاقِباً للإسكان ، لجاز خفض الفاعل مرةً ، ورفعه أو نصبه اخرى ، وجاز نصب المضاف اليه ، ما دام القصد في هذا إنما هو جعل الحركة تُعاقِبُ السكون حتى يعتدل بهما الكلام ، وأيُّ حركةٍ أتى بها المتكلم أجزأتْهُ فهو مُخَيَّرٌ في ذلك . وفي هذا فسادٌ للكلام ، وخروجٌ عن أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم[٢٠].

(الإعراب) اصطلاحاً :

لا يختلف (الإعراب) في اصطلاح النحاة المتقدمين عن معناه اللغوي ، فقد حَدَّهُ الزَّجّاجي بقوله : « الإعراب : الحركات المبينة عن معاني اللغة »[٢١]، وحَدَّه ابن جنّي بقوله : « الإعراب : هو الإبانة عن المعاني بالالفاظ ، ألا ترى أنك إذا سمعت (أكرمَ سعيدٌ أباه) و (شَكَرَ سعيداً أبوه) ، عَلِمتَ برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شَرجاً[٢٢] واحداً لاستبهَمَ أحدُهما من صاحبه »[٢٣]، ويقول فيه أيضاً : « موضوع (الإعراب) على مُخالفة بعضه بعضاً ، من حيث كان إنّما جيءَ به دالًّا على اختلاف المعاني »[٢٤].

ويَبْعُدُ حَدُّ (الإعراب) عند المتاخرين عن المعنى اللغوي للكلمة ، وذلك بسبب خضوعهم لفكرة العامل ، فقال الشريف الجرجاني في حَدِّهِ : « هو اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً »[٢٥]، وقال الفاكهي : « حَدُّ (الإعراب) : أثرٌ ظاهرٌ أو مُقدّرٌ يجلبه العامل في آخر الكلمة ، حقيقةً أو مجازاً »[٢٦]، كما عرَّفه الاشموني بقوله : « ما جيءَ به لبيان مقتضى العامل من حركةٍ أو حرفٍ أو سكونٍ أو حذف »[٢٧].

وقد اختلف النحاةُ في (الإعراب) ما هو ؟ ، فذهبت طائفة منهم الى انه (معنوي) ، قالوا : وذلك لانّه تغيير أو اختلاف في أواخر الكلم لاختلاف العوامل في أولها ، نحو : (هذا زيدٌ) و (رأيتُ زيداً) و (مَرَرْتُ بزيدٍ) ، والاختلاف معنى لا محالة ، أمّا نفسُ الحركاتِ فليست باعراب ، وإنّما هي علاماتُ الإعراب ودلائلُ عليه . وذهب آخرون الى أنّه (لفظي) ، فهو عندهم لفظٌ لا معنى ، قالوا : لانه نفس حركات الإعراب ، فهو عبارة عن كل حركةٍ أو سكون يطرى على آخرِ الكلمة في اللفظ ، يَحدُثُ بعامل ، ويَبطُلُ ببطلانه[٢٨].

ومن الذين قالوا بأنّ الإعراب (معنوي) عبدالقاهر الجرجاني ، الذي قال في البرهنة على هذا الرأي : « إنّ (الإعراب) في الحقيقة (معنىً) لا (لفظٌ) ، ولهذا قال[٢٩]: « الإعراب : أن تختلف أواخر الكَلِم لاختلاف العوامل » ، وقوله « أن تختلفَ » بمعنى : الاختلاف ، وليس الاختلاف بلفظٍ ، وإنما هو معنىً .. فإذا قُلتَ : (جاءني زيدٌ) و (رأيتُ زيداً) و (مررتُ بزيدٍ) فإنّ اختلاف الحركة ، وكونها مرةً ضمّةً واخرى فتحة وثالثةً كسرة ، ليدُلَّ هذا الاختلاف على معانٍ مختلفة ، إعرابٌ ، وليس نفس الحركة بإعرابٍ ، ألا ترى انها إذا وُجِدَتْ ولم يوجد الاختلاف لم تكن الكلمة مُعربةً ، وذلك (أينَ) و (كيف) ، ألا ترى أنهما مُتحركان ، ولا يقول أحدٌ إنّهما مُعربان ، لاجل أنّ الاختلاف غير موجودٍ في آخرهما . فاذا قيل لك في قولك (جاءني زيدٌ) : ما الإعرابُ ؟، فقُل : اختصاص الضمة بهذه الحال ، ومعنى الاختصاص أنها تزول في قولك : (رأيتُ زيداً) ، وكذا الفتحة تزول في قولك : (مَرَرْتُ بزيدٍ) ، فكلُّ واحدةٍ منها خُصَّتْ بدلالةٍ على معنىً ، فهي تزول بزوال ذلك المعنى ، وتاتي صاحبتُها الموضوعة للمعنى الثاني ، وكذلك تاتي الثالثة للمعنى الثالث .

فالحركة إذن آلةُ الإعراب ، لانَّ الاختلاف يحصلُ بها ، ولو كانت الحركة إعراباً لوجَبَ أن لا يُقال : (حركات الإعراب) ، إذ الشيءُ لا يُضافُ الى نفسه ... فهذه الإضافة بمنزلة قولهم : (مَطِيَّةُ حربٍ) ، إذ المعنى : أنّ هذه الحركات بها يحصل الاختلاف في آخر الكلمة ، كما أنّ المطيّةَ عليها يكون الحرب .. »[٣٠].

ومن هؤلاء أيضاً ابنُ يعيش الذي يقول : « والاظهرُ المَذهبُ الاول لاتفاقهم على أنهم قالوا : (حركات الإعراب) ، ولو كان الإعرابُ نفس الحركات لكان من اضافة الشيء الى نفسه ، وذلك مُمتنع »[٣١].

الإعراب أصلٌ في الاسماء أم في الافعال ؟

الإعراب عند البصريين أصلٌ في الاسماء فرعٌ في الافعال ، وعند الكوفيين أصلٌ في الاسماء والافعال ، وعند بعض المتاخرين أنّ الفعل أحقُّ بالإعراب من الاسم . وهذا من الخلاف الذي لا يكون فيه كبيرُ منفعة[٣٢].

ويبقى ما ذهب اليه البصريون من أنّ أصل الاسماء الإعراب ، وأصل الافعال والحروف البناء ، هو الأولى بالقبول ، لاجل أنّ الاسم تكون فيه معانٍ توجِبُ الاختلاف ، كالفاعلية والمفعولية والاضافة ، فلو لم تات بالاختلاف لم يُفصل بين المقاصد ، وليس كذلك الافعال والحروف ، لانها تدلُّ صيغُها على معانيها ، ألا ترى أنّ (ضَرَبَ) للماضي و (سَيَضْرِبُ) للمستقبل ، وكذا (مِن) لابتداء الغاية ، وليس فيها شيءٌ من المعاني التي تُوجِبُ اختلاف اللفظ ، فلو قيل : (ضَرَبَ ، ضَرَبُ ، ضَرَبِ) أو (سَوْفَ ، سَوْفُ ، سَوْفِ) لم يُفِد هذا الاختلاف شيئاً ، ومن المُحال أن يُغيَّر اللفظ لغير معنىً . فلهذا قالوا : إنّ أصل الفعل والحرف البناء ، وأصل الاسم الإعراب[٣٣].

وقد لَخَّصَ الزّجّاجي رأي البصريين بقوله : « أجمعَ الجميع على أن الإعراب إنما دخل الكلام ليفصل بين المعاني المُشكِلَة ، ويُدَلُّ به على الفاعل والمفعول والمضاف اليه وسائر ذلك من المعاني التي تعتور الاسماء . قالوا : وهذه المعاني موجودة في الاسماء دون الافعال والحروف ، فوجَبَ لذلك أن يكون أصل الإعراب للاسماء ، وأصل البناء للافعال والحروف »[٣٤].

وقالوا : إنما كان أصل دخول الإعراب في الاسماء التي تُذكَرُ بعد الافعال ، لانه يُذكَر بعدها اسمان ، أحدهما فاعلٌ والآخر مفعول ، فمعناهما مختلف ، فوجب الفرق بينهما ، ثم جُعِلَ سائر الكلام على ذلك[٣٥].

وقال البصريون : إنّ الإعراب فرعٌ في المضارع ، لانه أشبه الاسم في الإبهام والاختصاص فأعرب ، وإبهامه أنّه يحتمل الحال والاستقبال ، واختصاصه بدخول ما يُخلِّصُه لاحدهما ، كإبهام (رجل) في صلاحيته لكلّ فردٍ من الرجال ، واختصاصه بواحد بدخول (أل) العهدية عليه . وظاهر كلام سيبويه أنّ دخول لام التوكيد من وجوه الشبه ، نحو : (إن زيداً لَيَقُومُ) كما تقولُ (إنّ زيداً لقائمٌ) ، وبه قال أبو عليّ ، وقيل : ليست من وجوه الشبه ، إذ هي دخلت عليه بعد استحقاقه الإعراب لتخصيصه بالحال ، كما خصصته (السّين) و (سوف) بالاستقبال[٣٦].

أنــواع الإعــراب :

وهي : الرفع ، والنصب ، والجر . وأما الجزم فاختُلِفَ فيه ، فعدَّه قوم من أنواعه ، وقال آخرون : ليس الجزم بإعراب . فالرفع بالضمة ، والنصب بالفتحة ، والجر بالكسرة ، والجزم ـ عند مَن أثبته إعراباً ـ بالحذف ، لانَّ الجزم قَطعُ الحركة أو ما قام مقامها[٣٧].

فتسمية (وجوه الإعراب) يُريد به النحاة أنواع اعراب الاسماء ، التي هي : (الرفع) و (النصب) و (الجر) ، لانه لمّا كانت معاني الاسماء مختلفة ، تارة تكون فاعلة ، وتارة تكون مفعولة ، وتارة تكون مضافاً اليها ، كان الاعراب المضاف اليها مختلفاً ، ليكون الدليل على حسب المدلول عليه[٣٨].

وذلك أن الإعراب عبارة عن معنىً يحصل بالحركات أو بالحروف ، ولمّا وَجَدَ النّحاة هذه الحركات قد أتت دالّةً على معانٍ ، وصار اختلافها عَلَماً لاختلاف المعاني ، كالفاعلية والمفعولية والاضافة ، جعلوا لها في هذا الحدُّ أسماء منفردة ، فـ (الرفع) اسمٌ للضمة المختصة بحالٍ معلومةٍ ودلالةٍ مخصوصة ، وكذا (النصبُ) و (الجرُّ) اسمان للفتحة والكسرة الدّالّتينِ على المعنيين المخصوصين[٣٩].

وفَصَلَ سيبويه بين ألقاب حركات الإعراب وألقاب حركات البناء ، فسمّى (حركات الإعراب) : رفعاً ونصباً وجرّاً وجزماً ، و (حركات البناء) : ضمّاً وفتحاً وكسراً ووقفاً ، للفرق بينهما ، فإذا قيل : هذا الاسم مرفوع أو منصوب أو مجرور ، عُلِمَ بهذه الالقاب أنّ عاملًا عمل فيه ، يجوز زواله ودخول عاملٍ آخر يُحدِثُ عمله ، ووقَعت الكفاية في الفرق بهذا اللفظ ، وأغنى عن أن يُقال : ضمّة حدثتْ بعامل ، أو فتحة حدثت بعامل ، أو كسرةٌ حدثت بعامل ، فكان في التسمية فائدة الإيجاز والاختصار . وقد خالفه الكوفيون وسَمُّوا (الضمّة) اللازمة : رفعاً ، و (الفتحة) اللازمة : نَصباً ، و (الكسرة) اللازمة : جرّاً . والصواب مذهب سيبويه لما فيه من الفائدة[٤٠].

علامــات الإعــراب :

أصلُ الإعراب أن يكون بالحركات ، بالضمة رفعاً ، وبالفتحة نصباً ، وبالكسرة جرّاً ، وبالسكون جزماً ، وإنما يُعدَلُ عنها الى الحروف لسبب ، ففي قولهم : (جاءني أبوه) و (رأيتُ أباه) و (مررتُ بابيه) ، جعلوا اختلاف الحروف قائماً مقام اختلاف الحركات ، فنابتِ (الواو) عن (الضمّة) ، و (الالف) عن (الفتحة) ، و (الياء) عن (الكسرة) ، والذي دعاهم الى ذلك استثقالُهم الحركة على حرف اللِّين ، الا ترى أنهم لو لم يتركوا الحركة لَلَزِمَهُم أن يقولوا : (جاءني أبُوُهُ) و (رأيتُ أبَوَهُ) و (مَررتُ بِأبُوِهِ) ، وذلك مُستثقَلٌ جداً ، فلما كان كذلك جعلوا كلَّ واحدٍ من هذه الحروف قائماً مقام نظيره من الحركة ، فصار (الواو) بمنزلة الرفع ، فقالوا : (جاءني أبوه) كما يقولون : (جاءني أبٌ) ، وصار (الألف) بمنزلةِ النصب ، فكان قولُهم : (رأيتُ أباه) بمنزلة قولهم : (رأيت أباً) ، وصار (الياء) بمنزلة الجرّ ، فكان قولُهم : (مَررتُ بابيه) بمنزلة قولهم : (مَررتُ بِأبٍ) ، وعلى هذا يجري ما شاكَلَهُ[٤١].

وذهب بعض النحاة الى أنّ هذه الحروف ليست نائبةً عن الحركات ، وإنّما الإعراب يكون بالحركات مُقَدَّرةٌ على هذه الحروف ، فالرفعُ في الاسماء الستة بضمّةٍ مُقَدَّرة على الواو ، والنصب بفتحةٍ مُقَدَّرة على الالف ، والجَرُّ بكسرة مُقَدَّرة على الياء . وكذلك القول في إعراب المثنّى والمُلحق به : إنّ الإعراب بحركةٍ مُقَدَّرة على الالف رفعاً وعلى الياء نصباً وجرّاً . وعلى هذا الرأي لم تَنُبِ الحروفُ عن الحركات[٤٢].

شــروطُ الإعراب :

يفتقِرُ الإعراب الى ثلاث شرائط : (الاولى) : الاختلاف . (والثانية) : أن يكون ذلك الاختلاف في آخر الكلمة ، وإنما جُعِلَ الإعرابُ في آخر الكلمة لانه دالٌّ على وصف الاسم ، أي : كونه عُمدةً أو فضلةً أو مُضافاً اليه ، والدالُّ على الوصف يأتي بعد الموصوف . (والثالثة) : أن يكون باختلاف العوامل ، كقولك : (جاءني زيدٌ) و (رأيتُ زيداً) و (مَررتُ بزيدٍ) ، فعامل النصب غير عامل الرفع ، وعامل الجرّ غير عاملهما ، فكلُّ اختلافٍ وُجِدَ بهذه الصفة فهو إعرابٌ[٤٣].

العامل في الإعراب :

ذهب النحاةُ الى أنّ الذي يقبلُ الإعراب هو قبل تركيبه مع العامل

وقفٌ . فإذا دخل العاملِ أثَّر ، والاصل في العامل أن يكون من الفعل ، ثم من الحرف ، ثم من الإسم[٤٤].

وقسَّمَ النحويون العوامل الى : (عوامل لفظية) و (عوامل معنوية) ، ويرى ابن جنّي أنّ « العوامل اللفظية راجعة في الحقيقة الى أنها معنوية ، ألا تَراكَ إذا قلت : (ضَرَبَ سعيدٌ جعفراً) ، فإنّ (ضَرَبَ) لم تعمل في الحقيقة شيئاً ، وهل تحصلُ من قولك (ضَرَبَ) إلّا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة (فَعَلَ) ؟، فهذا هو الصوت ، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً اليه الفعلُ »[٤٥].

والحركات الإعرابية عند ابن جنّي ليست نتيجة عمل عامل ، وإنما الذي يَرفع ويَنصب ويَخفِض ويجزم هو المتكلم نفسه ، إذ هو بذلك يبين عن المعاني التي يريدها بالالفاظ ، ففي قوله (أكرمَ سعيداً أبوهُ) تُعْرَفُ برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، يقول في « باب في مقاييس اللغة » : « وإنما قال النحويون (عامل لفظي) و (عامل معنوي) لِيُرُوكَ أنّ بعض العمل يأتي مُسبَّباً عن لفظٍ يصحبه ، كـ (مَرَرْتُ بزيدٍ) و (ليتَ عمراً قائِمٌ) ، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظٍ يتعلق به ، كرفع المبتدأ بالابتداء ، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم ، هذا ظاهر الامر ، وعليه صفحة القول ، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث ، فالعملُ من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيءٍ غيره ، وإنما قالوا (لفظي) و (معنوي) لمّا ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامّة اللفظ للفظ ، أو باشتمال المعنى على اللفظ ، وهذا واضح »[٤٦].

ويرى ابن جنّي أنّ المتكلِّم حين يَرفع أو يَنصب أو يَجر ، إنما يتأمل مواقع الكلام ، ويُعطيه في كل موضع حقه وحصته من الإعراب ، على بصيرة منه ، وليس استرسالاً ولا ترجيماً ، يقول : « وسألتُ يوماً أبا عبدالله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي فقلتُ له : كيف تقول (ضَرَبْتُ أخوكَ) ؟ ، فقال : أقول (ضربتُ أخاكَ) ، فأدَرْتُهُ على الرفع فأبى وقال : لا أقول (أخوكَ) أبداً . قلت : فكيف تقول (ضَرَبَني أخوكَ) ؟ ، فَرَفَعَ ، فقلت : ألستَ زَعَمتَ أنك لا تقول (أخوكَ) أبداً ؟، قال : أيْشٍ هذا !، اختلفت جهتا الكلام . فهل هذا إلّا أدلُّ شيءٍ على تأمُّلهم مواقع الكلام ، وإعطائهم إياه في كل موضع حقَّه وحصَّته من الإعراب ، عن ميزةٍ ، وعلى بصيرةٍ ، وأنه ليس استرسالاً ولا ترجيماً ، ولو كان كما توهّمه هذا السائل لَكَثُرَ اختلافه ، وانتشرت جهاته ، ولم تَنقَدْ مقاييسُه »[٤٧].

ويرى الاستربادي ما رآه ابن جنّي من كون المتكلِّم هو المُحدِث للمعاني الإعرابية ولعلاماتها ، ولكن النُّحاة نسبوا إحداث هذه العلامات الى اللفظ الذي بواسطته قامت هذه المعاني بالاسم ، فسمُّوه عاملاً لكونه كالسّبب للعلامة كما انه كالسّبب للمعنى ، يقول : « اعْلَمْ ان مُحدِثَ هذه المعاني في كل اسم هو المُتكلِّم ، وكذا مُحدِث علاماتها ، لكنه نسب إحداثَ هذه العلامات الى اللفظ الذي بواسطته قامت هذه المعاني بالاسم ، فسُمّيَ عاملاً لكونه كالسبب للعلامة كما انه كالسبب للمعنى المُعلَم ، فقيل : العامل في الفاعل هو الفعل لانه به صار أحد جزئي الكلام »[٤٨]، ويقول في ذلك أيضاً : « ان معنى (الفاعلية) و (المفعولية) و (الإضافة) : كون الكلمة عمدةً ، أو فضلةً ، أو مضافاً اليها ، وهي كالاعراض القائمة بالعمدة والفضلة والمضاف اليه بسبب توسط العامل ، فالمُوجِدُ كما ذكرنا لهذه المعاني هو المُتكلِّم ، والآلة العامل ، ومحلها الاسم ، وكذا المُوجِدُ لعلامات هذه المعاني هو المُتكلِّم ، لكن النُّحاة جعلوا الآلة كأنها هي المُوجِدَة للمعاني ولعلاماتها كما تقدَّم ، فلهذا سُمِّيت الآلات عوامل »[٤٩].

وابن مضاء القرطبي يُنكر أن يكون الإعراب بفعل العوامل ، كما يُنكر أن يكون بفعل المُتكلِّم ، ويرى انه من فعل الله ، يقول : « قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحويُّ عنه ، وأنبِّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه ، فمن ذلك ادّعاؤهم أنّ (النَّصبَ) و (الخَفضَ) و (الجَزمَ) لا يكون إلّا بعامل لفظي ، وأنّ (الرفع) منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي ، وعبَّروا عن ذلك بعباراتٍ تُوهِمُ في قولنا (ضَرَبَ زيدٌ عمراً) أنّ الرفع الذي في (زيد) والنصب في (عمرو) إنما أحدَثَهُ (ضَرَبَ) .. فظاهر هذا أنّ العامل أحدثَ الإعراب ، وذلك بيِّنُ الفَساد .

وقد صرَّحَ بخلاف ذلك أبو الفتح بن جنّي وغيره ، قال أبو الفتح في « خصائصه » بعد كلامٍ في العوامل اللفظية والعوامل المعنويّة : « وأمّا في الحقيقة ومحصول الحديث ، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلِّم نفسه لا لشيءٍ غيره » ، فأكَّد « المُتكلِّم » بـ « نفسه » ليرفع الاحتمال ، ثم زاد تاكيداً بقوله « لا لشيءٍ غيره » ، وهذا قول المعتزلة ، وأمّا مذهب أهل الحق فإن هذه الاصوات إنما هي من فعل الله تعالى ، وإنما تُنسبُ الى الانسان كما يُنسبُ اليه سائر أفعاله الاختيارية »[٥٠].

معنى (الرفع) و (النصب) و (الجر) من طريق اللغة :

إنّ أصل الإعراب أن يكون في الكلام بالحركة ، والحركة لا تقوم بنفسها ولا توجد إلّا في حرف ، ومع أنّ الرفع والنصب والجر قد يكون في الكلام باشياء سوى الحركة ، إلّا أنهم نسبوا ذلك كلَّه الى الحركة ، لانَّ أصل الإعراب ـ كما تقدَّم ـ أن يكون بالحركة ، وهو الاعمّ الاكثر .

لقد نسبوا (الرفعَ) كلّه الى حركة الرفع (الضمة) ، لان المتكلِّم بالكلمة المضمومة يرفعُ حَنَكهُ الاسفل الى الاعلى ويجمعُ بين شفتيه ، فانتَ إذا ضممتَ الشفتين لإخراج هذه الحركة ارتفعتا من مكانهما ، فالرفعُ من لوازم مثل هذا الضم وتوابعه . وسُمِّيت حركة البناء ضمّاً وحركةُ الإعراب رفعاً لانّ دلالة الحركة على المعنى تابعة لثبوت نفس الحركة أولًا . وجُعِلَ ما كان منه بغير حركةٍ موسوماً أيضاً بسمةِ الحركة لانها هي الاصل .

والمتكلِّمُ بالكلمة المنصوبة يفتحُ فاهُ ، فيَبِينُ حَنَكُهُ الاسفلُ من الاعلى ، فيَبِينُ للناظر اليه كانه قد نصبه لإبانة أحدهما عن صاحبه ، فنصبُ الفم تابع لفتحه ، كانّ الفمَ كان شيئاً ساقطاً فنصبتَه ، أي : أقمته بفتحك إيّاه ، فسُمِّيت حركة البناء فتحاً ، وحركة الإعراب نصباً .

وفي النطق بالكلمة المجرورة تجرُّ الفكَّ الى أسفل وتخفضه ، فهو ككسر الشيء ، إذ المكسور يسقط ويهوي الى أسفل ، وسُمِّيت حركة الإعراب جرّاً وخفضاً وحركة البناء كسراً ، لانّ الاولين أوضحُ وأظهرُ في المعنى المقصود من صورة الفم من الثالث .

وقد يكون الجرُّ إنما سُمِّي بذلك لانّ معنى (الجر) : الإضافة ، وذلك لانّ الحروف الجارة تجرُّ ما قبلها فتوصله الى ما بعدها ، كقولك : (مررتُ بزيدٍ) ، فالباء أوصلت مرورَكَ الى زيد ، وكذلك (المالُ لعبدالله) و (هذا غلامُ زيد) .

وأما (الجزمُ) فاصله القطع ، يقال : (جَزَمْتُ الشيء ، وجذمته ، وبترته ، وجذذته ، وصلمته ، وفصلته ، وقطعته) بمعنى واحد ، فكانّ معنى (الجزم) : قطعُ الحركة عن الكلمة ، هذا أصلُه ، ثُمّ جُعِل منه ما كان بحذف حرفٍ على هذا ، لانّ حذف الحركة وحذف الحرف جميعاً يجمعهما الحذف ، فالحرفُ الجازم كالشيء القاطع للحركة أو الحرف . والجزم ـ بمعنى القطع ـ والوقف والسكون بمعنى واحد ، لذلك سُمِّي الاعراب جزماً والبناء وقفاً وسكوناً[٥١].

وكان المازني يرى أنّ الجزمَ ليس قطعاً للحركة ، وإنّما هو قطع للإعراب ، وهذا يعني أن يرجع الفعل المضارع الى أصله وهو البناء ، فمعنى (جزم الفعل المضارع) : قطعُ الإعراب عنه ، وذلك أنّ الفعل المضارع ، عنده وعند جميع البصريين ، إنما يُعربُ إذا وقع موقع اسم ، فقولك (مررتُ برجلٍ يقوم) تقديره : مررتُ برجلٍ قائم ، وكذلك (محمد ينطلق) تقديره : محمد منطلق . قال المازني : فإذا قلتَ (زيدٌ لم يقمْ) فقد وقعَ الفعلُ موقعاً لا يقعُ فيه الاسم ، فرجعَ الى أصله وهو البناء .

وهذا الرأي غير صحيح عند الزجاجي ، وذلك أنّه يجبُ من هذا الرأي أن تكون الافعال في حال النصب أيضاً غير معربة في قولك (لن يقومَ زيدٌ) وما أشبه ذلك ، لانها قد وقعت أيضاً موقعاً لا تقعه الاسماء ، والمازني يقول فيها : هي معربة . يُضافُ الى ذلك أنّ المبني لا يتغيّر عن حاله ، وهذه الافعال تغيّرها العوامل[٥٢].

معنى (الرفع) و (النصب) و (الجر) من طريق الدلالة :

(الرفعُ) و (النصبُ) و (الجرّ) كلُّ واحدٍ منها عَلَمٌ على معنى من معاني الاسم ، ولولا إرادة جعل كل واحدة منها علماً على معنى من هذه المعاني لم تكن حاجة الى كثرتها وتعدّدها[٥٣].

وقد اختلف النحاة فيما يستحقُّ الرفعَ[٥٤]، فذهب سيبويه وابن السراج الى أنّ الرفع علم الابتداء ، فالمبتدأ والخبر هما الاول والاصل في استحقاق الرفع ، وغيرهما من المرفوعات محمول عليهما ، لان المبتدأ هو الاسم المرفوع ، والابتداء هو العامل ، وذلك لان المبتدأ يكون معرى من العوامل اللفظية ، ويعرى الاسم عن غيره في التقدير قبل أن يقترن به غيره[٥٥].

وذهب آخرون ، منهم الجرجاني والزمخشري ، الى أن الرفع علم الفاعلية ، فقدموا الكلام على الفاعل من بين المرفوعات ولا سيما المبتدأ لمشاركةٍ في الإخبار عنه ، وذلك لان الفاعل تظهر برفعه فائدة دخول الاعراب الكلام ، من حيث كان تكلُّفُ زيادة الإعراب إنما احتُمِل للفرق بين المعاني التي لولاها وقع لبس ، فالرفع إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول اللذين يجوز أن يكون كلُّ واحد منهما فاعلًا ومفعولا ، ورفع المبتدأ والخبر لم يكن لامرٍ يُخشى التباسه ، بل لضربٍ من الاستحسان والتشبيه بالفاعل ، من حيث كان كلُّ واحدٍ منهما مخبراً عنه ، وافتقارُ المبتدأ الى الخبر الذي بعده كافتقار الفاعل الى الخبر الذي قبله ، ولذلك رُفع المبتدأ والخبر . فالذين جعلوا الرفع عَلَمَ الفاعلية ألحقوا بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب المبتدأ والخبر ، واسم (كان) وأخواتها ، وخبرَ (إنّ) وأخواتها ، وخبرَ (لا) التي لنفي الجنس ، واسم (ما) و (لا) المشبهتينِ بـ (ليس)[٥٦]، وفي هذا يقول الجرجاني : « واعلم أنّ الرفع للفاعل في الاصل ، وكونه في الابتداء فرعٌ على ذلك ، لان أصول الكلام على ثلاثة معانٍ : الفاعلية والمفعولية والاضافة ، فالرفع للفاعل ، والنصب للمفعول ، والجر للمضاف اليه ، فالمبتدأ والخبر داخلان على الفاعل ، ويدلُّك على ذلك أنّ المبتدأ إنّما يؤتى به ليُخبَرَ عنه ، والفعل هو الاصل في الإخبار ، وإذا كان كذلك كان الفاعل قبل المبتدأ في المرتبة ، كما أنّ الفعل قبل الاسم في الإخبار ، يدلُّك على ذلك أنّه لا يكون خبر المبتدأ إلّا النكرة أو ما يتضمّنُ ضرباً من التنكير ، ألا تراهم قالوا : إنّ الاصل أن يكون الخبر نكرةً كقولك : (زيدٌ منطلق) ، وأمّا (زيدٌ أخوك) وما أشبهه فلا يعرى من ذلك على كل حال ، وهو المراد بقولي « ما يتضمّنُ ضرباً من التنكير » وسَنُبَيِّنه . وإذا كان المبتدأ يُؤتى به لاجل الإخبار ، وكان الفعل هو المُقدَّم والاصل فيه ، كان ما يُخبَرُ به عنه مقدَّماً في الرُّتبة ، فقد علمت أنّ أصل الرفع أن يكون للفاعل . وقال أصحابُنا : إنّ المبتدأ شُبِّهَ به من حيث كان مُخبَراً عنه ، فجُعِلَ علامته الرّفعُ ، وخَبَرُ المبتدأ شُبِّهَ به من حيث كان الجزء الثاني من الجملة كما ان الفاعل كذلك . ولعلَّ مَن يقول : « إنّ الرفع للمبتدأ في الاصل » ينظرُ الى اللفظ ، فيُقدِّر أنهم لمّا سمُّوه مبتدأً كان هو المُقدَّمَ ، وذلك من سلامة الجانب »[٥٧].

وذهب آخرون ، منهم الاستربادي والسيوطي ، الى أنّ (الرفعَ) عَلَمُ كونِ الاسم عمدةَ الكلام ، يقول الاستربادي : « قوله « فالرفعُ عَلَمُ الفاعلية » أي : علامتُها ، والاولى كما بينا أن يقال : الرفعُ عَلَمُ كونِ الاسم عمدة الكلام ، ولا يكون في غير العُمَدِ »[٥٨]. فعلى مذهب من قال « الإعراب : الاختلاف » يكون (الرفعُ) : انتقالَ الآخرِ الى علامة العمدة[٥٩]، و (العمدةُ) عبارةٌ عمّا لا يسوغُ حذفُه من أجزاء الكلام

بدليلٍ يقومُ مقام اللفظ به[٦٠].

فالمبتدأ والخبر أصلان في الرفع كالفاعل، وليسا بمحمولين في الرفع عليه[٦١]: « الاولى ـ على ما اخترناه قبل ـ أن يقال: (المرفوعات): ما اشتمل على علم العمدة، لانّ الرفع في المبتدأ والخبر وغيرهما من العمد ليس بمحمول على رفع الفاعل كما بيّنّا، بل هو أصل في جميع العمد على ما تقرّرَ قبلُ »[٦٢].

وفي رأي الاستربادي لا يوجد دليل على ما يخالف هذا الرأي: « فالمبتدأ والخبر ـ على هذا التقدير ـ أصلان في الرفع كالفاعل، وليسا بمحمولين في الرفع عليه، وهو مذهب الاخفش وابن السراج. ولا دليل على ما يعزى الى الخليل من كونهما فرعين على الفاعل، ولا على ما يعزى الى سيبويه من كون المبتدأ أصل الفاعل في الرفع »[٦٣].

وأرى القول « إنّ (الرفعَ) في حقيقته عَلَمُ (الإسناد)، ودليلٌ على أنّ الكلمة يُرادُ أن يُسند اليها، ويُتحدَّثَ عنها » هو أدقُّ تعبيراً وأصدقُ معنىً، لانه يخلّصُنا من الاشكالات التي توقعُنا فيها الآراءُ الاخرى، يقول ابن جني في « باب الردّ على من اعتقد فساد عِلَلِ النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلّة »: « اعلمْ أنّ هذا الموضع هو الذي يتعسّفُ باكثر مَن ترى، وذلك أنّه لا يعرفُ أغراضَ القوم، فيرى لذلك أنّ ما أوردوه من العلة ضعيفٌ واهٍ ساقطٌ غيرُ متعالٍ، وهذا كقولهم: يقول النحويون: « إنّ الفاعل رفعٌ، والمفعول به نصبٌ »، وقد ترى الامر بضدِّ ذلك، ألا ترانا نقول: (ضُرِبَ زيدٌ)، فنرفعه وإن كان مفعولاً به، ونقول: (إنّ زيداً قامَ) فننصبه وإن كان فاعلاً، ونقول: (عجبتُ من قيام زيدٍ) فنجرّه وإن كان فاعلاً[٦٤].

ومثلُ هذا يُتعِبُ مع هذه الطائفة، لا سيّما إذا كان السائل عنه مَنْ يلزمُ الصبرُ عليه، ولو بدأ الامر بإحكام الاصل لَسقطَ عنه هذا الهَوَسُ وذا اللغوُ، ألا ترى أنّه لو عَرف أنّ الفاعل عند أهل العربية ليس كُلَّ مَن كان فاعلاً في المعنى، وأنّ الفاعل عندهم إنّما هو كلُّ اسمٍ ذكرته بعد الفعل، وأسندتَ ونسبتَ ذلك الفعل الى ذلك الاسم، وأنّ الفعل الواجب وغير الواجب في ذلك سواء، لسَقَطَ صُدَاعُ هذا المضعوفِ السؤال »[٦٥].

وفي هذا المعنى يقول الجرجاني: « ينبغي أن تعلم أنّ وصف (الفاعل) عند النحويين: أن يُسْنَدَ الفعلُ اليه مُقدَّماً عليه، نحو: (خرجَ زيدٌ) و(طابَ الخَبَزُ)، وليس الشُريطَةُ أن يكون أحدثَ شيئاً، ألا ترى أنك تقول: (طابَ الخَبَزُ)، وليسَ للخبر فعلٌ كما يكون لزيدٍ في قولك: (قامَ زيدٌ)، وكذا تقولُ: (لَمْ يَقُمْ زيدٌ) فترفعُه وقد نفيتَ عنه الفعل، كما ترفعُ إذا قُلتَ: (يقومُ زيدٌ)، فلو كان الفاعل من شرطه أن يكون أحدثَ شيئاً، لما جاز رفعُ (زيد) في قولك (لَمْ يَقُمْ زيدٌ)، لانك قد نفيتَ عنه الفعل، وكذا إذا قلتَ: (أيقومُ زيدٌ ؟)، لانك لم تُثبت القيام له وإنما استفهمتَ المُخاطبَ. وإذا كان الامر على هذا تقرّرَ ما ذكرناه من ان الاعتبار في الفاعل: أن يكونَ الفعل مُسنداً اليه مُقدّماً عليه كان أحدثَ شيئاً أو لم يُحدِثْهُ. وهذا التلخيص مما لمْ يُسْبَقْ اليه الشَيخُ أبو عليّ »[٦٦].

أمّا (النصبُ) فقد ذهبت طائفة من النحاة، منهم الزمخشري، الى انه عَلَمُ (المفعولية)، وأنّ المفعول خمسة أضرب: (المفعول المطلق) و(المفعول به) و(المفعول فيه) و(المفعول معه) و(المفعول له)، ويلحق بالمفعول: (الحال) و(التمييز) و(المستثنى) المنصوب[٦٧]، وقال الاستربادي: هي أصول في النصب كالمفعول، وليست بمحمولةٍ عليه كما هو مذهب النحاة[٦٨].

وذهب آخرون الى أنّ (النصب) عَلَمُ على كون الكلمة (فضلة)، يقول ابن جني: « وكذا القول على (المفعول): إنّه إنّما يُنصبُ إذا أسند الفعل الى الفاعل فجاء هو فضلةً »[٦٩]، ويقول الاستربادي: « الحقُّ إنّ (الرفع) علامة (العُمَدِ) فاعلةً كانت أو لا، و(النصبَ) علامة (الفضلاتِ) مفعولةً كانت أو لا »[٧٠].

فعلى مذهب مَن قال: « الإعرابُ: الاختلاف »، يكون (النصبُ): انتقال الاخر الى علامة الفضلة[٧١]، وهؤلاء يرون أنّ المنصوب في الاصل فضلة، لكنْ يُشبِه بها بعضُ العمدِ، كـ(اسم إنّ وأخواتها) و(خبر كان وأخواتها)[٧٢]، فإنها عمد، لانها في الاصل المبتدأ أو الخبر ونُصِبَت[٧٣]: « (النصبُ): عَلَمُ الفضلية في الاصل، ثم يدخل في العُمَدِ تشبيهاً بالفضلات »[٧٤]، وقد عَلَّلَ الاستربادي ذلك بضعف عمل المبتدأ والخبر: « ولمّا كان مستنكراً في ظاهر الامر ترافعُ المبتدأ والخبر لِما تقرّر في الاذهان من تقدم المؤثّر على الاثر، واستحالة تقدّم الشيء على مؤثِّره، ضعف عملهما، فنَسَخ عملهما كثيرٌ مما دخل عليهما مؤثراً فيهما معنى، كـ(كانَ) و(ظنَّ) و(كادَ) و(إنَّ) وأخواتها، و(ما) و(لا) التبرئة، على ما يجيءُ في أبوابها، فصارت العمدة في صورة الفضلة منتصبةً، وهي: اسمُ (إنّ) و(لا) التبرئة، وخبرُ (كانَ) و(كادَ)، ومفعولا (ظنّ)، ووجهُ مشابهتهما[٧٥] للفضلةِ يجيءُ في أبوابها »[٧٦].

والتعليل الصحيح لنصب اسم (إنّ) وأخواتها، أنّ معاني هذه الادوات تنحصر في أخبارها، لذلك أعطي (الخبرُ) ما لِلعُمدِ من إعراب (الرفع)، وأعطي (الاسمُ) ما للفضلاتِ من إعراب (النصب)، وقد نصّ على هذا بعضُ النحاة، يقول ابن عصفور: « ولمّا كانت معاني هذه الحروف في أخبارها، أشبهت الاخبارُ العُمَدَ فَرُفِعَت، وأشبهت الاسماءُ الفضلاتِ فَنُصِبَت »[٧٧]، ويقول السيوطي في (إنّ) وأخواتها: « ولأنّ معانيها في الاخبار فكانت كالعُمَدِ، والاسماءُ كالفضلاتِ، فأُعطيا إعرابيهما »[٧٨].

وكذلك القول في (كانَ) وأخواتها: إنّ معاني هذه الافعال تنحصرُ في أسمائها، لذلك أُعطي (الاسمُ) ما لِلعُمَدِ من إعراب (الرفع)، وأُعطي (الخبرُ) ما للفضلاتِ من إعراب (النصب).

ويرى ابن جني أنّ القول: إنّ (النصبَ) في (زيداً) من قولك (ضربتُ زيداً) علامةٌ على كون الكلمة (فضلةً)، يكفي، وأنّ تسمَيتها

ـ (المفعول به) زيادةٌ لا ضرورةَ بكَ اليها إلّا لتمييزها عن غيرها من لفضلات ، يقول في « باب في الزيادة في صفة العلّة لضربٍ من الاحتياط » : « ومِن نلك قولك في جواب مَن سالكَ عن علّة انتصاب (زيد) مِن قولكَ (ضربتُ زيداً) : إنّه إنّما انتصبَ لانه (فضلة ومفعول به) ، فالجواب قد استقلَّ بقولك : (لأنّه فضلة) ، وقولُكَ من بعد : (ومفعول به) تانيس وتاييد لا ضرورة بك اليه ، ألا ترى أنّكَ تقول في نصب (نَفْس) من قولكَ (طِبْتَ بهِ نَفْساً) : إنّما انتصب لانه فضلة ، وإنْ كانت (النفس) هنا فاعلةً في المعنى . فقد علمتَ بنلك أنّ قولك (ومفعول به) زيادةٌ على العلّة تطوّعْتَ بها ، غير أنّه في نكرِكَ كونه (مفعولا) معنى ما وإن كان صغيراً ، ونلك أنّه قد ثبتَ وشاعَ في الكلام أنّ الفاعلَ رَفْعٌ ، والمفعولَ به نَصْبٌ ، وكانّكَ أنِسْتَ بنلك شيئاً ، وأيضاً فإنّ فيه ضرباً من الشرح ، ونلك أنّ كونَ الشيء فضلةً لا يدلُّ على أنّه لا بد من أن يكون مفعولًا به ، ألا ترى أنّ الفضلات كثيرة ، كالمفعول به ، والظرف ، والمفعول له ، والمفعول معه ، والمصدر ، والحال ، والتمييز ، والاستثناء ، فلمّا قلتَ : (ومفعول به) ميَّزْتَ أيّ الفضلات هو . فاعْرِفْ نلكَ وقِسْهُ »[٧٩].

ونهب ابنُ جنّي الى أنّ المتكلمين قد يتجاوزون بالكلمة حدَّ كونها فضلة ، فيعطونها (الرفع) ويعتقدونها على أنّها صاحبةُ الجملة ، يقول : « إنّ أصلَ وضعِ المفعول أن يكونَ فضلةً وبعدَ الفاعل ، كـ (ضَرَبَ زيدٌ عمراً) ، فإذا عناهم نكرُ المفعول قدّموه على الفاعل فقالوا : (ضَرَبَ عمراً زيدٌ) ، فإذا ازدادت عنايتُهم به قدموه على الفعل الناصبه فقالوا : (عمراً ضربَ زيدٌ) ، فإن تظاهرتِ العنايةُ به عقدوه على أنّه ربُّ الجملة ، وتجاوزوا به حدَّ كونه فضلةً ، فقالوا : (عمروٌ ضربَهُ زيدٌ) ، فجاءوا به مجيئاً يُنافي كونَهُ فضلةً ، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا : (عمروٌ ضربَ زيدٌ) ، فحذفوا ضميره ، ونووه ، ولم ينصبوه على ظاهر أمره ، رغبةً به عن صورة الفضلة ، وتحامياً لنصبه الدالّ على كون غيره صاحب الجملة ، ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له ، وبنوه على أنّه مخصوص به ، وألغوا نكرَ الفاعل مُظْهراً أو مضمراً ، فقالوا : (ضُرِبَ عمرٌو) ، فاطُرِحَ نكرُ الفاعل البتةَ . نعَمْ ، وأسندوا بعضَ الافعال الى المفعول دونَ الفاعل البتة ، وهو قولهم : (أُولِعْتُ بالشيء) ، ولا يقولون : (أَوْلَعَنِي به كذا) ، وقالوا : (ثُلِجَ فؤادُ الرجلِ) ، ولَمْ يقولوا : (ثَلَجَهُ كذا) ، وقالوا : (امْتُقِعَ لونُه) ، ولَمْ يقولوا : (امْتَقَعَه كذا) ، ولهذا نظائر ، فرفضُ الفاعل هنا ألبتة واعتمادُ المفعول به ألبتة دليلٌ على ما قلناه فاعرفْهُ »[٨٠].

وأما (الجرُّ) فهو عَلَمُ (الإضافة)[٨١] أيْ : كون الاسم مضافاً اليه معنىً أو لفظاً ، كما في : (غلامُ زيدٍ) و (حسنُ الوجهِ) . فعلى مذهبِ مَن قال : « الإعرابُ : الاختلافُ » ، يكونُ (الجرُّ) : انتقالَ الآخرِ الى علامة الاضافة[٨٢].

والمجرور في الاصل منصوبُ المحل[٨٣]، فـ (زيد) في (رأيتُ زيداً) و (مَرَرْتُ بزيدٍ) : (مفعولٌ به) في كليهما ، وقد نُصِبَ في أحدهما وجُرَّ في الاخر[٨٤]، فالمجرورُ : فضلةٌ قد أُضِيفَ اليها معنى الفعل بواسطةِ حرف ، وقد أُريد أن يُميَّز بعلامةٍ ما هو فضلةٌ بواسطة حرف ، ولم يكن بقي من الحركات غير الكسر ، فمُيِّزَ به مع كونه منصوب المحل لانه فضلة ، فصارت (الاضافة) ـ معنى كون الاسم مُضافاً اليه معنى الفعل بواسطة حرف ـ معنىً آخر علامتُه الجر ، منضمّاً الى المعنيين الاخرين : (العمدة) و (الفضلة) .

وجُعِلَ الحرف الموصل لمعنى الفعل الى الفضلة عاملًا للجرّ في ظاهر الفضلة ، إذ بسببه حصلَ كونُ نلك الاسم مضافاً اليه معنى الفعل .

فإن سقط الحرف ظهر الإعرابُ المحلّي في هذه الفضلة ، نحو : (اللّهَ لافعلَنَّ) . وإذا عُطف على المجرور فالحملُ على الجرّ الظاهر أولى من الحمل على النصب المقدّر ، وقد يُحمل على المحل كما في قوله تعالى « وامسحوا برؤوسكم وأرجلَكم » ـ بالنصب ـ[٨٥].

فإن سقط الجارّ مع الفعل لزوماً في الإضافة زالَ النصبُ المقدّر ، فقد يُحذف حرفُ الجرّ لزوماً مع الفعل الذي أوصله الحرفُ الى الفضلة ، لغرض التخصيص أو التعريف في الاسم ، فيزول النصب المحلّي عن المجرور لفظاً ، لكون الناصب[٨٦] محذوفاً نسياً منسيّاً مع حرف الجرّ الدال عليه ، فكان أصلُ (غلامُ زيدٍ) : غلامٌ حَصَلَ لزيد ، فإذا حُذِفَ الجارُّ قام الاسمُ المراد تخصيصُهُ أو تعريفُهُ مقام الحرف الجار (لفظاً) فلا يُفصل بينهما كما لم يُفصل بين الحرفِ ومجروره ، و (معنىً) أيضاً لدلالته على معنى (اللام) في نحو (غلامُ زيدٍ) إذ هو مختصٌّ بالثاني ، وعلى معنى (مِن) في نحو (خاتمُ فضةٍ) إذ هو مبيَّن بالثاني ، فيُحالُ عمل الجر على هذا الاسمِ كما أُحيل على حرف الجر ، فاصلُ (الجر) أن يكون عَلَمَ الفضلة التي تكون بواسطة ، ثمّ يخرجُ في موضعين عن كونه عَلَمَ الفضلةِ ويبقى عَلَماً للمضاف اليه فقط ، (أحدهما) : فيما أُضيف اليه الاسم : (والثاني) : في المجرور المُسنَدِ اليه ، نحو : (مُرَّ بزيدٍ) ، والاصلُ فيهما أيضاً نلك كما تَبَيَّنَ[٨٧].

الحركات الاعرابية من حيث الثقل والخفة :

يُجمِعُ النحاةُ على أنّ أثقلَ الحركاتِ وأقواها (الضمّة) ، وأنّ أضعفَ الحركاتِ وأخفها (الفتحة) ، وأنّ (الكسرة) في رتبةٍ بين الضمة والفتحة ، لانها أخفُّ من الضمّة وأثقل من الفتحة[٨٨]، وفي نلك يقول الزجاجي : « إنّ المفتوح الى المخفوض أقرب منه الى المرفوع ، لان الضمة أثقلُ الحركات ، والفتحة أخفُّها ، فهي الى الكسرة أقرب »[٨٩]، ويقول الجرجاني : « إنّ الفتحة كما لا يخفى أخفُّ من كلٍّ واحدةٍ من الضمّة والكسرة »[٩٠] ، ويقول السيوطي في (الجر) : « هو لِما بين العمدةِ والفضلة ، لانه أخفُّ من الرفع وأثقل من النصب »[٩١]، ونقل السيوطي عن كتاب (البسيط) : « لا خلاف أنّ الفتحَ أخفُّ عندهم من الكسر ... والفتحةُ أقربُ الى الكسرةِ من الضمّة ، ولذا حُمِل الجرُّ على

النصب في ما لا ينصرف ، والنصبُ على الجرّ في جمع المؤنث السالم ، حملًا على القرب »[٩٢].

وفي « كتاب اللّامات » آخى الزجاجي بين (الكسرة) و (الفتحة) ، فقال في (تآخي الكسرة والفتحة وبُعدِ الضمّة منهما) : « إنّ الضمّ أثقلُ الحركات ، والفتحَ والكسرَ مؤاخيان ، ولذلك اشتركا في المفعول في قولك : (رأيتُ زيداً) و (مررتُ بزيدٍ) ، وكلاهما مفعولٌ به ، وقد خُفِضَ أحدهما ونُصِبَ الآخرُ ، وكذلك استوى مكنيُّ المخفوضِ والمنصوبِ في قولك : (رأيتُكَ) و (مررتُ بكَ) ، وضُمّت تثنيةُ المنصوبِ وجمعُه الى المخفوضِ في قولكَ : (مررتُ بالزيدينِ والزيدينَ) و (رأيتُ الزيدينِ والزيدينَ) »[٩٣].

وثقلُ (الضمّةِ) تأتّى لها من قوّتها : « إنّ (الضمّة) وإن كانت أثقل من الكسرة ، فإنها أقوى منها ، وقد يُحتمل للقوّةِ ما لا يُحتمل للضعف »[٩٤].

وإنّما كانت (الضمّة) قويةً ثقيلةً لانّ النطق بها يعملُ فيه عضوان ، وكانت (الفتحةُ) ضعيفةً خفيفةً لان النطق بها يعملُ فيه عضو واحد : « قال رجلٌ للخليل : لا أجد بين الحركات فرقاً ، فقال له الخليل : ما أقلّ من يميز أفعاله ، أخبرني باخفّ الافعال عليك ، فقال : لا أدري ، قال : أخفُّ الافعالِ عليكَ السمعُ ، لانّك لا تحتاج فيه الى استعمال جارحة ، إنما تسمعُه من الصوت ، وأنتَ تتكلّفُ في إخراج الضمّة الى تحريك الشّفتينِ مع إخراجِ الصوت ، وفي إخراج الفتحة الى تحريك وسط الفمِ مع اخراج الصوت ، فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد . هكذا نقله الزجاجي في كتاب (الايضاح في أسرار النحو) »[٩٥].

والعربُ تفرُّ من الثقيل الى الخفيف ، ومن ذلك أنّها تفرُّ من الضمة والكسرة الى الفتحة ، كما تفرُّ الى السكون ، يقول ابن جني : « ألا ترى الى مضارعة الفتحة للسكون في أشياء ، منها أنّ كلُّ واحدٍ منهما يُهْرَبُ اليه مما هو أثقلُ منه ، نحو قولك في جمع (فُعْلَة) و (فِعْلَة) : (فُعُلات) ـ بضمّ العين ـ نحو : غُرُفات ، و (فِعِلات) ـ بكسرها ـ نحو : كِسِرات ، ثمّ يُستثقَلُ توالي الضمّتين والكسرتين ، فيُهربُ عنهما تارة الى الفتح فتقول : (غُرَفات) و (كِسَرات) ، واخرى الى السكون فتقول : (غُرْفات) و (كِسْرات) . أفلا تراهم كيف سَوُّوا بين الفتحة والسكون في العدول عن الضمّة والكسرة اليهما »[٩٦]. ونقل السيوطي قول ابن الدهان في كتاب (الغرة) : « الضمة والكسرة مستثقلتان مباينتانِ للسكون ، والفتحة قريبة من السكون ، بدلالة أنّ العربَ تفرُّ الى الفتحة كما تفرُّ الى السكون من الضمّة والكسرة ... »[٩٧].

ومنه أنّ العربَ تخفّفُ الكسرة في نحو (فَخِذ) ، والضمّة في نحو (عَضُد) ، ولا تُخَفّفُ الفتحة في نحو (جَمَل) ، يقول ابن جني : « ومنه اسكانُهم نحو (رُسُل) و (عَجُز) و (عَضُد) و (ظَرُف) و (كَتِف) و (كَبِد) ، واستمرار ذلك في المضموم والمكسور ، دون المفتوح ، أدلُّ دليل ـ بفصلهم بين الفتحة وأختيها ـ على ذوقهم الحركات ، واستثقالهم بعضها ، واستخفافهم الآخر »[٩٨].

ومن ذلك أنّ عامّة الادوات والحروف يأتي أولها مفتوحاً أو مكسوراً ، وقليلها يُضمُّ أوّلُه ، يقول ابن جني : « ومِن حديث الاستثقال والاستخفاف أنك لا تجدُ في الثنائي ـ على قِلّة حروفه ـ ما أوّلُه مضموم ، إلا القليل ، وإنما عامّته على (الفتح) نحو : (هَلْ) و (بَلْ) و (قَدْ) و (أنْ) و (عَنْ) و (كَمْ) و (مَنْ) ، وفي المعتل : (أوْ) و (لَوْ) و (كَيْ) و (أيْ) . أو على (الكسرِ) نحو : (إنْ) و (مِنْ) و (إذْ) ، وفي المعتل : (إيْ) و (فِيْ) و (هِيَ) . ولا يُعْرَفُ (الضمُّ) في هذا النحو إلّا قليلًا ، قالوا : (هُوَ) .. وكذلك ما جاءَ من الكلم على حرف واحد ، عامّتُه على الفتح ، إلّا الاقلّ ، وذلك نحو : همزة الاستفهام ، وواو العطف ، وفائه ، وكاف التشبيه ، وغير ذلك . وقليل منه مكسور ، كباء الاضافة ، ولامها ، ولام الأمر ، ولو عري ذلك مِن المعنى الذي اضطرّه الى الكسر لَمَا كان إلّا مفتوحاً . ولا نجدُ في الحروف المنفردة ذوات المعاني ما جاءَ مضموماً ، هرباً من ثقل الضمّة »[٩٩].

ومنه أيضاً أنّ المبني على الفتح أكثر من المبني على الكسر ، والمبنى على الضم أقل مِن المبنى على الكسر ، يقول السيوطي : « إنّ المبني على الفتح أكثر من المبني على الكسر ، ومنه ما كان بجوار ياء ، نحو : (أينَ) و (كيفَ) ، فزاد بُعداً عن الكسرة طلباً للخفّة ، إذْ هو مع الياء أثقل منه وحده . والمبنى على الضم أقلّ من المبنى على الكسر ، إذْ لم يُبنَ عليه إلّا (حيث) و (الظروف الستة) و (غير) و (أيّ) في بعض أحوالها و (المنادى) و (بعض الضمائر) »[١٠٠].

فالعرب كانوا يتجنبون الضمة والكسرة لثقلهما ، ويستريحون الى الفتحة لخفّتها ، يقول ابن جني : « ثم مَيّلوا بين الحركات ، فانحوا على الضمة والكسرة لثقلهما ، وأجمّوا الفتحة في غالب الامر لخفّتها ، فهل هذا إلا لقوّة نظرهم ولُطف استشفافهم وتصفّحهم .. وسألتُ غلاماً من آل المهيّا فصيحاً عن لفظةٍ من كلامه ، لا يحضرني الآن ذكرُها ، فقلتُ : أكذا أمْ كذا ؟، فقال : « كذا ـ بالنصب ـ لانه أخفّ » ، فجنحَ الى الخفّة »[١٠١].

لماذا كان (الرفع) أسبق الحركات في الرتبة ؟

ذهب النحاةُ الى أنّ أسبق الحركات في الرتبة هو الرفع ، وذلك لانه علامةُ (العمدة)[١٠٢]، فالمرفوع يتقدّم على المنصوب والمجرور لانه عمدة الكلام ، كالفاعل والمبتدأ والخبر[١٠٣]، وذلك لاجل أنّه يستغني عن صاحبيه ، وهما يفتقران اليه ، تقول : (قامَ زيدٌ) و (عمروٌ منطلقٌ) ، فتجد الكلامَ صحيحاً من غير النّصبِ والجرّ ، إذ لا يجبُ أن تقولَ : (قامَ زيدٌ قياماً) ولا (عمرٌو منطلقٌ اليومَ) ، ولا أن تقولَ : (قامَ زيدٌ الى عمرو) ، وإنّما يكونُ للمنصوبِ والمجرورِ فائدةٌ لا يبطلُ بِعَدَمِهما أصلُ

الكلام . ولو قلت : (زيداً) أو (بعمرٍو) لم يكن كلاماً حتى يتقدّمَ الرفعُ فتقول : (ضربَ زيدٌ عمراً) و (مررْتُ بعمرٍو) ، قال النحاة : فاذا كانَ حالُ الرفعِ مع صاحبيهِ على ما وَصفنا من استغنائِهِ عنهما ، وافتقارهما اليه ، وَجَبَ الحكمُ بتقدُّمِهِ في الرُّتبة[١٠٤].

فالمرفوعاتُ تتقدم لانها اللوازم للجملة ، والعمدة فيها ، وما عداها فضلة يستقلُّ الكلام دونها .

وعَلَّل ابنُ جنّي تقديم المرفوع على المنصوب بقوله : « لمّا اعتزموا النطقَ بهما قدّموا أقواهما لامرين : (أحدهما) : أنّ رتبةَ الاقوى أبداً أسبق وأعلى . (والاخر) : أنهم إنّما يقدّمون الاثقل ويؤخِّرون الاخفَّ من قِبَلِ أنّ المتكلّم في أول نطقه أقوى نَفَساً ، وأظهرُ نشاطاً ، فَقَدّمَ أثقلَ الحرفين ، وهو على أجمل الحالين ، كما رفعوا المبتدأ لتقدّمه ، فاعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة ، وكما رفعوا الفاعل لتقدّمه ، ونصبوا المفعول لتاخّره ، فإنّ هذا أحد ما يُحتجُّ به في (المبتدأ) و (الفاعل) ، فهذا واضح كما تراه »[١٠٥].

لماذا اختُصّت الاسماء بما اختُصّت به من علامات الإعراب :

ذَهَبَ أبو اسحق الزجاج الى أنّ العرب أعطوا الفاعلَ الرفعَ لقلّته ، وأعطوا المفعولَ النصبَ لكثرته ، وذلك ليقلَّ في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفّون ، فقد نقل ابنُ جني قوله « قال أبو اسحق في رفع الفاعل ونصب المفعول : إنّما فُعِلَ ذلك للفرقِ بينهما . ثُمَّ سأل نفسه فقال : فإنْ قيل : فهَلّا عُكِسَت الحالُ فكانت فرقاً أيضاً ؟ ، قيل : الذي فعلوه أحزم ، وذلك أنّ الفعلَ لا يكونُ له أكثرُ من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولاتٌ كثيرة ، فرُفِعَ الفاعلُ لقلّته ، ونُصِبَ المفعولُ لكثرته ، وذلك ليقلَّ في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يَستخفّونَ »[١٠٦].

وهكذا جُعِلَ الاثقلُ للاقلِّ لقلّةِ دورانه ، والاخفُّ للاكثر لكثرةِ دورانه ، لِيَسْهُلَ الكلامُ ويعتدل بتخفيف ما يكثرُ وتثقيل ما يقلُّ ، ولمّا كانت المجرورات أكثر من المرفوعات ، وأقلُّ من المنصوبات ، أُعطيت الحركة الوسطى في الثِّقَلِ والخِفّةِ ، يقولُ السيوطي في علّةِ (اختصاص الرفع بما اختص به والنصب والكسر بما اختصّا به) : « وذلك أنّ المرفوعات قليلةٌ بالنسبة الى المنصوبات ، إذ هي : (الفاعل) و (المبتدأ والخبر) وما أُلحِقَ بهما من (نائب الفاعل) و (اسم كانَ) و (خبر إنّ) ، بخلاف المنصوبات فإنّها أكثرُ من عشرة ، فجُعِلَ الاثقلُ للاقلِّ لِقلّةِ دورانه ، والاخفُّ للاكثر ، لِيَسْهُلَ ويعتدل الكلام بتخفيف ما يكثرُ وتثقيل ما يَقِلُّ . وأيضاً فالمرفوعُ لا يتعدّدُ منه سوى الخبر على خلاف ، والفرعُ الواحدُ من المنصوبات يتعدّد ، كالمفعول به والظرف والحال والمستثنى ، قال الزجاجي : الفعلُ ليس له إلّا مرفوعٌ واحد ، وينصبُ عشرة أشياء . ولمّا كانت المجرورات أكثر من المرفوعات وأقلُّ من المنصوبات ، أُعطيت الحركة الوسطى في الثّقل والخفّة »[١٠٧].

ويقول السيوطي في ذلك أيضاً : « (الرفعُ) : وهو اعرابُ العُمَدِ ، و (النصبُ) : وهو اعرابُ الفَضَلاتِ . قيل : ووجهُ التخصيصِ أنّ الرفعَ ثقيل ، فخُصَّ به العُمَدُ لانّها أقلّ ، إذ هي راجعةٌ الى الفاعل والمبتدأ والخبر ، والفضلاتُ كثيرة ، إذ هي المفاعيلُ الخمسة والمستثنى والحال والتمييز ، وقد يتعدّدُ المفعولُ به الى اثنين وثلاثة ، وكذلك المستثنى والحال الى ما لا نهاية له ، وما كَثُرَ تداولُه فالاخفُّ أولى به . و (الجرُّ) : وهو لِما بين العمدة والفضلة ، لانّه أخفُّ من الرفع وأثقلُ من النصب »[١٠٨].

والعلّةُ في أنّ الفعل لا يكونُ له إلّا فاعلٌ واحد : « أنّ الفعلَ حديثٌ وخبر ، فلا بُدَّ له من مُحَدَّثٍ عنه يُسنَدُ ذلك الحديث اليه ويُنسَبُ اليه وإلّا عُدِمَت فائدتُه ، فإذا ذكرتَ بعده اسماً وأسندتَ ذلك الفعل اليه اشتغلَ به وصار حديثاً عنه ، وإنْ جئتَ بعده باسمٍ آخر وَقَعَ فضلةً ، فينتصب انتصابَ الفضلات ، وهو المفعول به »[١٠٩].

وفي رأي الاستربادي أنّ (الرفع) الذي هو أقوى الحركاتِ وأثقلُها قد جُعِل للعُمَدِ ، وأنّ (النصب) الذي هو أضعفُ الحركات وأخفُّها قد جُعِل للفضلات ، وذلك لكون الفضلات أضعفَ من العُمَدِ وأكثر منها[١١٠].

وعَلَّلَ آخرونَ رَفْعَ الفاعل ونَصْبَ المفعول بـ (الموازنة) أو (التعادل) ، فقال الجرجاني : « إنّما خُصَّ الفاعلُ بالرّفع دون النصب ، لاجلِ أن الرفع أثقل من النصب ، والفاعل أقل من المفعول ، ألا ترى أنّ فعلًا واحداً يكون له عدّة مفعولات ، ولا يكونُ له إلا فاعلٌ واحد ، وذلك قولك : (أعْلَمْتُ زيداً عمراً خيرَ الناسِ) ، وتاتي في كلُّ فعلٍ بالمصدرِ والحال والظرف نحو : (قُمْتُ قياماً يومَ الجمعة عند عمرٍو لابساً كذا) ، وعلى هذا يجري البابُ . وإذا كان المفعول يكثر هذه الكثرة ، والفاعل يقل ، كان الاولى أن يُخصَّ الفاعل بالاثقل الذي هو الرُّفعُ ، والمفعولُ بالاخفِّ الذي هو النصب ، لتكون قلة الفاعل موازنةً لثقل الرفع ، وخفّةُ النصب موازنةً لكثرة المفعول ، ومَثَلُ هذا مَثَلُ رَجُل تَنْصُبُ بينَ يديه حَجَرين ، أحدهما خمسةُ أرطال والاخر عشرة أرطال ، فتقول له : احمل الخفيف عشر مرات والثقيل خمس مرات ، فتجعل كثرة الممارسة بإزاء خفّة الوزن ، وقلّة الممارسة بإزاء ثقله ، فتكون ثابتاً على الحكمة . فإنْ أمرتَهُ بحمل الثقيل عشر مرات ناقضتَ ، لجمعك عليه ثِقَلَ الوزن وكثرة العمل في حالة واحدة ، وخِفّتَهُما في حالة اخرى ، وتترك الاقتصاد واعتبار التعادل في الموضعين . وهذا تمثيل ذكره شيخنا أبو الحسين ـ رحمه الله ـ حكايةً عن الخليل .

ومن قال : إنّ الفاعل كان يجب أن يُنصَبَ ، والمفعول أن يُرفع ، دخل قوله في هذا النوع من ترك الحكمة كما وصفنا . وها هنا طريقةٌ اخرى ، وهي أن يرفع السؤال من أصله ، وذاك أنهم لو كانوا قد نصبوا الفاعلَ ورفعوا المفعولَ على ما يقترحه هذا السائل ، لَكَانَ لاخر أن يقول : كيف لم يُبنَ الامرُ على العكس ؟ ، وكلُّ سؤالٍ انقلبَ فهو باطلٌ . فاللازم إذن اختصاصُ كلِّ واحدٍ منهما بعلامةٍ لا تكونُ لصاحبه ، وما عدا

ذلك من القول فاقتراحٌ وتَحَكُّمٌ فاعرفْهُ »[111].

ونقل السيوطي قول ابن النحاس في كتاب (التعليقة) : « إنما رُفِعَ الفاعل ونُصِبَ المفعول ، لقلة الفاعل لكونه لا يكون إلّا لفظاً واحداً ، وكثرة المفعول لكونه متعدّداً ، والرفع أثقلُ من النصب ، فأُعطيَ الثقيل للواحد والخفيف للمتعدِّد ليتعادلا »[112].

وعَلَّله غيرهم بـ (المشاكلة) ، فقد نقل السيوطي قول السخاوي في كتاب (شرح المفصَّل) : « قال الخليل : أولُ الحركات الضمة لانها من الشَّفة ، وأول ما يقع في الكلام الفاعل ، فكان حقُّ الكلام إذا حُمِلَ على المشاكلة أن يُقسَمَ أول الحركات لأول الاشياء »[113].

ونقل الزَّجاجي قول الفرَّاء في علّة جزم الافعال : « إنّ الاسماء أخف من الافعال ، وان الافعال أثقل من الاسماء ، وانه إنما جُزِمت الافعال لثقلها ، فخُفِّفت بالجزم لانه حذف ، وإنّ الاسماء كانت أحملَ للخفض لخفّتها ، ليعتدل الكلام بتخفيف الثقيل والزام بعض الثقيل للخفيف ، وهذا هو قولُ الفرّاء . وأكثر الكوفيين قالوا : لم تُخفضِ الافعال لثقلها ، ولم تُجزم الاسماء لخفّتها ، ليعتدل الكلام »[114].

الهوامش والمصادر

(١) الخصائص ، لابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى - بيروت ، جـ ١ ص ٤٨ .
(٢) المصدر نفسه ، جـ ١ ص ٨٧ - ٨٨ .
(٣) عبارة سيبويه في الكتاب جـ ١ ص ٢٢ : « وليس شيء يُضطَرّون اليه إلا وهم يحاولون به وجهاً » .
(٤) الخصائص ، جـ ١ ص ٥٣ - ٥٤ .
(٥) ينظر : ارتشاف الضَّرب ، لابي حيان الاندلسي ، تحقـ : د. مصطفى أحمد النماس ، ط ١ ، ١٩٨٤ ، جـ ١ ص ٤٣١ .
(٦) ينظر : كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، لعبدالقاهر الجرجاني ، تحقـ : د. كاظم بحر المرجان ، بغداد ١٩٨٢ ، جـ ١ ص ٩٨ .
(٧) ينظر : شرح الحدود النحوية ، لعبدالله بن أحمد الفاكهي ، تحقـ : د. زكي فهمي الالوسي ، بغداد ١٩٨٨ ، ص ٧٦ .
(٨) ينظر : لسان العرب (عرب) ، لابن منظور ، بيروت ١٩٥٦ ، وكتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ٩٧ - ٩٨ .
(٩) ينظر : الخصائص ، جـ ١ ص ٣٥ - ٣٦ ، وشرح المفصل ، جـ ١ ص ٧٢ .
(١٠) ينظر : لسان العرب (عرب) .
(١١) ينظر : الايضاح في علل النحو ، لابي القاسم الزجاجي ، تحقـ : مازن المبارك ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٩١ .
(١٢) ينظر : شرح الكافية ، لرضي الدين الاستربادي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، جـ ١ ص ٢٤ .
(١٣) ينظر : الايضاح في علل النحو ، ص ٦٩ - ٧٠ .
(١٤) الصاحبي في فقه اللغة ، لاحمد بن فارس ، تحقـ : مصطفى الشويمي ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٦٦ .
(١٥) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ - ١٩١ ، وينظر : تاويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تحقـ : احمد صقر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٤ - ١٥ ، والاشباه والنظائر في النحو ، لجلال الدين السيوطي تحقـ : طه عبدالرؤوف سعد ، القاهرة ١٩٥٩ ، جـ ١ ص ١٠٣ - ١١٣ ، جـ ٣ ص ٣١٥ ، ومسائل خلافية في النحو ، لابي البقاء العكبري ، تحقـ : محمد خير الحلواني ، ص ٩٥ - ٩٦ ، والجمل ، لابي القاسم الزجاجي ، تحقـ : ابن ابي شنب ، ط ٢ ، باريس ١٩٥٧ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٢ .
(١٧) المرتجل ، لابي محمد بن الخشاب ، تحقـ : علي حيدر ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ .
(١٨) ينظر : شرح المفصَّل ، لموفق الدين بن يعيش ، عالم الكتب - بيروت ، جـ ١ ص ٧٢ .
(١٩) ينظر : كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ٣٢٩ .
(٢٠) ينظر : الإيضاح في علل النحو ، ص ٧٠ - ٧١ .
(٢١) الايضاح في علل النحو ، ص ٩١ .
(٢٢) اي : نوعاً .
(٢٣) الخصائص ، جـ ١ ص ٣٥ .
(٢٤) المصدر نفسه ، جـ ١ ص ١٧٥ .
(٢٥) التعريفات ، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٥٣ .
(٢٦) شرح الحدود النحوية ، ص ٧٧ .
(٢٧) شرح الاشموني ، تحقـ : محيي الدين عبدالحميد ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٥ ، جـ ١ ص ١٩ .
(٢٨) ينظر : شرح المفصَّل ، جـ ١ ص ٧٢ ، وارتشاف الضَّرب ، جـ ١ ص ٤١٣ ، وشرح الحدود النحوية ، ص ٧٧ .
(٢٩) أبو علي النَّحوي .
(٣٠) كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ٩٨ - ٩٩ .
(٣١) شرح المفصَّل ، جـ ١ ص ٧٢ .
(٣٢) ارتشافُ الضَّرب ، جـ ١ ص ٤١٤ .
(٣٣) ينظر : كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، والمرتجل ، ص ٣٥ .
(٣٤) الايضاح ، ص ٧٧ .
(٣٥) ينظر : الايضاح ، ص ٧١ .
(٣٦) ينظر : الكتاب ، لسيبويه ، تحقـ : عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٦٦ ، جـ ٢ ص ٩٧ ، جـ ٣ ص ٣٢٥ ، جـ ٤ ص ٢٢٦ ، وارتشاف الضرب ، جـ ١ ص ٤١٤ ، والمرتجل ، ص ٣٥ .
(٣٧) ينظر : ارتشاف الضَّرب ، جـ ١ ص ٤١٣ - ٤١٥ ، وهمع الهوامع ، جـ ١ ص ٢١ .
(٣٨) ينظر : شرح المفصَّل ، جـ ١ ص ٧٢ .
(٣٩) ينظر : كتاب المقتصد ، جـ ١ ص ١٠١ .
(٤٠) ينظر : شرح المفصَّل ، جـ ١ ص ٧٢ - ٧٣ .

(٤١) ينظر : كتاب المقتصد ، جـ ١ ص ١٠٣ .
(٤٢) ينظر : شرح ابن عقيل ، تحقيق : محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٦٢ ، جـ ١ ص ٤٤ ، ٥٨ .
(٤٣) ينظر : كتاب المقتصد ، جـ ١ ص ١٠٠ ، وشرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٥ .
(٤٤) ينظر : ارتشاف الضرب ، جـ ١ ص ٤١٣ .
(٤٥) الخصائص ، جـ ١ ص ١٠٩ .
(٤٦) المصدر نفسه ، جـ ١ ص ١٠٩ - ١١٠ .
(٤٧) المصدر نفسه ، جـ ١ ص ٧٦ - ٧٧ .
(٤٨) شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢١ .
(٤٩) المصدر نفسه ، جـ ١ ص ٢٥ ، وينظر : ص ١٨ .
(٥٠) الرَّدُّ على النحاة ، لابن مضاء القرطبي ، تحقـ : د. شوقي ضيف ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٨٥ - ٨٧ .
(٥١) ينظر : الايضاح في علل النحو ، ص ٩٣ - ٩٤ ، وشرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٤ .
(٥٢) ينظر : الايضاح في علل النحو ، ص ٩٤ .
(٥٣) ينظر : المفصَّل ، للزمخشري ، دار الجيل - بيروت ، ص ١٨ ، وشرح المفصَّل ، جـ ١ ص ٧٣ .
(٥٤) ينظر : همع الهوامع ، للسيوطي ، دار المعرفة - بيروت ، جـ ١ ص ٩٣ .
(٥٥) ينظر : شرح المفصَّل ، جـ ١ ص ٧٣ .
(٥٦) ينظر : المفصَّل ، ص ١٨ ، وشرح المفصَّل ، جـ ١ ص ٧٣ - ٧٤ .
(٥٧) كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ٢١٠ .
(٥٨) شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٤ .
(٥٩) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٤ .
(٦٠) همع الهوامع ، جـ ١ ص ٩٣ .
(٦١) شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٣ .
(٦٢) شرح الكافية ، جـ ١ ص ٧٠ .
(٦٣) شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٣ .
(٦٤) يعني (زيد) فاعل القيام المجرور به .
(٦٥) الخصائص ، جـ ١ ص ١٨٤ - ١٨٥ .
(٦٦) كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ٣٢٧ .
(٦٧) ينظر : المفصل ، ص ١٨ .
(٦٨) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٣ ، وهمع الهوامع ، جـ ١ ص ٩٣ .
(٦٩) الخصائص ، جـ ١ ص ١٨٤ - ١٨٥ .
(٧٠) شرح الكافية ، جـ ١ ص ١٠٩ .
(٧١) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٤ .
(٧٢) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٧٠ .
(٧٣) ينظر : همع الهوامع ، جـ ١ ص ٩٣ .
(٧٤) شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٤ .
(٧٥) أي : المبتدأ المنصوب والخبر المنصوب .
(٧٦) شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٣ ، وينظر : ص ١٠٩ - ١١٠ .
(٧٧) المقرّب ، لابن عصفور ، تحقـ : احمد عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري ، ط ١ ، بغداد ١٩٧١ - ١٩٧٢ ، جـ ١ ص ١٠٦ .
(٧٨) همع الهوامع ، جـ ١ ص ١٣٤ .
(٧٩) الخصائص ، جـ ١ ص ١٩٦ - ١٩٧ .
(٨٠) المحتسب ، لابن جني ، تحقـ : علي النجدي ناصف والنجار وشلبي ، القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٦٩ ، جـ ١ ص ٦٥ ، وينظر : ص ١٧٩ ، ٣٦٢ ، جـ ٢ ص ٢٨٤ .

(٨١) ينظر : المفصَّل ، ص ١٨ .
(٨٢) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٤ .
(٨٣) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٧٠ .
(٨٤) ينظر : اللامات ، لابي القاسم الزجاجي ، تحقـ : د. مازن المبارك ، دمشق ١٩٦٩ ، ص ٨٣ .

(٨٥) سورة المائدة : الاية ٦ ، وينظر : مشكل إعراب القرآن ، مكي بن ابي طالب القيسي ، تحقـ : ياسين محمد السوّاس ، دمشق ١٩٧٤ ، جـ ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٨٦) أي : الفعل .
(٨٧) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٠ - ٢١ .
(٨٨) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٠ ، وكتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ٣٢٦ .
(٨٩) الايضاح في علل النحو ، ص ١٢٨ .
(٩٠) دلائل الاعجاز ، لعبدالقاهر الجرجاني ، تحقـ : محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٤٥٤ .
(٩١) همع الهوامع ، جـ ١ ص ٢١ .
(٩٢) الاشباه والنظائر ، جـ ١ ص ١٦١ .
(٩٣) كتاب اللامات ، ص ٨٣ .
(٩٤) الخصائص ، جـ ١ ص ٦٩ .
(٩٥) الاشباه والنظائر ، جـ ١ ص ١٦٠ .
(٩٦) الخصائص ، جـ ١ ص ٥٩ .
(٩٧) الاشباه والنظائر ، جـ ١ ص ١٦١ .
(٩٨) الخصائص ، جـ ١ ص ٧٥ ، وينظر : الاشباه والنظائر ، جـ ١ ص ١٦١ .

(٩٩) الخصائص ، جـ ١ ص ٦٩ - ٧١ .
(١٠٠) الاشباه والنظائر ، جـ ١ ص ١٦١ .
(١٠١) الخصائص ، جـ ١ ص ٧٨ .
(١٠٢) ينظر : الايضاح في علل النحو ، ص ١٢٤ ، وكتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ٢٠٩ .
(١٠٣) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٧٠ .
(١٠٤) ينظر : كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
(١٠٥) الخصائص ، جـ ١ ص ٥٥ .

(١٠٦) الخصائص ، جـ ١ ص ٤٩ .
(١٠٧) الاشباه والنظائر ، جـ ١ ص ١٦٠ .
(١٠٨) همع الهوامع ، جـ ١ ص ٢١ .
(١٠٩) شرح المفصَّل ، جـ ١ ص ٧٣ .
(١١٠) ينظر : شرح الكافية ، جـ ١ ص ٢٠ .
(١١١) كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، جـ ١ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .
(١١٢) الاشباه والنظائر ، جـ ١ ص ١٠٦ .
(١١٣) الاشباه والنظائر ، جـ ١ ص ١٦١ .
(١١٤) الايضاح في علل النحو ، ص ١٠٦ .

في الشعرية العربية

العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده

لابن رشيق

بقلم
طراد الكبيسي
رئيس تحرير مجلة آفاق عربية

مقدمة :

نص (العمدة) : هل نقول ان ابن رشيق صاحب النص ، ام انه جامع النص !

قراءة (العمدة) تشي بأن ابن رشيق ، جامع النص : (فجمعتُ أحسنَ ما قاله كل واحد منهم في كتابه ـ اي علماء الشعر ونقّاده) (١ / ١٦) . ولكن ، مع ذلك ، فابن رشيق كثيراً ما يطرح رأيه ، موافقاً او مخالفاً رأي هذا او ذاك : (وعوّلتُ في اكثره على قريحة نفسي ، ونتيجة خاطري ، خوف التكرار ، ورجاء الاختصار ، إلّا ما تعلّق بالخبر ، وضبطتُه الرواية ، فانه لا سبيل الى تغيير شيء من لفظه ولا معناه ، ليؤتى بالامر على وجهه ، فكل ما لم اسنده الى رجل معروف باسمه ، ولا أحلتُ فيه على كتاب بعينه ، فهو من ذلك ، إلّا ان يكون متداولًا بين العلماء ، لا يختص به واحد منهم دون الآخر) (١ / ١٧) .

ومهما يكن .. وباعتبار ابن رشيق جامع النص ، والموجِّه له ، فليس لنا إلّا ان نعتبر (العمدة) نصاً متكاملًا في الشعرية العربية ، وقد كان لهذا النص فعل مؤثّر في زمانه وفي مؤلفات كثيرة تالية .

واذا كان لا بد من ملاحظة ، وكما يلاحظ من الاحالات الكثيرة لابن رشيق ، الى عبدالكريم النهشلي ، وكما لاحظ ذلك ، د. احسان عباس ، ان عبدالكريم هذا (من ابعد الشخصيات تاثيراً في ابن رشيق)[1] ويبدو هذا واضحاً في دفاع الاثنين عن الشعر واعتباره خير بيان العرب .. ولكن الذي لا شك فيه ، ان ابن رشيق ، عرف كيف يصهر آراء الآخرين واستخراج حكم جديد يمثّل شخصيته التي لم تضِع بين آراء النهشلي او الجمحي والمبرد والجاحظ والرماني والجرجاني وقُدامة والمرزوقي والناشيء وابن وكيع .. وغيرهم من النقاد الذين صرّح باسمائهم او لم يصرّح . وبذلك احتل ابن رشيق مكانته كناقد عن طريق شخصيته اكثر منه عن طريق الجدّة في الرأي[2] .

ومثال ذلك معالجته لافضلية الشعر على النثر ، وحجّة المنتصرين للنثر بأن القرآن ، منثور . من جهة . وقوله تعالى عن الرسول : ﴿ وما علّـمْناهُ الشِّعْرَ وما ينبغي له ﴾ واتهام مشركي قريش ، الرسولَ بانه : شاعر . وما جاء به من الآي القرآني ، نسبوه الى الشعر ، من جهة ثانية .

وقد حلّ ابن رشيق هذا الإشكال ـ حسب رأيه ـ كما يلي :

أولًا : ان نسبتهم القرآنَ الى الشعر ، بعد [illegible] متبين عجزهم ان ياتوا بمثله ، يرجع (لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته ، وانه يقع منه ما لا يُلحق . والمنثور ليس كذلك) .

ثانياً : ان معنى قوله تعالى : ﴿ وما علّـمْناه الشعرَ ، وما ينبغي له ﴾ وحسب رواية يونس عن الزهري قال : معناه ما الذي علّمناه شعراً . وما ينبغي له ان يبلّغ عنا شعراً . اي : ما دام القرآن لم يبلّغ الى الرسول (ﷺ) شعراً ، فما كان ينبغي له ان يبلّغه شعراً . بل كما جاء منثوراً . (١ / ٢١) .

وهكذا يمكن القول ، اخيراً ان (العمدة) دفاع مجيد عن الشعر ومكانته : (فقد وجدت الشعر اكبر علوم العرب ، واوفر حظوظ الادب)(١ / ١٦) باعتباره (ابلغ البيانين عند العلماء بلا مدافعة)(١ / ٢٧) .

مبتدأ الشعر عند العرب :

كلام العرب نوعان : منظوم ومنثور : « وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها ، وطيب اعراقها ، وذكر ايامها الصالحة ، واوطانها النازحة ، وفرسانها الانجاد ، وسمحائها الاجواد ، لتهزّ انفسها الى الكرم ، وتدلّ ابناءها على حسن الشيم ، فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تمّ لهم وزنه سمّوه شعراً ، لانهم شعروا به ، اي : فطنوا »(١ / ٢٠) .

وابن رشيق ، هنا ، يتفق مع الرأي القائل باسبقية النثر على الشعر ، وان الشعر ، او الكلام المتّزن ، جاء ، بداءة ، في تضاعيف الكلام (المنثور)[3] الذي تطور الى الكلام المسجّع ، حيث تطور هذا فخرج الرجز منه ، ثم القصيد أو القريض الذي تطور عن الرجز . ومعنى القرْض : القطْع . فكان الشاعر قطع الرجز وخرج الى القريض (١ / ١٨٤) .

والاصل في هذا كلّه ، هو الغناء او (حاجة العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها ..) فالغناء ، عند العرب ، بالاتفاق ، يفصل بين الشعر

والكلام المنثور. فاذا شاؤوا الترنم ومدّ الصوت في الغناء والحداء، أتبعوا القافية المطلقة، مثلها من حروف المد واللين في حال الرفع والنصب والخفض. واذا لم يقصدوا الغناء والترنم. فهم احرار في ذلك (٢ / ٣١١).

ولهذا ايضاً، (يقولون: فلان يتغنّى بفلان او بفلانة اذا صنع فيه شعراً) او يقولون: (حدا به، اذا عمل فيه شعراً). وقال الشاعر:

تغنَّ بالشعر إمّا أنت قائله
إنّ الغناء لهذا الشعر مضمارُ

ومن هنا قيل: ان الاوزان قواعد الالحان، والاشعار معايير الاوتار لا محالة - (١ / ٢٦) وكانت العرب - كما قال الجاحظ - تقطّع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة، بينما العجم تمطّط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تُدخل في وزن اللحن، فتضع موزوناً على غير موزون) (٢ / ٣١٤).

حدّ الشعر وبنيته:

يحدّ ابن رشيق الشعر، بانه يقوم، بعد النية، من اربعة اشياء، هي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية. اما اشتراط النية او القصد، فهو: لان من الكلام موزوناً مُقفّى وليس بشعر، كاشياء اتزنت من القرآن، ومن كلام النبي (ﷺ)، وغير ذلك مما يمكن ان يرد في تضاعيف الكلام المنثور، لكنه لا يعدّ شعراً، لعدم القصد والنية (١ / ١١٩).

ويتوخى من القصد، غرضان:

الاول: توفر الحافز لقول الشعر؛ ولهذا قالوا: اركان او قواعد الشعر اربعة: الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب. فمع الرغبة يكون المدح، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع (١ / ١٢٠).

الثاني: تجنيس النوع (الشعر) وتمييزه عن غيره من اجناس الكلام الاخرى. ولهذا شبّهوا البيت من الشعر بالبيت من الابنية. قال: (والبيت من الشعر كالبيت من الابنية: قراره الطبع، وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعنى. ولا خير في بيت غير مسكون، وصارت الاعاريض والقوافي كالموازين والامثلة للابنية، او كالاواخيّ والاوتاد للاخبية، فاما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فانما هي زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستغني عنها (١ / ١٢١).

هذا ويستفاد من آراء اكثر من واحد من العلماء: « ان الشعر ما اشتمل على المثَل السائر، والاستعارة الرائعة، والتشبيه الواقع » او: « ما لم يحجبه عن القلب شيء ». وما لم يتوفر فيه شيء من هذا (فانما لقائله فضل الوزن » وحسب (١ / ١٢٢ - ١٢٣). هذا لان الشاعر، « انما سمّي شاعراً، لانه يشعر بما لا يشعر به غيره. فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، او استظراف لفظ وابتداعه، او زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، او نقص مما اطاله سواه من الالفاظ، او صَرف معنى الى وجه دون وجه آخر، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة. ولم يكن له إلا فضل الوزن، وليس بفضل عندي مع التقصير » (١ / ١١٦).

الوزن:

وهذا يعني، مع ان « الوزن اعظم اركان حدّ الشعر، واولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية، وجالب لها ضرورة » (١ / ١٣٤) إلّا انه وحده، لا يخلق شعراً، خاصة وان الشاعر « المطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الاوزان واسمائها، وعللها، لنبوّ ذوقه عن المُزاحَف والمستكره » (١ / ١٣٤). فكان « عمل الشعر بالطبع دون العروض اجود، لما في العروض من المسامحة في الزحاف، وهو مما يُهجّن الشعر، ويذهب برونقه » (١ / ١٥١).

وهذا يعني، ان ابن رشيق يرى، شان الكثير من علماء الشعر ونقدته، ان اجود الشعر ما جاء وزنه على السجية.

القافية:

« القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمّى شعراً حتى يكون له وزن وقافية » (١ / ١٥١) وشرط هذا ايضاً، ان يكون الشعر اكثر من بيت متفقة في الوزن والقافية، لان تكرار القافية هو ما يميّزها كقافية. ولهذا قيل: « القافية ما لزم الشاعر تكراره في آخر كل بيت » (١ / ١٥٣). وما يلزم تكراره حسب تعريف الخليل للقافية، هو: (من آخر حرف في البيت الى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن. فالقافية في قول امرىء القيس:

« كجلمود صخرٍ حطّه السيلُ من عَلِ »

من الياء التي بعد حرف الرويّ في اللفظ الى نون « مِنْ » مع حركة الميم. اي القافية هي: « مِنْ عَلِ » (١ / ١٥١).

على اية حال.. ومهما تعددت الآراء في تعريف القافية، فقد سميت القافيةُ، قافية لانها تقفو إثر كل بيت (١ / ١٥٤). اي: شرطها: التكرار، وظهور الاعراب او السكون على حرف الرويّ الذي تبنى عليه القصيدة.

وتلحق بالقافية، ظاهرتان؛ هما: التقفية والتصريع. اما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته ». اما التقفية، فهي: ان يتساوى الجزءان من غير نقص

ولا زيادة ، فلا يتبع العروضُ الضرب في شيء إلا في السجع خاصة . مثال ذلك قول امرىء القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ
بسقْطِ اللوى بين الدخول فحوملِ

(١/١٧٣)

بنية المكان :

والذي يهمنا من ظاهرة التصريع ، اشتقاق التصريع ، لدلالته . قال : (واشتقاق التصريع من مصراعي الباب . ولذلك قيل لنصف البيت « مصراع » كأنه باب القصيدة ومدخلها . وقيل : بل هو من الصرعين ، وهما طرفا النهار ، قال ابو اسحاق الزجّاج : الاول من طلوع الشمس الى استواء النهار ، والآخر من ميل الشمس عن كبد السماء الى وقت غروبها . وسبب التصريع مبادرة الشاعر ، القافيةَ ليُعلم في اول وهلة انهُ اخذ في كلام موزون غير منثور » (١ / ١٧٤) .

والدلالة ، هنا ، في مجال الممارسة الاستعارية للغة ، ان القصيدة العربية في بنيتها الشكلية النموذجية ، علامة ايقونية . فهي اشبه ما تكون بالباب او البيت او دورة الشمس في النهار . فمن حيث ان البيت الشعري المكوّن من شطرين ، يساوي باباً من مصراعين . يستحضر صورة باب البيت الطبيعي ، اي ان البنية الشكلية المسموعة ، قد بنيت على صورة شكلية منظورة . اي مجرى المسموعات مجرى المنظورات ، كما قال حازم القرطاجني .

اما من حيث البيت الشعري في شطريه ، شبيهاً بطرفي النهار ، فهو تجسيد لحركة الزمن ، سواء بالنسبة للبيت الواحد ، او بالنسبة للقصيدة المكوّنة من « مجموعة ابيات من بحر واحد وقافية واحدة » حيث تتقدم الحركة : افقياً من اليمين الى اليسار : صعوداً في الشطر الاول ، ونزولاً في الشطر الثاني حيث تعلن القافية انتهاء البيت ، كما تعلن الشمس غروبها عند اقصى نقطة انحدارها في الافق .

كما تتقدم الحركة : عمودياً مع توالي ابيات القصيدة ، مثلما تتتالى النهارات الى ما لا نهاية .

وهكذا ، فضلاً عن ان التصريع ، الذي هو مباشرة القافية ، حيث تلعب القافية دور المنبه الى ان الكلام هو شعر ، وليس نثراً . فانه ، اي التصريع ، يبنْين الشعر هذا ، مكانياً ، بنية الخباء ، او دورة الشمس في النهار .

وبعبارة اخرى ، ان الطابع الاستعاري للغة الواصفة للقصيدة العربية ، والقائم على شروط المماثلة والمشابهة ، هو ما يسمح بتفسير الاشتغال الفضائي للنص ، باعتباره علامة مفردة ايقونية(1) .

اللفظ والمعنى :

« اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم : يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته . فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه .. ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ ، وجريه فيه على غير الواجب .. » (١ / ١٢٤) .

ومع ان ابن رشيق ، مثل استاذه عبدالكريم النهشلي ، ومثل اكثر الناس ممن يؤثرون اللفظ على المعنى : (قال العلماء ، اللفظ اغلى من المعنى ثمناً ، واعظم قيمة ، واعزّ مطلباً . فان المعاني موجودة في طباع الناس ، يستوي الجاهل فيها والحاذق ، ولكن العمل على جودة الالفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف ..) (١ / ١٢٧) إلا انه يرى مثل من يرى وحدة التأليف . قال الثعالبي : (البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ، ويخيط الالفاظ على قدود المعاني) .. او قول غيره : (الالفاظ في الاسماع كالصور في الابصار) (١ / ١٢٨) اي انها تريك في السمع ، ما تراه العين في الصورة . ولهذا مثّل ـ واظنّه ابن وكيع ـ المعنى بالصورة ، واللفظ بالكسوة ، فان لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها ، وتضاءلت في عين مبصرها) (١ / ١٢٧) .

وهذا هو المعنى نفسه الذي ذهب اليه البعض ، برواية عبدالكريم ، عندما قال : (المعنى مثال ، واللفظ حذْو ، والحذو يتبع المثال . فيتغير بتغيره ، ويثبت بثباته) (١ / ١٢٧) .

وبعبارة اخرى ، في العلاقة التوليدية بين اللفظ والمعنى : تأليفاً وتركيباً ونحواً وعلامة ، عندما يقال ، مثلاً ، في وصف بليغ : (معانيه قوالب لالفاظه) (والفاظه قوالب لمعانيه) .

الشعر : صنعة :

للشعر ـ كما ينقل عن الجمحي ـ صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم والصناعات .. (١ / ١١٨) ولا يشترط ان يكون الشاعر منهم : (وقد يميّز الشعرَ من لا يقوله ، كالبزاز يميّز من الثياب ما لم ينسجه ، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه) (١ / ١١٧) . ورغم قول البعض : (ليس للجودة في الشعر ، صفة . انما هو شيء واقع في النفس عند المميّز . كالفِرِنْد في السيف ، والملاحة في الوجه ..) (١ / ١١٩) . إلا ان الذي لا شك فيه ، ان للشعر ، علماً ، يعرفه اهل العلم به ، من ذوي الثقافة المتسعة ، مثلما يعرفه اهل صناعة الشعر انفسهم ، لانهم من يكابده ويعرف مضايقه ومخارجه ، وذلك بالنظر (لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل : من نحو ، ولغة ، وفقه ، وخبر ، وحساب ، وفريضة ، واحتياج اكثر هذه

العلـوم الى شهادتـه .. ولانـه قيـد للاخبـار، وتجديـد للآثار) (١ / ١٩٦) ، اي انه : (علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه) (١ / ٢٧) . هذا من جهة . ولتكثّر المعاني كلما تقدم العصر - (فاذا تاملت ما في اشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ، ثم ما في اشعار طبقة جرير والفرزدق واصحابها من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء ، إلا في الندرة القليلة ، والفلتة المفردة ، ثم اتى بشار بن برد واصحابه فزادوا معانيَ ما مرّت قطّ بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا اسلامي ، والمعاني ابداً تتردد وتتولّد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً) (٢ / ٢٣٨) من جهة ثانية . (وهذا باب يقود الى السرق او التناص سناتي عليه) .

على اية حال .. فما لم يعد ثمة شك فيه ، كما تؤكد الوقائع الشعرية ذلك ، ان الشعر صنعة او في الشعر ، صنعة . ورغم التمييز بين مطبوع ومصنوع ، فحتى المطبوع (وقع فيه هذا النوع الذي سمّوه صنعة من غير قصد ولا تعمل) اي (بطباع القوم ، عفواً ، فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل ، بعد ان عرفـوا وجـه اختيـاره على غيره) (١ / ١٢٩) اي تميزه عن غيره من اساليب الكلام الاخرى . خاصة وان الشعر محكوم بـ (النيّة) ومرتبط مباشرة بالغناء والترنّم ، حيث تفصل الخاصية هذه بين الشعر والكلام المنثور (٢ / ٣١١) . ومتصل ، ايضاً ، بالحافز الذي لا بد منه لقول الشعر .

سرق ام تناص ؟

ذكر ابن رشيق في باب المعاني المحدثة ، انه كلما تقدم الزمن ، كلما تكثّرت المعاني . فلما اتى بشار بن برد واصحابه ، مثلاً ، زادوا معاني ما مرت قطّ بخاطر جاهلي ، ولا مخضرم ، ولا اسلامي ، لكن هذا لم يات من فراغ او ابتداع وحسب ، بل من معانٍ سبق قولها او الاشارة اليها ، اي من كلام سبق تردده (فالمعاني ابداً تتردد وتتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً) (٢ / ٢٣٨) .

وهذا يفتح بدوره ، (باباً متسعاً جداً لا يقدر احد من الشعراء ان يدّعي السلامة منه) (٢ / ٢٨٠) اعني باب السرق ، او ما يسمى حديثاً بالتناص . وخلاصة الامر فيه : قد يجيء التناص ، عفواً ، او (مواردة) كما قال المتنبي : (الشعر جادة ، وربما وقع الحافر على الحافر) او كما قال المعري عندما سئل : أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ ولم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها) (٢ / ٢٨٩) .

لكن في مجال الثقافة والتثاقف ، الامر يختلف . فهناك من المعاني والالفاظ ما هو عام مشترك (لا يجوز ادعاء السرق فيه .. وليس واحد احق به من الاخر) كما قال الجرجاني في (الوساطة) . وهناك ما هو مخترع مبتدع(*) اختص به الشاعر قبل ، ودون غيره .. وهنا يجب التمييز بين حالات ثلاث من الاخذ او التثاقف او التناص .

١ ـ السرق : وهو أخذ المعنى بلفظه .
٢ ـ السلخ : أخذ المعنى مع تغيير بعض اللفظ .
٣ ـ التوليد : وهو تغيير المعنى مع تغيير اللفظ (٢ / ٢٨١) .

ومع هذا يظل السؤال ـ بالنسبة للحالتين الثانية والثالثة خاصة ـ : اين السرق من التناص ؟ ما دمنا نرى : (ان المعاني ابداً تتردد وتتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً) فالمرء مهما اخذ المعنى وولّد فيه ، حتى يظن انه لم يترك فيه زيادة لمستزيد ، كابن الرومي مثلاً ، فان احداً قد يجيء من بعده ، فيولّد فيه زيادة .. وهكذا (٢ / ٢٣٨) تساعده في هذا جملة امور منها :

١ ـ تقدم الزمان .
٢ ـ اتساع حال الناس والدنيا .
٣ ـ اختلاف البيئة .
٤ ـ اختلاف احوال المعاش .
٥ ـ اختلاف مصادر الثقافة بانواعها .
٦ ـ اختلاف الموهبة والقدرة على الاستخراج والابتداع .

وبهذا : (ليس احدنا احقّ بالكلام من احد ، وانما السبق والشرف في المعنى على شرائط) (١ / ٩١) فربما ابتدع شاعر ، معنى ، ثم جاء شاعر تالٍ ففرّع او ولّد منه معنى او صورة ، او اعاد تركيبه بلغة اسلس اداء ، وتعبير اعمق بعداً ، فنسي الشاعر الاول ، بينما فرض الثاني ، احداثه الابداعي . ومن هنا ، قيل : كل قديم ، مُحْدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله . وبذلك تتغير صيغة السؤال : هل غادر الشعراء من مُتردَّم ؟ الى السؤال : ما ترك الاولُ للآخِر؟ وهو كثير (١ / ٢٦٥) .

الاستخدام الخاص للغة :

يميز ابن رشيق ـ كما قلنا ـ بين الاختراع والابداع . فالاختراع : خلق المعاني التي لم يسبق اليها ، والاتيان بما لم يكن منها قطّ . اما الابداع فهو اتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله . ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر . فصار الاختراع للمعنى . والابداع للفظ . فاذا تمّ للشاعر ان ياتي بمعنى مخترع في لفظ بـديـع ، فقـد استـولـى على الامـد ، وحـاز قصب السبق (١ / ٢٦٥) .

اذن ، فالبديع ما لم تجر العادة بمثله . اي : ما خرق العادة ، واخرج على غير المالوف . ورأس ذلك كله هو المجاز : فانه دليل الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه بانت لغة العرب عن سائر اللغات (١ / ٢٦٥) بل ان كلام العرب يكاد يكون كله مجازاً . قال ابن قتيبة : (لو كان المجاز

كذباً لكان اكثر كلامنا باطلاً) فمعنى المجاز : (طريق القول ومأخذه) والعرب انما تأخذ طريق الجاز في التعبير ، لانه ابلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعاً في القلوب والاسماع ، وأدعى الى التحميل والتأويل . اي مشاركة القارىء او السامع صاحب النص ، قراءة المحمول وتوسيعه ، لان في النص المجازي ، اتساعاً . اي انه : نص مفتوح .

وادخل اصناف البديع في باب المجاز : الاستعارة ، والتشبيه ، والتمثيل ، والكناية .

(والاستعارة : افضل المجاز ، وليس في حلى الشعر اعجب منها ، وهي من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها) (١ / ٢٦٨) . وهي ـ حسب ابي الحسن الرمّاني ـ : (استعمال العبارة على غير ما وضعت له في اصل اللغة . كقول الحجاج : « اني ارى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها » (١ / ٢٧١) وبتعبير آخر للرماني نفسه : (الاستعارة الحسنة ما اوجب بلاغة ، ببيان لا تنوب منابه الحقيقة ، كقول امرىء القيس : (قَيْد الاوابد) في قوله :

وقد أغتدي والطيرُ في وكناتها
بمنجردٍ قَيْدِ الاوابدِ هيكلِ
(١ / ٢٧٢)

يعني بعبارة اخرى . اذا كانت الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الاصلي ـ كما قال القاضي الجرجاني ، فان الشرط هو : ألّا تعرى الاستعارة عن علاقة الاصل ، وهذا معنى قولهم : (مناسبة المستعار للمستعار له) اي : ألّا يبعد الشاعر ، الاستعارة جداً حتى ينافر ، فيفقد ملاحظة الاصل ، ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقّق ، اي يبلغ الاصل (١ / ٢٧١) .

على اية حال .. الاستعارة ـ عند العرب حسب رأي ابن رشيق ـ (انما هي من اتساعهم في الكلام اقتداراً ودالّة ، وليس ضرورة ، لان ألفاظ العرب اكثر من معانيهم ، وانما استعاروا ، مجازاً او اتساعاً ..) (١ / ٢٧٤) ومعنى هذا ، في رأينا ، ان الاستعارة : اسلوب في التعبير ، وليست ضرورة يلجىء اليها ، نقص في ادوات التعبير (الالفاظ) . ودليل ذلك ان للشيء عند العرب ، اسماء كثيرة ، ومع ذلك فهم يستعيرون له . وبالمقابل ، نجد ايضاً ، اللفظة الواحدة يعبّر بها عن معانٍ كثيرة نحو « العين » التي تكون جارحة ، وتكون الماء ، وتكون الميزان ، وتكون المطر الدائم الغزير ، وتكون نفس الشيء وذاته ، وتكون الدينار ، وما اشبه ذلك كثير (/ ١ ٢٧٤) وهذا ايضاً ، اسلوب في التعبير ، وليس من قبيل ضيق اللفظ عليهم .

ثم ان الاستعارة تمنح اتساعاً في المعنى غير ما تمنحه الحقيقة . فللحقيقة معنى واحد ، بينما للاستعارة اكثر من معنى ودلالة ، بفضل ما ترسمه من صورة او تحيل اليه من رمز .

ثم ان للحقيقة اسلوباً واحداً ، وهو مطابقة الالفاظ لما وضعت له اصلًا . بينما للاستعارة أكثر من اسلوب ، يتعدد ويتنوع لدى الشاعر الواحد ، ولدى الشعراء المتعددين .

فعلى سبيل المثال ، هذه الاستعارة للطفيل الغنوي :

فـوضعتُ رحلي فـوق نـاجيـةٍ
يقتـات شحم سنـامهـا الـرحْلُ[١]

حيث جعل شحم سنامها قوتاً للرحل . وقد تناولها جماعة منهم كلثوم بن عمرو العتابي ، قال :

ومن فـوق أكـوار المهـاري لبـانـة
أحـلّ لهـا أكـل الـذرى والغـواربِ

ثم اتاه ابو تمام فزاد المعنى زيادة لطيفة ، قال :

وقـد أكلـوا منهـا الغـواربَ بـالسـرى
فصـارت لهم أشبـاحهم كـالغـواربِ
(١ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥)

وهكذا يتبين ، ان الاستعارة ، طريق خاص في التعبير واستعمال اللغة ، يخرج به الشاعر او المتكلم عن الجاري المألوف . وعن طريق غيره من الشعراء بحيث حتى لو « وقع الحافر على الحافر » ـ كما قال المتنبي ـ فانه يظل دائماً ، هناك ، ما يميز حافراً عن حافر : سمة ، او شكلًا ، او عمقاً .

وهكذا بالنسبة للتمثيل والكناية والتشبيه والاشارة والرمز والتتبيع والتورية .. الخ ، فكلها ضروب من الاستعارة ، اي التعبير عن الشيء بالعدول الى ما لم يوضع له اصلًا . كما يتبين من التعريفات التالية :

التمثيل : هو ان تمثّل شيئاً بشيء فيه اشارة او استعارة (١ / ٢٧٧) . والتمثيل والاستعارة من التشبيه ، إلّا انهما بغير اداته ، وعلى غير اسلوبه (١ / ٢٨٠) .

التشبيه : وهو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة او جهات كثيرة ، لا من جهاته كلها . لانه لو ناسبه كليّةً لكان إياه . والاساس في التشبيه هو تشبيه غير المحسوس بالمحسوس ، والبعيد بالقريب .. وقد يجيء العكس نحو قوله تعالى : ﴿ طَلْعُها كأنّه رؤوسُ الشياطين ﴾ اي تشبه المحسوس بصورة قائمة في النفس (١ / ٢٨٦ ـ ٢٨٦) .

الاشارة : وهي في كل نوع من الكلام ، لمحة دالّة ، واختصار وتلويح يعرف مجملًا ومعناه بعيد من مظاهر لفظه . من ذلك قول زهير :

فـإنّي لـو لقيتـك واتّجهنـا
لكـان لكـل منكـرة كفـاءُ

فقد اشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه (١ / ٣٠٢) .

التورية : وجاء ذكرها عند ابن رشيق ضمن الاشارة كقول عُليّة

ببنت المهدي في « طلّ » الخادم :

أيـــا سرحـــة البستـان طـال تشـوّقي
فهـــل لي الى ظـــلٍّ اليـــك سبيـــلُ

فورّت بـ « ظل » عن « طل » .

والتورية في اشعار العرب - كما يراها ابن رشيق - مثل الكناية حيث تكنّى عن الشيء بشجرة او شاة او بيضة او ناقة او مهرة .. كقول المسيّب بن علس :

دعـــــا شجـــــرَ الأرض داعيهمُ
لينصـــــره الســـدرُ والآتـــابُ[٧]

فكنّى بالشجر عن الناس . وهم يقولون في الكلام المنثور : جاء فلان بالشوك والشجر ، اذا جاء بجيش عظيم (١ / ٣١١) .

وهكذا . فالتورية ضرب من الإيهام . (وهي ان يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد بها البعيد)[٨] .

ومثلها الكناية ان تتكلم بشيء وتريد غيره ، مثل قول امرىء القيس :

وبيضـــة خـــدرٍ لا يـــرام خبـــاؤهـــا
تمتّعتُ من لهـــوٍ بهـــا غيـــر مُعجـلِ

كناية بالبيضة عن المرأة .

او مثل قوله تعالى : ﴿ وقالوا لجلودهم لمَ شهدتُم علينا ﴾ ذكر الجلود ، كناية عن الفروج ، وعدولاً عن اللفظ الخسيس (١ / ٣١٣) .

اما التتبيع ، وهو من انواع الاشارة ، وقوم يسمونه التجاوز ، فهو : ان يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ، ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه . مثل قول عمر بن أبي ربيعة :

بعيـــدة مهـــوى القـــرط إمّـــا لنـــوفـــلٍ
أبـــوهـــا وإمّـــا عبـــد شمسٍ وهـــاشمِ

حيث اراد وصف طول العنق ، فلم يذكره بلفظه بل عدل الى ما يتبعه في الصفة ، وينوب عنه في الدلالة عليه . فقال : « بعيدة مهوى القرط » .

ومثل هذا قول امرىء القيس يصف امرأة :

ويُضحي فتيتُ المســـك فوق فـــراشهـــا
نـــؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضُّـــلِ

فقوله : « يضحي فتيت المسك » تتبيع . وقوله : « نؤوم الضحى » تتبيع ثانٍ . وقوله : « لم تنتطق عن تفضل » تتبيع ثالث . وانما اراد ان يصفها بالترفّه ، والنعمة ، وقلّة الامتهان في الخدمة ..) (١ / ٣١٣ - ٣١٤) .

الاشارات :

(١) د. احسان عباس : تاريخ النقد الادبي عند العرب : ص ٤٤٠ .

(٢) نفسه ص ٤٤٦ .

(٣) الباقلاني : إعجاز القرآن ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) محمد الماجري : الاشتغال الفضائي في النص الشعري - رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا - الرباط ٨٧ - ١٩٨٨ .

(٥) يميز ابن رشيق بين المخترع والمبتدع كما يلي : المخترع هو ما لم يسبق اليه قائله ، ولا عمل احد من الشعراء قبله نظيره او ما يقرب منه . اما الابداع فهو : إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله . ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع . فصار الاختراع للمعنى ، والابداع للفظ (١ / ٢٦٢ - ٢٦٥) .

(٦) الناجية : الناقة السريعة . والرحل ما يقتعد عليه الراكب . يريد : ان ارحل فوقها دائماً ، كُناية عن طول ما يسافر عليها ، فينتقص شحم سنامها .

(٧) السدر : شجر النبق . والاتاب : ضرب من التين .

(٨) د. احمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٣٨٥ .

العمارة الاسلامية

عمارة التوحيد (*)

بحث : البروفيسور كريستيان نوربيرغ شولز (**)

ترجمة : المهندس المعماري محمود حمندي

ص . ب (٦٠٠٥) ـ المنصور ـ بغداد

يجتاز التعليم المعماري في حضارتنا المعاصرة حالة تازم . ان في حوزتنا اليوم معرفة في اغلب الحقول تفوق ما كانت لدينا في أي وقت مضى ، ولدينا وسائل تقنية تخدمنا بشكل أفضل مما كان سابقاً ، ولكن البيئة المشيّدة في أغلب بقاع العالم ما زالت تتهرى بسبب الإنشاء العشوائي . وعلى هذا فقد نتحدث عن أزمة بيئية عامة ، وبالتالي فهي أزمة التعليم المعماري . ولما كنت معماراً ومدرساً فقد أتيح لي أن أفكر ملياً باسباب هذه الحال .

ان استنتاجي بسيط وهو اننا قد نسينا لغة العمارة . فلقد نسينا أولًا أن نمارس العمارة كتعبير مفعم بالمعنى عن حياة البشر في مكان معيّن ، كما قد نسينا ثانياً كيفية استعمال لغة العمارة كوسيلة لتلبية متطلبات الانسان في المعنى والانتماء .

بكلمة (اللغة) أقصد ما يُبقي وينقل أنماط الانسان في وجوده في الدنيا . وان استعادة لغة العمارة عافيتها لهي هدف رئيسي للتعليم المعماري وقاعدته . أما غرض هذا البحث فهو تبيان ما يعني ذلك مستعينين بالعمارة الاسلامية للتوضيح .

انا لا أدعي القدرة على شرح العمارة الاسلامية ، بل أن رغبتي هي مجرد توضيح طريقة قد تساعدنا على تحقيق العودة الى العمارة المبتغاة . لاؤكد : قبل أن نتمكن من تدريس العمارة ، علينا أن نعرف ما هي العمارة . وفي صدد بحثنا هذا فان ذلك يعني السؤال الآتي : ما هي العمارة الاسلامية ؟ وفي هذا الاستفهام تمهيد لسؤال آخر أخير هو : هل يمكن خلق عمارة اسلامية اليوم ، وهل يجدينا ذلك نفعاً ؟

تمارس العمارة الاسلامية كواقع ايجابي فور زيارتنا بيئة اسلامية : من افغانستان الى البلاد العربية ، ومن مصر الى الاندلس ترى العمارة الاسلامية موجودة كحضور فوري معترف به . انها وجود كشيء يخبرنا باننا لسنا في أوروبا الاغريقية أو الرومانية أو المسيحية . انها دنيا إخرى تتجلى ، دنيا تجعلنا نشعر بالتغاير وتتطلب منا ادراكاً حسّياً مختلفاً . اضافة لذلك فاننا نعرفها عندما نكون في مدينة أوروبية أكثر مما لو كنا في مدينة هندية أو صينية ، واننا نعرفها قبل أن نواجه أي كائن بشري أو نرى لافتة مكتوبة . مع ذلك فإن كل هذه العوالم المختلفة تكون بالأساس متشابهة : إذ هي مؤلفة من مديّنات وشوارع ومباني وأشياء وأناس .

فيم إذن يكمن الاختلاف ؟ وكيف نعرف أين نحن ؟ اننا نعرف أين نكون لان حياة البشر تجري في أمكنة تحددها العناصر الطبيعية والعمارات التي تتضمن سمة مميّزة . من الواضح ان مثل هذه « السمات » تكون عامة في كثير أو قليل . وعندما أقول اننا نعرف ذلك العالم عندما نكون في مجتمع اوروبي ، اضيف فاقول اننا نعرف أيضاً باننا ، مثلًا ، في مدينة انكليزية وليس في اخرى المانية . نعم يمكننا أن نميّز بين عالم توساني وآخر صقلّي ، ولكن ذلك يتطلب مستوىً معيناً من المعرفة من جانب الزائر .

شارع في مدينة اسلامية جامع الحيدرخانة ـ شارع الرشيد ـ بغداد



(*) بحث ضمن محور « التوجه نحو التعليم المعماري » من ندوة « التعليم المعماري في العالم الاسلامي » التي عقدتها جائزة الاغا خان للعمارة في قصر الحمراء بغرناطة / اسپانيا في نيسان ١٩٨٦ .

(**) المهندس المعماري كريستيان نوربيرغ شولز استاذ في النظريات المعمارية والتاريخ المعماري ورئيس مدرسة اوسلو للعمارة في النرويج .

ان الامكنة التي نحفل بها في رحلاتنا هي بالأساس أمكنة عامة وليست خاصة ، وقد تكون أحيزة حضرية بمثل ما تكون دواخل أبنية عامة . وعلى هذا فإن الفارق بين البيئات ينبع من اختلافات الممتلكات المكانية ، والتي يمكن درجها ضمن الاصناف الكثيرة من الانماط الكتلية والأنواع المختلفة من الاسوار ، سندرك على التو « سوق » مدينة اسلامية كنمط كتلوي مميّز ، ويحدث نفس الشيء عندما ندخل مسجداً مشهوراً مثل جامع قرطبة . مع ذلك فإن تشخيص المدينة الاسلامية لا يتطلب بالضرورة زيارة أمكنة معيّنة ، لاننا نحس بالوجود الاسلامي أينما حللنا بسبب المعالجات السماتية لاسوار الفضاءات بمثل ما نشهده في المدن الاوروبية لنفس الاسباب . في البداية تتجلى العمارة الاسلامية في الحيطان التي يكون الحس الاسلامي بالبقاء الدنيوي أمراً فيها متواصلاً ومشهوداً . من المؤكد ان ليست كل الجدران في كل المدن الاسلامية مشيّدة بنفس الاسلوب ، ولكن المميزات الاساسية والافكار تكون ذات وجود كلّي omnipresent برغم ترددااتها المختلفة . من نفس تلك الاهمية فان الصفات التي تميّز المدن الاوروبية تكون ، كقاعدة عامة ، غير ذات وجود .

ما هي إذن هذه المميزات الاساسية ؟

الحائط الاسلامي يمكن على العموم أن يتسم بصفة « الجلد » المختلع بنيوياً dematerialised skin الذي يُغطّى في كثير أو قليل بتزيينات خطيّة معقدة . أما العناصر التشكيلية للأجسام البشريّة التي تميّز الجدار الاوروبي ذا الجذور الكلاسيكية فليس لها وجود في الاشكال الاسلامية . اضافة لذلك فان الحائط الاسلامي مغاير للجدار الشفاف للعمارة القوطية . وبالتأكيد فان هذا الاخير يبدو نوعاً من شبكة من الأعمدة النحيلة . وبينما تكون الخطوط الاسلامية مجردة ومن غير وجود جسدي تُبْرَز الاضلاع القوطية على شكل صفوف من التقويات التي تبدو وكأنها هيكل انشائي أكثر من كونها زينة .

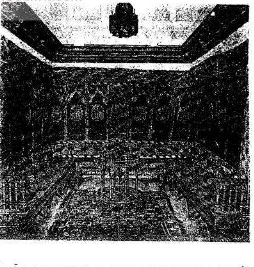
على هذا فإن العلاقة الجليّة بالارض تكون في الجدار الاسلامي أضعف مما هي في الجدار الأوروبي . ان الحائط الاسلامي لا ينتصب ولا يشمخ بنفس الطريقة الانشائية المقررة للمبنى بل يبدو معبراً عن نوع من الكينونة في الفضاء أكثر عمومية . وهذا يتماشى مع تنظيمه الهندسي الخاص ، بينما تكون التخوم الاخرى للفضاء الاسلامي ذات سمات مناظرة .

على هذا تكون الارضيات سطوحاً ممتدة شبيهة بالسجاد ، وتكون أرضيات الجوامع في الواقع مغطاة بفرش ذات نقوش هندسية . أما السقوف فتتم في نهاية المطاف عن سمات الحدود الاسلامية بطرائق واضحة للغاية . بهذا الاسلوب يتلاشى المستوى السطحي تماماً ليكون شبكة مضيئة وشفافة من الاشكال الرقيقة من غير أن تفقد استمراريتها العامة .

مع ذلك هنالك وجود لمفارقة واضحة بين العلو والسفالة . فالسقف والجزء الأعلى من الجدار يكونان في الغالب ابيضين موشيين بزخرفة جد كثيفة ، بينما يكتسب القسم الأسفل من الجدار والارضية وجوداً أكثر ثباتاً بسبب استعمال الكاشي المزجج ذي الالوان المتعددة . وسمة اختلافية اخرى عن الجدار الاوروبي التقليدي هي خلوه من التمثيل الصوري . وحين تتجلى بعض « الاجساد » بوضوح تكون على الدوام مبتلعة بالتزيينات المتشابكة لتكون جزءاً متمماً للكليّة الشاملة . وكبديل عن الصورة الاوروبية ، تستعمل عناصر خطية تتضمن مقتبسات من القرآن الكريم . وبسبب المميزات الزخرفيّة للكتابة الكوفية ، فانها تصبح أيضاً جزءاً من هذه الكليّة الشاملة .

على العموم يمكن وصف التخوم المكانية للعمارة الاسلامية على انها سطوح غير اساسية مستمرة وذات بُنية زخرفية غير محددة يتجلى فيها صدى باهت من دنيا الاشياء ثم يتلاشى . هنالك أيضاً نورانية شاملة الوجود تعزز الشعور العام بالتكامل والوحدانية . وعلى هذا فإن الظاهرة الاساسية للعمارة الاسلامية هي انها تتضمن « سمة - character » أكثر من احتوائها مجموعة من العناصر الشكلية المميزة .

بيد أن هذا لا يعني ان العمارة الاسلامية تهمل الطرز البنائية والافكار الشكلية . ليس من هندسة معمارية تجري من غير ذلك ما دامت هنالك سمة تكتسب وجودها على الدوام بصفة « شيء ما » . ان دراسة لتاريخ العمارة تبين أن طرز البناء في أية حضارة تستند على أنماط كتليّة عامة مثل « المبنى المستدير - rotunda » و « الباسيليقا - basilica » (الذي هو مبنى مستطيل ينتهي بجزء نصف دائري وأصله



قصر العطرة في تونس

روماني / المترجم) وفضاء « المركز السقفي ـ hypostyle » (الذي هو سقف مرتكز على صفوف من الأعمدة / المترجم) وهي ثلاثة أشكال فضائية تتمتع بامتداد سزياني عام ، لأنها تنبع من انشاءات اساسية للوجود الفضائي : المركز (الهدف) والطريق والميدان - Centre (goal, way, and domain . المسجد ، مثلاً ، هو بالاساس مرتكز سقفي تشيّد فيه في بعض الاحيان قبّة لتنمّ عن مركز معيّن أو ترمز اليه . غير أن الانماط الكتليّة العامة في العمارة الاسلامية تفسّر على غير ذلك ببلاغة فائقة ثم تعتل وفقه . وكما هي الحال في الحوائط الزخرفية ـ فإن المدن والابنية تتضمن عناصر هي بالاحرى متوحدة أكثر من كونها منفصلة ، وغالباً ما تكون اضافات امتدادية غير مقررة مسبقاً . وعلى هذا يكون مسجد المركز السقفي من الناحية المبدئية شكلاً « مفتوحاً » يتيح اضافة أو حذف عناصر فضائية من غير تشويه لمضمون معناه . (ليقارن هذا بالنسبة الى مقولة ألبرتي المشهورة بعدم امكانية اضافة أو حذف أي شيء من التركيبة الكلاسيكية إلا وتميل النتيجة نحو الاسوأ) . ان العناصر الرمزية في العمارة الاسلامية مثل البرج والقبّة والفناء الداخلي هي نقاط توجيه ـ orientation ضمن الجمع الشامل ـ Comprehensive totality بدلاً من كونها أهدافاً رمزية نهائية . انها تبدو خارج المجموعة ولكنها منحت نوعاً من رهبنة ـ priori ، أي انها لا تؤلف ، بل هي عناصر يُخشع لها . بهذا ندرك الفارق الاساسي بين العمارة الاسلامية والعمارة الاوروبية . في الاوروبية يتشكل « المكان the place » بالأبنية أو بـ « المؤسسات » (باستعمال تعبير لويس كان ـ Louis Kahn في أن المكان في العمارة الاوروبية يحدد من الداخل ـ from within) بينما يحدد المكان في العمارة الاسلامية من الخارج ـ from without ليكتسب واقعاً ازلياً غير ذي نهاية .

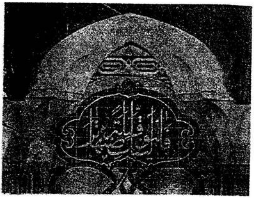
بركة الرياحين في قصر الحمراء بغرناطة / اسبانيا



في البيئات التي هي من صنع الانسان ، لا بد حتى للواقع اللانهائي من أن يكون له حضور بصفته مجموعة من الأمكنة المختلفة . من هذا المفهوم تكون المدينة الاسلامية متضمنة تغايرات مكانية ، اضافة الى الاختلافات الشكلية . المغايرة الاولى التي تدرك تلقائياً هي ملاحظتنا الفارق بين الفضاء الحضري للحياة اليومية ودواخل الجوامع والأبنية الرئيسية الاخرى . فإذ يبدو الفضاء الحضري عموماً على شكل متاهات من الدروب والأزقة « لا شكلية ـ informal » ومتنوعة ، ويغلب أن تكون ذات مظاهر متقوضة ، ورثّة ، فان الدواخل تنمّ عن درجة عالية من النظام الشكلي ـ formal والارتباطات المفصلية والتي تكون على العموم بحالة جيدة من الصيانة المعتنى بها . من الواضح إذن أن الاسلام يعترف ان الوحدة المنظمة والتي هي السمة الاساسية لعمارته لا تنطبق مباشرة على الوقائع الدنيوية الموقتة للانسان والتي هي عالم الحياة اليومية ، كنتيجة لذلك فان العمارة الاسلامية تكون انطوائية ـ introverted ويمسي معناها واضحاً وخاصة في الحدائق المسوّرة والأفنية والدواخل . أما ما يعتبر حقيقة أزليّة من الخارج فإن رؤيته تتجلى من الداخل .

ومع ان العمارة الاسلامية تنأى عن الأشكال الرمزية فانها ، مثل أي نمط معماري آخر ، تتطلب عناصر معترفاً بها . يمكن ذكر « قوس حدوة الحصان horse-shoe arch » على أنه أحد الأفكار النمطية للعمارة الاسلامية . على خلاف القوس نصف الدائري للتحدارات الغربية western traditions فان مركز القوس الحدوي أعلى من قدامته (foot) مما يتيح له أن يبدو مرتفعاً ومتسعاً . بهذا يفقد قوس حدوة الحصان صفته الانشائية ليمسي شكلاً تزيينياً جامعاً بين الإسناد والخفّة الاشعاعية . وعلى العموم فان القوس الحدوي ينم عن كيفية أن تصبح الفكرة « علامة » مميّزة ممثلة نظاماً معمارياً شاملاً . وقد أمكن ذلك بتوحيده المميزات-الاساسية للنظام بشكل مبسط . أما الاكثر تعقيداً وخصوصية ، ولكن بأهمية مساوية فهي المقرنصات التي تستعمل في العمارة الاسلامية لتولي مهمة التحول من السطوح المستوية الى مثيلاتها المقوسة . ان المقرنصات تتعلق بالأساس بمتدليات ـ pendentives واسقنشيات ـ squinches العمارة الأوروبية (الاسقنشيات أقواس تبنى عبر زوايا الغرف لتدعيم ما فوقها / المترجم) ولكنها توضح سطوح الانتقال بطرائق أساسية مختلفة . واذ تتضمن المقرنصات « خلايا » من المشكايات (جمع مشكاة) أو الكوات ـ niches المعقدة الى حد ما فإنها تتلافى كل نوع من التشكيلية ـ plasticity وتجعل المميزات الزخرفية والتنويرية للتخوم الاسلامية تشمخ صعوداً بطريقة آسرة جداً .

ان الضوء الذي يُرى بالمقرنصات مفعماً بالصور ومجسداً بالهندسة يتمحور بالمحراب الذي هو مشكاة كبيرة تعبر في كل جامع عن القبلة أو الاتجاه نحو مكة المكرمة . ومع ان المحراب فارغ وخالٍ من أية



محراب في مسجد

تماثيل صورية ، وبالتالي لا يمثل غاية رمزية ، فانه مكان ذو أهمية جوهرية . وعلى هذا فان من الغالب تزيينه بزخرفة خاصة متقنة . ولما كان المحراب خالياً ولكنه في ذات الوقت ثري ، فانه يعبّر عن مضمون العمارة الاسلامية بالذات .

هنالك في الضرائح الاسلامية معاني رئيسية تتجلى بطرائق أساسية . يتكون الضريح عادة من مكعب تعلوه قبة . وما دام القبر يمثل واقعاً يتعدى الحياة اليومية للانسان ، فإن هذه التشكيلة توفر بوضوح مفتاحاً للمفهوم الاسلامي عن الدنيا . في التركيبة الكتلية لقبة الصخرة في القدس تكون العلاقة بقيام قبّة فوق أساس هيكلي مثمن . ولكن دراسة مستفيضة للهندسة الكامنة في الخطة تبين انها تمثل تطويراً معقداً لفكرة المكعب المقبب . حين شيدت قبّة الصخرة بين الاعوام ٦٨٨ و ٦٩٢ م لم يكن بمقدور الحجيج بلوغ مكة مما جعل القدس مركزاً موقتاً للعالم الاسلامي .

وعلى هذا يجب فهم المبنى على أساس انه تعبير عن الوظيفة أكثر من كونه مجرد صدىً للانماط البيزنطية ، كما يوحى عنه غالباً في أدبيات هذا الموضوع .

فكرة المكعب تظهر أيضاً في الكعبة بمكة المكرمة ، ان كلمة الكعبة بالذات تعني المكعب . ولما كان شكلها كذلك فإنها تنم عن الاتجاهات الرئيسية للفضاء : الا وهي النقطتان الاساسيتان (الكاردينااليتان) والسمت العلوي ـ Zenith والنظير السفلي ـ nadir . هنا يتكامل المكعب مع القبّة السمائية ذاتها بدلًا من إقامة رمز بنائي . بهذا يتجلى وجود الدائرة واضحاً في الافق الأرضي المحيط . بتغطية الكعبة بقماش أسود هو الكسوة التي تبدل كل عام ، يتحول الشكل التجريدي الى جسد حي يرتدي قماشاً يحمي سر طقوسه القدسية .

لا بد من ذكر العنصر المعْلمي الأخير للبيئة الاسلامية الا وهو المنارة . فبينما تمتد الابنية الاسلامية افقياً ، فان المنارة لا تعدو أن تكون محوراً عمودياً . انها بحد ذاتها نوع من « مركز » أيضاً ، ولكنها بدلًا من أن تكون غاية مثل « قبة الصخرة » و « الكعبة » فإنها تؤدي مهمة « التذكير » بالفردوس الاعلى . على هذا فان موقع المنارة بالنسبة الى المنشآت المجاورة يكون طليقاً الى حد ما بعكس برج الكنيسة القوطية الذي لا ينتفض في الفضاء بل يظهر ببساطة كوجود يُعبّر عن حلقة رهبانية بين الارض والسماء .

لقد كشف وصف العناصر والصفات الشكلية الأساسية للعمارة الاسلامية عن مفهوم انشائي للبيئة المنشاة موحدٍ . فالاحيزة والمباني تتسم ، حيثما كانت ، بعائديتها الى نفس العالم الشامل من خلال زخرفية سطحية لا نهائية . ومع أنها لا تظهر في كل المجالات فان هذه الزخرفية كلية الوجود بشكل فاعل . كما أن الانواع المختلفة للاحيزة المنكفئة على ذاتها ـ introverted خاضعة الى شبكة فضائية مستمرة . في الجامع يكون النمط المكاني موجهاً نحو مكة المكرمة التي تتراكز من حولها كل البيئة الاسلامية . اننا لا نجد في المركز صورة معينة ، ولكن تصوراً مركزياً لذلك النظام العام يكون موحى به في كل مكان من الدنيا .

ما هي العمارة الاسلامية ؟ والسؤال في هذا الصدد يتضمن « الكيفية » و « السبب » . لقد كنا لحد الان مهتمين بالكيفية . ولقد آن الاوان لنسأل عن سبب صيرورة العمارة الاسلامية بوضعها الراهن .

كل المسلمين في مشارق الارض ومغاربها يستجيبون الى مراسيم دينهم خمس مرات باليوم معبّرين بذلك عن طاعتهم لمفهوم مشترك عن الدنيا . كلمة الاسلام بالذات تعني في الواقع « التسليم » ، وتبعاً لذلك فان المسجد يكون مكاناً لـ « السجود » أو « الخضوع » . تتضمن المعتقدات الاسلامية ان هنالك كينونة واحدة ، وان كل ما موجود يشاطر بهذه الكينونة الفريدة . ليست هنالك ألوهية إلا لله (لا إله إلا الله) . وعلى هذا يفهم الكون على أنه ايحاء ذاتي بالإله ، وقد ذكر النبي (ﷺ) عن الباري عز وجل انه كنز كامن معترف به خالقاً للكون . في ذات الوقت فان الله يسمو فوق الكون . ومع أن كل الاشياء تشاطر في الكينونة الإلهية ، فان لها طبيعة الزوال . ولما كانت موقتة وعابرة فإن من الخطأ أساساً اعطاءها أهمية كبيرة . من هنا يجد اللانظام والتهري المتكرر للمشهد الحضري الاسلامي طريقه . ان وحدة التكوين ، بالمفهوم الاجتماعي ، تعني أن الكل متساوون بصفتهم مشاطرين في الأمة أو مجتمع المؤمنين . وعلى هذا ندرك سبب أن المفهوم الاسلامي لـ « الشكل » لا يعني الإطار ـ outline أو البنية ـ figure بل انه طابع الوحدة الاساسية . وحين تظهر أشكال فردية في بعض الاحيان ، فانها تعامل على أساس انها طرز بدئية ـ archetypes بدلًا من كونها أشياء قائمة بذاتها . من المهم التاكيد على أن الوحدانية الاسلامية ليست نتيجة تجميع وتوليف ولكنها منح القدسية في كل مكان وفي كل الاوقات . وعلى هذا فان الاسلام يعتبر نفسه الدين الاساسي الذي يعود الى

ابراهيم ـ وبكلمة اخرى الى البداية .

ان وحدانية تضم كل الصفات لا يمكن التعبير عنها إلا كنمط شامل أو زخرف ، أي كنسيج من الافقيات والرأسيات . إن السجاد في حقيقته ، هو التعبير الأمثل للفن الاسلامي ، وهو الشيء الوهمي الذي يتضمن اتجاهات الأرض والسماء . ولكن حين تظهر أشكال عفوية ، فانها تخضع للنمط العام .

في الدنيا المعنية تتجلى وحدة الواقع بالنور الذي هو كينونة تشع في كل مكان ولكنها في ذات الوقت تكون غير مرئية . وعلى هذا ذكر في القرآن الكريم « الله نور السموات والأرض » . وبناء عليه يفهم النور على انه حضور روحي يمنح وجوده لكل شيء على وجه البسيطة . كتب الفيلسوف الاسباني المسلم ابن مسرّه » من غير اشعة الشمس الساقطة على ذرات الغبار الصغيرة السابحة في الهواء لن يكون بالمستطاع رؤيتها ، ومن غير ذرات الغبار لا تكون أشعة الشمس ذاتها بادية للعيان » . ان هذه الاستعارة تدل ضمناً على أن من غير حضور للروح ، لا تكون للعالم أية واقعية .

ما دام الضوء ينتشر بخطوط مستقيمة ، فإن بالإمكان تصوره بنمط يماثل نجمة هندسية من الاشعة المتناسجة . وعلى هذا فان حلية من النجوم المتداخلة والمنبعثة من بعضها هي التمثيل الأوضح للوجود الإلهي والوحد[illegible] في ذات الوقت وما دام هذا النمط ممتداً الى ما لا نهاية له وبا[illegible]لي فهو في سكون ، فانه أيضاً يتضمن ايقاعات تمنح العالم الذي يحتويها حركة دنيوية زمانية .

حين يقابل الضوء مواداً عضوية بالتعاقب مع مواد أخرى غير عضوية فسينجم عن ذلك « شكلان » : هياكل بلورية الشكل مثل المقرنصات ، وانماط من الزهور مستمرة مثل الرفش العربي ـ arabesque . في كلتا الحالتين يكون « الشكل » هندسياً . أما نقطة الافتراق فهي الدائرة التي هي شكل كامل ليست له بداية أو نهاية . ولكن حين تقسّم الدائرة الى اربعة أجزاء أو خمسة أو ستة أو ثمانية فستنشأ انماط يمكن مدها الى ما لا نهاية . وما دام أول طقس في الاسلام هو التميّز بالحكمة تجاه الوحدة الإلهية ، ولما كانت هذه الوحدة ظاهرة على شكل نمط هندسي من النور المرئي ، فان المعمار ـ architect هو الذي يهندس . ان وحدانية الإلوهية موضحة بكلمات قرآنية . وعلى هذا تكون الزخرفة الاسلامية متضمنة عناصر الخط المذكورة آنفاً . بهذا تظهر الكلمة ضمن النمط الشامل لتجعله شكلاً ناطقاً .

ان الكتابة العربية أيضاً نوع من نسيج من الافقيات والعموديات ، وعليه يكون من السهل دمجها بالنمط العام . وكما ذكرت آنفاً فان الكتابة العربية تعوض عن الأفكار الصنمية المسيحية . وما دام الخط العربي قد منح شكلاً صورياً ، فقد اعتبر اسمى الفنون شاناً .

لقد تيقنت ان الزخرفة الاسلامية لا بد أن تقترن بأشكال كتلية معينة كي تكتسب وجودها الحقيقي . من بين تلك التكوينات تحظى القبة والمكعب بأهمية اساسية . على هذا تمثل القبة الدائرية السماء المنتظمة ، بينما يكون المكعب الرباعي تصوراً عن ملكوت الارض في الاختلافات والصراعات . من خلال التزخرف تتوحد القبة والمكعب ، ولكن تغيرات نمطية ولونية معينة تعمل في ذات الوقت على الحفاظ على هوية الاثنين . من المهم ملاحظة ان العلاقة بيْن السماء والأرض في العمارة الاسلامية تشرع دائماً من الاعلى ، على خلاف العمارة الاوروبية الى تكون فيها سمات الاستقرار والنهوض التالي هي السائدة .

غير ان تفسيرات العمارة الاسلامية لا تُستنفد بتوضيح أسسها الدينية . فما دام الدين الاسلامي قد نشأ في بيئة طبيعية ذات نوعية خاصة فان من المحتم أن يكون ذا علاقة بمميزات تلك البيئة . وعلى هذا فقد اعتبر الاسلام جواباً لمسالة جعل الإقامة البشرية في الصحراء ممكنة . من الحقائق المهمة المؤكدة هي أن الاسلام قد ولد في ارض شبه صحراوية وقد أصبح منتشراً في مناطق ذات سمات مشابهة . ان استيطان الصحراء يضع الانسان وجهاً لوجه مع أشق ما يكون من الملمات ، بالمفهومين البنييي والنفسي معاً . ففي الصحراء تنعدم النقاط الثابتة التي يمكن الاستدلال اليها ، وانها تكون رتيبة وقاحلة وعديمة الحدود . تبعاً لذلك تعلق المصريون القدامى بالموت ، حتىّ أن كلمة الصحراء ـ desert اللاتينية مشتقة من كلمة ـ deserere التي تعني الاستسلام . وبما أن الصحراء لا توفر أي نوع من « الحماية » ، فانها تتنافى كلياً مع « المكان » . أما وجود الواحات فلا يغيّر من هذه الحقيقة شيئاً لان الواحة من الناحية النفسية تبقى حلماً . أو فردوساً ينتسب الى عالم آخر . ان وصفاً ظو.هرياً للصحراء يجسد هذه الملاحظات العامة ، كما ينم أيضاً عن ايحاءات عن كيفية جعل الماوى في هذا النوع من البيئة ممكناً .

في الصحراء تتضاءل تعقيدات عالم حياتنا اليومية الى قلة من الظواهر البسيطة : الامتداد اللانهائي للاشكال الموحدة للارض القاحلة ، والقبة الهائلة للسماء الصافية الحاضنة ، والشمس المحرقة التي تبعث باشعة تكاد أن تكون من غير ظل ، والهواء الحار الجاف الذي يجعلنا نتنفس بيئة مختلفة . وعلى العموم فان الصحراء تبدو وكانها تصنع ظاهرة نظامية مطلقة وسرمدية . غير أن هذا النظام يبقى بعيداً عنا لانه بالاحرى مسيّر من السماء لا من الارض . وعلى هذا فان مسيرة الشمس ترسم معدلاً مناخياً يكاد أن يكون دقيقاً وتقسم الفضاء الى شرق وغرب ، والى منتصف الليل ومنتصف النهار ، أي انها ميادين نوعية تستعمل في الجنوب عادة كدلائل لنقاط رئيسة . أما مغيب الشمس وبزوغها فيربطان النهار والليل من غير تأثيرات ضوئية انتقالية ، ويخلقان إيقاعاً زمانياً بسيطاً . قلما يكون تبدل الفصول محسوساً وان البعد الزمني على العموم يسند الاحساس بالنظام الازلي .

ان الارض في الصحراء ، على عكس السماء ، تتميز بتلبد فراغي ولا توفر للانسان موطىء قدم لتواجد وافي . انها لا تتضمن أية أمكنة

فردية بل تكوّن أرضية محايدة مستمرة . ولما لم تكن هنالك حدود ، لا تظهر الاشياء ، ولا تسود إلا العدمية . وعلى هذا فان الانسان في الصحراء لا يواجه القوى المتعددة للطبيعة ، ولكنه يمارس أعم خصائصها . وهذا هو الوضع الوجودي وراء المثل العربي : « كلما تعمقت في ولوج الصحراء ازددت قرباً من الله » . وفي الحقيقة فان « التوحيد » الذي هو الايمان بوجود إله واحد كان قد انبعث من الامصار الصحراوية في الشرق الأوسط . لقد ارتبطت الديانتان اليهودية والمسيحية بالصحراء . أما في الدين الاسلامي المرتبط بالصحراء أيضاً فقد أوجد للتوحيد أمتن تعبير . ان مفهوم الإله الواحد بالنسبة للمسلم هو الايمان الفريد . واذ يؤمن المسلم بوحدانية الإله فانه يعزز وحدة العالم الذي له « بؤرة نبوغ » الصحراء بصفتها مقتداه الطبيعي . أما بالنسبة الى قطنة الصحراء فان « بؤرة النبوغ » تمسي ظواهر الكمالية المطلقة .

ان الصحراء وجودياً هي في حالة خاصة جداً مما يتطلب أن يعرف تكوينها بهذا الشكل كي يكون السكن فيها ممكناً . لقد اقتضى الاسلام أن يكون البدوي صديقاً للصحراء ، والصحراء هي التي تقرر نزعته الاساسية تجاه العالم : إلا وهي التوحيد الذي هو الوعي بوحدانية الإلوهية . وعلى هذا لم تعد الصحراء مفهومة على أنها الموت بل اصبحت بالاسلام أساساً للحياة .

ان هذا لا يعني بالطبع ان البدوي يستوطن الصحراء الخالية لان الاستيطان يعني الاحتياج الى مساحة منحبسة أو فضاءاً محدداً ضمن البيئة اللامنتهية . وعليه فان حبس الفضاء هو العمل الأصيل لعمارة الصحراء . أما العمل التالي فهو هيكلة هذا الفضاء وفق البيئة الصحراوية المعلومة أو بكلمة اخرى وفق نظام سماء وأرض . وكما اشير في السابق فإن السماء توفر الشكل المجرد بينما تهيىء الأرض الاشياء والعناصر المادية والتي تؤدي الى منح النظام الكوني حضوراً وجودياً . وعلى هذا فان الجذوع النحيلة للاشجار البازغة من الامتداد الفسيح للأراضي في الواحات تبدو معززة للنظام العام للافقيات والعموديات المكونة لظاهرة الفضاء الاسلامي . كان للمسجد الاول في المدينة جذوع نخيل تسند السقف ، وان لدواخل جامع أمية أثر لاخاديد نخلية ما زال محسوساً حتى الزمن الحاضر . ضمن النظام التجريدي للفضاء الصحراوي . لا يتوفر للاشياء التشكيلية وجود حقيقي ، كما ينعدم التلاعب الكلاسيكي للضوء والظل ، وتتضاءل كل الامور لتمسي سطوحاً وخطوطاً باهتة .

ان الاسلام بحد ذاته والعمارة الاسلامية أيضاً تنتسبان سوية كاستجابة واحدة لقضية جعل البادية مكاناً للتوطن بكل معنى المصطلح . فمن خلال الاسلام تكتسب حياة البدويين في الترحال بعداً جديداً . فنمطها التكراري الأبدي للحياة يصبح جزءاً من الواقع الروحي ، وهي حقيقة تتمثل دينياً بالحج الى مكة المكرمة . غير أن هذا لا يدل ضمناً على أن الاسلام يتضاءل الى نتيجة من القدر البيئي . فإذ يكون المرء صديقاً للبيئة وفق المفهوم المذكور اعلاه ، فإنه سيفهم الصدق . وهذا الصدق في الاسلام يسمو على المكانية التى استلهم منها . اضافة الى ذلك فان الصدق الذي تلهمه الصحراء ينم أيضاً عن صفات اساسية للعالم عموماً .

ان فهم الصحراء والتاقلم معها بصداقة حميمية لا ينطوي بداهة على أن يكرر المرء في العمارة الصحراوية سماتها البيئية . بدلًا من ذلك فإن أفنية العمارة الاسلامية ودواخلها تمثل إتماماً للبوادي . انها ، مثل الواحات المصطنعة اماكن محمية متميزة بالازرق والاخضر وهما لونا الماء والزرع ، وبالابيض الذي هو لون النقاء والنور على العكس من الاصفر الذي هو لون الشمس الملهبة . وعلى هذا فان التخيل الاسلامي للجنّة هو انها فردوس مسوّر يتضمن أربعة أنهار ترمز الى الاتجاهات الأساسية في نفس الوقت الذي تعكس فيه صورة السماء لتوحّد بين الاعلى والاسفل .

ان وصفي للعمارة الاسلامية يتضمن العناصر الأساسية للغة العمارة : أي التركيب البنييي للمكان (الطوبوغرافيا topography) . ينطبق التركيب البنييي على فعاليات الانسان في الفضاء ، أي فيما يتعلق بتوجهاته الحركية ـ orientation . ان الفضاء في الاسلام أمر غير متناهي بدلًا من كونه اتجاهي الهدف ، برغم ان توجهاته هي نحو الكعبة . على هذا فان العمارة الاسلامية متحررة نسبياً من التضمينات الالتزامية المحلية بينما يكون الفضاء الاوروبي متجلياً كمكان معين . أما التكون الشكلي فيتعلق بتطبع الانسان ببعض السمات البيئية المعينة المجسدة في الأشكال المقامة . غير ان العمارة الاسلامية ، وفق الرفض الاسلامي للتجسيد ، لا تمارس مفهوم التضمين الجسدي ـ embodiment . وقد فضلْتُ استعمال لفظة « التجريد المادي » ـ dematerialisation في التعبير عن ذلك . مع ذلك فان انعدامية التضمين الجسدي في العمارة الاسلامية لا يعني اختفاء الاشياء . ان الاشياء موجودة في الدين الاسلامي بالتاكيد ، ولكن بوسمها بكينونة غير مادية . اننا نلمس في العمارة الاوروبية استعمالها أغلب العناصر الشكلية ، أما تفسيراتها فتكون مختلفة من خلال المعالجات الخاصة للحدود المكانية .

بقيت الرمزيات وهي التي تخص المقومات المكونة والمتميزة من العمارة مثل القبة والمكعب والفناء والعمود والقوس . في هذه الحالة أيضاً تمنحنا العمارة الاسلامية عالماً مفهوماً مفسراً في ضوء المفهوم التام للوحدانية . وعليه فان العناصر المعمارية لا تكون معروفة بصفة موجودات منفردة ، بل على اساس انها انعكاسات موقتة عن القدسية .

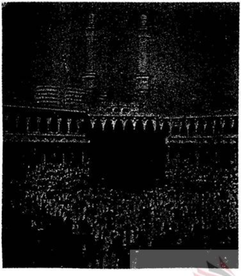
ان التركيبات البنية للمكان والتكوينات الشكلية والرمزيات هي التي تؤلف اللغة المعمارية ، وهي لغة تمتلك ، في الحالة الخاصة بالاسلام ، تماسكاً وعمومية لا تباريان .

بهذا نصل الى التساؤل الأخير : هل يمكن خلق عمارة اسلامية

اليوم ؟ وهل يكون ذلك مجدياً ؟ ما دامت العمارة الاسلامية بالاساس ظاهرة ذات مفهوم ديني يخص العالم ، فان من الواضح انها تستند الى قوة اسسها الروحية وتكاملها . أما زماننا الحالي ، كما يعرف الجميع ، فغير محاب جداً للأبعاد الروحية ، ويستهدف على العموم اخضاع كل شيء الى ما يكون قابلاً للقياس . وعلى هذا فان الاسلام هو ، بالتأكيد ، في حالة خطر . غير انه من ناحية اخرى يمكن أن يساعد على توليد حركة تجديدية للقيم الروحية ، لأن الحاجة لمثل هذا التجديد باتت على العموم محسوسة . ان العمارة الاسلامية ، بسبب سماتها الأزلية والعامة ، قد بقيت طوال قرون حياتها وفي تباين الامكنة وتحت مختلف الظروف المتبدلة ساعية تنبض بالحياة . كما انها بقيت منفتحة تجاه التكيف وفق الظروف . انها ، ومن غير أن تتخلى عن مميزاتها العربية الأساسية ، لقادرة على الاتسام بالصفات المحلية الخاصة كالفارسية والمصرية والمغربية والهندية والتركية مما يحدو بي الى الاعتقاد بعدم وجود سبب لأن لا تكون العمارة الاسلامية عمارة معاصرة .

ولغرض تجسيد هذا الموقف ، لا بد لي من ذكر شيء عن أهداف ووسائل العمارة الحديثة . لقد طورت العمارة الحديثة ، بصفتها تعبيراً عن العالم المعاصر الديناميكي ، مفهوم الخطة الطليقة ـ free plan . وتبعاً لمرامي الفن الحديث ، فانها مالت الى التخلص من أية مضامين أدبية . وعلى هذا كانت النتيجة في أن أمست العمارة الحديثة مطلقة التجريد أو غير رمزية ، وقد جعلها ذلك مناقضة للقيم التقليدية للعمارة الاوروبية . وفي هذا الصدد كان واضحاً أن العمارة الحديثة قد اقتربت مما يسمى بـ « التجريدية ـ abstraction » في العمارة الاسلامية . مع ذلك ما زالت هنالك أيضاً اختلافات اساسية . فالعمارة الحديثة لم تكن لتستند الى أية اسس روحية ، بل بالاحرى تبنّت الامكانيات التي وفرتها التكنولوجيا الحديثة كنقطة لها للانطلاق . وعليه فان العمارة الحديثة في هذا الصدد تمثل استمرارية للتقاليد الانشائية الاوروبية . بمرور الآماد الطويلة ، وعندما انمحت كل ذكريات الماضي ، أدت المعالجات اللاشكلية الى فراغ أو الى نزوات اعتباطية .

ان بعض الأبنية الحديثة لا تربط التعبير عن الوحدة الاسلامية بقضايا البناء التقليدية لأن الوحدة مفهوم كوني لا زمني . وعليه فقد تتجلى الوحدة مرة واخرى في أي ظرف اذا ما عرفنا تضميناتها المعمارية . ان مفهوم الوحدة في العمارة الاسلامية متوفر للعمل الواقعي ، وعليه فان أية بناية اسلامية يمكن أن تكون شاخصاً يافعاً في اسمى معاني الكلمة . وحين تكون العمارة الاسلامية شواخص يافعة فانها توجد المعنى لطبيعة العمارة عموماً ، وبالتالي فانها تخترق في أهميتها حدود ما بعد البيئة التي ولد فيها الاسلام . كما ستقدم بذلك مساهمة اساسية لمفاهيمنا عن لغة العمارة ، ومن ثم زيادة في الثقافة المعمارية المعاصرة .

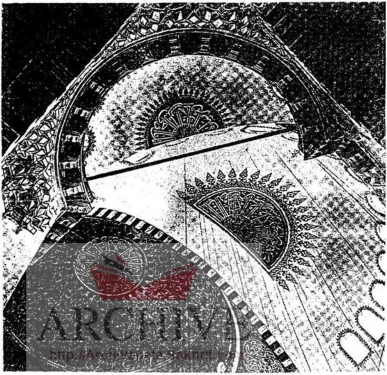


الكعبة المشرفة ـ قبلة المسلمين

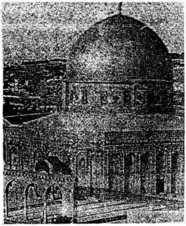
اننا اليوم نشهد ردة فعل ضد الحداثة التجريدية . فبدلاً من أن تواصل حركة « ما بعد الحداثة » القائمة حالياً خطى الاساليب العالمية ، فانها تجنح الى التعبير عن تعقيدات العالم المعاصر . وعليه فان عمارة التعددية architecture of pluralism أخذت بالظهور الى الوجود ممثلة كلاً من الجديد والقديم بهدف خلق بيئات ذات ملامح مختلفة . وفي رأيي فان هذا يجب أن يجري من غير أن نفقد المفهوم الاساسي في الانفتاح . في كل الاحوال ، وكنتيجة لذلك نشهد اليوم تباينات عظمى في الاشكال المعمارية حتى أمست مسالة المعنى أكثر أهمية من الحاجة الى الصدق الانشائي .

مقابل هذه الخلفية يبدو لنا ان عمارة اسلامية حديثة أو بالاحرى ما بعد الحداثة في العمارة الاسلامية قضية ممكنة أو حتى ضرورية . ان الاسلام هو احدى الطاقات الحضارية الجبارة للعالم الحاضر ، والتي لا بد لها من أن تجد ظواهر معمارية معاصرة هي في حقيقتها ترجمة جديدة للقيم الاسلامية التقليدية .

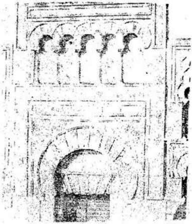
ان عمارة اسلامية جديدة لا يمكن ان تتطور إلا اذا عرفنا ماهية العمارة الاسلامية في مصداقيتها . ان الكثير من المنشآت المقامة في الاقطار الاسلامية اليوم تنم عن قصور في مثل هذا الفهم ، لانها لا تعرض إلا مجرد أبنية عشوائية عن أفكار اسلامية . من حسن الحظ لا ينكر أن هنالك بعض الاستثناءات الايجابية المهمة .



المقرنصات والخط العربي
جامع سليمان ـ اسطنبول



مسجد قبة الصخرة في القدس
قبة فوق هيكل مثمن



باب الغفران في جامع قرطبة الكبير وقوسها الحدوي

الرياضة

صحة وشفاء

دراسة عن الرياضة في كتاب ابن هبل : « المختار في الطب »

بقلم : ناجي محفوظ

قبل البحث عن الرياضة في كتاب ابن هبل ، لا بدّ من كلمة موجزة عنه ، ولماذا اختير ابن هبل دون سواه ؟

ابن هبل[1] :

طبيب بغدادي ، من اسرة عربية ، فهو علي بن أحمد بن علي بن عبدالمنعم (ابن هبل)[2]. وُلد في محلة باب الأزج ـ احدى محال بغداد الشرقية ـ سنة ٥١٥ هـ = ١١٢٢ م[3] ، وقد نشأ وترعرع في بغداد[4]، وتلقى علومه على كبار الاساتذة فيها حينذاك . فقد أخذ النحو عن ابن الخشاب النحوي[5]، وتردد الى المدرسة النظامية ـ أم المدارس يومها ـ فقرأ الفقه فيها[6]، وقرأ الأدب على الشريف ابي السعادات هبة الله ابن الشجريّ[7]، واشتغل بالحديث ـ بعد ذلك ـ فسمع وروى عن مشايخ وقته كابي القاسم اسماعيل بن أحمد بن عمر بن الاشعث السمرقندي[8]، ومحمد بن أحمد العاقولي[9]؛ أما الطب فقد تتلمذ فيه على أوحد الزمان ابي البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي[10]، فبرع فيه[11]، وفاق أكثر أهل عصره من الأطباء[12]، حتى عُدّ أوحد وقته وعلامة زمانه في صناعة الطب والعلومَ الحكمية[13].

عُرف ابن هبل بذكاء متميز ، وقد وصفه مترجموه بذلك[14]، بل ان بعضهم وصفه بوصف ، ندر من يوصف به . فقد قال عنه الذهبي انه : « من اذكياء العالم »[15].

وبعد أن بلغ ابن هبل ما بلغه من صناعة الطب ، وتمكّنه منها ، أحبّ أن يؤلف كتاباً يسهّل على المشتغلين في علم الطب دراسته ، وأراده أن يكون وسطاً بين كتب القدامى والمحدثين ، فيكشف فيه ما لعله يتعذر فهمه على المشتغلين بالكتب القديمة ، ولا يطول بهم المسلك كما في الكتب المحدثة الكبيرة ، ويذكر فيه الادوية المعروفة المشهورة النفع باساميها الشائعة فيما بين الخلق ، وأوزانها المفهومة في اللسان العربي ، والعدول عما يتعذر وجوده ، والايماء اليه بالاختصار ، وكذلك عما ذكر مما لم تخرجه التجربة[16].

لقد كان ابن هبل أهلًا للنهوض بمثل هذا العمل ، لما كان يتمتع به من علم وذكاء ، وقد رجع الى كتب من سبقه من كبار رجال هذا العلم[17]، اضافة الى ما تلقاه عن استاذه ، وعرفه هو بنفسه[18]، فألّف كتابه : « المختار في الطب »[19] سنة ٥٦٠ هـ = ١١٦٥ م في مدينة الموصل[20] ـ حيث كان يسكن إذ ذاك ـ وهو في أربعة اجزاء ، جمع فيه بين : العلم والعمل[21].

كان ابن هبل آخر من عرفت بغداد من عمالقة الطب[22] ـ قبل نكبتها .بالمغول ـ فيكون كتابه هذا خلاصة مبلورة للطب العربي في العراق ، ان لم يكن في الوطن العربي كله .. ولهذا آثرنا دراسة الرياضة فيه . وستكون هذه الدراسة في قسمين وخاتمة :

الاول : عن دور الرياضة في المحافظة على الصحة موجودة ، وبيان اقسامها وأنواعها ، والانتفاع بها ، وآثارها .

الثاني : عن دورها في العلاج ، ورد الصحة بعد فقدانها .

الخاتمة : تضم وصايا رياضية ، وأدوية ، والتعريف ببعض الألعاب .

القسم الأول

أهمية الرياضة في المحافظة على الصحة :

عدّ ابن هبل الرياضة : ركناً من اركان حفظ الصحة ، اذا اصيب منها المقدار المعتدل ، فهي تغني عن كثير من الأدوية الاستفراغية . إذ أن بدن الانسان مضطر الى الغذاء ، وليس كل غذاء يغتذي به يصير مادة لاعضائه بالفعل التام ، بل يبقى من كل غذاء فضلة لا تنصرف في التغذية ، فاذا بقيت واجتمعت تولد منها خلط ضار بكميته أو كيفيته ، واضطر الى اخراجه بالأدوية المسهلة .

وكل دواء مسهل : فانه مع ما ينقى البدن ينكى في القوة ويوهن سطوح الاعضاء . أما الرياضة المعتدلة : فتحلل فضل كل طعام يتقدم ، وتعين الطبيعة على دفعه وتسييله واخراجه ، ونفضه من جوة منافذه المحسوسة ، بطريق البول والبراز ، ومن جهة المسام بالتحلل البخاري والعرق . وتنعش الحرارة الغريزية ، وتعد الابدان لقبول الاغذية ، وتنبه الشهوة ، وتقوي الجوع . وتصلب المفاصل ، وتقوي الاعصاب .

وتبلغ الرياضة من تحليلها ما لا يبلغ بالدواء ، لان القوة الطبيعية تميز ما تستفرغه بالرياضة تمييزاً لا يمنعها ويجحفها مانع . وفي الدواء تجد بعض المضادة والاذى ، فتذهل عن تمييز الرديء من الجيد ، فتدفع الجيد والرديء لدفعها أذى الدواء .

وكذلك الدواء : اذا جذب يجذب ما يستصحب معه شيئاً من

الجيد ، ولا يستوفى اخراج الفضل . والرياضة تاخذ من عمق البدن ، وتخرجه من مسالكه ، وتهيىء ما تخرجه من المنافذ المعتادة ، ولا تترك الفضلة من الطعام تجتمع مع الفضلة من الطعام الآخر ، بل تخرجه أولاً فاولاً[٢٣].

أقسام الرياضة :

تقسم الرياضة مبدئياً الى قسمين :

الاول ـ رياضة غير مقصودة : وهي ما يقع من حركات الناس في اداء اعمالهم ، وقضاء حوائجهم ومهامهم ، وقصدهم لمعاشهم ، وأسفارهم لمطالبهم . وهذه الرياضة تقع بالاتفاق ، أي ان الناس لم يقصدوا بحركاتهم تلك التريض ، وان كانت رياضة فعلاً .

الثاني ـ رياضة مقصودة : أي تقع بالقصد والارادة والاهتمام ، فياتي الشخص الحركة وهو يريد بها الرياضة ، كحركات أصحاب الرياضة[٢٤].

أنواع الرياضة :

أنواع الرياضة كثيرة ، وهي تختلف من حيث : الشدة والضعف ، والقلة والكثرة ، والسرعة والبطء .

وتختلف أيضاً بحسب العضو المرتاض : كحركة اليدين والرجلين ، أو التنفس ، أو حركة جميع البدن ، كالمصارعة والمباطشة ـ وهي أنواع ـ وكالعدو ، والمشي السريع ، والحجل على الرجل الواحدة ، والمثاقفة بالشطب والسيف ، ولعب الرمح ، وركوب الخيل ، واللعب بالكرة ـ راجلاً وفارساً ـ واللعب بالطبطاب ، وقفز الغزال ، والقفز الى فوق ، والترجح بالاراجيح ، والقعود في المهود ، والكجاوات ، وإشالة الحجر والمقيرات ، وجذب الشيء ، والمشابكة ، والملاكزة ، والدوران ، والرقص ، والملاطمة ، والملاكمة ، والمصادمة .

ومن الرياضات اللطيفة :

الترجح بالاراجيح ،

ومن الرياضات الفاضلة :

مبادلة الرجلين مكانيهما بسرعة ، مع قفزات الى خلف تتخللها قفزات الى قدّام . والعدو والرجوع فيه القهقرى . ورياضة الصدر بحركة اليدين ، وحصر النفس ، والرجلين بتحريكهما ، وسكون البدن .

واجود الرياضات المتفننة (المتنوعة) الحركة .

ومن الرياضات الجيدة :

الصاق الواحد ظهره الى ظهر صاحبه ، وادخال يساره الى يمينه ، ويمينه الى يساره ، وتشابكهما كذلك ، وانثناء كل واحد منهما وانحناؤه .

وأجود هذه الرياضات :

أن يكون وجهه الى وجه صاحبه ، ويساره مباطنة يسار صاحبه ، ويمينه مباطنة يمينه ، وانثناؤهما وانحناؤهما . والعدو في الميدان ، والرجوع فيه القهقرى ، من الرياضات الجيدة .

وسرعة الحركة بالمسلتين في اليدين ، متيامنة ومتياسرة ، بينهما مقدار الباع رياضة نافعة للصدر[٢٥].

وقد يقوى البصر رياضته : في قراءة الكتب الواضحة الخطوط[٢٦]. ولا بأس بالنظر اليسير الى النقوش الدقيقة على سبيل الرياضة للعين[٢٧].

حدود الانتفاع بالرياضات :

لكل نوع من انواع الرياضات حد في الانتفاع به ، ولنصيب كل عضو متحرك وما يقاربه أو يباعده حد منها . فما كان منها قوياً شديداً حلّل من الرطوبات ، ونقّى من المواد ما هو أكثر . وما كان منها كثيراً طويلاً حلّل ونشّف أيضاً . وما كان منها ضعيفاً أو بطيئاً كان أقلّ تحليلاً ، وأبقى على المواد . وربما حرّك ولم ينق فاضرّ .

والرياضة نافعة بحسب الابدان المرتاضة ، وحاجتها الى مقدار التحلل ، وبحسب العضو المرتاض ، وبحسب مقدارها وما يتحلل فيها من العرق والبخار ، وما هيىء من خروج العضلات .

ومن اعتاد الانتفاع برياضة فليلزمها[٢٨] .

أوقات الرياضة :

ان الوقت الصالح للرياضة ، يختلف من فصل لآخر من فصول السنة :

١ ـ فوقت الرياضة في الصيف : هو الوقت البارد .

٢ ـ وفي الشتاء : في وسط النهار ، على أن تجري في المواضع المكتنة ، المصونة من هبوب الرياح الباردة .

٣ ـ وفي الربيع : ضاحي النهار .

٤ ـ وفي الخريف : يلزم فيه الوقت المتشابه الهواء . بحسب ما تجري به العادة[٢٩].

(٣٠)

أما الوقت الذي يجب أن يرتاض فيه الانسان ـ من يومه ـ فهو : بعد انهضام طعامه المتقدم ، وبعد انتباهه من نومه ، وقرب ما يريد أن يجوع ، لانها قبل الطعام نافعة ، ومعدة للبدن لقبوله ، وهي حافظة للصحة . وبعد الطعام مضرة لانها تجذب المواد غير منهضمة الى الاعضاء ، فتورث السدد والغلظ في الاحشاء[٣٠].

الدلــك :

يُعد الدلك في جملة الرياضة ، لانه يحلل بقايا ما ارتبك الى الجلد . والدلك قد يكون قبل الرياضة مهيئاً لها ، ويسمى ذلك : « الاستعداد » . أو يكون بعد الرياضة محللاً لبقايا ما انجذب الى الجلد ، ويتبعه السكون ، ويسمى ذلك « الاسترداد » .

والدلك انواع ، فقد يكون : قوياً أو خشناً ، أو كثيرا ، أو ضعيفاً ، أو ناعماً ، أو قليلاً ، أو معتدلاً ، في كل ذلك .

وكل له منفعة بحسبه ، وفي وقته ، وفي البدن المعتاد له .

والتمريخ والدلك بعد الرياضة نافع . ومن جملة ما يحلل ، ويذهب بالاعياء[٣٢].

الرياضة حسب الاعمار :

يختلف نوع الرياضة التي يحتاج اليها الجسم باختلاف أعمار الاشخاص ، وكذلك باختلافهم من حيث قوتهم وضعفهم . وتتدرج الرياضة مع عمر الانسان ونموه .

أ ـ رياضة الرضيع :

في البداية يحسن أن يتعاهد الطفل بالتحريك المعتدل[٣٣]، ومع الايام يزاد في رياضته ، خاصة بعد أن يبدأ بتناول الاغذية[٣٤].

واذا بدأ بالنهوض يحفظ ، لئلا يسرع الى الحركة فتتأذى مفاصله وخرز ظهره ، وقد يعرض من ذلك تقوس الساقين ، فيجب أن يمنع من سرعة الحركة ، وعند الزحف[٣٥] يسهل طريقه ويترك على نطع[٣٦] ناعم[٣٧].

ب ـ رياضة الفطيم :

اذا جاوز الطفل حد الرضاع ، فيقدم الرياضة اللطيفة ، ويدرج فيها مع السن ، ويلزم الاستحمام بالماء العذب قبل الطعام كل يوم . ويطلق له في الحركة الرفيقة ، ويبدأ بتصليب اعضائه بخفيف الدلك لتأخذ في التصلب .. ويختار له الاطعمة اللطيفة الصالحة الموافقة له .

فاذا جاوز أربع سنين أطلق له في الحركة واللعب ، وزيد في غذائه على ترتيب لا تفسده الحركة[٣٨].

ج ـ رياضة الصبي :

اذا جاوز عمر الطفل ست سنين ، منع من الحركة والتعب بعد الطعام ، وزيد في قوة غذائه ، ودرج الى الحركات التي هي أقوى ، وعوّد الاخلاق المحمودة ، وحذر الشره في الاكل .

واذا جاوز هذه السنين عوّد من الرياضات ما هو أشبه بما يحدس انه ينتهي اليه حاله ، ويزيد في رياضته ، وينقص من استحمامه ، لتصلب اعضاءه ، وتبقى رطوباته ، وتنحرس عن الجفاف .

ولا يزال يتدرج كذلك في زيادة الرياضة ، وتقليل الاستحمام ، ودلك الاعضاء وتصليبها ، ونقله الى الاغذية القوية الى أن يبلغ سن الفتى والشباب[٣٩].

د ـ رياضة الشاب :

أما الشاب فيجب أن يزيد في الرياضة ، فان الفضول تزيد في بدنه لقلة نموه ، ويقلل الاستحمام الا بالماء المعتدل الحرارة العذب الطعم ، فان كان صاحب رياضات قوية فيتعاهد لين بدنه بالدلك والدهن ، ويميل الى الاغذية المرطبة المعتدلة البرد . وليحذر من الرياضة والحمام بعد الطعام[٤٠].

هـ ـ رياضة الشيخ :

أما الشيخ فيجب أن يدبر تدبيراً رفيقاً كتدبير الطفل ، ويمنع الكد والتعب ، وتكون رياضته ـ ان كان قوياً ـ بالمشي الرفيق . وان كان ضعيفاً بالركوب . ويجتنب الاغذية الغليظة ، ويستحم بالمياه الحارة[٤١].

الرياضة حسب الاحوال :

ليس اختلاف الرياضة حسب اعمار الاشخاص فقط ، وانما تختلف أيضاً حسب احوالهم ، فقد يكون شخصان صحيحان وبعمر واحد ، ولكن حال كل منهما تختلف عن حال الآخر ، وهذا تبيان بعض الاحوال والرياضات الخاصة بها :

أ ـ رياضة الحامل :

يجب أن تحذر الحامل التعب الشديد ، وطول المقام في الحمام ، والرياضة الرفيقة صالحة لها[٤٢]. ويجب أن تحذر أيضاً السقطة والضربة والوثبة ، خاصة في أول الحمل وآخره[٤٣].

أما التدبير النافع للحبلى لئلا تسقط ، أن تتجنب الحركات العنيفة ، والطويلة المهزة ، والوثبة ، والسقطة ، والضربة ، وطول المقام في الحمام ، والجماع الكثير خاصة في اول الحمل وآخره .. وان ترتاض رياضة معتدلة ، وتطيل النوم ، وتلزم الراحة والدعة ، وترقد على المراقد الوثيرة[٤٤].

ب ـ رياضة المرضع :

لا تختلف رياضة المرضع عن غيرها ، ما دام لبنها معتدلاً صالحاً . ولكن اذا عرض له عارض غيرت الرياضة الى ما يعدّل تلك الحال ، حتى يعود اللبن الى حالته الاعتيادية التي ينبغي أن يكون عليها .

فان كان لبنها صالحاً وعرض له الغلظ : لطف برياضتها ، وتلطيف اغذيتها ، وشربت السكنجبين . وان رقّ : رفّهت ، ومنعت الرياضة ، وزادت في الغذاء .

وان قلّ لبنها ـ في حالة ما ـ زيد في غذائها ، وقلّل من رياضتها ، واعطيت الاحساء المتخذة من الشعير والباقلى والارز ، وماء النخالة بالسكر ...[٤٥].

وان كثر لبن المرضعة بحيث يفسد : فلتقلل من الغذاء ، وتزيد في الرياضة ، وتستعمل الحوامض من الاغذية ، وتضمد الثدي بالعدس المسحوق بالخل ، والاستكثار من أكل النعناع يجفف اللبن[٤٦].

ج ـ رياضة المسافر :

من أراد السفر ، فليقدّم على سفره : تنقية بدنه بفصد أو إسهال ، وينقل تدبيره الى ما يضطر اليه في سفره ـ تدريجاً ـ من : رياضة أو سهر ، أو التزام بأغذية ، أو صبر عن حمام .

واذا أخذ في السير فيجب أن يتدرج فيه ، ويقلل من اغذيته ،

ويقتصر على الخفيفة منها ... ويجعل وقت الاغتذاء عند الراحة، ولا يسير على الامتلاء، وان اضطر الى أكل قبل السير فليقلل ما أمكن، ولا يكثر شرب الماء عليه.

ومن كان عبلًا: فلا يضره السير على الخوى، ومن كان مهزولًا: فليشرب قبل سفره شيئاً من السويق بالسكر والماء البارد، ويصبر عليه قليلاً، ثم يسير[٤٧]...

تاثير حال المساكن في الناس ورياضاتهم:

ان البلدان متباينة من حيث تربتها، فتختلف طبايعها في: حزها، وبردها، ورطوبتها، ويبسها، وتختلف - تبعاً لذلك - طباع أهلها واحوالهم وامراضهم، مما يؤثر في رياضاتهم:

أ - المساكن الحارة:

أهلها يسرع اليهم الضعف في رياضتهم، والهرم في اعمارهم.. ويكونون غير شجعان[٤٨]...

ب - المساكن الباردة:

يكون أهلها: أقوياء، اشداء، شجعان، طويلي الاعمار، صبورين على الرياضات المتعبة[٤٩]...

ج - المساكن الرطبة:

يكون أهلها: ليني الابدان.. يسرع اليهم الاسترخاء في رياضتهم للين اعصابهم واسترخاء اعضائهم[٥٠]...

نبض المرتاض:

أما نبض المرتاض، فبحسب حاله في الرياضة: فإن كان في أول الرياضة، فكلما جاد النبض يعظم ويقوى ويسرع، لأجل الحاجة التي يوجبها اشتغال الحار الغريزي بالحركة، الى أن يبلغ حدّ الاعتدال في الرياضة. ثم لا يزال النبض يضعف ويصغر، مع سرعة حتى يبلغ الغاية في التعب، فيبلغ النبض الغاية في الضعف والصغر، حتى يصير دودياً ونملياً[٥١].

وقد ذكر ابن هبل في فصل: «اسباب انواع النبض والطبيعي منها»:

ان اسباب لين جرم العرق: اسباب مرطبة طبيعية: كالغذاء، ومرضية: كالاستسقاء، أو لا طبيعية ولا مرضية: كالاستحمام، والرياضة المعتدلة[٥٢].

أثر الرياضة في البول:

ربما بال الصحيح التارك للرياضة بولًا فيه رطوبات كثيرة لزجة تتولد في بدنه لعدم رياضته فصح بها جسمه وزال كسله وجاد هضمه[٥٣].

والبول النتن في الاصحاء، يدل على: حدوث الحميات، أو على انتقاص عفونة، بسبب رياضة معتدلة، وآية ذلك أن يجد الانسان عقيبه الخفة[٥٤].

وبول النساء اغلظ واميل الى البياض من ابوال الرجال، لكثرة فضولهن، وقلة رياضتهن و...[٥٥].

الطعام والرياضة:

أجود أوقات الاكل ما كان عقيب الرياضة المعتدلة، وبعد خروج ثفل الطعام المتقدم، وعند صدق الشهوة للأكل[٥٦].

ومن أوفق الاشياء للمغتذي: تنقية المعدة، واعانتها على اخراج لطاخات الطعام المتقدم، إما برياضة معتدلة، واما بتناول بعض الاشربة المحدّرة للثفل المدرة للبول. والدلك والتعرق يعينان على ذلك، ومن وجد ثقلًا في الجانب الايمن منه، عند تناول الطعام فيجب أن لا ياكله الا على جوع شديد، بعد الرياضة المعتدلة، ويقدم عليه السكنجبين ...[٥٧].

ومن أكل طعاماً فيتجنب الحركة عليه. إلا اليسيرة وهي: أن يتمشى خطوات يستقر بها الطعام في قعر المعدة، ويتهيأ بها الجشاء. وأما الحركات العنيفة على الطعام: فهي مفسدة له[٥٨].

ومن كانت عروقه ضيقة - في أصل الخلقة - فيحرم عليه الحركة، والحمام، والجماع عقيب الطعام. ولا ينبغي أن يرتاض إلا مع خلو عن الطعام. ويتعاهد نفسه بأخذ السكنجبين، وخاصة البزوري[٥٩].

وأضرّ شيء على الابدان: إدخال طعام على طعام لم ينهضم. والشبع المفرط عقيب جوع مفرط، ورياضة متعبة على طعام أو جماع. أو حمام على امتلاء[٦٠].

والابدان تختلف في قبول الاغذية، بحسب اختلافها في العادات والأمزجة[٦١]. وقد تضعف الشهوة للغذاء وتبطل، بسبب قلة التحلل جداً، كما يعرض المنعمين المتدعين التاركي الرياضة لقلة التحلل[٦٢].

ومن الناس: من توافقهم الأغذية الغليظة، وتفسد في معدهم اللطيفة، وهم أصحاب المعد القوية الحرارة، وأصحاب الكدّ والرياضة.

ومن الناس: من لا يستمرىء الغليظة، ولا يقدر على هضمها، وذلك: إما لضعف تراكيبهم، أو قلة هضومهم، أو عدمهم للرياضة، أو بسبب مزاج عارض لهم[٦٣].

ويكون الغذاء لطيف الجوهر: اذا كان المقدار الكثير منه يغذي البدن غذاء يسيراً، وهو إما أن يكون: غذاء محموداً، أو غير محمود. والمحمود، هو مثل: الفراريج، والطياهيج، ومخاليف القباج، والدراريج، وخصي الديوك، والسمك الرضراضي الصغار، والشراب الريحاني، وهذه الاغذية هي موافقة للمتدعين الساكنين القليلي الرياضة، وهي موافقة لمزاجهم الصحي[٦٤].

فالاغذية القليلة الفضول، الجيدة الاغذاء، اللطيفة الدم، تصلح للمترفين والمتدعين والتاركي الرياضة، ولمن يريد تلطيف تدبيره[٦٥].

ويصلح للمتدع التارك الرياضة من الفواكه : العنب ، والتين ، والبطيخ الصادق الحلاوة ، ومن الحلو : القسب ، والزبيب ، والرطب ، والتمر في البلاد المعتادة ذلك[٦٦].

والغذاء الغليظ الجوهر : إما أن يكون محمود الخلط ، أو غير محمود الخلط .

والمحمود الخلط ، مثل : لحوم الضأن المستكملة السن ، والعجاجيل ، وكبود الضأن ، والبيض المسلوق ، والجبن الرطب ، والسمك الرضراضي الكبار ، والشراب الحلو الطري ، وخبز السميذ . وهي موافقة : لاصحاب الكد والتعب وارباب الرياضات ، ولمن يجود هضمه ، ويحتاج الى زيادة في قوته وخصب بدنه .

وأما الاغذية التي جواهرها غليظة وليست بمحمودة ، فمثل : لحم الجزور ، والثيران ، والخيل ، والبغال ، والتيوس ، والكمأة ، والباذنجان ، والشديد من البيض المسلوق ، والادمغة من الحيوانات ، والخبز الفطير . فان هذه الاغذية لا يهضمها ولا يستمرئها إلا : أصحاب الكد والرياضة المتعبة ، وان كانوا لا يسلمون من غوائلها[٦٧].

ولحم البقر يابس غليظ قوي ، كثير الاغذاء ، يصلح : لاصحاب الكد الشديد ، والرياضة المتعبة القوية ، الا انه يولد دماً سوداوياً ...[٦٨]

والهرائس ، والكبائس ، والرؤوس ، حارة من أغذية الشتاء ، غليظة كثيرة الاغذاء ، موافقة لاصحاب الكد والرياضة ، زائدة في الدم والقوة[٦٩].

واللحم المسلوق ـ وهو اليخني ـ غذاء صالح ، مقو للابدان ، زائد في الدم والمني ، يوافق أصحاب الرياضة ، والمعد القوية[٧٠].

ومن كان صفراوي المزاج : مال الى ما يرطب فيبرد ، وقمع الصفراء بالحوامض ، ولا بأس أن يأكل يسيراً من الطعام قبل الحركة والحمام[٧١].

الاستحمام والرياضة :

أما الحمام الذي يصلح لأصحاب الرياضة : فهو عذب الماء ، ويجب أن يدخلوه بعد الرياضة ، والاستراحة ، ونشاف العرق . وان يتدرجوا في بيوته ، ويكثروا صب الماء على الارض الحارة ، ويجلسوا في الأبزن[*] ، ويستعملوا الادهان ، ولا يطيلوا اللبث[٧٢].

هذا ، وان العرق المعتاد خروجه في رياضة أو حمام نافع في حفظ الصحة ، فيراعى فيه العادة ، ويستجلب عند احتباسه : بالدلك ، والحمام ، والجلوس في الأبزن ، والزيادة في الرياضة . وان لم يدرّ العرق ، طبخ في الماء الذي يجلس فيه : البابونج ، واكليل الملك ، والمرزنجوش . فان كان احتباسه بسبب غلبة الرطوبة الغليظة ، وتسديدها المسام ، استفرغ الخلط البلغمي اللزج بما يذكر في بابه ، واستكثر من الدلك . وان زاد خروج العرق عن العادة ، نقص من الحركة والاستحمام ، وزاد في الدعة ...[٧٣].

القسم الثاني

لقد تبين دور الرياضة وأهميتها في المحافظة على الصحة ودوامها . ولا يقتصر فعلها على ذلك فقط ، بل انها تكون علاجاً لشفاء قسم من الأمراض أيضا .

وقد أوضح ابن هبل أن :

القوة المدبرة لبدن الانسان : هي المقاومة للأمراض والدافعة لها . وانما الطبيب الحاذق : عون للطبيعة ، مقرب لها اسباب الدفع . والمنع من تدقيقها في دفع المؤذي ، ما قد لا يهتدي اليه الطبيب . ألا ترى : انها تدفع الفضول في منافذ دفعها ، فإن امتنع عليها المنفذ ، دفعته في غير المنفذ بألطف حيلة ...

فاذا كانت الطبيعة تفي بالعلة ، استغنت عن معاونة الطبيب . ولذلك ترى : الامم القوية القوي ، الكثيرة الرياضة ، تفي طبايعهم بأكثر أمراضهم السهلة الوقوع ، ويعينهم على ذلك عظمهم ، وقلة ما يتناولونه من الاطعمة المختلفة ، وشدة رياضتهم[٧٤].

وقد قال الفاضل جالينوس :

انه بالتدبير الملطف ، والاغذية اللطيفة المحمودة ، داوى خلقاً من الامراض المزمنة ، مع الزامهم الرياضة المعتدلة المحتملة . واستغنى بذلك التدبير عن : كثير من الادوية ، خاصة أصحاب : المفاصل ، والربو ، وأوجاع الكلى ، وجسا الطحال ، والكبد ...[٧٥].

ويؤكد ابن هبل انه :

مهما أغنت المداواة في ازالة المرض ، فلا تهجم على المداواة ، فكثير من الامراض يزول بحسن التدبير بالمطاعم والمشارب والرياضات المعتدلة[٧٦].

ويبيّن ان :

المستعمل للرياضة ـ على الامر الاكثر ـ به غنى عن : شرب الادوية المسهلة ، واستعمال القيء . لأن الرياضة تحلل من بدنه ما يجتمع فيه من فضلات الغذاء . وأحوج الناس الى استعمال الدواء والقيء ، من كان قوي البدن ، كثير التفسح في الاطعمة ، المتدع التارك للرياضة[٧٧].

ولقد سبق ـ في ما مرّ من الحديث عن الرياضة ـ بعض أنواع المعالجة بالرياضة ، مما اقتضاه سياق الحديث . وسنذكر هنا العلاج بالرياضة ، سواء كانت : هي وحدها العلاج ، أم انها مع غيرها مجتمعة تكوّن العلاج ، وللبدن كله ، أو لعضو منه :

تسمين القضيف[٧٨] وتقضيف السمين[٧٩]:

السمين العبل : مستعد لوقوعه في المرض سريعاً ، وطريق تهزيله : تقليل غذائه بحيث لا تضعف القوة ، ورياضته على الريق رياضة متعبة ، منتقلاً اليها بالتدريج . فان السمين اذا فاجأ الحركة العنيفة أخطر بنفسه .

ويجب أن يغذى بالاغذية اليابسة : كالقلايا ، والمطجنات . ويجتنب : الامراق ، والدسم . ويتناول : من الخل ـ حسب الاستطاعة ـ ومما يطبخ بالخل ، وكذلك المري . ويستحم على الريق ، ويكثر من الدلك

ـ وخاصة الدلك الخشن ـ والادهان بالادهان الحارة ، ومصابرة الجوع .

وأما المهازيل ، فهؤلاء يخصب بدنهم باستعمال : الاغذية المرطبة ، ويتفسحون في تناولها ، ويدخلون الحمام عقيب الهضم وقبل الحركة . يقللون التعب ، ولا يتعرضوا : للشمس ، والعرق ، والدخان ، والغبار . ويجلسون على الفرش الوثيرة . ويهجرون الاغذية الحامضة ، إلا ما يصلح الشهوة وينبهها من المقدار اليسير .

وان كان السبب في القضافة سوء مزاج عذل ، أو غلبة خلط استفرغ . والاشياء التي تخصب البدن ، منها تدابير : مثل السكون ، والدعة ، وترك : التعرض للحركات العنيفة والطويلة ، وتقليل الغذاء ، وأكل المالح والحريف والقديد ، وتكرار الفصد والاسهال والتعرق والادرار ، وطول المقام في الحمام ، والسهر ، وشرب الشراب العتيق ، والجماع المفرط ، كل ذلك مما يهزل البدن .

ومن أراد أن يخصب بدنه : فلا يتعرض لشيء من ذلك ، بل يزيد في السكون والدعة ، ولزوم الراحة ، ويتفسح في الاغذية الصالحة المرطبة بعد الرياضة المعتدلة ، ويدخل الحمام بعد الطعام عقيب هضمه[٨١].

استصلاح المزاج الازيد حرارة :

الانسان المعتدل المزاج : تدبيره متوسط معتدل بتعديل الاسباب الستة الضرورية ، وحفظ صحته يكون بالاشياء المشاكلة للحال التي هو عليها .

وأما ما ليس بمعتدل ، بل منحرف الى جهة من الجهات التي خرج اليها ، فإما أن يكون مزاجه منحرفاً الى جهة الحرارة ، وهو إما أن يكون حاراً وليس بيابس المزاج ولا رطبه . فيجب أن تكون أغذيتهم باردة ، وهواؤهم بارداً ، وحركاتهم يجب أن تكون قليلة ، فان الدعة والسكون يُعين على اصلاح مزاجهم . وأن يحذروا التعب ، والجماع ، والغم ، والغضب ، ويستعملوا البقول الباردة الرطبة كالخس والهندباء ، والفواكه الباردة ، ويتجنبوا الحلاوات ...

وان غلبت الرطوبة مع الحرارة ، وكان مع غلبتها خلط بلغمي ، سقوا السكنجبين المقطع للبلغم ، واستفرغوا بالرفق بالاهليلجات ، وتعوهدوا بالرياضة المعتدلة قبل الطعام ...[٨٢].

استصلاح المزاج الازيد برودة :

ان كان هذا المزاج مع برودته رطباً ، احتاج من التدبير الى الاشياء المسخنة من : الاطعمة ، والاشربة ، والزيادة في الرياضة ، والتعرق ، ومقاربة نوب استفراغ الرطوبة وانضاجها واخراجها ، وانعاش الحرارة بالمعاجين الحارة المنشفة للبلاغم المقوية للهضوم ، والدلك الخشن .

وان كان بارداً مع ذلك يابساً ، احتاج الى : الاطعمة المسخنة الرطبة ، واستعمال الادهان الحارة ، والجلوس في الآبزنات المسخنة المرطبة ، واستعمال الرياضة المعتدلة ، ودخول الحمام بعد انهضام الطعام ، واستعمال الابازير الحارة ، وشرب الاشربة المسخنة ...[٨٣].

الصداع البارد مع مادة بلغمية :

بعد أن يذكر الأدوية النافعة في علاجه ، يقول ابن هبل :

ولتكن اغذية هؤلاء ناشفة : كالقلايا ، والشوايا ، والمطجنات المبزرة بالكرويا والدار صيني والخولنجان ، ولحوم الطير الخفيفة ، وليخففوا الاكل ، ويزيدوا في الرياضة ، ويكثروا من دلك الرجلين ، ويجتنبوا الاغذية المبخرة المصدعة[٨٤].

الصداع الذي سببه دود في الرأس :

... واعلم ان ملاك الأمر في علاج هذا النوع من الصداع : الاستكثار من الرياضة المتعبة ، وتقليل الغذاء ، واستعمال الحمام العذب الماء ، وكثرة صبه على الدماغ لتفتح مسامه ، وتنحدر فضلاته ، وتقل المواد المحتبسة التي تعفن ويتولد عنها الدود[٨٥].

السهر والارق :

يعالج السهر الذي سببه التخم بالجوع ، وتقليل الغذاء ، والزيادة في الرياضة ، والاستحمام ، وتنطيل المياه التي قد طبخ فيها الاشياء المحللة والمقوية للدماغ[٨٦].

أفات الذهن :

قد يعرض للانسان ان يختلط عقله ويهذي ، وأن يفسد تخيله أو فكره أو ذكره ، وقد يفسد فكره وذكره جميعاً . ويسمى هذا الفساد : الحمق والرعونة ، وهي حالة شبيهة بالخرفية ـ كما يعرض لمن طعن في السن[٨٧] ، وقد يكون اختلاط الذهن والهذيان سببه من الدماغ نفسه ، أو يكون تابعاً لمرض آخر ، أو بسبب مشاركة عضو مريض .

... ويطعم هؤلاء : الاغذية اللطيفة المسخنة ، واللحوم الخفيفة المطجنة ، والقلايا .... وليحذروا الماء المثلوج ، والفواكه ، والبقول ، والألبان ، والاغذية المرطبة ، ويزيدوا في الرياضة[٨٨].

الرعونة والحمق :

اذا كان هذا واقعاً في أصل الخلقة والجبلة ، فلا علاج له . بل يقابل باسباب تضاد اسباب كونه ، لئلا يفرط ، وان كان عارضاً .. وعلى الاكثر يكون عن يبس ، إما مفرداً أو مع برد . وعلاجه : بالاقبال على اصلاح مزاج الدماغ .

ويغذوا هؤلاء بالاغذية الحارة الرطبة ، الزائدة في جوهر الدماغ . ويقبل على الرأس بالدلك ، والاستحمام بالماء العذب ، وتغريقه بالادهان ...[٨٩].

الصـــرع :

... إن كانت هذه العلة بالاطفال : قويت حرارتهم ، وأميل تدبيرهم الى ما يخفف الرطوبات ، وليغذوا بالاغذية اللطيفة الخفيفة ... ويمنعوا

الفواكه ، والخبز السميذ ، والالبان ، ويزيدوا في رياضتهم ...

فان كان الصرع عن البلغم : فتبتدىء بتنضيج المادة وتلطيفها .... وتُستفرغ ... وقيئهم ... وأرحهم ، وادلك اطرافهم ، ورضهم رياضة معتدلة ، وغذهم بالاغذية اللطيفة اليابسة ...(٩٠).

وذكر في مقدار الشربة من معجون نافع لأصحاب انواع الصرع ، إلا ما كان منه عن الدم ... : ثم عاود إسهالهم ، وتقيئتهم ، ولا تبالغ في اضعافهم بالاسهال ... وغد في ايام الراحة الى تدبيرهم بالرياضة المعتدلة والدلك ، واعطائهم شيئاً من المعاجين والفراغرو السعوطات ... فان كان الخلط سوداوياً : فيسقى العليل مطبوخ الافتيمون والغاريقون ... ويدبر تدبير أصحاب الماليخوليا ، إلا انه لا يبالغ تلك المبالغة في الترطيب ... بل تغذهم بالاغذية التي فيها رطوبة ... وتمنعهم التملىء ، وتزيد في : رياضتهم ، ودلكهم ، واستحمامهم ...(٩١).

أمراض العصب :

... وانفع شيء للأعصاب ، الرياضة المعتدلة ...(٩٢).

التهيج في جفن العين :

العلاج : مقاومة السبب ، واستعمال الكماد المحلل ، وتخفيف الغذاء ، والزيادة في الرياضة المعتدلة(٩٣).

ضيق ثقب الحدقة :

... الحادث عن ورم ، فبعلاج الورم بما يحله ، والزيادة في : الرياضة والدلك ، واصلاح الاغذية(٩٤).

الطرش والصمم :

... إن كان الطرش قوياً ، والخلط البلغمي غالبا : فيكرر الاستفراغ ... وينطل على الرأس النطولات الحارة المفتوحة ... ويحقن بالحقن الحادة ، ويستعمل الرياضة ، ويدلك أسافل بدنه ، ويقطر في الاذن القطورات المفتحة المحللة ...(٩٥).

الربو وضيق النفس :

... وتنفع أصحاب هذه العلة : الرياضة المعتدلة قبل الطعام ....(٩٦).

غزارة اللبن في الثدي :

... قد يكثر اللبن في الثدي ، حتى يفسد فيه ، ويثقل الثدي ويؤذي ، وقد يتفق أن يكون في غير اللواتي ولدن ، بل الاسباب تتفق ، تمنع ادرار الحيض ، فتنصرف المادة الى الثدي ، ويتكون منها لبن بدر ، ويؤذي بكثرته ، وقد يجتمع منه في اثداء الرجال ، خاصة عند المراهقة وتفليك الثدي ، ولكنه يكون قليلاً .

والاشياء التي يعالج بها : ... وينبغي أن يزاد في رياضة المرضعة ، ويقلل غذاؤها ، وتطعم النواشف ...(٩٧).

ما يوافق المعدة ويخالفها :

... والرياضة المعتدلة : تقوي المعدة ، وتنعش حرارتها ...(٩٨).

علاج سوء المزاج البارد في المعدة :

... وإن كان مع سوء المزاج البارد في المعدة بلغم ، فلتأمر العليل : باستعمال الرياضة قبل الطعام ، وأن يستعمل من الاطعمة أخفها ، ويقلل مقدار الوجبة ، ولا يأكل الا على جوع صادق ، ويكون من الاغذية الحارة اليابسة ...(٩٩).

سوء الاستمراء والتخم :

... أما ضعف الهضم : فينفع فيه أن يقلل الانسان الطعام ، ولا يأكله الا بعد صدق الشهوة ، والرياضة المعتدلة ، وان يكون من اطعمة موافقة في كميتها وكيفيتها ...

وأما التخمة ، وهو بطلان الهضم : فليبادر الى القيء ... ويقذف ويكرر حتى يستنقي ، ويلزم الجوع والنوم ... وفيما بعد يتناول الغذاء القليل ، ويلطفه ، ويشرب الشراب الريحاني ، ويرتاض رياضة معتدلة ، ويدخل الحمام ، ويدلك المعدة حتى تسخن أو يكمدها بالخرق المسخنة ، ويدهنها ببعض الادهان المسخنة ...(١٠٠).

الهيضـة :

... أما التي سببها التخمة ، فينبغي عندما يحس العليل بالمغص والتلوي : أن يشرب ماء حارا قد طبخ فيه الكمون مرات ، ويجتهد في النوم ، ويمتنع من الطعام ما أمكن ... فاذا انتبه دخل الحمام ، وصب الماء الحار على معدته وبطنه ، وأطال الجوع ، وعاد الى قانونه في الغذاء ، مع تقليل وتلطيف ، وزاد في الرياضة ...(١٠١).

القراقر والنفخ في المعدة :

... ان كان السبب حالاً تتعلق بالمعدة ، تصرف العناية الى علاجها وتقويتها ، وان كان الرياح بسبب تناول الاغذية المنفخة ، فليهجر ، وليزد في الرياضة والحمام ، ويقلل في الغذاء ...(١٠٢).

بطلان الشهوة للغذاء ، وضعفها :

... وقد تضعف الشهوة ، وتبطل بسبب قلة التحلل جداً .

... وأما ضعف الشهوة أو بطلانها ، فان كان سببه قلة التحلل فليؤمر صاحبه : بالرياضة ، وتدلك اعضاؤه ، ويحمّ ، ويعرق ، وان كان عنده فضلة استفرغت ، وليعط من الاغذية ما خف ولطف .

وأما علاج بطلان الشهوة عند الحبالى : فبالرياضة المعتدلة ، وتقليل الغذاء عن العادة ، وتناول الاغذية اللطيفة خاصة ما فيه حرافة وتقطيع ...

وما كان من سقوط الشهوة .. الذي بسبب تكاثف العروق وضعفها

عن الجذب ، فينفع فيه التدلك ، والاستحمام ، والتعرق ، وشرب الشراب على الامراق المقوية"[١٠٣].

فساد الشهوة والوحم :

... أما النساء ، فيكفي الخطب مما عندهن من التوحم : اصلاح الاغذية ، وأخذ البدن في التدريج الى رياضة محتملة ، تحلل فضل تحليل ، وتقوي فم المعدة فيهن بالربوب الحامضة القابضة ، ويطعمن الفراريج مشوية ومطبوخة بماء الرمان المز ..."[١٠٤].

الشهوة الكلبية :

... ان كان السبب البلغم : فيستفرغ ، وينقي المعدة منه ، ويزيد العليل في الرياضة ..."[١٠٥].

ضعف الهضم وبطء نزول الطعام وطفوه :

... اما بطء نزول الطعام : فينبغي أن يأكل الأخف والأقل ويفرقه ، ويزد في الرياضة ، ويستعمل الجوارشات المقوية ، ويدلك المعدة بالخرق الخشنة قبل تناول الطعام ، ويدلك الرجلين . واذا أكل الطعام ، نام على جانبه الايمن ، ويمشي قبل النوم خطوات يتقرر بها الطعام في المعدة . وكذلك تدبير من يطفو الطعام في معدته ..."[١٠٦].

الــذرب :

... أما الذرب الذي يجيء بأدوار : فينبغي أن تنقى العروق من الخلط المخزون فيها ، وتستأصل مادته بإسهال بالرفق ، عند سكون النوب .

فإن كانت المادة صفراوية ، فيسهل ... وان كان الخلط بلغماً فالاهليلج الكابلي مع السكر ، ويقلل صاحب هذا النوع من الذرب من الغذاء ، ويزيد في الرياضة"[١٠٧].

جساء المعدة :

... نسخة طلاء نافع : ... تطلى به المعدة ، ويزيد في الرياضة ، ويغذى بالاغذية اللطيفة"[١٠٨].

المغــص :

... اما الريحي منه : فتستفرغ المادة المولدة للأرياح .... وينفع هؤلاء : أن يلطفوا التدبير ، ولا يتملأوا من الاطعمة ، ولا يكثروا الحركة عليها ، ويرتاضوا رياضة معتدلة قبل الطعام ، ويستفرغوا بالحقن ..."[١٠٩].

القولنــج :

... قيل : ان الثوم له خاصية بتسكين أوجاع القولنج البارد . وقيل : ان اقتصر عليه القولنجي ، وجاع ، وارتاض عوفي"[١١٠].

وذكر ابن هبل في الكلام على اغذية القولنجيين : أما أصحاب القولنج البارد فان مصابرة الجوع من انفع الاشياء لهم ... وأعلم : ان الرياضة البالغة قبل الطعام من انفع الاشياء لهم ، والخفض والدعة تضرهم"[١١١].

وأما القولنج الحادث عن ضعف القوة الدافعة ، فيعطى العليل بعض الأدوية الترياقية ... وتنعش القوة باللحوم الخفيفة ... ويعان بالرياضة المعتدلة المحتملة"[١١٢].

الديدان وحب القرع :

... أما اغذية الذين يتولد الدود في اجوافهم : فينبغي أن تكون من الاغذية المائلة الى اليبس والعادمة للزوجة ... وأن يحسوا الامراق من اللحم ، مما يطبخ بالحمص والشبت والملح الاندراني ، وتفرق اغذيتهم ، ويتجنبوا الامتلاء ، ويكثروا من الرياضة قبل الطعام ، الى أن يكثر فيهم العرق"[١١٣].

مداواة سوء المزاج الرطب في الكبد :

... العلاج : يزيد في الرياضة ، ويقلل من الغذاء ، ويستعمل ما فيه تلطيف وتجفيف . وبالجملة ينحو بهم نحو علاج من ابتدأ به الاستسقاء ، فيمنعهم من الاستكثار من الغذاء ، والحركة عليه ..."[١١٤].

سوء المزاج اليابس في الكبد :

... العلاج : يقلل من الرياضة ، ويزيد في الغذاء ، ويجعله من جوهر ما يرطب ..."[١١٥].

الاستسقاء اللحمي :

... العلاج : اذا أحس الانسان بابتداء هذا المرض ، فليقلل من الاغذية ، ويتجنب منها : الرطب ، والغليظ ، والعسر الهضم ، واللزجة ... ويتجنب الفواكه والبقول الباردة الرطبة ، ويقدم الرياضة ، ويزيد فيها على خلو المعدة ، ويحذرها كل الحذر على الطعام ..."[١١٦].

الاستسقاء الطبلي :

... العلاج : ان كان السبب ضعف المعدة ، فاقبل على تقويتها ، واستفراغ المادة برفق مع حفظ القوة ، وكذلك : ان كان السبب عضواً آخر ، إما الكبد أو الطحال ، أو غيرهما ، فاقصده بالعلاج ، واصلح مزاجه ، واستفرغ المواد المجتمعة فيه ، وقوه . ولا تسهل صاحب هذا النوع من الاستسقاء اسهالاً قويا ، بل بالرفق والتأني ، وتستعمل الدلك على البطن بالمناديل الخشنة والايدي ، وتكمدها بالجاورس والنخالة ..."[١١٧].

اليرقان الاصفر :

... أما ما كان عن شرب السم ، فينفع فيه : سقي اللبن ، ودهن اللوز ....

وينفعهم : التعريق ، والرياضات المحتملة المعرقة المحللة ، والأدوية المعرقة في الآبزن ...[١١٨]

وأما اليرقان البحراني : فربما لا يحتاج من العلاج أكثر من : الآبزنات ، والمحللات ، والرياضة المعرقة[١١٩].

وجع الطحال من : برودة ، وورم ، وريح :

... اذا صلب الطحال : ... وربما كفى الخطب في مداواة هؤلاء بالرياضة المعتدلة المحللة ، وأخذ الأغذية الصالحة المرطبة ، وخاصة اذا أخذ الغذاء باعتدال وعلى جوع صادق[١٢٠].

... وينبغي للمطحول : أن يلطف الغذاء ... ولا ياكل الطعام الا بعد الراحة عن رياضة بالغة معرقة ، والاستحمام بعدها ، ويتجنب كل غليظ من الاطعمة ...[١٢١]

... ويقرب علاج السدة في الطحال من علاج السدة في الكبد .... ويقلل صاحبها من الغذاء ، ويزيد في الرياضة ، ولا يهمل استعمال الملينات قبل المنضجات وبعدها[١٢٢].

الحصى والرمل في الكلى والمثانة :

... أما اذا عرض احتباس الحصاة وايلامها : فيجلس العليل في الآبزن ، ويمرخ ظهره وخواصره بدهن الخيري ، ويهزّ ويحرك ، وإن امكنه ان يركب فرساً قطوفاً[١٢٣]، وينحدر من درج ، أو يحجل على فرد رجل ، ويشرب الاشياء المزلقة ...[١٢٤]

... ويذكر صفات أدوية اخرى ، ويقول : ويكرر تجريع المريض إياها محلى للمحرورين بالطبرزد ، وللمبرودين بالعسل ، ويكثر تمريخ ظهره وخواصره ... ويردد جلوسه الى الآبزن، ويكمد موضع الوجع ...

وينبغى لصاحب هذه العلة ، اذا أحس برمل أو أدنى عسر ، قبل أن يعظم أمر الحصاة : أن يبادر الى استفراغ الخلط البلغمي بعد تلطيفه وتسخينه بالأدوية المعتدلة الاسخان .... وتكون أغذية هؤلاء : ما خفّ من اللحم ... ويستعمل الرياضة المعتدلة ، والجلوس في الآبزن ، والاستحمام بالمياه العذبة ...[١٢٥]

سيلان المني والودي والمذي وكثرة الاحتلام :

... ان كان المني كثيراً : فتقليل الغذاء ، وتلطيفه ، والزيادة في الرياضة وأكل الحوامض . وان كان لرقته : فيغلظ التدبير ، ويستعمل الاغذية المتينة ، كالهرابس والاكارع والقلايا والمطجنات ، ويتجنب الالبان والثرايد والبقول . ويستعمل الرياضة المعتدلة ، ويأكل الزبيب والبندق والقطايف والخشكنانك[١٢٦].

سرعة الانزال :

... وان كان بسبب الحرارة : فيبرد المزاج ، ويمرخ بالادهان المرطبة العطرة ، ويغتذي بالاغذية الحامضة القابضة ، ويقلل الرياضة ، ويأكل حبّ الآس ...[١٢٧]

النزف والاستحاضة :

... أما الاستحاضة : فقد تعرض للنساء ، أن يدر لهن الحيض زيادة على أيام الحيض المعتدل الطبيعي . وقد يكون سببه شدة القوة ، وتوفر الدم وكثرته . ولا يضرّ ما يجيء منه شيئاً . وهذا قد لا يشتغل بعلاجه ، خاصة اذا كان في أول الامر ، وكأنه كالطبيعي ، إلا أن يكون مقدارا كثيراً ، ويشغل أوقات المرأة . فينبغي لصاحبة هذا : ان تزيد في الرياضة ، وتقلل من الاغذية ، وتستعمل بعض الادوية المقوية للرحم والقابضة . وان أمكن ردها الى المقدار الطبيعي بالتدريج ، فلا يقعد عنه[١٢٨].

سيلان الرحم :

... وفي النساء من لا يسيل منها شيء ، إلا عند تعرض الرجل لها ، فانها بأدنى مداعبة تسيل منها رطوبة غليظة لزجة ، أو مائية ، أو من نوع أخر . فينبغي لمثل هذه : ان تستفرغ ، وتنقى البدن . فان كان الخلط دموياً : فالفصد ، وتقليل الغذاء ، والزيادة في : الرياضة ، والدلك ، والاستحمام[١٢٩].

النفخة في الرحم :

... أما المائية المجتمعة في الرحم ، فتعالج بما يعالج به الاستسقاء الزقي . وتصرف العناية الى : ادرار الطمث والماء بالادوية المدرة لهما ، والحمولات والحقن . وتزيد المرأة في الرياضة . وتقلل من الاغذية ، وتقتصر منها على القلايا المنشفة بلحوم الطيور الخفيفة اللحم[١٣٠].

حفظ الجنين والتحرز عن الاسقاط :

... وأما التدبير النافع للحبالى لئلا يسقطن ، أن يتجنبن : جميع الاغذية الحريفة ... وكذلك المدرة للبول والطمث ... وتحذر : الحركات العنيفة ... وطول المقام في الحمام ، والجماع الكثير ... وتشرب : من الربوب الحامضة القابضة ... وتاكل : السفرجل والرمان . وان أخذت شيئاً من اقراص العود ـ خاصة عند النوم ـ انتفعت بها . وترتاض رياضة معتدلة ، وتطيل النوم ، وتغتذي بالاغذية المحمودة الكيموس ...[١٣١]

عسر الولادة ، وتدبير من ضربها المخاض :

... وقد تتعسر الولادة بسبب اتداع الوالدة ، وخفضها ، وفرط راحتها ، وقلة رياضتها ، أو لسمنها ، وفرط شحمها . ولذلك تسهل ولادة الاعراب ، لرياضتهن ، وتعبهن ، وقلة خفضهن وراحتهن[١٣٢].

الحدبة ، ورياح الافرسة :

... والريحي منه ، يعطى صاحبه : معجون حب الغار والكموني ،

ويدهن بالأدهان الحارة ... وينطل بماء قد طبخ فيه الكمون و ... ويلزم الرياضة ، ويقلل من الأغذية ، ويهجر المولدة للرياح[١٣٣].

داء الثعلب ، والحية ، وانتثار الشعر :

... وأما علاج الموضع نفسه : ان كان في ابدان لينة كأبدان الصبيان والخصيان والنساء ، والذين جلودهم بيض زعرة ، فتدلك ابدانهم بالخرق الخشنة حتى يحمر الجلد ، ثم يدلك بالبصل المأكول ، أو يصل النرجس ، أو بصل العنصل ...

صفة طلاء ينبت الشعر في داء الثعلب والقرع :...

[يطلى به] ، بعدما يدلك الموضع حتى يحمر ، ومتى تنفط عولج بمرهم الاسفيداج ، وشحم البط ، حتى يسكن ، ويعاود .

طلاء آخر أقوى :...

وينفع الصفراوي منه : الخل الثقيف ودهن الورد ، ويدلك الموضع بالخرق الخشنة حتى يحمر ، ويلطخ به[١٣٤].

فصل فيما يبيض الوجه ، ويجلو البشرة ، ويحمرها :

أما الأشياء التي تفعل ذلك ، فهي : إما ان تفعل بتناولها وأكلها ، أو شربها ، ومنها ما يفعل ذلك لطوخاً من ظاهر ، يجلو ما على سطح البشرة من الأوساخ والآثار الخفية ، ويجذب الدم الصافي الى البشرة ، فيبيض ويزرق ويحمّر ...

والرياضة المعتدلة قبل الطعام ، والاستحمام بالمياه العذبة ، ولبس الثياب الناعمة ، وشم الطيب ، والسماع المطرب ، ومجالسة الاحباء ، والانتقال بالتين والجميز اليابس ، فانه يجذب الدم الى ظاهر ، وكذلك البسر والعناب والرمان ... وهذه كلها تولد دماً محموداً تحسن به البشرة[١٣٥].

حمى يوم عن خلفه :

من حمّ لأجل خلفة حادة متداركة أو زحير حاد ، فيعالج بما ذكر من أدوية الخلفة والزحير ، فاذا فارقته الحمى ، فيدخل الحمام ، ويغتذي بالفراريج والطياهج : سماقية وزرشكية . ويتجنب : الاغذية الغليظة ، وما يخاف من سوء هضمه . ويعتنى بتقوية المعدة والاحشاء ، ويزيد في الرياضة[١٣٦].

حمى يوم استحصافية وقشفية :

... العلاج : ان كان السبب هواءً بارداً ، أو الجلوس في الماء البارد ، أو الاستحمام به . فالتدفؤ ، والتدثر ، ودلك الجلد بالمناديل الخشنة ، وينتظر حماه حتى تنحط ، ثم يدخل حماماً حاراً ..

... وكذلك فيمن كانت حماه قشفية ، وسببها بعد عهد بالحمام والدهن ، وانسداد المسامّ بالأوساخ ، وقد يكون لغلبة الاخلاط ، وامتلاء البدن منها . واذا كانت عن هذا السبب ربما انحطت وعادت ، فيعتمد الى استحمامه ودلكه وتفتيح مسامه وتفريغه بالادهان المرطبة ...[١٣٧].

ازدياد خروج الثفل عن العادة :

اذا زاد خروج الثفل عن العادة ولان ، فينظر : فإن كان ... لتناول أغذية لزجة ، استعمل : القوابض ، وأخذ السفرجل أو حب الآس قبل الطعام ، ويزاد في الرياضة[١٣٨].

رياضة الناقه :

رياضة الناقة كرياضة الطفل والشيخ ، لضعفه ولكونه يجب أن لا يدبر تدبير الاصحاء ولا المرضى ، لانه قد زال عن حالة المرض ، ولم تتم صحته بعد .

والناقه على قسمين : إما أن يكون قد زال عنه المرض بالكلية ونقي بدنه منه ، وزالت عنه جميع اعراض المرض ولوازمه ، فليس عنده الا مجرد الضعف في القوة والالات . فيجب أن يكون تدبيره بانعاش حرارته الغريزية ، وتقوية اعضائه ، وان يدرج في الاغذية ... ويرتاض ويستحم ... ويلزم المواضع الطيبة ، ويجلس على الفرش الوطئة ، ويتطيب بالطيب اللائق بالزمان والمزاج وخاصة الرياحين المستلذة ، وينام إثر الاستحمام ، ويرتاض قبل الطعام رياضة رفيقة ، ويتدرج الى عوائده في الرياضة ، ويحذر الغضب والحرد والجماع والتعب والتعرض للشمس وهواء الحمام الشديد الحرارة[١٣٩].

وأما ضعف الشهوة أو بطلانها في الناقه ، فينظر ان كان هناك بقية من مادة المرض لم ينق منها المريض فتستفرغ بالرفق ، وتنعش الشهوة بالتدريج ... ويغذو غذاءً قليلاً ، ويرتاض رياضة يحتملها بدنه[١٤٠].

احكام النكس وعلاماته ، وتدبير من انتكس :

... فأما تدبير من زالت حماه ليأمن النكس ، فهو : أن لا يبادر الى تناول مقدار كثير مما يليق به من الطعام ، الا بتحري المقدار اليسير الصالح منه ، وينتقل عنه الى ما جرت عادته في الصحة . انتقالا بالتدريج الرفيق .

ولا يهمل بقايا مواد المرض ، ويحاول تنقيتها ، واستيفاء اخراجها ، وتبديل بقايا المزاج الحادث ، كل ذلك بتدريج خفي . فان القوة تكون ثابتة بزوال المرض المثقل ، فادنى مادة تعضدها وتقيمها ، والكثير من المواد تنهضها وتثقلها .

وكذلك التنقل في انواع الرياضات البدنية والنفسانية ، تنقلًا بالتدريج ، والحمام ، والدلك ، وتقوية العضو ، واعانته على دفع فضلاته ...[١٤١].

الاعياء الحادث بسبب الرياضة ومداواته :

قد يحدث بسبب الافراط في الرياضة ، وتحلل الاخلاط الغالبة والمائلة الى الجلد وما يليه من العضل ألم يسمى اعياء .

فمنه : التمددي ، وذلك لأن العضل قد يتحلل من رطوباتها على ما يزيد في مقدار الحاجة ، فيعرض لهم نوع من التمدد . وعلامته : ان

يضمر فيه العضل .

فيجب أن يبادر الانسان فيه : الى تقليل الرياضة ، ويستعمل الدلك اللين ليرطب به العضل ، ويمرخ بالادهان المرطبة .... ويكثر من صب الماء الفاتر العذب على الجسد ، ويقعد صاحبه في الآبزن ، ويطيل القعود فيه ...

وربما عرض التمدد : بسبب انجذاب فضلة تحصل في العضل غير رديئة . وعلامته : كسل ، وثقل ، وعسر انثناء وانحناء . فيزيد في : الدلك ، والتمريخ بالدهن ، وطول المقام في الآبزن .

وقد يعرض من الاعياء : الاعياء الورمي - وهو الذي يحس الانسان فيه باعضائه كانها وارمة ، تؤلم عند اللمس . واكثر ما يعرض هذا الاعياء عند الابتداء بالرياضات ، لمن لم يعتدها . وسبب هذا الاعياء : سخونة العضل سخونة قوية ، وانجذاب خلط مجاور لها . وعلامته : ان يرى العضو كانه قد ازداد حجمه ، واذا لمس ألم . ويجب في هذا الحال لزوم الدعة والسكون ، والدلك اللين مع الادهان المرطبة ... والجلوس في الآبزن ... وربما اضطر في هذا الاعياء الى الفصد إن لم تكن الرياضة قد بلغت الغاية في التعب والنصب ، وكان قريب العهد به ...

ومن الاعياء ما يسمى القروحي : وان صاحبه يجد في اعضائه من الالم ما يجده المقروح . وسببه : انجذاب خلط حاد الى العضل ، إما من ذوبان الاخلاط أو ذوبان الشحم واللحم اللين . ويعالج : بالدلك الكثير ، والدهن ، والاستحمام ... وتلطيف الغذاء .

وقد يعرض من الاعياء نوع يسمى القشفي : وعلامته أن يجد صاحبه مع ما يجد من الاعياء تقشفاً ويبساً وعسر حركة في الاعضاء . وعلاجه : الدهن ، والاستحمام ، والتغذي بالاغذية المرطبة ، ومعاودة الرياضة الخفيفة ثم الدهن ، والدلك والحمام .

وقد تتركب هذه الانواع من الاعياء ، ويجتمع منها الاثنان والثلاثة ، وعلاجاتها متقاربة . واذا حدثت فلا يجب أن يهمل أمرها ، لئلا يحدث عنها انواع من الحميات .

وقد يحدث اعياء بغير سبب الرياضة ، يعالج بعلاجه ...

وقد يعرض التثاؤب والتمطي : بسبب فضل يجتمع في العضل ، تروم الطبيعة دفعه ونفضه بتمديد العضل . وكثيراً ما يكون عقيب الهضوم والنوم والكسل .

واما التثاؤب : فهو تمط من فضل يحصل في عضل الفكين والقص ، واذا كثر ودام كان رديئاً ، يدل على الامتلاء ، والاستفراغ والدلك والزيادة في الرياضة نافع من التمطي والتثاؤب[142].

الراحة والسكون :

كما ان الافراط في الرياضة قد ينتج عنه أضراراً ، كذلك فإن الافراط في الدعة والسكون ينتج عنه أضراراً ، فهو يطفىء الحار الغريزي ، ويخمده ، ويحبس الفضول ، ويضعف الاعضاء . فلا يجب أن يفرط فيه ، فانه مذموم . كما لا يجوز أن يفرط في الحركة ، فان الافراط فيها مذموم . بل يكون السكون والراحة بعد الاستحمام ، والاغتسال بالماء العذب الفاتر ، وأكل الطعام الى أن ينهضم ، وتجم به القوى .

وينبغى أن يكون السكون - في معتدل المزاج - مقابلاً للحركة لا بحيث يطول[143].

الخاتمـــــة :

وصايا رياضية :

١ - لا يجوز أن يرتاض الانسان وهو جائع .. وان اضطر الى حركة بعد الطعام ، فيصبر الى أن ينحدر عن المعدة ، فان ضرره يكون أقل .

٢ - يجب أن يبتدىء الانسان بالرياضة قليلاً قليلاً ، الى أن يبلغ بها غاية الاحتمال .

٣ - الوقت المعتدل في تركها ، عندما يحس الانسان بالاعياء ، ويكثر انصباب العرق . ولا يجب أن يقطعها بغتة بل يتدرج في قطعها .

٤ - أن يستعمل عقيبها صب الماء الفاتر العذب على الاعضاء ، ويدهن بالادهان الطيبة .

٥ - من كان به ضعف في بعض الاعضاء ، فلا يجوز له أن يتعبه .

٦ - ضعيف التركيب لا يصلح له من الرياضات الا الرفيق الهين المحتمل[144].

٧ - المرتاض يضره شرب الماء البارد ، وخاصة الشديد البرد[145].

٨ - من كان من اصحاب الامراض الحادة صاحب رياضة وتعب ، فلا تفصده ورطب مزاجه[146].

أدويـــة :

١ - أدوية يستعملها المصارعون :

أ) سندروس :

هو صمغ كالكهربا في جذبه التبن ... فيه قبض وحبس للدم ، ويستعمله المصارعون ليخفوا ولا يبهروا عند الحركة العنيفة . واذا شرب منه كل يوم ثلاثة ارباع درهم في ماء وسكنجبين هزل ...[147]

ب) قليقلمون :

صمغ كريه الرائحة ، يجلب من بلاد العرب . وقد قيل : انه من السندروس ، وما صح . وقيل : انه لا يعد له دواء . في : وجع الاسنان ، وتساقط اللثة ، يحذ البصر ، وينفع من الربو بماء العسل .

يستعمله المصارعون . اذا شرب بماء العجين ثلاثة ايام ، اهزل الطحال جداً . واذا شرب كل يوم ثلاثة ارباع درهم بسكنجبين هزل البدن ، وبماء العسل يدر الطمث ، وينقى آثار القروح[148].

٢ - أدوية مصدرها المصارعون :

نذكرها لاستكمال جوانب البحث جميعها ، علماً بأن كتب الطب القديمة عند مختلف الامم - وليست كتب الطب العربية وحدها - ملأى

بمثل هذه الادوية .

أ) غزق :

يقال : ان عرق المصارعين ينفع من ورم الاربية . واليابس من عرق المصارعين مع دهن الورد لجمود اللبن في الثدي . ومع دهن الحناء على اورام الثدي[149].

ب) وسخ الأذن :

ينفع من شقاق الشفة ، ومن الداحس ، ووسخ حيطان الصراع لقروح المشايخ والسحوج ، ووسخ أبدانهم لعرق النسا كالمرهم ، ولتحجر البراجم[150].

ج) وسخ الحمام :

منه ما يجتمع على حيطانه ، ومنه على ابدان المصارعين ، وعلى الارض وفي مواضع لعبهم . كله حار جذاب محلل . وأحزه ما اجتمع على ابدانهم بعد ادهانهم بالزيت ، وينفع للتنفط واورام الثدي[151].

التعريف ببعض الالعاب التي سبق ذكرها :

١) الاراجيح :

جمع ارجوحة ، وهي : خشبة يوضع وسطها على شيء مرتفع عن الارض ، ثم يجلس طفل على أحد طرفيها ، وآخر على طرفها الثاني ، فترجح الخشبة بهما ويتحركان ، فيميل أحدهما بصاحبه الآخر . وتسمى أيضاً مرجوحة . وهي ما يسمى ـ الآن ـ بخشبة الموازنة للاطفال .

وأما ما نسميه بالمرجوحة ، أي : الحبل الذي يشد رأساه في مكان مرتفع ، ويقعد الأطفال على وسطه ، فكانت تسمى بالرُجَّاحة (على وزن رُمّانة) . وتسمى كذلك بـ : النواعة ، والنواطة ، والطواحة[152].

٢) إشالة الحجر والمقترات .

أي : رفع اثقال .

٣) جذب الشيء :

من الرياضات القريبة منها ـ في وقتنا الحاضر ـ جز الحبل ، وسحب النوابض الحديد الحلزونية ، والغاية من هذه الرياضات ، تقوية الذراعين خاصة .

٤) الحجل على الرجل الواحدة :

رفع احدى الرجلين ، والقفز على الاخرى[153]. والعامة تقول : « يحنجل » .

٥) الطبطاب :

الطبطابة : خشبة عريضة ، يلعب بها بالكرة ، وقيل : يلعب الفارس بها بالكرة[154]. وهذه اللعبة بالذات غير موجودة الآن . ولكن : هناك العاب قريبة اليها ، لعلها متطورة منها .

٦) العدو :

مقارب للهرولة ، ودون الجري[155].

٧) الكجاوات :

جمع كجاوة : أي العمارية[156]، وهي هيكل من خشب شبيه بالغرفة ، يجلل بالستائر يُحمل اثنتان منها على جانبي سنام الجمل ، يقعد شخص في كل منهما . وكانت الكجاوات تستعمل في التنقل والسفر .

٨) الكرة :

اللعب بالكرة راجلًا : هو لعبة الهوكي .

واللعب بالكرة فارساً : هو لعبة الكرة والصولجان أو الجوكان ، وهي لعبة البولو .

٩) المباطشة :

أن يمد كل واحد من اللاعبين يده الى صاحبه ليبطش به ، وبطش به تعني : أخذه بالعنف والسطوة ، وتناوله بشدة عند الصولة[157].

وهي أنواع ، منها : أن يشبك كل واحد منهما يده على وسط صاحبه ويلزمه ، ويتكلف كل منهما أن يتخلص من الآخر وهو يمسكه . ويسميها ابناء هذا الجيل المباطحة ، وابناء الجيل السابق المطارحة .

١٠) المثاقفة :

الملاعبة بالسلاح ، ومحاولة اصابة الغرة ـ أي الوجه أو الطلعة ـ في نحو مسابقة . وكانوا يستعملون جريد السعف الأخضر أو السيوف[158].

وتسمى هذه اللعبة الآن بـ « الساس » ، ويستعمل اللاعبون السيوف أو عيدان التوت ، وهي منتشرة في القرى . وقد كانت قبل هذا أكثر انتشاراً .

١١) المســلة :

المسلة (بالكسر) : هي ابرة عظيمة ، أو مخيط ضخم[159]. أي : قضيب حديد دقيق الرأس ، فهو أشبه ما يكون بالابرة .

واللعب بالمسلتين : هو أن يقف اللاعب ، ويغرز عن جانبيه مسلتين في الارض ، بينهما مقدار باع ـ أي مسافة ما بين ذراعيه في حال انبساطهما ـ ثم ينقل اليمنى الى مغرز اليسرى ، واليسرى الى مغرز اليمنى ، ويعمل على أن يفعل ذلك أعجل ما يمكن[159].

١٢) المشــابكة :

ادخال اصابع يد أحد اللاعبين في اصابع يد الآخر وليّها[160]. وتسمى الآن الملاواة أو المشابچة .

١٣) المصــادمة :

المدافعة بالصدرين[161].

١٤) الملاطمــة :

اللطم : ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة[162].

١٥) الملاكزة :

لكزه : ضربه بجمع كفه في صدره ، وربما اطلقت على : الضرب بجمع الكف في جميع البدن[163].

١٦) المهــود :

المهود : جمع مهد ، وهو الموضع الذي يهيأ للصبي ، ويوطأ لينام

فيه[١٦١]، وأحسب ان المراد هنا ليس المهود الثابتة كالاسرة والسلال التي يوضع فيها الأطفال . إذ انها لا تتحرك ، ومن ثم فلا رياضة في القعود فيها . وانما المراد المهود المتأرجحة : كالمهد الذي يصنع من الجبال ، فهو مثل : الرجاحة[١٦٤] التي نسميها « المرجوحة » ، أو المهد المصنوع من الخشب ونسميه « كاروك » .

الهـــوامش والمصـــادر :

١ - هبل : يرجح انها بضم الهاء ، وفي ذلك تفصيل ، تجده في مقالة : « ابن هبل ـ الطبيب الذي يسر الطب ودرس الادب وروى الحديث » لكاتب هذه المقالة .
مجلة الاقلام ، وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد . ج ١٢ س ١ أب ١٩٦٥ ص : ٨٧ (هـ ١) .

٢ - جاءت سلسلة اسماء أبائه هكذا في :
التكملة لوفيات النقلة ، زكي الدين المنذري ، النجف ١٩٧١ م ، مج ٤ ص : ٥١ .
تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، شمس الدين الذهبي ، مج ١٨ ق ١ ط ٢ مصر ١٩٧٧ ، ص : ٣٩٩ .
منتخب المختار ، محمد بن رافع السلامي ، بغداد ١٩٣٨ ، ص : ٣٠ .
الاعلام ، خير الدين الزركلي ، بيروت ط ٢ ، ج ٥ ص : ٦٢ .
وفي مجلة الاقلام زيادة ايضاح ، ج ١٢ س ١ ، ص : ٨٨ (هـ ١٤) .

٣ - عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ابن أبي أصيبعة ، ج ٢ بيروت ١٩٥٧ م ، ص : ٣٣٤ .
إنباه الرواة على أنباه النحاة ، علي بن يوسف القفطي ، ج ٢ القاهرة ١٩٥٢ م ، ص : ٢٣١ .
تاريخ ابن الدبيثي ، ابن الدبيثي ، مخطوطة في دار الكتب الوطنية بباريس ، رقمها : ٥٩٢٢ ، و : ٢١٥ .
[وقد أثبت الدكتور مصطفى جواد ترجمة ابن هبل ـ نقلا عنها ـ في تعليقاته على كتاب : تكملة اكمال الاكمال لابن الصابوني المطبوع في بغداد سنة ١٩٥٧ في الصفحتين ١٥٧ و ١٥٨] .
تاريخ الحكماء ، علي بن يوسف القفطي ، ليبسك ١٣٢٠ هـ ، ص : ٢٣٩ .
التكملة لوفيات النقلة ٤ : ٥١ ، تاريخ الاسلام مج ١٨ ق ١ : ٣٩٩ .
دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية : محمد ثابت الفندي وأخرون ، مصر ١٩٣٣ م ، مج ١ ص : ٢٩٢ .
معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٥٩ م ، ج ٧ ص : ٢١ .
الاعلام : ٥ : ٦٢ . وتراجع مجلة الاقلام ج ١٢ س ١ ، ص : ٨٨ (هـ ١٥) للاستزادة .

٤ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٤ ، تاريخ الحكماء : ٢٣٨ ، إنباه الرواة ٢ : ٢٣١ .
تاريخ مختصر الدول ، ابن العبري ، بيروت ١٨٩٠ م ، ص : ٤٢٠ .
تاريخ ابن الدبيثي : و ٢١٥ ، معجم المؤلفين ٧ : ٢١ .

٥ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٥ ، تاريخ الاسلام مج ١٨ ق ١ ، ص : ٤٠١ .
نكت الهميان في نكت العميان ، صلاح الدين الصفدي ، مصر ١٩١١ م ، ص : ٢٠٥ .

٦ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٥ ، تاريخ الاسلام مج ١٨ ق ١ ص : ٤٠١ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٢٩٢ .

١ - نكت الهميان : ٢٠٥ .

٨ - التكملة لوفيات النقلة ٤ : ٥١ ، نكت الهميان : ٢٠٥ ، انباه الرواة ٢ : ٢٣١ .
تاريخ الاسلام مج ١٨ ق ١ ، ص : ٣٩٩ ، تاريخ ابن الدبيثي : و ٢١٥ .
المشتبه في اسماء الرجال ، شمس الدين الذهبي ، ليدن ١٨٦٣ م ، ص : ٥٣٩ .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، مصر ١٣٥١ هـ ، ج ٥ ص : ٤٢ .
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، الملك الاشرف الغساني ، بغداد ١٩٧٥ ، ص : ٣٤٣ .

٩ - نكت الهميان : ٢٠٥ .

١٠ - المختارات في الطب ، ابن هبل البغدادي ، حيدر أباد الدكن (ج ١ وج ٢ سنة ١٣٦٢ هـ وج ٣ سنة ١٣٦٣ هـ وج ٤ سنة ١٣٦٤ هـ) ، ج ١ ص : ٥ .
واسم الكتاب كما وضعه ابن هبل : « المختار في الطب » ، ولكن جمعية دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن طبعته باسم : « المختارات في الطب » .
عيون الانباء ٢ : ٣٣٥ .

١١ - التكملة لوفيات النقلة ٤ : ٥١ ، تاريخ الاسلام مج ١٨ ق ١ ، ص ٤٠٠ ، نكت الهميان : ٢٠٥ .

١٢ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٥ .

١٣ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٤ ، و : « اعلم اهل زمانه » في :
الكامل في التاريخ ، ابن الاثير الجزري ، مصر (ظ) ١٣٠٣ هـ ، ج ١٢ ص : ١١٦ .
البداية والنهاية في التاريخ ، ابن كثير ، ط ١ بيروت (ظ) ١٩٦٩ م ، ج ١٣ ص : ٦٧ .
الدارس في تاريخ المدارس ، النعيمي ، دمشق ١٩٥١ م ، ج ٢ ص : ١٣٠ .
وكتب على الصفحة الاولى من النسخة المخطوطة من كتابه (المختار في الطب) التي تحتفظ بها مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد بالرقم (٤٠٨) : « تصنيف الشيخ الامام العالم الاوحد .. » .
والباقي من هذه النسخة الجزء الأول فقط ، وقد كتبها لنفسه : محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى ، وقد فرغ منها يوم ١٢ رمضان سنة ٦١٠ هـ ، أي السنة التي توفي فيها ابن هبل . ويبدو لي ان كاتبها موصلي . وكانت ـ سابقا ـ في خزانة الاستاذ كوركيس عواد ، وقد أعارنيها فافدت منها في تصحيح ما اقتبسته من الكتاب المطبوع من نصوص . وهي نسخة جيدة جديرة بأن تعتمد .
واذا جاء في هذه الهوامش : « المختار في الطب » ، فالمقصود به هذه النسخة المخطوطة .

١٤ - العسجد المسبوك : ٣٤٣ ، شذرات الذهب ٥ : ٤٢ .

١٥ - تاريخ الاسلام مج ١٨ ق ١ ، ص : ٤٠٠ .

١٦ - المختارات في الطب ١ : ٥ .
١٧ - وهو لا يذكر اسماء الكتب التي أخذ عنها الا في النادر ، وانما يشير - أحياناً قليلة - الى اسماء من يذكر اراءهم . ولكنه - في الغالب - لا يذكر حتى الاسماء ، بل يقول : وقيل ، أو قال بعضهم ، أو قالوا ، أو ذكر بعض العلماء أو الفضلاء أو القدماء . وأمثال هذا .
١٨ - المختارات في الطب ١ : ٥ و ٢ : ٢١٤ و ٢ : ٢١٩ .
١٩ - يراجع الهامشان : (١٠ و ١٣) . مع ملاحظة ان اسمه جاء : « المختار في الطب » حتى في المخطوطات الثلاث التي اعتمدتها جمعية دائرة المعارف العثمانية نفسها . المختارات في الطب ٢ : ٣٣٧ و ٤ : ٣١٨ .
وكذلك في الكثير من الكتب التي ترجمت لابن هبل . على ان اسم الكتاب لم ينج في بعضها من : الاختصار ، أو التحريف ، أو الجمع بينه وبين اسم كتاب اخر له . هو (الطب الجمالي) . مجلة الاقلام ج ١٢ س ١ ، ص : ٨٨ (هـ ٧) ، وص : ٨٩ (هـ ٣٨) .
٢٠ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٧ .
٢١ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٦ ، نكت الهميان : ٢٠٦ ، تاريخ الاسلام مج ١٨ ق ١ : ٤٠١ .
٢٢ - كانت وفاة ابن هبل سنة ٦١٠ هـ = ١٢١٣ م ، في مدينة الموصل ، أي قبل نكبة بغداد بنحو (٤٦) سنة .
الاقلام ج ١٢ س ١ : ٩١ (هـ : ٧٣) .
٢٣ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦ و ١١٦ .
٢٤ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ و ١١٦ .
٢٥ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ .
٢٦ - المختارات في الطب ١ : ٢٧٣ (وفيه : برياضة . وقد صححت على المخطوطة) (ص : ٣٣٦) .
٢٦ب - المختارات في الطب ٣ : ٨٢ .
٢٧ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .
٢٨ - في المختارات : « المراكزة » ، وهو تصحيف .
٢٩ - في المختارات : « بالمسيلتين » ، وهو تصحيف أيضاً .
٣٠ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ .
٣١ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٧ .
٣٢ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٧ .
٣٣ - المختارات في الطب ١ : ١٨٩ .
٣٤ - المختارات في الطب ١ : ١٩١ .
٣٥ - زحف الصبي : انسحب على مقعدته قبل أن يمشي . المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وجماعة ، مصر ج ١ سنة ١٩٦٠ وج ٢ سنة ١٩٦١ ، ج ١ ص : ٣٩١ .
٣٦ - النطع : بساط من الجلد (المعجم الوسيط ٢ : ٩٣٨) .
٣٧ - المختارات في الطب ١ : ١٩٢ .
٣٨ - المختارات في الطب ١ : ١٩٦ - ١٩٧ .
٣٩ - المختارات في الطب ١ : ١٩٧ - ١٩٨ .
٤٠ - المختارات في الطب ١ : ١٩٨ .
٤١ - المختارات في الطب ١ : ١٩٨ .
٤٢ - المختارات في الطب ١ : ١٨٨ .
٤٣ - المختارات في الطب ١ : ١٨٧ .
٤٤ - المختارات في الطب ١ : ٥٩ - ٦٠ .
٤٥ - المختارات في الطب ١ : ١٩٠ .
٤٦ - المختارات في الطب ١ : ١٩١ .

٤٧ - المختارات في الطب ١ : ٢٧٥ .
٤٨ - المختارات في الطب ١ : ١١٠ .
٤٩ - المختارات في الطب ١ : ١١٠ - ١١١ .
٥٠ - المختارات في الطب ١ : ١١١ .
٥١ - المختارات في الطب ١ : ١٦٩ .
٥٢ - المختارات في الطب ١ : ١٦٤ .
٥٣ - المختارات في الطب ١ : ١٨١ . وفيه : « رياضة » وقد صححت على المخطوطة ، ص : ٢٢٦ .
٥٤ - المختارات في الطب ١ : ١٨٢ .
٥٥ - المختارات في الطب ١ : ١٨٣ .
٥٦ - المختارات في الطب ١ : ٢١٢ .
٥٧ - المختارات في الطب ١ : ٢١٥ .
٥٨ - المختارات في الطب ١ : ٢١٣ .
٥٩ - المختارات في الطب ١ : ٣١٦ .
٦٠ - المختارات في الطب ١ : ٢١٤ .
٦١ - المختارات في الطب ١ : ٢١٤ .
٦٢ - المختارات في الطب ٣ : ٢٧٦ .
٦٣ - المختارات في الطب ١ : ٢١٤ .
٦٤ - المختارات في الطب ١ : ١١٤ .
٦٥ - المختارات في الطب ١ : ٢٣٦ .
٦٦ - المختارات في الطب ١ : ٢١٢ .
٦٧ - المختارات في الطب ١ : ١١٥ .
٦٨ - المختارات في الطب ١ : ٢٣٦ .
٦٩ - المختارات في الطب ١ : ٢٤٠ .
٧٠ - المصدر نفسه .
٧١ - المختارات في الطب ١ : ٢١٥ .
٧٢ - المختارات في الطب ١ : ٢١١ .
٧٣ - المختارات في الطب ١ : ٢٧١ .
٧٤ - المختارات في الطب ١ : ٣٢٢ ، وفيه : « رياضتهم » بدل « طبايعهم » وقد صححت على المخطوطة . وفي المخطوطة « ازمهم » بدل « عظمهم » ص : ٣٩٧ - ٨ .
٧٥ - المختارات في الطب ١ : ١١٥ .
٧٦ - المختارات في الطب ١ : ٢٨٩ - ٢٩٠ .
٧٧ - المختارات في الطب ١ : ٣٠٠ .
٧٨ - قضُف : دقّ ونخف لا عن هزال (المعجم الوسيط ٢ : ٧٤٨) .
٧٩ - هذا ما نسميه الآن بـ : « اللياقة البدنية » ، غير ان مفهومها لدينا يكاد يقتصر على : تقضيف السمين . في حين ان اللياقة هي الوسط بين : السمن والهزال . وعليه ينبغي أن تشمل القسمين : تقضيف السمين وتسمين القضيف .
٨٠ - المختارات في الطب ١ : ٢٨٠ .
٨١ - المختارات في الطب ٤ : ١٥٤ .
٨٢ - المختارات في الطب ١ : ٢٧٩ .
٨٣ - المختارات في الطب ١ : ٢٧٩ - ٢٨٠ .
٨٤ - المختارات في الطب ٣ : ١٠ - ١١ .
٨٥ - المختارات في الطب ٣ : ٢٠ .
٨٦ - المختارات في الطب ٣ : ٣٥ .
٨٧ - المختارات في الطب ٣ : ٣٦ .
٨٨ - المختارات في الطب ٣ : ٣٨ .

٨٩ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٨ .
٩٠ ـ المختارات في الطب ٣ : ٥٦ ـ ٥٧ .
٩١ ـ المختارات في الطب ٣ : ٥٨ .
٩٢ ـ المختارات في الطب ٣ : ٦٣ .
٩٣ ـ المختارات في الطب ٣ : ٨٩ .
٩٤ ـ المختارات في الطب ٣ : ١٢٤ .
٩٥ ـ المختارات في الطب ٣ : ١٤٤ .
٩٦ ـ المختارات في الطب ٣ : ١٩٩ .
٩٧ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٣٥ .
٩٨ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٤١ .
٩٩ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٤٨ .
١٠٠ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .
١٠١ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٦٠ ـ ٢٦١ .
١٠٢ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٦٦ .
١٠٣ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .
١٠٤ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٨٠ .
١٠٥ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٨٣ .
١٠٦ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٨٦ .
١٠٧ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٩٠ .
١٠٨ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٠٠ .
١٠٩ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣١٠ .
١١٠ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٢٤ .

١١١ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٣٠ و ٣٣٢ .
١١٢ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٣٧ .
١١٣ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٤٥ .
١١٤ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٥٢ .
١١٥ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٥٢ .
١١٦ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٧٨ .
١١٧ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٨١ ـ ٣٨٢ .
١١٨ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٩١ .
١١٩ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٩٢ .
١٢٠ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٩٨ .
١٢١ ـ المختارات في الطب ٣ : ٤٠١ ـ ٤٠٢ .
١٢٢ ـ المختارات في الطب ٣ : ٤٠٣ .
١٢٣ ـ القطوف من الدواب : التي تسيء السير وتبطيء . (المعجم الوسيط ٢ : ٧٥٣) .
١٢٤ ـ المختارات في الطب ٣ : ٤١٨ .
١٢٥ ـ المختارات في الطب ٣ : ٣٢٢ ـ ٣٢٤ .
١٢٦ ـ المختارات في الطب ٤ : ١٨ .
١٢٧ ـ المختارات في الطب ٤ : ١٨ .
١٢٨ ـ المختارات في الطب ٤ : ٣٠ ـ ٣١ .
١٢٩ ـ المختارات في الطب ٤ : ٣٣ .
١٣٠ ـ المختارات في الطب ٤ : ٤٧ .
١٣١ ـ المختارات في الطب ٤ : ٥٩ ـ ٦٠ .
١٣٢ ـ المختارات في الطب ٤ : ٦٤ .
١٣٣ ـ المختارات في الطب ٤ : ١٠٦ .
١٣٤ ـ المختارات في الطب ٤ : ١١٥ ـ ١١٦ .
١٣٥ ـ المختارات في الطب ٤ : ١٢٨ ـ ١٢٩ .

١٣٦ ـ المختارات في الطب ٤ : ٢٥٧ .
١٣٧ ـ المختارات في الطب ٤ : ٢٥٢ .
١٣٨ ـ المختارات في الطب ١ : ٢٦٩ .
١٣٩ ـ المختارات في الطب ١ : ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
١٤٠ ـ المختارات في الطب ٣ : ٢٧٨ .

١٤١ ـ المختارات في الطب ٤ : ٣٠٥ .
١٤٢ ـ المختارات في الطب ١ : ٢٠٨ ـ ٢١٠ .
١٤٣ ـ المختارات في الطب ١ : ٢٠٨ .
١٤٤ ـ المختارات في الطب ١ : ٢٠٧ .
١٤٥ ـ المختارات في الطب ١ : ٢١٨ .
١٤٦ ـ المختارات في الطب ١ : ٣٢٦ .
١٤٧ ـ المختارات في الطب ٢ : ١٤١ . وهو مانسميه : صندلص ، الذي كانت تصنع منه السبح سابقاً . أما الحالي فهو من اللدائن المصنوعة . علماً بان لدائن الصندلص هي الاخرى مختلفة ، فالآن تصنع من النفط . وقبل معرفة لدائن النفط ، كانت تصنع من مواد اخرى .
١٤٨ ـ المختارات في الطب ٢ : ١٧٤ .
١٤٩ ـ المختارات في الطب ٢ : ١٥٥ .
١٥٠ ـ المختارات في الطب ٢ : ٧٣ .
١٥١ ـ المصدر نفسه .
١٥٢ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، ط ١ مصر ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧ هـ ، ج ٣ ص : ٢٧١ . تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، ط ١ مصر ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ هـ ، مج ٢ : ١٤١ . المعجم الوسيط ١ : ٣٢٩ ـ ٣٣٠ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيومي ، بولاق ١٢٨١ هـ ، ج ١ ص : ١٤٨ .
١٥٣ ـ تاج العروس ٧ : ٢٧٤ ، المعجم الوسيط ١ : ١٥٨ .
١٥٤ ـ تاج العروس ١ : ٣٥٣ .
١٥٥ ـ تاج العروس ١٠ : ٢٣٥ .
١٥٦ ـ المصباح المنير ٢ : ٥٢ .
١٥٧ ـ تاج العروس ٤ : ٢٨٣ ، لسان العرب ٨ : ١٥٤ .
١٥٨ ـ تاج العروس ٦ : ٥١ ـ ٥٢ و ١ : ٣١٧ و ٣ : ٤٤٥ ، المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ .
١٥٩ ـ لسان العرب ١٣ : ٣٦٤ ، تاج العروس ٧ : ٣٧٨ ، المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ .
١٦٠ ـ تاج العروس ٧ : ١٤٧ و ١٠ : ٣٣٢ .
١٦١ ـ تاج العروس ٨ : ٣٦٤ (لتقريب المعنى) .
١٦٢ ـ تاج العروس ٩ : ٦٠ .
١٦٣ ـ لسان العرب ٧ : ٢٧٣ ، تاج العروس ٤ : ٧٨ ، المصباح المنير ٢ : ١٤١
١٦٤ ـ المعجم الوسيط ٢ : ٨٩٦ ، لسان العرب ٣ : ٢٧١ ، تاج العروس ٢ : ١٤١ ، المصباح المنير ١ : ١٤٨ .

• الابزن : وتثلث الهمزة ... حوض من نحاس ، يستنقع فيه الرجل ، أو شيء كالتابوت . ج : أبازين . واطلقه مجمع مصر على ما يسمى بالبانيو ، وهي قريبة الشبه من الكلمة Bassin ، جدول م م : ٤١ .
معجم متن اللغة ، الشيخ أحمد رضا ، بيروت ١٩٥٨ م ، ج ١ : ٢٩٠ .
وفي الجدول الذي اشار اليه :
الابزن Bassin البانيو أقول وهو في الشام : المغطس .
معجم متن اللغة ١ : ١٠٢ الرقم : ٤١ .

تحقيق التغليب

لابن كمال باشا

(ت ٩٤٠ هـ)

تحقيق وتقديم

د. صاحب أبو جناح

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

منذ مدة غير يسيرة علمت بوجود نسخة من رسالة « التغليب » لابن كمال باشا في مخطوطات المتحف العراقي ، وكان خبر هذه النسخة قد بلغني من طالب الدراسات العليا - يومها - السيد محمود علي حسو ، معتقداً أنها لابن هشام الانصاري . وحين تيسّرت لي مصورة الرسالة تبينت أنها لابن كمال باشا .

ولأهمية موضوع الرسالة وجدّته وطرافته ، ولمنزلة مؤلّفها العالية في تاريخ الثقافة العربية الاسلامية والعلوم اللغوية ، عزمت على نشرها ، وبدأت السعي لجمع ما يتيسّر من نسخها المتعدّدة . وقد تهيأ لي منها ثلاث نسخ جيدة ، فشرعت في تحقيقها ، وحين فرغت منه اطلعت على نشرة الدكتور ناصر سعد الرشيد لرسائل ابن كمال باشا ، وكانت رسالة التغليب بضمنها ، فنويت أن أتوقف عن إكمال عملي ، وأحجب نشرتي وأنصرف عن العمل بمجموعه . لكني حين تفحّصت عمل الدكتور ناصر الرشيد الذي أخرجه على نسخة وحيدة في مخطوطات الحرم المكي الشريف ، بدا لي أن أقابل نصّه بما لديّ من نص محقّق فوجدت مواضع الاختلاف بين النصّين المحققين تتجاوز مائة وستين موضعاً بين سقط وتحريف وتصحيف واختلاف ويقتضيه تنوع النسخ وأخطاء النساخ ومشكلات الطبع ، وكان كلّ هذا يمكن تجاوزه لولا أنّي وجدت في نشرة الدكتور ناصر سقطاً بلغ ٥٦ سطراً من أصل النصّ الذي يقع في حدود اثنتي عشرة صفحة ، كما هو واضح في تعليقي خلال حواشي التحقيق .

وقد تأكد لي من ذلك السقط خطورة الاعتماد على نسخة واحدة في تحقيق النصوص ، وعدم الاطمئنان الى دقة العمل . وعلى أية حال فقد اعتمدت نشرة الدكتور الرشيد وجعلتها نسخة اخرى ورمزت لها بالحرف ط ، وهو مشكور على عمله الذي خدم به العربية حين أخرج هذا المجموع الذي بلغ ست رسائل .

وقد قدّمت لعملي بدراسة وافية عن المؤلف وعن ظاهرة التغليب في العربية ، وهو ما افتقدته في نشرة الدكتور الرشيد ، الذي لم يكن همّه التحدّث عن موضوعات الرسائل التي نشرها ، ونسأل الله التوفيق له ولنا ولجميع العاملين في خدمة العربية وعلومها ، والحمد لله أولاً وآخراً .

الرسالة ومصنفها

يمثل ابن كمال باشا امتداداً واضحاً للظاهرة « الجاحظية » في الفكر العربي الاسلامي ، فتعدّد المعارف والعلوم التي تميّزت بها كتابات الجاحظ ، وحرصه على أن يتناول جميع مظاهر الحياة والطبيعة والمجتمع والفكر - على قدر ما كان متيسراً له في ذلك العصر المبكّر نسبياً - وجد صداه في أعمال جملة من الكتّاب الموسوعيين الذين أنجبتهم العصور اللاحقة في التاريخ الفكري للعرب والمسلمين .

ومن بين هذه الأسماء اللامعة يذكر التاريخ العلّامة ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، والعلّامة موفق الدين عبداللطيف البغدادي الفقيه المحدّث اللغوي الطبيب الرحّالة (ت ٦٢٩ هـ) ، والعلّامة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) صاحب المصنّفات الغزيرة المعروفة ، وابن كمال باشا نفسه ، وسواهم ممّن صنّفوا في جميع فنون العلم والثقافة ، كعلوم القرآن والحديث واللغة والنحو والبلاغة والعروض والتاريخ والعقائد والفلسفة والطب والمجتمع وسواها من المعارف التي اتّسعت لها مصنفاتهم ورسائلهم الغزيرة .

ســيرته :

شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الحنفي . يعرف بابن كمال باشا ، وهو الاسم الذي كان يختاره لنفسه ، وبعضهم يسميه كمال باشا زادة ، على نحو ما جاء في نهاية المخطوطة البغدادية لهذه الرسالة وسواها من مصنّفاته . وزادة كلمة فارسية تعني ابن . والمضاف ياتي بعد المضاف اليه في الفارسية وسواها من اللغات الآرية .

كما قد يسميه بعضهم كمال باشا أوغلو . وأوغلو في التركية تعني ابن أيضاً وكان جدّه كمال باشا من أعيان الدولة العثمانية وأمرائها[1] ، مقدّماً عند سلاطينها ، إذ كان مربياً لبايزيد الثاني ابن محمد الفاتح ، فعاصر عهده (٨٨٦ - ٩١٨ هـ) وعهد أبيه السلطان محمد

(٨٥٥ - ٨٨٦ هـ) وكان أميناً لاختام السلطان (نشانجي) كما كان عالماً من علماء عصره .

أما والده سليمان بك فقد كان قائداً عسكرياً في جيش السلطان محمد الفاتح ، وشارك في فتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ ، وصار بعدها وكيلاً لجند السلطان .

ولد شمس الدين أحمد في (طوقات) من نواحي سيواس ، وفي ظل أسرته المتنفذة أتيح له أن ينشأ في وسط هيّأ له كل أسباب الدرس والتعلّم والتزوّد من منابع المعرفة والثقافة ، فغلب عليه حبّ العلم ، واشتغل به منصرفاً اليه ليلاً ونهاراً ، بعد أن اشتغل في شبابه في الجيش العثماني في سلطنة بايزيد .

وللرجل في الاشتغال بالعلم والانصراف له حكاية طريفة تدعو للتامل ، ولا تقع إلا لمن سيكون في مثل منزلته العلمية .

فقد كان مع السلطان بايزيد في سفر ، وكان وزيره حينذاك ابراهيم باشا بن خليل باشا . وكان هناك أمير اسمه أحمد بن أورنوس من عظام أمراء الدولة ، وذوي الجاه والنفوذ .

قال ابن كمال باشا : كنت واقفاً على قدميّ أمام الوزير ، وعنده هذا الأمير المذكور جالساً ، فجاء رجلٌ من العلماء ، رثّ الهيئة ، خلق الثياب ، فجلس فوق الأمير المذكور ، ولم يمنعه أحد من ذلك ، فتحيّرت في هذا الأمر ، وقلت لبعض رفقائي : مَن هذا الذي تصدّر على مثل هذا الأمير ؟

قال : هو شخص من أهل العلم يقال له : المولى لطفي .

قلت : كم وظيفته ؟

قال : ثلاثون درهماً

قلت : وكيف يتصدّر على هذا الأمير ووظيفته هذا المقدار ؟

فقال : العلماء مُعَظّمون لعلمهم ، فإنّه لو تأخّر لم يرض بذلك الأمير ، ولا الوزير .

قال : فتفكّرت في نفسي فوجدت أني لا أبلغ رتبة الأمير المذكور في الإمارة ، وإني لو اشتغلت بالعلم يمكن أن أبلغ رتبة ذلك العالم ، فنويت أن أشتغل بالعلم الشريف[٢].

ومنذ ذلك الحين ترك الجيش وانقطع الى المولى لطفي فقرأ عليه وعلى سواه من المشايخ مثل المولى مصلح الدين مصطفى القسطلاني ، والمولى محيي الدين محمد خطيب زادة ، والمولى سنان الدين يوسف معروف زادة[٣].

نشاطه العلمي :

زاول ابن كمال باشا التدريس في أدرنة عام ٩١١ هـ استاذاً في مدرسة « علي بك » ، وفي « الحلبية » .

وطلب منه السلطان بايزيد الثاني أن يكتب تاريخ العثمانيين[٤].

وفي سنة ٩١٧ هـ ولي التدريس في مدرسة أسكوب في اليونان ، ثم رجع الى أدرنة يعلم فيها في مدارسها المختلفة ، ومنها مدرسة السلطان بايزيد الثاني . وفي سنة ٩٢٢ هـ صار قاضياً للمدينة ثم قاضياً لعسكر الاناضول ، وهو يشبه منصب قاضي القضاة .

وفي هذه الفترة دخل الى القاهرة بصحبة السلطان « سليم خان بن بايزيد خان » حين أخذها من الجراكسة ، وكان إذ ذاك قاضياً بالعسكر المنصور في ولاية أناضول[٥].

وفي القاهرة اجتمع باكابر علماء مصر وضمهم مجلس المناظرة والمباحثة فاعجبوا بفصاحته وقدّروا له منزلته العلمية وشهدوا له بالفضل والإتقان[٦]. بعد ذلك عزل عن منصب القضاء عام ٩٢٥ هـ فعيّن رئيساً لدار الحديث بأدرنة[٧]. وفي عام ٩٣٢ هـ صار مفتياً للخلافة العثمانية (شيخ الاسلام) ولم يزل في منصب الفتوى حتى توفّاه الله في الثاني من شوال عام ٩٤٠ هـ [illegible] نيسان ١٥٣٤ م) في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م)[٨].

ثقافتـــه :

تنوعت معارف ابن كمال باشا بتنوع مصادر الدراسة لديه . فقد كان بارعاً في التفسير والفقه والحديث والنحو والتصريف والمعاني والبيان والكلام والمنطق والاصول وسواها .

فقلّما يوجد من الفنون ولا تجد له فيه مصنفاً أو مصنفات . وهو بهذا يعدّ نظيراً للسيوطي في مصر[٩].

ولم تقتصر تآليفه على العربية ، بل كان يكتب بالتركية وبالفارسية[١٠]. وذكر ابن العماد أنّ له رسائل كثيرة في المباحث المهمة الغامضة .

وكان يشتغل بالعلم ليلاً ونهاراً ولم يفتر قلمه . وكان صاحب أخلاق حميدة حسنة وأدب تام وعقل وافر . كما ذكر التميمي أنّ له رسائل كثيرة في فنون عدة لعلّها تزيد على ثلاثمائة رسالة[١١].

وتتوزع مصنّفاته - بحسب احصاء الموسوعة التركية ، ومجموعها ٢٠٩ مصنّفات على العلوم الاتية :

١ - علوم القرآن وتفسيره - ١٢ مصنّفاً .
٢ - الحديث الشريف وعلومه - ٨ مصنّفات .
٣ - الفقه والشريعة - ٤٣ مصنّفاً .
٤ - الفلسفة - ٥٠ مصنّفاً .
٥ - الاداب - ٢٢ مصنّفاً .
٦ - المنطق - ٨ مصنّفات .
٧ - التصوّف - ٢ مصنّفات .
٨ - الاخلاق - ٢ مصنّفات .
٩ - علوم العربية ونحوها - ٢١ مصنّفاً .
١٠ - مصنّفات باللغة الفارسية - ٩ مصنّفات .
١١ - مصنّفات في موضوعات متنوعة - ٣٢ مصنّفاً[١٢].

وقد أحصى له الاستاذ محمود فجّال ، في دراسته الببليوغرافية القيّمة عنه (١٨٢) مصنّفاً بين كتاب ورسالة ومسالة وتعليق[١٣].

وقد ساعده اتقانه للغات التركية والعربية والفارسية على أن يتفقه في معرفة هذه اللغات ويكتب في قواعدها ونحوها ويقيم الموازنة بينها في عدد من رسائله ومصنفاته .

موضوع الرسالة :

عنيت هذه الرسالة بايضاح قضيّة من قضايا المباحث الدلالية في العربية . وهي المباحث التي يشكل المجاز ، الذي هو لون من ألوان التوسّع في استخدام اللغة ، الحيّز الاكبر فيها .

فإلى جانب البحث في ظواهر الترادف والمشترك اللفظي والتضادّ والاستعارة اللغوية (الاقتراض) والتوليد ، تتّجه عناية الدلاليين الى البحث في أساليب المجاز في اللغة من كناية واستعارة ومجاز مرسل ومجاز عقلي وسواها من أساليب التعبير المجازي .

ويأتي التغليب ـ الذي يحدّه المصنّف بانه توسع في كلام العرب ، مداره على جعل بعض المفهومات تابعاً لبعض ، داخلاً تحت حكمه ، في التعبير عنهما بعبارة مخصوصة للمُغلَّب ، بحسب الوضع الشخصي أو النوعي ـ مثلًا من أمثلة التجوّز في العربية ، حيث يطلق اللفظ على ما وضع له في الأصل ، وعلى ما لم يوضع له ، تغليباً لبعض المفهومات على بعضها الآخر .

والغرض من ذلك ، غالباً ، الاختصار والتخفيف في اللفظ ، والاختصار نكتة مشتركة بين أقسام التغليب كلّها ، كما يقول ابن كمال باشا في مقدمة رسالته هذه .

ويراعى في التغليب عادة الخفّة ، فيغلّب الاخفّ ، مثل قولهم : العُمران ، في أبي بكر وعمر ، فغلّب لفظ عمر لخفّته ، والخُبيبان ، في عبدالله بن الزبير وابنه خُبيب ، وقيل في أخيه مصعب ، والعجّاجان في العجّاج وابنه رؤبة ، والمروتان في الصفا والمروة[١٤].

وقد تراعى الافضلية (التعظيم) فيغلّب المذكر على المؤنث ، حتى لو كانت أهمية المؤنث أعلى من أهمية المذكر ، مثل القمرين في الشمس والقمر ، فغلّب القمر لتذكيره ، كما يقول اللغويون ، والابوين في الأب والأمّ .

وهذا النوع من التغليب الذي يقع بصيغة المثنى ، عرض له المحبّي في « جنى الجنّتين » وأوضحه بانّه تغليب أحد المتجاورين أو المتشابهين على الآخر ، بأن يجعل الآخر مسمّى باسمه ادعاءً ، ثم يثنّى ذلك الاسم قصداً اليهما جميعاً[١٥].

وليس من ذلك قولهم : الجديدان ، في الليل والنهار ، والاطيبان في الطعام والنوم أو النوم والجماع . والاحمران في اللحم والخمر والاسودان في الماء والتمر ، ونحوهما . لأن ذلك من المثنّى الحقيقي لأنّ الصفة تصدق على كل واحد من الاسمين . فالسواد في الماء والتمر والحمرة في اللحم والخمرة ، والجدّة في الليل والنهار .

كما أنّ التغليب يتجاوز المثنّى الى الجمع من الاسماء ، فيغلّب المذكّر على المؤنث اذا كان هذا المؤنث داخلًا في المجموع ، مثل قوله تعالى في صفة مريم « ع » (وكانت من القانتين) (التحريم ١٢) ولم يقل من القانتات ، تغليباً للذكور من قومها على الإناث .

« والتغليب في جمع المذكر السالم هو في حقيقته صورة لتغليب المذكّر على المؤنث أو بعبارة أبق لتغليب جمع المذكر السالم على جمع المؤنث السالم .. وتغليب المذكر على المؤنث هو القاعدة العامة في التغليب ، ويندرج تحتها كثير من صور التغليب ومجالاته ، ويكاد يكون الصورة السائدة في القرآن الكريم »[١٦].

واذا كان التغليب في كلام العرب يقصد به عادة الى التوسع في الدلالة لتشمل المفردة عدداً من أفراد الجنس ، فانّه قد يفيد في بعض الاحيان الاقتصار وتضييق الدلالة ، فتنتقض الغاية منه ، حيث تطلق المفردة على واحد بعينه من أفراد جنسها ، دون الآخرين ، ممن تصدق عليهم دلالتها .

من ذلك قول أهل النحو « الكتاب » حيث ينصرف عند إطلاقه الى كتاب سيبويه دون غيره من المصنّفات . وقول الناس « المدينة » حيث غلبت على مدينة رسول الله (ص) دون سواها من المدن ، وقولهم « العقبة » حيث غلب على عقبة أيلة دون سواها ، كما لفظ ابن الزبير غلب على عبدالله دون من سواه من إخوته وكذلك ابن عباس غلب على عبدالله وابن مسعود وابن عمر ونحوهم ممن غلَبوا على سائر إخوتهم ممن يصدق عليهم لفظ ابن فلان .

وهذا النوع من التغليب المعكوس هو الذي أوضحه سيبويه في « باب ما يكون فيه الشيء غالباً عليه اسم يكون لكل من كان من أمّته أو كان من صفته من الاسماء التي يدخلها الالف واللام ، وتكون نكرته الجامعة لما ذكرت لك من المعاني ، وذلك قولك : فلان ابن الصَّعِق ، والصعق في الاصل صفة تقع على كلّ من أصابه الصَّعَق ، ولكنه غلب عليه (أي على خويلد بن نفيل بن عمرو الكلابي) حتى صار علماً بمنزلة زيد وعمرو ، وقولهم : النجم ، صار علماً للثريّا . وكابن الصعق قولهم : ابن رألانَ ، وابن كراع ، صار علماً لإنسان واحد وليس كلّ من كان ابناً لرألان وابناً لكراع غلب عليه هذا الاسم[١٧].

وهذه الرسالة مع أنّ مؤلفها بدأها بتعريف التغليب في الاصطلاح وأشار إشارة سريعة الى أقسام التغليب المتعدّدة ، والى الغرض منه في اللغة ، فإنّ هدفه العام من وضعها ليس تناول التغليب بصفته ظاهرة لغوية متنوعة تقع في حيّز اللغة والنحو والصرف ، بل كان غرضه التثبّت من بعض النصوص والشواهد التي اختلف حولها الشراح والباحثون السابقون عليه ، **وبيان ما اذا كانت تدخل فيما يمكن أن يكون تغليباً أو لا.** ولهذا رسم عنوانها « رسالة في تحقيق التغليب » أي في تحقّقه والتثبّت من وقوعه في الأمثلة التي عرضت لها الرسالة التي حرّرها هو[١٨].

وهذه الامثلة عبارة عن مجموعة من الآيات القرآنية ، كان بعض المفسّرين والمعلّقين من أصحاب الحواشي قد تنازعوا في صحّة كونها من باب التغليب أو لا . وهذا شان ابن كمال باشا في كثير من الرسائل الجدلية التي كتبها .

والرجل كما نعرفه ، من المشتغلين بالمنطق والجدل ، وهو بحكم هذا المزاج الجدلي المتقصّي ، والمعرفة المتشعبة ، ينزع الى الخوض في عدد من الامور الجدلية المتنازع حولها ، فيكتب رسالة في تحقيق المشاكلة واخرى في تحقيق التجريد واخرى في تحقيق تعريب الكلمة الاعجمية واخرى في ايمان أبوي النبيّ (ص) واخرى في تحقيق معنى كاد وغيرها كثير مما يدخل في هذا الباب التحقيقي .

والواضح ان ثقافة ابن كمال باشا في الجدل والمنطق وقراءاته فيهما أثرت تأثيراً واضحاً في صياغة اسلوبه في تحرير هذه الرسالة حيث غلبت على عبارته الدقة والايجاز وشدّة السبك ، على ما هو معروف عن كتاب العصور المتأخرة ، ممن عرفوا بصرامة الاسلوب وجفاف العبارة ، وبخاصة علماء المشارقة من المشتغلين بعلوم المنطق والنحو والبلاغة وكتب التعليم من المختصرات والشروح والحواشي والتقييدات .

وتتضح خلاصة ثقافة الرجل ومنابع معرفته في هذا الباب من خلال مصادره التي استعان بها في عرض المسائل الجدلية المتنازع عليها وجلّها من مصنّفات المتاخرين من أمثال السكّاكي والخطيب القزويني والسعد التفتازاني والشريف الجرجاني وغيرهم .

تحقيق الرسالة

جرى العمل في تحقيق هذه الرسالة اعتماداً على أربع نسخ ، هي كل ما وقع لي من نسخها المتعددة . وهذه النسخ هي :

١ ـ نسخة مكتبة أوقاف الموصل ، وهي بضمن مجموع في مكتبة الرضوانية بمكتبة أوقاف الموصل تحت رقم ١٢٠ / ١٨ وقياسها ١٦٠ / ١١٠ ملم . ويضم المجموع المذكور عدداً من الرسائل يبلغ ٤١ رسالة ، منها رسالة في التعريب نشرها الدكتور أحمد خطاب العمر بالموصل عام ١٩٨٣ م ، والتنبيه على غلط الجاهل والنبيه التي نشرها الدكتور رشيد العبيدي في مجلة المورد البغدادية عام ١٩٨٠ م في العدد الرابع ، وكان الشيخ عبدالقادر المغربي قد نشرها بدمشق عام ١٩٢٦ م في مجلة المجمع العلمي العربي ، ورسالة في تحقيق معنى كاد نشرها الدكتور رشيد العبيدي في مجلة آداب بغداد عام ١٩٧٣ ورسالة في المشاكلة ، وقد نشرهما الدكتور ناصر سعد الرشيد عن نسخة وحيدة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ١٥١ أدب ، وذلك بضمن كتابه : رسائل ابن كمال باشا ، الذي تحدثنا عنه في المقدمة .

وتقع هذه الرسالة في ١٣ صفحة ، في كل صفحة ١٨ سطراً . ويبدو أن المجموع الذي ضمّها كتب بخط ناسخ واحد . وقد جاء في آخر رسالة التعريب التي يضمّها هذا المجموع عبارة « لمولانا كمال باشا زادة سلّمه الله » وهذه العبارة وردت بضمن تتمة ألحقت بالرسالة المذكورة بخط ناسخ آخر . ويبدو من هذا التعقيب الذي استدرك به على الرسالة أنّ النسخة كتبت في حياة مصنّفها ، مما رجّح لديّ اتخاذ نسخة الموصل الذي يضمّها هذا المجموع أصلاً ، مع أنها ليست أكثر دقة أو كمالاً من نسخة المتحف العراقي .

٢ ـ نسخة المتحف العراقي

وهذه النسخة تقع في مجموع برقم ٥٥٣ / ٢ مجاميع ، وهي الآن في دار صدام للمخطوطات التي انتقلت اليها مخطوطات مديرية الآثار العامة ببغداد ، ورمزت لها بالحرف ـ م ـ .

وهي نسخة جيدة كتبت بخط نسخ وشغلت ٤ صفحات في كل صفحة ٢٤ سطراً ، ثم أكمل الناسخ بقية النسخة في حاشية الرسالة اللاحقة لها وهي رسالة الوصيّة ، فشغلت [illegible] من الصفحة الاولى من رسالة الوصيّة والحاشية العليا من الصفحة الثانية من الرسالة المذكورة .

وليس في هذه النسخة ما يشير الى تاريخ نسخها ولا الى اسم الناسخ وجاء في خاتمتها : تمت الرسالة ، وهي لكمال باشا زادة . وهي تشغل الورقات ١٩٤ ـ ١٩٦ والوجه الثاني من الورقة ١٩٣ من المجموع المذكور الذي يضمّ عدداً من رسائل ابن كمال باشا .

٣ ـ النسخة المطبوعة ، وهي التي نشرها الدكتور ناصر سعد الرشيد في كتابه « رسائل ابن كمال باشا » عن نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف وقد رمزت لها بالحرف ط ، وقد تقدّم الحديث عنها وعن نقصانها في المقدمة .

٤ ـ نسخة صورها لي الصديق الدكتور عيّاد الثبيتي من مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى ، ولا أعلم مصدرها ، وهي بضمن مجموع يضم رسالة المشاكلة . وقد جاء في أولها « هذه رسالة معمولة في تحقيق التغليب لابن كمال باشا الوزير » .

وهي في ١٠ صفحات ، في كل صفحة ٢٣ سطراً ، وخطّها نسخ جيّد ، ولكني لم انتفع منها بغير ثلاث صفحات ، لان التصوير جاء معتماً فلم أتبين منه شيئاً ، ويبدو أن ذلك الاضطراب وقع في أصل الفلم الذي صورت عنه النسخة المصوّرة . ولم يذكر شيء عن الناسخ ولا عن تاريخ النسخ . وقد وضعت لها رمز « ك » .

ويذكر أنّ الدكتور محمود فجّال أورد في بحثه عن ابن كمال باشا المنشور في مجلة عالم الكتب السعودية العدد ٣ المجلد ١٠ الصادر في آب ١٩٨٩ م أنّ لهذه الرسالة نسخاً اخرى في دار الكتب المصرية برقم ٣٨٩ مجاميع و ٦٦٣ مجاميع بلاغة ، وفي مكتبة برتونيال باستانبول برقم ٩٨٠ / ٨٩٣ واخرى بمكتبة قليج علي باستانبول أيضاً برقم ١٠٢٤ واخرى بمكتبة عاشر أفندي باستانبول أيضاً برقم ٤٣٠ .

وذكر الدكتور أحمد خطاب العمر أنّ المجموع الذي يضمّ نسخة رسالة التعريب في مكتبة حاج حسني باشا باستانبول الذي رقمه

١٢١ / ٥ يضم عدداً من الرسائل لابن كمال باشا بينه نسخة من هذه الرسالة .

وقد اعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة الاصول العامة التي تواضع عليها أهل التحقيق من إثبات الفروق بين النسخ وتخريج النصوص الشواهد والتعريف بمن يحتاج القارىء الى التعريف بهم من الاعلام والتعليق على المواضع المشكلة التي تحتاج الى تعليق لتوضيحها وبيانها للقارىء مع صنع الفهارس اللازمة لإكمال الفائدة من نشر هذا النص النافع . ومن الله التوفيق .

هوامش الدراسة

(١) الشقائق النعمانية لطاش كبري زادة ـ بيروت ١٩٧٥ ، ٢٢٦ . وشذرات الذهب لابن العماد ـ بيروت ١٩٧٩ ، ٨ / ٢٣٨ .

(٢) شذرات الذهب ٨ / ٢٣٨ .

(٣) نفسه .

(٤) الشقائق النعمانية ، ٢٢٧ .

(٥) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتميمي ، ط دار الرفاعي ـ القاهرة ، ١ / ٣٥٦ .

(٦) الفوائد البهيّة للكنوي الهندي ، ٢٢ .

(٧) الشقائق النعمانية ٢٢٧ . وشذرات الذهب ٨ / ٢٣٩ .

(٨) شذرات الذهب ٨ / ٢٣٩ .

(٩) الطبقات السنية ١ / ٣٥٧ ، والفوائد البهيّة للكنوي الهندي ١٧ .

(١٠) الشقائق النعمانية ٢٢٧ .

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) الخواص والمزايا لابن كمال باشا (تحقيق حامد صادق قنيبي ص ٥٢١) بضمن (بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها) ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، جـ ٢ .

(١٣) مجلة عالم الكتب مجلد ١٠ ع ٣ آب ١٩٨٩ م ص ٣٤٠ .

(١٤) الكتاب ١ / ٢٦٨ ومغني اللبيب ٢ / ٦٨٧ والمقتضب ٤ / ٣٢٣ والمثنى لابي الطيب اللغوي ص ٤ واصلاح المنطق ٩١ ، ٢٥١ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ والمشوف المعلم للعكبري ٥٠٦ .

(١٥) جنى الجنّتين للمحبي ص ١١٧ دمشق ١٣٤٨ هـ مكتبة القدسي .

(١٦) ظاهرة التغليب في اللسان العربي د. سيد رزق الطويل (مجلة البحث العلمي) كلية الشريعة ـ جامعة أم القرى ع ٦ سنة ١٤٠٣ هـ ص ١٢١ ، ١٤٠ .

(١٧) الكتاب ١ / ٢٦٧ .

(١٨) لا أعلم أنّ أحداً من القدماء أفرد مصنّفاً مستقلاً لدراسة ظاهرة التغليب غير ابن كمال باشا ، وهناك رسالة في ورقتين في التغليب لابي نعيم السيد أحمد بن عبدالله الخادمي ، وهي بضمن مجموع في مخطوطات الاستاذ محرم جلبي المرعشي في مدينة مرعش التركية ، وقد ذكرها الدكتور طه محسن في فهرس مخطوطات هذه المكتبة المنشور في مجلة المورد البغدادية ع ٤ م ٤ سنة ١٩٧٥ م .



الصفحة الاولى من مخطوطة أوقاف الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليّة[١] والصلاة على نبيّه وبعدُ

فهذه رسالة معمولة[٢] في تحقيق التغليب .

إعلم أنّ التغليبَ توسّع في الكلام[٣] شائعٌ في كلام[٤] العرب ، مداره على جعل[٥] بعض المفهومات تابعاً لبعض ، داخلًا[٦] تحت حكمه في التعبير عنهما بعبارة مخصوصة للمُغَلَّب ، بحسب الوضع الشخصي أو النوعي[٧]. ولا عبرة للوحدة[٨] والتعدّد ، لا في جانب الغالب ، ولا في جانب المغلوب ، فإنّه[٩] قد يُغلَّب الواحد على الواحد كما في القَمَرين[١٠] والعُمَرين . وقد يُغلَّب المتعدّد[١١] على المتعدّد كما في قوله تعالى : ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله (الفرقان ١٧) على بعض الوجوه[١٢].

وقد يغلَّب المتعدّد على الواحد كما في قوله تعالى : وكانت من القانتين[١٣] (التحريم ١٢) وقد يغلّب الواحد على[١٤] المتعدّد كما في قوله تعالى : وما ربُّك بغافل عمّا تعملون (هود ١٢٣)[١٥].

وإنّما الاعتبار[١٦] للنكتة[١٧] التي تقتضيه ، والاختصار نكتة مشتركة بين الاقسام كلّها ، فهو لا يكفي في تبيين[١٨] واحد من الوجوه المذكورة ، إذ[١٩] لا بدّ فيه من تخصّص وتعيّن[٢٠]، كالتذكير في القمر والخجفة في عُمَر[٢١] والتحقير في ما يعبدون[٢٢]، والتعظيم في « كانت[٢٣] من القانتين » ، وفي[٢٤] « وما ربّك بغافل عمّا تعملون » . إلّا أنّ التعظيم في الاول للمغلَّب عليه ، وفي الثاني للمُغلَّب ، وبالقيد الاخير خرج (كذا) المشاكلة[٢٥]، فإنّ فيها أيضاً جعل بعض المفهومات تابعاً لبعض داخلًا تحت حكمه في التعبير عنه بعبارة المتبوع[٢٦]، إلا أنّه يُعبَّر[٢٧] فيها عن كلّ من[٢٨] المتشاكلين بعبارة مستقلة .

فإن قلتَ : هلّا يلزم حينئذ[٢٩] الجمع بين الحقيقة والمجاز في باب[٣٠] التغليب ؟

قلتُ : تلك شبهة تختلج في البال قبل الوقوف على حقيقة الحال . قال الفاضل التفتازاني في آخر سورة النساء من شروح الكشّاف : وشبهة الجمع بين الحقيقة والمجاز واردة في[٣١] باب التغليب أجمع . وقد فرغ السعد[٣٢] من[٣٣] حلّ تلك الشبهة في شرح[٣٤] قول صاحب الكشاف . قلت : المراد المُنَزَّل كلُّه[٣٥] ، وإنّما عبّر عنه[٣٦] بلفظ الماضي[٣٧] وإن كان بعضه مترقَّباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد ، كما يُغلَّب المتكلّم على المخاطب ، والمخاطب على الغائب فيقال : أنا وأنت فعلنا ، وأنت وزيد تفعلان[٣٨]، ولانه اذا كان بعضه نازلًا وبعض مُنْتَظَر النزول جُعِل كانّه[٣٩] قد نزل وانتهى نزوله ، حيث قال[٤٠] : يعني[٤١] أنّ الوجه في التعبير عن الماضي والاتي بلفظ الماضي[٤٢]، إمّا تغليب ما حصل له الوجود على ما لم يحصل ، وإمّا جعل المترقّب بمنزلة المتحقّق[٤٣]، فالاول مجاز باعتبار تسمية[٤٤] الكلّ[٤٥] باسم الجزء[٤٦]، والثاني استعارة باعتبارة تشبيه[٤٧] غير المتحقّق[٤٨] بالمتحقّق[٤٩].

ويرِدُ على كلا[٥٠] الوجهين : أنّه جمع بين الحقيقة والمجاز ، ولا يُتصوّر معنى مجازيّ يعمّ المعنى الحقيقي والمجازي فيكون[٥١] من عموم المجاز . والجواب إنّ الجمع هو أن يراد باللفظ معناه الحقيقي والمجازي ، على أن يكون كل[٥٢] منهما مراداً باللفظ ، وها هنا[٥٣] أريد المعني الذي بعض أجزائه من[٥٤] أفراد الحقيقة دون البعض[٥٥] الى هنا كلامه[٥٥].

ومن[٥٦] ها هنا تبيَّن أنّ من قال إنّه من المجاز ، لكون اللفظ مستعملًا في غير ما وضع له لنوع تلبّس[٥٧] بينهما كتشابه ونحوه ، ولم يصب في قوله : كتشابه ، لما[٥٨] عرفت أنّ اعتبار علاقة التشابه في طريق الاستعـارة وهو غير طريق التغليب ، فانّه من قبيل المجاز المرسل ، فتامّل .

أقول : قد تبيَّن بما[٥٩] ذكره ها هنا أنّه لم يُصِب فيما قاله في فصل حروف المعاني من[٦٠] التلويح : وكثيراً ما يُسمّى الجميع حروفاً ، تغليباً أو تشبيهاً للظروف بالحروف في البناء وعدم الاستقلال[٦١].

والاول[٦٢] أوجه لانّه[٦٣] في الثاني[٦٤] يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، أو[٦٥] إطلاق الحروف[٦٦] على مطلق الكلمة ، حيث يرجّح[٦٧] الوجه الاول[٦٨] على الثاني بلزوم الجمع بين الحقيقة والمجاز على الثاني[٦٩] مع أنّه شبهة[٧٠] واردة على كلّ منهما ، وحلُّها[٧١] أيضاً مشترك . ثمّ إنّ موجب ما ذكره من[٧٢] أن يكون الاول وجهاً دون الثاني ، لانّ الاطلاق المذكور غير مخصوص ، بل يجوز الجمع المذكور[٧٣]، فافهم .

واعتُرِض عليه بانّ هذا الجمع يلزم على الوجه الاول أيضاً ، لانّ المغلَّب معنى حقيقي للفظ ، والمُغَلَّب عليه معنى مجازي ، فيلزم في صورة التغليب الجمع بين الحقيقة والمجاز .

لا يقال لكلّ[٧٤] معنى مجازي إذ اللفظ لم يوضع له ؛ لانّا نقول : فحينئذ يلزم أن لا يوجد الجمع في شيء من المواضع لجريان

هذه العلّة في كلّ صورة من صور[٧٥] الجمع .

أقول : هذا الجواب ما ذكره الفاضل المذكور في[٧٦] بحث الجمع بين الحقيقة والمجاز من « التلويح » بقوله[٧٧]:

لا يقال : المعنى الحقيقي جزء من مجموع المعنى الحقيقي والمجازي ، فيجوز ذلك في جميع الصور باعتبار اطلاق اسم البعض على الكل ، ودفعه بقوله : لانّا نقول : هو مشروط بان يكون الكل موجوداً متحقّقاً ، له اسم واحدٌ ، لازماً للجزء ، يصحّ انتقال الذهن من الجزء اليه ، كالانسان المركّب من الرقبة وغيرها ، والمجموع المركّب من الانسان والاسد ليس كذلك ، بل هو أمر اعتباري محض .

ومن غفل عن هذا قال في دفع ما ذُكر : ويمكن أن يجاب عنه ما أجاب الفاضل الشريف في حاشية الكشّاف ، من أنّ الجمع في صورة التغليب إنّما يلزم إذا أُريد كلٌ من المعنيين باللفظ ، وفي صورة التغليب أُريد به معنى واحد مركّب[٧٨] من المعنى الحقيقي والمجازي ، ولم يستعمل اللفظ في كل واحد منهما[٧٩]، بل في المجموع مجازاً . ولا يلزم جريان ذلك في جميع المعاني الحقيقية والمجازية ، لجواز أن لا يكون هناك ارتباط يجعلهما معنى واحداً عرفاً ، يقصد اليه بارادة واحدة في استعمالات اللفظ .

أقول : تقرير الجواب على الوجه المذكور خارج عن قانون المناظرة ، لانّ وظيفة المجيب البيان ، لانّ قوله : ولم يلزم ، جواب سؤال مُقدّر ، حاصله المنع كما لا يخفى .

ثم أقول : الجواب الذي ذكره الفاضل التفتازاني في شرح الكشّاف وارتضاه الفاضل الشريف لا يقطع عرق الشبهة ، لانّه إنّما يتمشىٰ في مثل : القمرين ، وما يعبدون ، والقوم ، إذا أُطلق على جماعة فيهم امرأة[٨٠]، وأما في نحو قولنا : رأيت أحد عشر رجلًا ، إذا كان فيهم امرأة ، فلا يتمشى ، وذلك ظاهر[٨١]. وكذلك في مثل : (أو لَتعودُنّ)[٨٢]؛ لانّ العَوْد إن أُخرج عن معناه الحقيقي الى معناه المجازي فلا تغليب ، وإن أُبقي على معناه الحقيقي يلزم المحذور المذكور ، ولا مجال للتركيب بينهما ، فتامّل .

قال صاحب المفتاح[٨٣]: التغليب باب واسع يجري في كلّ فنّ . قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب : « لَنخرِجَنّك يا شُعيبُ والذين آمنوا معك من قريتنا أو لَتعودُنّ في مِلّتنا » (الاعراف ٨٨) (أدخل شعيباً في لتعودُنّ في ملتنا)[٨٤] بحكم التغليب ، وإلّا فما كان شُعيب في ملّتهم كافراً مثلهم ، فإنّ الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون أن يقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة فما بال الكفر !

أقول : فيه نظر ، لانّه إن أراد أنّ شعيباً عليه السلام لم يكن في ملّتهم كافراً مثلهم في اعتقادهم أيضاً فلا يلزم ذلك ، وما ذكره بقوله : فإنّ الانبياء ... الخ ، لا يدلّ على ذلك ، إنّما دلالته على أنّه / عليه السلام لم يكن في ملّتهم كافراً مثلهم في الواقع . وإن أُريد أنّه عليه السلام لم يكن في ملّتهم في الواقعِ فمُسَلَّمٌ ، ولكنّه لا يجدي نفعاً[٨٥]، إذ لا يلزم منه أن لا يكون في ملّتهم في اعتقادهم أيضاً ، وكونه عليه السلام في ملّتهم في اعتقادهم يكفي في صحّة قولهم ذلك ، كما لا يخفى[٨٦] على أنّه يجوز أن يكون العود بمعنى الصيرورة ، وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية ، لا تكاد تسمعهم يستعملون « صار » ولكن « عاد » ، ويقولون : ما عدت أراه ، عاد لا يكلّمني ، ما عاد لفلان مال . ثمّ إنّ شعيباً عليه السلام أجرى جوابه على وفق ما قالوا تركاً[٨٧] للمنازعة فيما لا يجدي فقال : إنْ عدنا في ملّتكم (الاعراف ٨٩) ، فلا تغليب فيه أيضاً كما زعمه الزمخشري والسكّاكي .

وقال الترمذي في شرح المفتاح : وليس في قوله[٨٨] : بعدَ إذ نجّانا الله منها » (الاعراف ٨٩) دلالة على ما دلّ عليه « إن عُدنا في مِلّتِكم » بناءاً على أنّ النجاة منها إنّما تكون بعد الدخول فيها على ما سبق اليه الوهم ، لانّ النجاة عن الشيء لا يلزم أن تكون بعد الدخول فيه .

أقول : وبهذا[٨٩] تبيّن أنه لا إباءَ في قوله : إذ نجّانا الله منها »[٩٠] عن حمل « عاد » على معنى « صار » كما سبق الى بعض الاوهام .

وأمّا التمسك[٩١] بما قيل إنّ « صار » لا يتعدّى بفي فليس بشيء ، لانّ التعدية خاصة اللفظ ، فالاختلاف في التعدية[٩٢] لا ينافي الاتحاد في المعنى[٩٣].

قال الرضي : ولا يُتوهّم أنّ في التعدية بين علمت وعرفت فرقاً من حيث المعنى كما قال بعضهم ، فإنّ معنى « علمت أنّ زيداً قائمٌ ، وعرفت أنّ زيداً قائمٌ » واحدٌ . إلّاأنّ عرفت لا ينصب جزئي الاسمية كما ينصبها علم ، لا لفرق معنوي بينهما ، بل هو موكول الى اختيار العرب ، فإنّهم قد يخصّون أحد المتساويين في المعنى بحكم لفظي دونَ الآخر »[٩٤].

ثم قوله[٩٥]: فما بال الكفر ؟! لم يصب مَحزّه ، فإنّ صغيرةً فيها[٩٦] نوع نفرة أشدُّ امتناعاً في حقّ الانبياء عليهم السلام من سبق الكفر ، لأنّ في الأول دلالة على خساسة النفس[٩٧]، بخلاف الثاني ، ولذلك[٩٨] اتفق الكلّ[٩٩] على امتناع الأول دون الثاني .

قال صاحب الكشّاف في آخر سورة التحريم : فإن قلت : ما كان خيانتهما ؟ يعني خيانة امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام ، قلت : نفاقهما وإبطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين . فامرأة نوح عليه السلام قالت لقومه : إنّه مجنون ، وامرأة لوط عليه السلام دلّت[١٠٠] على ضيفانه ، ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور ، لانّه سمج[١٠١] في الطباع ، نقيصة عند كلّ أحد ، بخلاف الكفر ، فإنّ الكفّار لا يستقبحونه ، بل يستحسنونه ويسمّونه حقاً[١٠٢]. انتهى .

وهذا صريح في أنّ الكفر أهون من نقيصة[١٠٣] فيها نفرة الطباع ، نظراً الى منصب النبوّة ومقام الدعوة ، وإن كان الكفر في حدّ نفسه أشدّ النقائص وأغلظها فافهم .

وفي شرح الفاضل الشريف للمفتاح : ومن أنواعه أن يُغلَّب الاكثر من جنس على أقلّه فينسب الى الجميع ما هو منتسب الى أكثره ، كما في قصة شعيب عليه السلام ، إذ غُلّب أتباعُه عليه في نسبة العود[١٠٤] كما غُلّب هو عليهم في الخطاب . ففي قوله : (أو لَتعودُنّ) تغليبان . أقول : فيه بحث ، وهو أنّ التغليب في الخطاب إنّما يلزم إن لو لم[١٠٥] يكن ذلك الخطاب في محضر من أتباعه ، إذ لو كان في محضر منهم يجوز[١٠٦] أن يكون الخطاب اليه عليه السلام والى سائر الحاضرين من أتباعه معاً[١٠٧]، فلا تغليب ، ولا[١٠٨] دلالة في سياق الآية الكريمة على تعيين الحال[١٠٩]. ولذلك لم يلتفت صاحب الكشاف وغيره الى التغليب في الخطاب ، والله أعلم بالصواب[١١٠].

ومنها قوله تعالى : وكانت من القانتين (التحريم ١٢) ، أي كانت مريم من المطيعين . وكان موجب / القياس القانتات ، لأنّ صيغة الجمع بالواو والنون إنّما هي للذكور[١١١] خاصّة ، بحكم الوضع ، فإطلاقها على الإناث تغليب[١١٢] للذكور[١١٣] على الأنثى . ونكتتُهُ الإشعار بأنّ طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين[١١٤]، حتّى عُدّت في[١١٥] جملتهم وأُدخلت في التعبير عن الذكور .

فالتغليب للذكور[١١٦] حكم تلك النكتة لا العكس كما[١١٧] توهمه عبارة السكّاكي حيث قال : عُدّت الأنثى من الذكور بحكم التغليب[١١٨].

وقد تداركه الشارح[١١٩] الفاضل حيث وجّهها بقوله : أي جُعلت بمنزلتهم في التعبير بلفظ يختصّ به الذكور وضعاً ، فإن قلت : ما تقول في قول[١٢٠] من قال[١٢١] : « مِنْ » ابتدائية ، و[١٢٢]كانت مريم من أعقاب هارون « ع » فلا تغليب في الآية ، لأنّ مبناه على أن تكون تبعيضيّة ؟ قلت : لا أرى[١٢٣] له وجهاً ، لأنّ فيه تنزيلاً للكلام عن درجته بتضييع تلك النكتة[١٢٤] اللطيفة ، بل نقول : فيه تفويت[١٢٥] لوجه مطابقة بقية[١٢٦] الكلام لمقتضى الحال[١٢٧]، فإنّ المقام مقام توصيفها[١٢٨] بجهات الفضل والمزيّة والكون من أعقاب نبيّ من الانبياء ، ممّا تستوي فيه الاقدام[١٢٩] كما لا يخفى على ذوي الافهام .

ثم قال السكّاكي : وقال الله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس) (البقرة ٣٤) عُدّ إبليس من الملائكة بحكم التغليب عَدّ الأنثى من الذكور . وهذا على[١٣٠] وفق ما ذكره الزمخشري من أنّ الاستثناء متّصلٌ ، لانه كان جنيّاً[١٣١] واحداً بين أظهر الالوف من الملائكة مغموراً بهم فغُلّبوا عليه في قوله : فسجدوا ، ثم استُثنِيَ منهم استثناء[١٣٢] واحد[١٣٣] منهم[١٣٤].

وأقول : لا حاجة الى التغليب في تصحيح اتصال الاستثناء ، فإنّ مبناه على عموم الامر بالسجود لإبليس[١٣٥]، وذلك لا يلزم أن يكون بتعميم عبارة الملائكة[١٣٦]، فإنّ للعموم المذكور طريقاً آخر ، وهو الدلالة ، وذلك أنّ الاكابر اذا كانوا مامورين بالتذلّل لاحد فيكون[١٣٧] الاصاغر مامورين به بالطريق الأولى ، فالامر بالسجود وإن كان بعبارة مخصوصة بالملائكة لكنّه بدلالته عامّ لإبليس أيضاً .

وبهذا التفصيل يتبيّن ما في التعليل ، الذي وقع في كلام الفاضل الشريف حيث قال في شرح المفتاح : فإنّ إبليس داخل فيما أريد بلفظ الملائكةِ ، ولذلك[١٣٨] تناوله الأمرُ بالسجود ، وكان استثناؤه من قوله : فسجدوا ، متّصلاً ، من القصور[١٣٩]، فافهم ولا تكن من القاصرين .

ثم قال السكّاكي : ومن هذا الباب قوله تعالى : (بل أنتم قومٌ تجهلون) (النمل ٥٥) بتاء الخطاب ، غلّب جانب « أنتم »

على جانب قوم[١٤٠].

أقول : وقد نبّهت فيما سبق على أنّه ليس من هذا الباب . ثم قال : وكذا : (وما ربُّك بغافل عمّا تعملون) (الانعام ١٣٢) فيمن قرأ بتاء الخطاب[١٤١]، أي أنت يا محمّد وجميع المكلّفين وغيرهم[١٤٢].

أقول : إنّما قال : فيمن قرأ بتاء الخطاب ، إذ لا استشهاد[١٤٣] فيمن قرأ بالياء ، لصحة الإخبار عن الغائبين بيعملون ، من غير ارتكاب تغليب ، بخلاف الإخبار عن المفرد الحاضر بتعملون ، فإنّه لا يصحّ بدون التغليب ، ومن وهم[١٤٤] أنّ القيد[١٤٥] المذكور[١٤٦] لأنه على قراءة الغيبة ، لا يحمل على تغليب غيره[١٤٧] عليه الصلاة والسلام ، إذ لم يعهد في كلامهم تغليب الغائب ، وإن كان أكثر ، على المخاطب ، ولا تغليب أحدهما على المتكلم ، فقد وهم ؛ حيث زعم أنّه لولا عدم العهد بتغليب الغائب[١٤٨] على المتكلم لكان الكلام المذكور حينئذ مظنّة التغليب ، وقد عرفت أنه ليس كذلك لصحة الكلام حينئذ بدون التغليب .

ثم أقول : زعم الزمخشري أن قولنا : « أنا وأنت فَعَلنا » تغليب للمتكلم[١٤٩] على المخاطب ، على ما صرّح به فيما نقلناه فيما سبق من كلامه .

ويردُ عليه أنّ الضمير[١٥٠] في فَعَلنا موضوع للمتكلم مع الغير[١٥١]، وقد استعمل في معناه الحقيقي فلا تغليب[١٥٢].

والجواب عنه بما ذكره الفاضل التفتازاني في شرح الكشاف ، وهو أنّ ذلك ، إذا لم يعبّر عن غيره بطريق الخطاب أو الغيبة ، أما إذا عبّر عنه باحدهما فحقُّه أن يجري على تلك الطريقة ، لا أن يجعل تابعاً للمتكلم ، لا يشفي[١٥٣]؛ لأنه لا يتحقّق به معنى[١٥٤] التغليب .

نعم يثبت العدول عن مقتضى الظاهر ، ولا يلزم التغليب ، بل هو أقرب الى الالتفات من التغليب ، كما لا يخفى على من أمعن النظر وأجاد ، والله وليّ الرشاد[١٥٥].

ثمّ قال السكّاكي : وكذا يذرؤكم ، في قوله تعالى : « جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الانعام أزواجاً[١٥٦] يذرؤكم فيه » (الشورى ١١) خطاباً شاملًا للعقلاء والانعام مغلّباً فيه المخاطبون على الغائب ، والعقلاء على ما لا يعقل[١٥٧]، بمعنى اقتضاء[١٥٨] المقام شمول الخطاب في يذرؤكم للعقلاء والانعام (والمخاطبين والغيّب)[١٥٩] ، وذلك بجمع التغليبين في لفظة[١٦٠] « كُم » ، فإنّ في مجيء الكاف دون الهاء تغليب المخاطبين على الغائب ، ومجيء[١٦١] الميم دون النون تغليب العقلاء على ما لا يعقل .

أقول : لقائل أن يمنع اقتضاء المقام شمول الخطاب فيه للفريقين ، ويقول : خُصّ[١٦٢] الخطاب بذوي العقول[١٦٣] لعدم صلاحية الخطاب في غيرهم . ثم إنّ تخصيص الخطاب بهم لا يستلزم[١٦٤] تخصيص الحكم المذكور بهم ، كما أنّ تخصيص الخطاب في قوله تعالى : « لكم » و « أنفسكم » ، لم يستلزم تخصيص الحكم المذكور بهم ثَمّة ، والسكوت عن بيان الحكم في الانعام لانفهامه[١٦٥] بطريق الدلالة ، وهذا من قبيل الإيجاز والاختصار ، فلا حاجة الى التغليب (كما لا يخفى على ذوي الاعتبار)[١٦٦].

ثم قال[١٦٧]: ومنه قولهم أبوان ، للأب والأمّ ، وقمران ، للشمس والقمر ، وخافقان ، للمغرب والمشرق .

قال الشارح[١٦٨]: والخافق هو المغرب ، من خَفَقَ النجم ، إذا غاب .

وقيل : المشرق ، لأنه تخفق فيه الكواكب ، أي تلمع .

أقول : التغليب فيه غير ظاهر ، بل الظاهر من كلام الجوهري ، حيث قال : والخافقان : أفقا المغرب والمشرق . قال ابن السكّيت : لأنّ الليل والنهار يخفقان فيه[١٦٩]، خلافه[١٧٠].

قال الترمذي : اعلم أنّ التغليب قد يكون لقوّة ما يُغَلَّبُ[١٧١] وفضله ، كما في « أبوان » وقد يكون لمجرد كونه مذكّرًا كما في : قمران[١٧٢]، وقد يكون لقلّة حروفه بالنسبة الى المغلّب عليه كما في « عُمَران »[١٧٣]، وقد يكون لكثرته كما تُلِي عليك فيما تقدّم[١٧٤] من الآيات المذكورة ، يعني في قصة شعيب[١٧٥]، وقصة لوط[١٧٦] وقصة مريم وقصة آدم عليهم[١٧٧] السلام .

وقال الأزهري : والعُمَران : أبو بكر وعُمَر[١٧٨]، فغُلِّب عمر ؛ لانّه أخفُّ الاسمين . (وقيل : المراد عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز)[١٧٩] . قال[١٨٠] : (وقيل : سُنّة العمرين قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز)[١٨١]، يعني ما جاء في الحديث أنّهم قالوا لعثمان (رض) يوم الدار : نسالك سُنّة العُمَرين[١٨٢].

ثم قال الأزهري : قال أبو عبيد[١٨٣]: فإن قيل كيف بُدِيء بعُمر[١٨٤] قبل أبي بكر وهو قبله ، وهو أفضل[١٨٥] ؟

قلنا[١٨٦]: العرب تفعل ذلك ، وتؤخّر[١٨٧] الافضل .. يقولون : ربيعة ومُضَر وسُليم وعامر ، ولم يترك قليلًا ولا كثيراً .

وعن قتادة[١٨٨] أنّه سئل عن عتق أمّهات الاولاد فقال : أعتق العُمَران فمن بينهما[١٨٩] من الخلفاء أمّهات الاولاد . ففي قول قتادة : العمران ، عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز . يعني أنه لم يكن بين أبي بكر وعمر خليفة[١٩٠].

أقول : قد عرفت فيما سبق أنّ التغليب من قبيل[١٩١] المجاز ، والتجوّز في نحو العمرين والقمرين[١٩٢] بحسب الصيغة لا بحسب المادة ، فإنّ صيغة التثنية[١٩٣] موضوعة بالوضع النوعي للمفردين[١٩٤] من جنس مادّته[١٩٥]. فإطلاقه على فردين أحدهما من جنس مادته والآخر لا من جنس مادته يكون مجازاً بطريق تغليب ما هو من جنس مادته على غيره ، ولا تجوّز في مفرده كما توهّمه الفاضل الشريف حيث قال في شرح المفتاح تبعاً للرضي : ومنها تغليب أحد المتناسبين على الآخر بان يطلق اسمه على الآخر ويثنّى بهذا الاعتبار قصداً اليهما ، ثمّ المعتبر هو الاسم الاخف ، إلّا أن يكون الاثقل مذكّراً كالقمرين . ثمّ إنّه لم يصب في عبارة الاثقل ، فإنّ أحد الاسمين اذا كان أخفّ يكون الآخر خفيفاً لا ثقيلًا ، فاين الاثقل[١٩٦]؟

فكان حقّه أن يقول : إلّا أن يكون الآخر مُذكُراً[١٩٧]. ثمّ قال : فإن قلت : مجرّداً اطلاق الاسم على الآخر لا يكفي في التثنية كما في المشتركين[١٩٨]، بل لا بدّ من الاشتراك في معنى ليصيرا من جنس واحد . قلت : هو مختلف فيه ، فقد جوّز بعضهم أن يقال : قَرْءان ، لطُهر وحَيض ، وعينان ، لجارية وباصرة .

أقول : لا يخفى ما في هذا الجواب على ذوي الالباب ، فإنّ المسالة المختلف فيها لا تصلح[١٩٩] أن تكون مبنى لامر مُتّفق[٢٠٠] عليه .

ثم قال : وأيضاً جاز أن يُجعل الآخر مسمّى باسمه ادّعاءاً ، ثم يُؤوّل الاسم بمعنى المُسمّى به ليحصل مفهوم يتناولهما فيُثنّى باعتباره كما قيل في العَلَم[٢٠١]، فيكون الأبوين[٢٠٢] المُسمَّيين بالأب .

ولا يخفى ما فيه أيضاً من التعسّف . وقد ردّه بعضهم على ما اعترف به نفسه في الحاشية[٢٠٣]، (بانّ هذا التاويل في العَلَم قليل ، بخلاف تثنيته وجمعه ، ثمّ قال في الحاشية)[٢٠٤]: والاولى أن يقال : الاعلام لكثرة استعمالها ، وكونُ الخفّة مطلوبةً فيها يكفي في تثنيتها وجمعها مجرّد الاشتراك في الاسم ، بخلاف أسماء الأجناس فتأمّل[٢٠٥].

تمّت الرسالة في التغليب[٢٠٦].

هوامش التحقيق

(١) الهاء في « وليّه » يعود على الحمد والله تعالى وليّ الحمد ، كما يقال الدار لمالكها . وانظر الصيغة ذاتها في مفتتح الفوائد الضيائية لنور الدين الجامي ١ / ١٦٣ .

(٢) ليست في ط.

(٣) في م : توسّع شائعٌ .

(٤) في ك : لسان .

(٥) في ط : حمل ، وهو تحريف .

(٦) سقطت (داخلًا) من الاصل .

(٧) في ط : التفرعي ، وهو تحريف .

(٨) في ك : في الواحدة ، وفي ط : بالوحدة .

(٩) سقطت (فانّه) من ك ، ط ، ومن الاصل .

(١٠) سقطت (القمرين) من ط.

(١١) في ط : التعدّد ، وهو تحريف .

(١٢) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء (يحشرهم) وقرأ باقي السبعة بالنون . الاقناع ٢ / ٧١٤ .

(١٣) كان موجب القياس : القانتات . وسياتي في ص..

(١٤) سقطت (على) من ط.

(١٥) التغليب في مخاطبة الرسول (ص) بصيغة المفرد في (ربّك) ثم في مخاطبته بصيغة الجمع في (تعملون) ليشمل المخاطب وغيره .

(١٦) يستعمل المصنّف لفظة الاعتبار بمعنى الاهتمام فعدّاها باللام ، كما فعل ذلك في عبرة ، حيث عدّاها باللام (هامش ٨) وقد شاعت بمعناها هذا عند المتاخرين ، حيث يقولون كتاب معتبر أي ذو أهمية . وليس كذلك معناها في أصل الوضع فهي من الاعتبار بمعنى الاتعاظ وتتعدّى بالباء .

(١٧) في ط : بالنكتة .

(١٨) في م ، ط ، ك : تعيين ، وهو أنسب .

(١٩) سقطت (إذ) من الاصل ، وفي ك ، ط : بل لا بدّ .

(٢٠) في ك ، ط : مخصَّص ومعيّن .

(٢١) في ط : والتخفيف في العمر .

(٢٢) في ط : فيما تعبدون .

(٢٣) في ط : وكانت ، وهو تحريف .

(٢٤) سقطت (وفي) من ط.

(٢٥) يريد بالقيد الاخير قوله في حدّ التغليب « ... داخلًا تحت حكمه في التعبير عنهما بعبارة مخصوصة للمغلّب » والمشاكلة ليست كذلك .

(٢٦) في ط : التبوع ، وهو تحريف .

(٢٧) في ك : يعتبر ، وهوَ تحريف .
(٢٨) في ط : في ، وهو تحريف .
(٢٩) في ط : هل يلزم في التغليب .
(٣٠) لم ترد (باب) في الاصل .
(٣١) في م : على .
(٣٢) سقطت (السعد) من ط ، والسعد هو مسعود بن عبدالله التفتازاني الملقّب بسعد الدين أصولي ، مفسر ، متكلم ، محدّث ، بلاغي ، توفي عام ٧٥١ هـ ، بغية الوعاة ٣٩١ ، الاعلام ٨ / ١١٣ .
(٣٣) في ط : عن ، وهو تحريف .
(٣٤) في ط : الشرح .
(٣٥) في ط : كلية ، وهو تحريف . والاشارة هنا الى قوله تعالى : لكن الله يشهد بما أُنزل اليك ، أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدا (النساء ١٦٦) .
(٣٦) سقطت (عنه) من م ، ط .
(٣٧) في ط : المضيّ .
(٣٨) في ط : يفعلان ، وهو تحريف .
(٣٩) في ط : كانه كله .
(٤٠) يعني السعد التفتازاني .
(٤١) سقطت (يعني) من ط .
(٤٢) سقطت (الماضي) من ط .
(٤٣) في ط : التحقيق ، وهو تحريف .
(٤٤) في ط : شبهة ، وهو تحريف .
(٤٥) كل وبعض وغير وذات ومثل من الالفاظ الملازمة للاضافة ، فلا تقترن بال التعريف في الفصيح ، ولكن ذلك شاع عند المتاخرين والمولّدين لا سيما بعد ترجمة النصوص الفلسفية عن اليونانية والسريانية وشيوع مصطلحاتهما .
(٤٦) سقط (باسم الجزء) من ط .
(٤٧) في ط : التشبيه .
(٤٨) سقطت (غير المتحقّق) من الاصل .
(٤٩) سقطت (بالمتحقّق) من ط .
(٥٠) ليست (كلا) في الاصل ولا في ط .
(٥١) في ط ليكون .
(٥٢) في الاصل : على أنّ كلًا ، وكذلك في ط .
(٥٣) في ط : ومنها أنّه ، وهو تحريف .
(٥٤) في ط : من معنى ، وهي زيادة .
(٥٥) أي التفتازاني في حاشية الكشاف .
(٥٦) في ط : وفي . (٥٧) في ط : تلتبس . وهو تحريف . (٥٨) في ط : اذا ، وهو تحريف . (٥٩) في ط : مما . (٦٠) في ط : في . (٦١) التلويح ١ / ٣٤٨ . (٦٢) أي التغليب . (٦٣) في ط : لانّ . (٦٤) أي التشبيه . (٦٥) في ط : واطلاق . (٦٦) في ط : الحرف . (٦٧) في ط : رجّح .
(٦٨) زاد في ط : من الوجهين .
(٦٩) سقطت (على الثاني) من ط .
(٧٠) في ط : أنّ شبهته .
(٧١) في ط : وكلّها ، وهو تحريف .
(٧٢) كذا في الاصل وفي م ، وهي زيادة .
(٧٣) في ط : بمن يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز .
(٧٤) في ط : الكلّ .
(٧٥) سقطت (من صور) من الاصل .
(٧٦) من قوله : في بحث الجمع .. وحتى قوله : فإنّ صغيرةً فيها » ص ١٨ سقط من ط ومقداره ٥٦ سطراً .
(٧٧) سقطت (بقوله) من م .
(٧٨) في م : تركب .
(٧٩) (واحد) ليس تفي م ، ط .
(٨٠) سقطت (امرأة) من م .
(٨١) سقط (وذلك ظاهر) من الاصل .
(٨٢) من الآية ٨٨ من سورة الاعراف .
(٨٣) مفتاح العلوم : ١١٦ .
(٨٤) سقط ما بين القوسين من م .
(٨٥) سقطت (نفعاً) من اوصل .
(٨٦) سقطت (كما لا يخفى) من الاصل .
(٨٧) في م : تركنا ، وهو تحريف .
(٨٨) الضمير يعود على شعيب ع .
(٨٩) في م : ومن هنا .
(٩٠) تمام الآية : قد افترينا على الله كذباً ، ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجّانا الله منها » الاعراف ٨٩ .
(٩١) في م : التمثيل ، وهو تحريف .
(٩٢) سقطت (في التعدية) من الاصل .
(٩٣) سقطت (في المعنى) من الاصل .
(٩٤) شرح الكافية للرضي ٢ / ٢٧٧ .
(٩٥) الضمير يعود على السكاكي صاحب المفتاح .
(٩٦) هنا ينتهي موضع السقط من ط الذي ابتدأ في ص ١٥ .
(٩٧) سقطت (النفس) من ط .
(٩٨) في ط : وكذلك ، وهو تحريف .
(٩٩) راجع هامش ٤٥ .
(١٠٠) سقطت (دلّت) من الاصل ، وفي ط : خانته في .
(١٠١) في ط : مستقبح .
(١٠٢) الكشاف ٤ / ١٣١ وفيه يستسمجونه مكان يستقبحونه .
(١٠٣) في ط : صغيرة .
(١٠٤) في ط : العدد ، وهو تحريف .
(١٠٥) كذا في النسخ ، وفي ط بدون إن ، وهو الوجه .
(١٠٦) كذا في النسخ والوجه : لجاز .
(١٠٧) سقطت (معاً) من ط .
(١٠٨) سقطت (ولا) من ط .
(١٠٩) في م : المجاز ، وهو تحريف ، ويريد بالحال حال حضور الاتباع أو عدمه .
(١١٠) الكشاف ٢ / ٣٧٠ . (١١١) في الاصل : للمذكّر . (١١٢) في ط : تغليباً . (١١٣) في في ط : للذكر .
(١١٤) لم ترد (الكاملين) في الاصل .
(١١٥) في ط : من .
(١١٦) في النسخ : المذكور ، وهو تحريف .
(١١٧) في ط : على ما . (١١٨) مفتاح العلوم ١١٦ . (١١٩) في ط : الشريف . (١٢٠) في ط : حقّ .
(١٢١) هو الزمخشري في الكشاف ٤ / ١٣٢ .
(١٢٢) في ط : أي .
(١٢٣) في ط : لا أدري .
(١٢٤) سقطت (النكتة) من الاصل .
(١٢٥) في ط : تقريب ، وهو تحريف .
(١٢٦) سقطت (بقية) من ط ومن الاصل .
(١٢٧) في الاصل وفي ط : المقام .

(١٢٨) في ط : لوصفها .
(١٢٩) في ط : يستوي فيه الاقوام .
(١٣٠) سقطت (على) من الاصل .
(١٣١) في م : جنساً ، وهو تحريف .
(١٣٢) سقط (منهم استثناء) من ط .
(١٣٣) في ط : واحداً .
(١٣٤) المفتاح ١١٦ .
(١٣٥) أي يعمه مع الملائكة .
(١٣٦) في ط : له .
(١٣٧) في ط : تكون ، وهو تحريف .
(١٣٨) في م : والملك ، وهو تحريف .
(١٣٩) قوله : من القصور ، متعلق بقوله : يتبيّن ما في التعليل .
(١٤٠) المفتاح ١١٦ .
(١٤١) هي قراءة ابن عامر من السبعة ، السبعة ٢٦٩ والاقناع ٦٤٣ .
(١٤٢) المفتاح ١١٦ .
(١٤٣) في م : الاستشهاد ، وهو تحريف .
(١٤٤) في م : فهم ، وهو تحريف ، وفي حاشية الاصل تعليق : ردّ للشريف الفاضل .
(١٤٥) في ط : القصد ، وهو تحريف .
(١٤٦) في ط : الذكور ، وهو تحريف .
(١٤٧) في ط : الغائبين .
(١٤٨) في ط : لتغليب الغائبين ، وهو تحريف .
(١٤٩) في ط : من تغليب المتكلم .
(١٥٠) في م : المضمر .
(١٥١) ينظر تعليق ٤٥ .
(١٥٢) سقطت عبارة (فلا تغليب من م .
(١٥٣) قوله : لا يخفى ، خبر عن قوله : والجواب عنه ... » .
(١٥٤) في ط : لا تحقق مع التغليب ، وهو تحريف .
(١٥٥) في م : الارشاد ، وفي ط سقطت العبارة كلها .
(١٥٦) سقطت (ومن الانعام أزواجاً) من ط بسبب انتقال النظر .
(١٥٧) مفتاح العلوم ١١٦ .
(١٥٨) في ط : يعني اقتضى .
(١٥٩) زيادة من ط .

(١٦٠) في ط : وجمع ذلك التغليب في لفظة لم .
(١٦١) في ط : وفي مجيء .
(١٦٢) في ط : خُصّ .
(١٦٣) في ط : العقل .
(١٦٤) في ط : في قوله تعالى : من أنفسكم ، لم يستلزم .
(١٦٥) كذا في النسخ ، وفي ط : لاستفهامه .
(١٦٦) سقط ما بين القوسين من ط .
(١٦٧) في ط : السكاكي .
(١٦٨) يريد الشريف الجرجاني .
(١٦٩) في ط وفي الصحاح : فيهما (خلق) .

(١٧٠) (خلافه) خبر عن (والظاهر) في بداية العبارة .
(١٧١) في ط : بفعله ، وهو تحريف .
(١٧٢) في ط : القمرين .
(١٧٣) في ط : القمرين ، وهو تحريف .
(١٧٤) سقط (فيما تقدم) من ط .
(١٧٥) زاد في ط : عليه الصلاة والسلام ، وهذا يرد عادة في أعقاب كل من ذكر من الانبياء .

(١٧٦) سقطت (وقصة لوط) من ط .
(١٧٧) في ط : عليهما .
(١٧٨) في ط : رضي الله عنهما .
(١٧٩) سقط ما بين القوسين من طبعة التهذيب .
(١٨٠) أي ابن السكّيت الذي نقل عنه الازهري وابن السكيت يروي عن الفراء عن معاذ الهراء ، وكلمة (قال) زيادة من التهذيب ، وانظر اصلاح المنطق : ٩١ ، ٢٥١ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، والمشوف المعلم للعكبري : ٥٠٧ .

(١٨١) ما بين القوسين سقط من ط ، وفي الاصلاح والمشوف المعلم : سيرة .
(١٨٢) تهذيب اللغة ٢ / ٣٨٧ (عمر) وانظر المثنى لابي الطيب اللغوي ص ٤ .
(١٨٣) في التهذيب والاصلاح والمشوف المعلم : أبو عبيدة ، وكذلك في المثنى لأبي الطيب .
(١٨٤) زاد في ط : رضي الله عنه .
(١٨٥) في ط : وأفضل ، وكذلك في الاصلاح والمشوف المعلم للعكبري ط جامعة أم القرى .
(١٨٦) في ك : قلت .
(١٨٧) في ك ، ط : ويؤخّر الخير الافضل .
(١٨٨) أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري الاكمه ، كان تابعياً وعالماً كبيراً ، نسابة ، جامعاً لاخبار الشعر ، ولد سنة ٦٠ هـ وتوفي بواسط سنة ١١٧ هـ . طبقات ابن سعد ٧ / ٢٢٩ وابن خلكان ٤ / ٨٥ وياقوت ١٧ / ٩ .
(١٨٩) في م : يليهما ، ولا إشكال فيه . ويبدو أن هذا هو أصل-الخبر .
(١٩٠) زاد في ط وكذلك في الاصلاح والمشوف المعلم : رضي الله عنهما . وانظر التهذيب ٢ / ٣٨٧ .
(١٩١) في ط : باب .

(١٩٢) سقطت (العمرين و) من نسخة الاصل .
(١٩٣) في ط : التشبيه ، وهو تحريف .
(١٩٤) في ط : لفردين .
(١٩٥) أي مادة المثنى مثل رجل ورجلان .
(١٩٦) قوله : المعتبر هو الاخف ، يقتضي أن أحد الاسمين خفيف والاخر أخفّ منه ، ثم انتقض هذا بقوله : إلا أن يكون الاثقل مذكراً ، لان هذا يقتضي أنّ هناك ثقيلًا وأثقل .

(١٩٧) في ط : مذكوراً ، وهو تحريف .
(١٩٨) في ط ، ك : المشترك .
(١٩٩) في ط : تصح .
(٢٠٠) في ط : مثنى لامرين ، وهو تحريف .
(٢٠١) مثل العمرين والخبيبين والخالدين .
(٢٠٢) في ط : الابوان للمسميين بالاسباب ، وهو تحريف . والوجه : معنى الابوين ، أي الام والاب ، وهو كذلك في شرح المفتاح (خ) .
(٢٠٣) يريد حاشية المطول .
(٢٠٤) سقط ما بين القوسين من ط ، ك ومن الاصل بسبب انتقال النظر .
(٢٠٥) زيادة من م . وفي ط : انتهى .
(٢٠٦) في م : تمت الرسالة وهي لكمال باشا زادة .

أوراق من كتاب

ذيل الحيوان للسيوطي

تحقيق وتقديم :
د. صلاح الفرطوسي
كلية التربية ـ جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

في ربيع عام ١٩٨٤ م كنت في زيارة لصديقي العالم الجليل الاستاذ محمد العربي الخطابي أمين الخزانة الحسنية بالرباط، فاطلعني جزاه الله كل خير على بعض نفائسها، وكان من بينها المخطوط الذي أقدمه اليوم (كتاب ذيل الحيوان لشيخ الاسلام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي) فقد نسخ في حياة مؤلفه، وبعد أقل من سنة من تاليفه إذ ذكر الناسخ في الصفحة الاخيرة من المخطوط نقلاً عن السيوطي (قال مؤلفه فسح الله في أجله وأمتع بوجوده فرغت « من تاليفه » يوم السبت تاسع عشر ذي القعدة سنة احدى وتسعماية أحسن الله عاقبته) أي : انه ألفه في العقد الاخير من حياته، فقد كانت وفاة السيوطي سنة ٩١١ هـ، أي : بعد كمال نضجه العلمي والثقافي. وذكر الناسخ (محمد بن علي بن سود بن الابراهيم الحنفي) انه فرغ من نسخه (في اليوم المبارك يوم الخميس حادي عشر ذي الحجة الحرام سنة اثنين وتسعماية).

وقد سارع الاستاذ الخطابي بتصوير المخطوط حينما علم برغبتي بتحقيقه جزاه الله خير الجزاء وابقاه نخراً لمحبي التراث والقائمين عليه. ومما يؤسف عليه ان في المخطوط المذكور سقطاً لا يعرف مقداره، ورأيت من المفيد جداً أن أقوم بنشره وأن اقدم له ففيه مادة حرف الهمزة والباء والتاء والثاء وجزء من مادة حرف الجيم.

التاليف في الحيوان

قبل أكثر من ربع قرن من الزمان تطرق استاذنا الدكتور حسين نصار في كتابه المعجم العربي نشاته وتطوره ١ / ١٢٢ ـ ١٣٤ الى كتب الحيوان وما ألّف فيه، وخص كتب الحشرات والخيل بعنايته فذكر أحد عشر مؤلفاً في الحشرات، ورأى أن أول من ألف فيها أبو خيرة الاعرابي، وهو من رواة اللغة في القرن الثاني الهجري وقد روى كتابه الحشرات أبو عمرو بن العلاء، وتوقف الدكتور حسين عند كتاب أبي الحسن الاخفش الاصغر (٣١٥ هـ) الذي ألّف كتاب الجراد.

وذكر ستةً وثلاثين مؤلفاً في الخيل ورأى أن أول من ألّف فيها أبو مالك عمرو بن كركرة، وهو من الرواة الذين أخذ عنهم الخليل وغيره، ورأى ان للحروب المتصلة بين المشرق والمغرب، ولا سيما الحروب الصليبية أثراً في محاولة التاليف في هذا الجانب من البحث إذ اتسمت بعض هذه التأليف بصبغة لغوية أدبية منها كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل الاندلسي.

وفي سنة ١٩٧٢ نشر صديقنا الدكتور محمد باقر علوان بحثاً قيماً في مجلة المورد الغراء في مجلدها الاول العدد الثالث والرابع بعنوان كتب الحيوان عند العرب قسمها عدة أقسام هي :

١ ـ الكتب التي تبحث عن نوع واحد من أنواع الحيوان ككتب الخيل والإبل وغيرها.
٢ ـ الكتب التي تبحث عن طبائع الحيوان.
٣ ـ الكتب التي تهتم بعلاج الحيوان.
٤ ـ الكتب التي تهتم بما يمت الى الحيوان بصلة ككتب السرج واللجام وغيرها.
٥ ـ الكتب التي تبحث عن اسماء الحيوان وصفاته والوانه وأفعاله وما الى ذلك.
٦ ـ الكتب التي تبحث عن غرائب المخلوقات كالجن والسعالى وما الى ذلك.
٧ ـ الكتب التي تبحث عما يباح أكله وما يحرم حسب الشرع الاسلامي.
٨ ـ وأخيراً الكتب التي تبحث عن الحيوان عامة وبجميع مظاهره.

ثم قدم قائمة بالنوع الاخير بلغ عدد الكتب فيها ثمانية وسبعين كتاباً. بين مطبوع ومخطوط.

فإذا أضفنا الى هذه القوائم قوائم الكتب التي ألفت في الموضوعات الاخرى، والفصول التي عقدت للحيوان في معاجم الموضوعات كالغريب المصنف والمخصص وكفاية المتحفظ وفقه اللغة وما ورد من اسماء حيوانات وما يتعلق بها في معجماتنا اللغوية كالعين والتهذيب والجمهرة والمحكم والمحيط والمقاييس واللسان والصحاح والقاموس والتاج وغيرها استطعنا أن نتصور الجهد الهائل الذي بذله علماء العربية في هذا الجانب من البحث، حتى اننا نستطيع أن نقرر باطمئنان ان ما قدمه العرب للحضارة الانسانية في هذا الميدان يفوق ما قدمته الامم الاخرى مجتمعة.

وأفاد علماء العربية أيضاً من جهود الامم التي سبقتهم في هذا الميدان فترجموا كثيراً من كتب الحيوان الى العربية منذ أقدم عصور الحضارة العربية الاسلامية ككتاب الحيوان لديموقراتيس وكتاب الحيوان لارسطو طاليس وغيرهما .

ولعل أهم كتاب ألف في الحيوان وما زال يلقى رواجاً واسعاً هو كتاب حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ فقد طبع غير مرة واختصره مؤلفون كثيرون ذكر منهم الدكتور محمد باقر علوان شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني وتقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي ومحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد المعروف بابن قاضي شهبة والسيوطي والميداني والهروي وغيرهم .

وترجم محمد تقي التبريزي كتاب الدميري الى الفارسية .

وترجم كتاب الدميري عبدالرحمن السيراسي الى التركية .

وذيّل كتاب الحيوان القاضي جمال الدين محمد بن علي وسمى تذييله (طيب الحيوان) .

وذيّله أيضاً جلال الدين السيوطي الذي أعنى بتحقيق كتابه .

وللسيوطي قبل الذيل كما ذكرنا اختصار للكتاب سماه ديوان الحيوان وقد ترجمه الى اللاتينية ابراهيم الحقلاني وطبع بباريس سنة ١٦٤٧ م .

ومن العبث أن نكتب ترجمة لجلال الدين السيوطي بعد ما ترجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة ، وبعد كل ما كتب عنه من كتب ورسائل جامعية ، وبعد الرسالة القيمة التي كتبها عنه الدكتور عدنان محمد سلمان خاصة وقد طبعت ببغداد سنة ١٩٧٦ .

وليس خافياً على الباحثين في الدراسات النحوية والصرفية واللغوية والبلاغية والدينية والتاريخية والفلسفية ان السيوطي كان أمام زمانه في جميع هذه العلوم .

بلغت مؤلفاته حداً يفوق التصور وقد أحصى له الدكتور عدنان أكثر من سبعمائة مصنف في مختلف الفنون وعزا اسباب كثرتها الى سرعته في الكتابة والتأليف ، وعدم اهتمامه بالمناصب الحكومية ، وتصدره للافتاء والتدريس ، وفرط حساسيته إذ كثيراً ما يدفعه غضبه الى التأليف للرد على منافسيه وتفرغه التام للتأليف في اخريات أيامه وغيرها من اسباب تغمده الله بواسع رحمته وتجاوز عن خطاياه وخطايانا انه سميع الدعاء .

والراجح عندي ان السيوطي ألف كتابه الذيل (بروكلمان ٢ / ١٣٨ الملحق ٢ / ١٧١) بعد اختصاره كتاب حياة الحيوان الذي سماه (ديوان الحيوان) .

والكتاب استدراك على حيوان الدميري وقد رتب مادته على حروف المعجم بحسب الترتيب الألف بائي المشرقي وهو يعنى بالحرف الاول من المادة ولا يلتفت الى حشوها ، ويندر أن يستشهد بمنظوم أو منثور لتوثيق مادته .

ولا أريد أن أتحدث عن الكتاب فهو بين يدي القارىء الكريم بقدر ما اريد أن أتحدث عن مصادره فيه ، إذ المعروف عن السيوطي اعتماده في التأليف على جهود سابقيه ، وهو أمر لا يقلل من قيمة أكثر مؤلفاته إذ ان ميزة المنهج وطريقة العرض تبقى من سمات مؤلفاته . وإذا كان السيوطي يعتمد على جهود سابقيه ، فان غيره يعتمد عليها أيضاً .

ومصادره تنقسم على قسمين منظورة وغير منظورة .

أما المنظور منها فينقسم على قسمين أيضاً :

أ ـ كتب ذكر أسماءها أذكرها بحسب تسلسل ورودها في الكتاب ، وهي :

١ ـ القاموس المحيط للفيروز ابادي : ذكره في مادة الاربيان والارخيه والتلد والتبج والجعبى والجشنة .

٢ ـ مفردات ابن البيطار : ذكره في مادة الاربيان واسفنج البحر .

٣ ـ كفاية المتحفظ لابن الاجدابي : ذكره في مادة الأرخ والاقمر والتنفل .

٤ ـ الزنبيل لابن خالويه : ذكره في مادة بغير والتفا .

ب ـ أعلام ذكر أسماءهم ولم يذكر مؤلفاتهم أذكرهم بحسب تسلسل ورودهم في الكتاب وهم :

١ ـ النضر بن شميل : ذكره في مادة الابخث والاعرج والاكبر .

٢ ـ أبو حاتم السجستاني : ذكره في مادة زج والأبرق والبتراء والبهلة والتلدة والتميز والتبج والجشنة .

٣ ـ الليث : ذكره في مادة الاعيرج .

٤ ـ القمي : ذكره في مادة الاعيرج والإمر والاصرمان .

٥ ـ الأصمعي : ذكره في مادة الثمرة .

٦ ـ ابن خالويه : ذكره في مادة الجفول (وانظر حاشية المادة) .

مصادره غير المنظورة

وتنحصر في كتاب القاموس المحيط للفيروز ابادي إذ ان أكثر من سبع وتسعين بالمئة من مادة الكتاب منقولة حرفياً من القاموس دون زيادة أو نقصان ، ولولا القاموس لتعذر عليّ قراءة كثير من كلمات المخطوط بسبب سوء تصويره وما أصابه من عوادي الزمن وآفاته .

وسأذكر لك أعزك الله أمثلة ولك بعدها أن نوازن بين مادة الذيل والمادة نفسها في القاموس .

الاصل : الاشرف : الخفاش ، وطائر آخر لا وكر له لا يسقط إلا ريثما يجعل لبيضه انحوصاً من تراب ويبيض ويغطي عليه ويطير وبيضه يتنفس بنفسه فإذا أطاق فرخه الطيران كان كابويه في عادتهما . والمادة منقولة حرفياً من القاموس (شرف) ..

ـ الازمولة وكبرزنونة : المصوّت من الوعول وغيرها . والمادة منقولة حرفياً من القاموس (زمل) .

ـ الاعصم من الظباء والوعول : ما في ذراعيه أو أحدهما بياض

وسائرها أسود أو أحمر . والمادة منقولة حرفياً من القاموس (عصم) وانظر أيضاً المواد (الاصنف) ، (الاجام) ، (الاخزم) ، (الاصم) (البلت) (البلكثة) ، (البدح) ، (البقرة) ، (البرص) (البلص) وغيرها كثير .

والسيوطي ينقل عن القاموس أحياناً دون تمحيص كقوله :

الجعب : الكثيبة من البقر ، ولا معنى لما نقل ، إذ لا يوجد حيوان بهذا الاسم ، ولا معنى لقوله : الكثيبة من البقر ، والصواب ما جاء في القاموس (جعب) (الجعب : الكثيبة من البعر) بعين غير معجمة وكقوله : الجنبخ كقنفذ : الجراد الضخم ، وهو خطأ سببه ان مادة (جنبخ) تقدمت مادة (جندخ) في القاموس ومن معاني مادة (جنبخ) الضخم ، والصواب ما أثبته في المتن عن القاموس (جندغ) .

ولم يكن دقيقاً في كل ما استدركه علي الدميري .

جاء في الذيل : (الابرد : النمر والانثى : برداء والجمع : أبارد) وجاء في حياة الحيوان مادة النمر ٢ / ٦٣٧ وكنيته أبو الابرد وأبو الاسود ... الخ وهو أبو الابرد في المرصع ٥٥ .

وجاء في الذيل (البريد : الفرانق لانه ينذر قدام الأسد) وورد الاسم في حياة الحيوان الكبرى في مادتي الببر ١ / ١٩٠ والفرانق ٢ / ٣٩٠ .

وجاء في الذيل (البوه والبوهة : الصقر سقط ريشه) وفي حياة الحيوان ١ / ٢٦٩ البوه : طائر يشبه البوم والانثى بوهة .

وجاء في الذيل (الترمل كقنفذ : دابة) وفي حياة الحيوان ١ / ٢٨٦ الترملة انثى الثعلب .

وجاء في الذيل (الجزرة : الشاة السمينة ، والجمع : جزر) وجاء في حياة الحيوان ١ / ٣٢٧ الجزور من الضأن خاصة ماخوذة من الجزر أي : القطع .

كتاب ذيل الحيوان

تاليف شيخ الاسلام العالم العامل
العلامة فريد دهره ووحيد عصره
جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي
أمتع الله بوجوده آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعمَ وصلّى الله على رسوله محمد وسَلَّمَ . هذا ما وقع الوعدُ به من إفراد الحيوان الزائد على ما في كتاب الشيخ كمال الدين الدُّميري رحمه الله مرتباً على حروف المعجم .

باب الهمزة

الأربُ بالضم : صِغارُ البُهْم ساعة تُولدُ .

الإربيانُ[١] بالكسر : سمكٌ ، قاله في القاموس ، وفي المفردات لابن البيطار .

الأزمان بالزاي : قيل : هو الجراد ، وقيل : الجراد البحري ، ويقال أيضاً : رومان .

الاخْطُبانُ[٢] : طائر .

الأذب بالذّال المعجمة : الثور الوحشي ، ويقال له أيضاً : الدَّبُ ، وذَبُ الرِّياد[٣] ، والذُّنْبُبُ كقُنْفُذ .

الأزنبُ[٤] : جرذ قصير الذَّنب ، وكذا اليَزْنَبُ .

الأزهابُ بالفتح : ما لا يصيد[٥] من الطَّير .

الأزيْبُ بزاي ثم مثنّاة تحتية كالأحمر : القنفذ .

الألفتُ : التَّيسُ المُلتوي أحدُ قرنيهِ .

الأبْخَثُ[٦] بموحدة ومعجمة : طائرٌ قريبٌ من الاغبر ، والجمع : بخ . قال أبو نؤاس :

أعددت للبختانِ حتفا .

وقال : لا يوئل الابخث من حذره .

وقال النضر بن شميل : كل طائر أبخثُ فيه كدرة ، والبخث : شكلة كلون الرَّماد .

أدمج ، كاحمد : اسم النُّفجة .

اسفنج البحر : في مفردات ابن البيطار ، زعم بعضهم انه حيوان ، وليس كذلك بل هو شيءٌ يُشبهُ الليف يتكوّن على الحجارة[٧] .
الأزَجّ[٨] : الظليم يطول خطوه كانه يزجّ برجليه زجّا إذا مشى قُدُماً لا يقبضهما ولا يثنيهما كانهما حرفا فاسٍ ، والانثى : زجّاءُ ، والجمع : زجٌ قاله أو حاتم .
الإضْريجُ[٩] : الفرسُ الجواد .
الأعْرَجُ[١٠] : الغُرابُ لانه إذا مشى توثّب كانه مُقيَّدٌ .
قاله النضر .
الأعَيْرِجُ : حيّةٌ صمّاءُ لا تقبلُ الرُّقْيَة وتطفِرُ كالافعى ، قال الليث[١١] : لا تؤنثُ ، والجمعُ أعَيْرِجاتٌ ، وقال القمّي : الاعيرجُ : الحيَّةُ الذَّكَرُ الخبيثُ .
الأقْلَحُ : الجُعَلُ .
الإرخ ، ويُكسرُ : الذّكر من البقر ، والأرْخِيُّ بالضم : الفتيُّ منه ، والإراخُ ككتاب : بقرُ الوَحْش ، والأرْخِيَّةُ[١٢] : ولد التَّيْتَلِ ، كذا في القاموس .
وفي كفاية المتحفظ[١٣] الأرْخُ : البرة الفتية من بقر الوحش وجمعها إراخ بكسر الالف .
الأبْرَدُ[١٤] : النمرُ والانثى برداء ، والجمع : أبارد .
الأسود : العصفور ، وكذا السُّوادِيَّةُ[١٥] .
الأعْقَدُ[١٦] : الكلبُ القصير ، والجمع : عُقَدٌ ، قاله ابنُ خالويه في الزنبيل .
الاكبد[١٧] : طائر يكون في الحرم ظهره أغْبَرُ وبطنه أسودُ ، وهو عصفور قاله النضر .
الانقد[١٨] بالفتح ، والإنقدانُ بالكسر : السُّلَحْفاةُ ، احدى بنات طبق : الحَيَّةُ .
بنات[١٩] الأكْدَر : حميرُ وحشٍ منسوبةٌ (٢) الى فحل منها
الإزارُ : العُقابُ والنعجة ، وتدعى للحلب فيقال : إزار إزار .
الأذَيْبِرُ : ضرب من الحيَّاتِ .
الأزْفَر : الفرسُ العظيم الجنبين ، والجمعُ : زُفْرٌ[٢٠] .
الأزْهَرُ : الثَّوْر الوحشيُّ ، والزُّهْرُ : البقرة الوحشية .
الأشْمَرُ : ابن الظبية .
الأظْفَرُ[٢١] : كبارُ القردان .
الأعفر[٢٢] من الظباء : ما يَعْلو بياضه حُمرة كالذي في سراته وأقرابه[٢٣] بيضٌ ، أو الابيضُ ليس بالشديد البياض والانثى عفراء .
الأعْوَرُ : الغراب ، وكذا العُوَيْرُ لحدّةِ بَصَره .
الاقمر : الأبيض من الحمير الوحشية ، والجمع : قُمْرٌ ، ذكره في كفاية المتحفظ[٢٤] .
الإمَّرُ : الخروفُ . قال القمي : من أمثالهم[٢٥] في نفي الشيء : ما لفلان إمَّرٌ ولا إمَّرة ، الإمَّرُ : الخروف ، وهو الذكرُ والإمَّرة الرَّخل ، وهي أنثى .
الانمر من الخيل والنَّعَم : ما على شِبْهِ النَّمِر .
الأمْعوزُ : السربُ من الظباء أو جماعة الاوعال ، والجمع[٢٦] : أماعز وأماعيز .
الأبْسُ : ذكرُ السَّلاحِف .
الأخْنَسُ : القراد .
الأدْبَسُ من الطير : الذي لونه بين السَّواد والحمرة .
الأصْوَصُ : النّاقةُ الحائلُ السَّمينةُ ، ومن أمثالهم[٢٧] : أصْوَصٌ عليها صُوصٌ ، والصُّوصُ : الرَّجلُ اللئيم .
الأخْصَانِ[٢٨] : العَبْدُ والحمار .
الأعْقَصُ من التيوس : ما التوى قَرْناه على أذُنيهِ من خلفهِ .

الأرقط : النَّمِرُ ، ومن الغنم الأبغثُ .
أبواغ[٢٩]: اسم النعجة مَغرِفَةٌ وتدعى للحلب بها .
الاشقعُ بالقاف : طويرٌ كالعصفور ، وفي ريشهِ خُضْرةٌ ، رأسه أبيضُ ، والجمعُ : أساقعُ .
الأصقعُ[٣٠] بالقاف : طائرٌ ، وهو الصُفاريةُ .
الأصَيلعُ[٣١]: حيّة دقيقة العُنُق رأسها كبُنْدُقةٍ .
الأوْدَعُ : اليَرْبوعُ ، وكذا الوَدْعُ ، ويُحرَّكُ[٣١].
الأبْدَعُ[٣٢] : طائر .
الأفْشَغُ بفاء ومعجمتين : كَبْشٌ ذهب قرناه كذا وكذا .
الأخْصَفُ[٣٤] بخاء معجمة وصاد مهملةٍ وفاء : الابيضُ الخاصرتين من الخيل ، والظَّلِيمُ الذي فيه بياض وسواد .
الاخضف[٣٥] بمعجمتين وفاء : الحيّةُ .
الأخلَفُ[٣٦]: الحيّةُ الذَّكر .
الأسْعَفُ[٣٧] بمهملتين من الخيل : الأبْيَضُ .
الاستَفُ[٣٨] من الظلمان : الاعوجُ العنق .
الأشرَفُ[٣٩] : الخفاش ، وطائر آخر لا رِتْز له لا يسقط إلا ريثما يحملُ لبيضهِ أفحوصاً من تراب وبييضُ ، ويغطّي عليه ويطيرُ ، وبيضه يتفقّسُ[٤٠] بنفسه ، فاذا أطاق فرخهُ الطيران كان كأبويه في عادتهما .
الاصنف[٤١] : الظليم المتقشر الساقين .
الابرق : طائر ياكل الدُّخْنَ ، والجمعُ بُرْقٌ[٤٢] ، قاله أبو حاتم .
الإجْلُ[٤٣] : القطيعُ من الظباء ، والجمع : اجال .
الإرْتِلُ : الارنب .
الأرْمُولةُ[٤٤] وكبرذونة : المُصَوّتُ من الوعول وغيرها .
أرْغُلان بضم الهمزة والراء والعين وتشديد اللام : الدباس ، والقباري ، والصلاحي ، [٣] وذوات الاطوق ..
الاجام[٤٥] : الضَّفادعُ .
الأخْزمُ[٤٦] : الحيّةُ الذَّكَرُ .
الأزْزمُ : السِّنَّور .
الأصْرمانِ[٤٧] أيضاً : الصُّرَدُ والغُرابُ . قال القمّي : من أمثالهم[٤٨] : تركتُ فلاناً بوحشِ الاصرمين ، وهما الغُرابُ والصُّرَدُ ، ومعناه تركتُهُ بفلاة لا أنيس بها .
الأصَمُّ[٤٩] : الحيّةُ لا تقبل الرُّقَى .
الأعْصَمُ[٥٠] من الظباء والوعول : ما في ذراعيهِ ، أو أحدهما بياض وسائرها أسودُ أو أحمرُ .
الأكْشَمُ والكُشَمُ[٥١]: الفَهْدُ .
الأذَنَةُ محرّكَةً[٥٢] : صغار الإبل والغنم ، والجمعُ : أذُنٌ .
الأوانُ : السلاحف ، قال كراع[٥٣] : ولم يُسْمَع لها بواحد .
الأيْنُ : الحَمَلُ .
الأفْنونُ بالضم : الحيّةُ .
الإرْبِيانُ[٥٤] بالكسر : سمكٌ كالدُّود .
الأعْثَى[٥٥] : الضبعانُ الذكر ، والأنثى عَثْواء .

باب الباء

البُلَتُ[١] بمثناة كصُرَدٍ : طائر محترقُ الرِّيش ، إن وقعت ريشةٌ منه في الطَّير أحرقَتْهُ .

البَخْتُ بمثلثةٍ : الحيةُ العَظيمةُ[٢].
البَلْكَثَةُ[٣] بمثلثةٍ : فارةٌ عظيمة .
البَذْخُ[٤] بالفتح : نوعٌ من السمك .
أبن بَريحٍ : كامير[٥] : الغرابُ .
البُدُّ بالضم : البعوض .
البَريدُ[٦] : الفُرانِقُ لانه يُنذِر قدّام الاسد .
بَزدةٌ[٧] : علم للنعجة .
البَيْدانة[٨] : الحمار الوحشية ، والجمع : بيدانات .
البِرُّ : زلد الثعلب والفارة والجرذ ، يقال[٩] : فلان لا يعرفُ هِرّاً من بِرٍّ ، أي : القطّ من الفار .
بغْير[١٠] في التبيان ، قال الطرطوشي في مصالح الملوك : هي دويبة تكون بخراسان تَسْمُن على التَّعَب والشَّقاء . قال : وعظماء الترك يقولون[١١]... للقياد ، وهو زعيم القوم في القتال ، أن يكون فيه عشرُ خصالٍ من أخلاق البهائم : سخاء ... ... سخت الدَّجاجة ، وقلبُ الاسد ، وحَمْلةُ الخنزير ، ورَوَغانُ الثَّعلب ، وصَبْرُ الكلب ، وحَراسةُ الكركي ، وعيارة الذيب ، وسُمْنُ بغير ، وهي دابّةٌ تَسْمُن على الشَّقاء . انتهى .
البتراء : قال أبو حاتم[١٢] : هي التي تطير من تحت قدم الانسان وهو لا يشعر ، تطير قريباً من الارض ، ثم تقع في الحشيش قصيرة[١٣]...
البَقَرة[١٤]: طائرٌ أبْرَقُ أو أَطْحَلُ[١٥] أو أبيضُ ، والجمع : بَقَرٌ .
البَرَص[١٦] بالفتح: دويبة تكون في البئر .
البُعْصُوصَةُ[١٧] كالعُصْفُورة : دويبة صغيرة بيضاء لها بريق .
البِلَّصُ[١٨] والبِلَّوْصُ والبَلَصَةُ : أبو بُرَيْصٍ .
البَلَنْصَى[١٩] : طائر أخضرُ البيض ، والجمع : بلاصِيّ .
البَلَصِيُّ[٢٠] كزِمِكّي : طائر كالصُّرَد الواحد : بِلَّصٌ أو بَلَصُوٌ وبَلَصُوَةٌ .
ابنُ[٢١] بَلَصَى : طائر .
البطيطَةُ[٢٢] : الحَجَلَةُ .
البُلْقوطُ[٢٣] : طائر .
الباقِعُ[٢٤] : الضَّبُع ، والغُرابُ الأبقع ، والكَلْبُ الابقع .
البائع[٢٥] : ولد الظَّبي إذا باع في مشيه ، والجمع : بُوع .
البُلْغُلُغُ[٢٦] بالضم : طائرٌ مائيٌّ طويل العُنُق .
البُعُّ[٢٧] بالضم : الجَمَلُ الصغير والأنثى : بُعَّةٌ / (٤) .
البَرَقُ[٢٨] مُحرَّكٌ : الحمل ، معرَّبٌ ، والجمع : أبْراق وبُرقان بالكسر والضم .
البُقّاقُ[٢٩] : طائر صيّاح ، الواحدة : بُقّاقة .
البَهْمَنَة[٣٠] : هنيّة طويلةُ الرجلين غبراءُ طويلةُ الرقبة والمنقار .
قال أبو حاتم : البَوْزَكَةُ كقَسْوَرَةٍ[٣١]: القنفذة .
البَرَشْتُوك[٣٢] كسَقَنْقُور : سمك .
البُنْبُكُ[٣٣] : كقُنْفُذٍ وجَنْدَلٍ : دابّةٌ كالدُّلفين أو سمكٌ يقطعُ الرجل[٣٤] نصفين فيبلعه[٣٥] .
البُرْعُلُ[٣٦] كقُنْفُذ : ولد الضَّبُع أو ولد الوبر من ابن آوى .
البُلْبُلُ[٣٧] : سمكٌ قدر الكفّ .
البَهْذَلَةُ : طائر أخضرُ بعِظَمِ الصُّجْرَة ، والجمع : بَهْذَلٌ ، قاله أبو حاتم[٣٧].

البُرَامُ[٣٨] كغُراب : القراد ، والجمع : أبْرِمَةٌ .
البَلَمُ[٣٩] مُحرّكٌ : صغارُ السمك .
البُمُ[٤٠] : البوم .
البدن[٤١] : الوَعِلُ المُسِنُّ .
البُنّيُّ كقُمّيّ[٤٢] : ضربٌ من السمك .
البُوهُ[٤٣] والبُوهَةُ : الصُقر سقَطَ[٤٤] ريشُهُ .

باب التاء

التُّلَجُ[١] كَصُرَد : فَرْخُ العقاب .
التُّنجيُّ[٢] بالضم : ضربٌ من الطير .
التُلُدُ بالضمِّ[٣] : فَرْخُ العقاب ، قاله في القاموس . وقال أبو حاتم[٤] : التُّلْدة .
التُّرُّ[٥] : السّريع الرَّكْض من البراذين كالمُنْتَرّ .
التُّمَرَةُ[٦] كقُبَرَةٍ أو ابنُ تُمْرَة : طائر أصغر من العصفور . وقال[٧] أبو حاتم : التُّمَيْرُ ، وهو أبو تَمْرَة ، وأظنه التُّمَرة : أصغر ما يكونُ من الطير يجرس الرُّطَب[٨] والشّجر كما يَجْرُس النحل والدَّبر . وقال[٩] الاصمعي : التمَرة : هو النسك بالفارسية ، وأنشد :
واحتمل اليُتّم فُرَيْخ التُّمَره
التُّهِبِّطُ[١٠] بكسراتٍ مشدد الباء : طائر أغبرُ قدر فَرُوج الدجاجة يُفلِّقُ رجليه ويُصَوِّبُ رأسهُ ثم يُصَوِّت ويصوت كانه يقول : أنا أموت أنا أموت .
التُّفَفَةُ[١١] كهُمَزَة : دودة صغيرة تؤثر في الجلد .
التُّفْلِقُ كزِبْرِج : منْ طير الماء .
التُّتفُلُ[١٢] : ولد الثعلب . قاله في كفاية المتحفظ[١٣] .
التُّرْهَةُ[١٤] : دويبّةٌ في الرمل ، والجمع : تُرُهات .
التُّرْخُم[١٥] واليَرخُوم بالمثناة من فوق ومن تحت : الذكر من الرخم .
التُّفا[١٦] : قال في التبيان : هو سِنَّورُ البَرّ قريبٌ من الثعلب على شكل السِّنّور الاهلي مُحَرّمٌ أكله في الأصح .
التِّلْو[١٧] بالكسر : ولد الناقة ، يفطم فيتلوها ، والجمع : أتلاء ، وولد الحمار ، والانثى : تِلْوة ، والعناقُ التي خرجت من حدّ الإجفار .
التّدوة : البعير .

باب الثاء

الثُّطاة[١] بالضّم والفتح : دويبّةٌ .
الثَّبَجُ محركٌ : طائر قاله في القاموس[٢] ، وقال النضر وأبو حاتم الثَّبج من الهام يصيح الليل أجمع صوتاً واحداً : ماتت خبل ماتت خبل ، وهو ثبج أيضاً .
الثّاطةُ[٣] : دويبّة لساعةٌ ، والجمع : ثاط .
الثُّطاءُ[٤] : العنكبوتُ أو دويبّة اخرى تلسع شديداً ، والجمع : ثُطِيّ (٥) .
الثُرمل[٥] كقنفذ : دابّة .
الثُّرْغُل كقنفذ[٦] : انثى الثعالب .
ثُعال[٧] كغُراب : انثى الثعالب .

باب الجيم

الجوازِيُّ[١] : الوحش .
جابة المدرى[٢] : الظبيةُ أول ما طلع قرنُها .

الجَزِئَة(٣) محركة مشدّدة : جماعة الحُمُر أو الغلاظ الشِّدادُ منها .
الجِعْبُ(٤) : الكُثَيْبَةُ من البقر .
الجُعْبِيُّ : نملٌ أحمر ، والجمع : جَعْبيّاتٌ ، قاله في القاموس ، قال(٥) : ويخط بعضهم : الجُعْبَى كالأربى ، والجمع : جُعَبَياتٌ .
الجُلْبَةُ(٦) بالضم : القطعة من الغَنَم .
الجُحْجُحُ كهُدْهُدٍ(٧) : الكبشُ العظيم .
الجَوارِحُ(٨) : ذوات الصيد من السباع والطير .
الجندخ(٩) كقنفذ : الجراد الضخم .
الجَدُود(١٠) : الأتانُ السَّمينة ، والجمع : جِدادٌ ككتابٍ ، والنَّعْجَةُ قَلَّ لبنها .
الجَلْمَدُ(١١) كجَعْفَر : البقرة .
الجِلْمِدُ(١٢) كزِبْرِج : أتانُ الضَّحْلِ .
الجِيْذَرَةُ(١٣) : سمكة .
الجَزَرَةُ(١٤) : الشَّاةُ السَّمِينَةُ ، والجمع : جُزُرٌ .
الجُعْرورُ(١٥) : دويْبَّةٌ .
الجِنْبارُ(١٦) كسمسار والجِنِبّار كجِحِنْبارٍ : فرخُ الحُبارى .
الجَيْهَرُ(١٧) والجَيْهور : الذّباب الذي يُفسِد اللحمَ .
جَهيزَةُ(١٨) بالزاي : قيل : علمٌ للضَّبُع ، وقيل : للدُّبَّةِ وقيل : لجروها ، وقيل : للذئبِ ، وقيل : لعُرْسِهِ .
الجِبْسُ(١٩) والجِبِّيسُ : ولدُ الدُّبِّ .
الجَعَانِسُ(٢٠) : الجِعْلانُ مقلوب العجانِسِ .
الجِنِّيس(٢١) كسكِّيتٍ : سمكةٌ بين البياض والصفرة .
الجَحْمَرِشُ(٢٢) : الأفعى الخشناء .
الجاهِضَةُ(٢٣) : الجَحْشةُ الحولية ، والجمعُ : جواهضُ .
الجَلَعْلَعُ(٢٤) كسَفَرْجَل ، وقد يضم أوله ، وقد تضم اللام أيضاً : القُنْفُذُ والضَّبُع والخُنْفُساءُ ، وقيل : خنفساءُ نصفُها طينٌ ونصفُها حَيَوانٌ .
الجَلَعْلَعَةُ(٢٥) ، وتُضَمُّ : الخنفساءُ .
الجَوْزَفُ(٢٦) : الحمارُ والظَّليمُ والبِرْذَوْنُ السريعُ .
الجَوْزَقُ(٢٧) كجَوْرَبٍ : الظَّليم .
الجُتالُ(٢٨) كغُراب : القُبَّرُ .
جدلة(٢٩) : النَّملُ الصغار وذاتُ القوائم .
الجَفْلُ(٣٠) بالفاء : نملٌ سود .
الجفول(٣١) : ولد النَّعام ، قاله ابن خالويه في(٣٢)..
الجُول(٣٣) بالضم : الوعلُ المُسِنُّ .
الجَهْبَلُ(٣٤) : المسنُّ أو العظيم من الوعول .
جُحَمٌ(٣٥) كصُرَدٍ : طائرٌ .
الجَنَمُ(٣٦) كجبلٍ : طائر كالعصافير حُمْرُ المناقير .
الأجرام(٣٧) : لونان من السمك .
الجَلَمُ(٣٨) مُحَرَّكةً : غنم طِوال الأرجُل لا شعر على قوائمها ، تكون بالطّائف ، وتيس الظباء والغنم ، والجمع : جلام ككتاب والقراد والجدي .

الجارف[٣٩] : ولد الحيَّة .

الجُشنَةُ[٤٠] بالضم : سمكة نها زبانيان .

الجُشْنَةُ بالضم والجُشْنُةُ كدُجُنَةٍ : طائر ، قاله في القاموس ، وقال[٤١] أبو حاتم الجُشنَةُ ، ويقال : الجُشُنَةُ ، والجمع : الجُشَنُ : طيور[٤٢] سود تصيب بذنبها تُفَشُّشُ بالحصى .

الجُونيُّ[٤٣] بالضم : ضربٌ من القطا .

الجابي[٤٤] : الجراد .

أبو جو[٤٥] .. كغراب : الجراد .

أم جُعار[٤٦] وأم جَعور : الضَّبُع .

أمُّ جِعْران[٤٧] : الرَّخَمَةُ / (٦) .

سقط كبير لا يعرف مقداره .

تم[١] الكتاب ، قال مؤلفه فسح الله في أجله وأمتع بوجوده فرغت يوم[٢] السبت تاسع عشر ذي القعدة سنة احدى وتسعماية أحسن الله عاقبته .

وقد فرغ منه كاتبه أقل عبيدالله وأحوجهم الى عفوه ومغفرته محمد بن علي بن سود[٣] بن الابراهيم الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وغفر له ولوالديه ولجميع انمسلمين آمين في اليوم المبارك يوم الخميس حادي عشر ذي الحجة الحرام سنة اثنتين وتسعماية وحسبنا الله ونعم الوكيل[٤] صلى الله على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً[٤] .

الهوامش

باب الهمزة

(١) في الاصل الإرتبان ، وانظر القاموس والتاج (أرب) .

(٢) في اللسان (خطب) سمي بذلك لخطبة في جناحيه ، وهي الخضرة .

(٣) في الاصل الرماد ، وانظر اللسان والقاموس (ذبب) .

(٤) في اللسان (رنب) اليرنب والمرنب .

(٥) مطموسة في الاصل وهي عن القاموس (رهب) .

(٦) كذا في الاصل ، ولم أقف عليها في المصادر التي رجعت اليها ، ولعله الابغث وهو طائر بطيء الطيران صغير وجمعه بغثان ، المخصص ٨ / ١٧٢ ، التهذيب ٨ / ٩٤ والتاج (بغث) .

(٧) العبارة في الاصل مرتبكة بسبب انتقال النظر وفيه (النعجة زعم بعضهم انه حيوان ، ونيس كذلك بل هو شيء يشبه الليف يتكون على الحجارة اسفنج البحر في مفردات ابن البيطار .

(٨) ينظر أيضاً اللسان والقاموس (زج) .

(٩) في المخصص ٦ / ١٧٢ وفرس إضريج مشبه بانضراج العقاب ، وهو انقضاضها من الجو كاسرة .

(١٠) ينظر أيضاً القاموس والتاج (عرج) .

(١١) العين ١ / ٢٢٣ .

(١٢) انظر أيضاً العين ٤ / ٣٠١ ، والتيتل : الوعل ، أو ذكر الاروى ، وجنس من بقر الوحش ، ينظر القاموس (ثيتل) .

(١٣) في كفاية المتحفظ ٦٦ الارخ : البقرة الفتية وجمعها إراخ بكسر الالف . وجاء في اللسان (أزخ) الازخ : الفتي من بقر الوحش كالارخ رواهما جمعياً أبو حنيفة وأما غيره من أهل اللغة فانما روايته الارخ بالراء .

(١٤) جاء في حياة الحيوان مادة النمر ٢ / ٦٣٧ وكنيته أبو الابرد ، وأبو الاسود .. الخ وهو أبو الابرد في المرصع ٥٥ .

(١٥) في اللسان (سود) والسودانة : طائر ياكل العنب والجراد وبعضهم يسميها السوادية .

(١٦) في اللسان (عقد) العَقَد : التواء في الذنب يكون فيه كالعقدة ، والاعقد : الكلب ، لانعقاد ذنبه جعلوه اسماً له .

(١٧) انظر أيضاً المخصص ٨ / ١٥٥ .

(١٨) بالدال والذال في اللسان (نقد) ، والانقدان السلحفاة الذكر عن الليث .

(١٩) المخصص ٨ / ٤٧ .

(٢٠) انظر أيضاً القاموس (زفر) وفي الاصل بفتح الفاء .

(٢١) في اللسان (ظفر) الاظفار .

(٢٢) في الاصل : الاصفر ، وصوابه في المخصص ٨ / ٢٥ ، والقاموس (عفر) .

(٢٣) في الاصل : وأقرانه ، والتصويب عن المخصص ٨ / ٢٥ ، والقاموس (عفر) .

(٢٤) كناية المتحفظ ٦٧ .

(٢٥) الصحاح (أمر) وفيه أيضاً الإمَّر : الصغير من ولد الضان والانثى إمَّرةٌ .

(٢٦) اللسان والقاموس (معز) .

(٢٧) مجمع الامثال ١ / ٢٤ .

(٢٨) جنى الجنتين ١٦ .

(٢٩) في القاموس (بوع) والنعجة تسمى أبواع معرفة لتبوعها في المشي وتدعى للحلب بها .

(٣٠) كذا أيضاً في اللسان والقاموس (صقع) .

(٣١) ينظر المخصص ٨ / ١١١ والقاموس (صلع) وفي الاصل الاصلع .

(٣٢) ينظر أيضاً القاموس (ودع) .
(٣٣) كذا أيضاً في القاموس والتاج (يدع) .
(٣٤) انظر أيضاً المخصص ٦ / ١٥٥ .
(٣٥) كذا أيضاً في التاج (خضف) .
(٣٦) كذا أيضاً في القاموس (خلف) .
(٣٧) الاسعف في المخصص ٦ / ١٥٥ الاشيب الناصية .
(٣٨) كذا أيضاً في القاموس (سقف) .
(٣٩) كذا أيضاً في القاموس (شرف) .
(٤٠) انظر القاموس (شرف) وفي الاصل (يتنفس) .
(٤١) كذا أيضاً في القاموس (صنف) .
(٤٢) المخصص ٨ / ١٥٥ .
(٤٣) عن ابن السكيت في المخصص ٨ / ٢٩ .
(٤٤) بنصه في القاموس (زمل) .
(٤٥) كذا أيضاً في القاموس (أجم) .
(٤٦) كذا في المخصص ٨ / ١١١ ، والقاموس (خزم) .
(٤٧) الاصرمان : الذئب والغراب ، والليل والنهار ، والصرد والغراب جنى الجنتين ٢٠ .
(٤٨) مجمع الامثال ١ / ١٤٧ .
(٤٩) كذا أيضاً في القاموس (صم) .
(٥٠) كذا أيضاً في القاموس (عصم) .
(٥١) ينظر المخصص ٨ / ٧٢ والقاموس (كشم) .
(٥٢) ينظر القاموس (أذن) ، وفي الاصل محرك .
(٥٣) في الاصل قال وبعدها بياض بمقدار كلمة ، والقول عن كراع في اللسان (أون) .
(٥٤) في القاموس (أرب) سمك ولم يصفه .
(٥٥) ينظر القاموس (عتو) .

باب الباء

(١) كذا أيضاً في القاموس (بلت) .
(٢) مطموسة في الاصل ، وانظر القاموس (بحث) .
(٣) كذا أيضاً في القاموس (بكث) .
(٤) كذا أيضاً في القاموس (بدح) .
(٥) مطموسة في الاصل وهي في القاموس (برح) وانظر المرصع ٩٤ وورد الاسم في حياة الحيوان الكبرى ٢ / ٣٠٥ في مادة غراب ، وهي من كناه .
(٦) كذا أيضاً في القاموس (برد) وورد الاسم في حياة الحيوان الكبرى في مادتي الببر ١ / ١٩٠ ، والفرانق ٢ / ٣٩٠ .
(٧) كذا في القاموس (برد) ويعض كلمة بردة مطموس في الاصل .
(٨) في القاموس (باد) الاتان الوحشية أو التي تسكن البيداء .
(٩) المثلث ١ / ٣٥٧ وورد المثل وتفسيره في حياة الحيوان الكبرى ٢ / ٦٧١ .
(١٠) لم أقف عليها فيما رجعت اليه من مصادر .
(١١) كلمة لم استطع تبينها .
(١٢) عن أبي حاتم في المخصص ٨ / ١٤٢ وفيه من الطيور التي تسكن البر .
(١٣) طمس بمقدار كلمة . لعلها الذئب .
(١٤) كذا أيضاً في القاموس (بقر) .
(١٥) الطحلة : لون بين الغبرة والبياض .
(١٦) كذا أيضاً في القاموس (برص) .
(١٧) كذا أيضاً في القاموس (بعص) .
(١٨) كذا أيضاً في القاموس (بلص) ، وأبو بريص ذكر في حياة الحيوان الكبرى في ثلاث مواضع ، أبو بريص ١ / ٢٧٠ سام أبرص ٢ / ١٩ الوزغ ٢ / ٦٩٣ .
(١٩) كذا أيضاً في القاموس (بلص) ويعض كلمة بلنصى مطموس في الاصل .
(٢٠) كذا أيضاً في القاموس (بلص) .
(٢١) انظر القاموس (بلص) وجاء في المرصع ٨٩ أبو بلصاء : طائر صغير قصير الجناحين طويل الذنب .
(٢٢) في القاموس (بط) المُبَطْبِطَةُ .
(٢٣) كذا أيضاً في القاموس (بلقط) .
(٢٤) كذا أيضاً في القاموس (بقع) .
(٢٥) كذا أيضاً في القاموس (باع) .
(٢٦) الباقي من الكلمة في الاصل البلـ ، وقد أخذناها من القاموس (بلع) .
(٢٧) النص في الاصل محرف وفيه (البَغ بالضمة المعجمة : الحمل الصغير والانثى) والكلمة التي تلي الانثى مطموسة ، وقد اخترت نص القاموس (بغ) .
(٢٨) كذا أيضاً في القاموس (برق) وانظر أيضاً المعرب ٩٣ .
(٢٩) كذا أيضاً في القاموس (بق) .
(٣٠) كذا في الاصل ولم أعثر عليها فيما رجعت اليه من مصادر .
(٣١) ينظر القاموس (برك) وعن الصغاني في التاج (برك) .
(٣٢) في القاموس (برشك) سمك بحري .
(٣٣) كذا في القاموس (بنك) .
(٣٤) في الاصل : الرجلين وما أثبته في القاموس .
(٣٥) في الاصل فيتلمه وما ثبته في القاموس .
(٣٦) كذا في القاموس برعل وفي الاصل البُزصل .
(٣٧) القاموس (بلل) .
(٣٧ا) عنه في المخصص ٨ / ١٥٤ .
(٣٨) كذا في القاموس (برم) .
(٣٩) كذا في القاموس (بلم) .
(٤٠) كذا في القاموس (بم) .
(٤١) كذا في القاموس (بدن) .
(٤٢) كذا في القاموس (بنن) .
(٤٣) كذا في القاموس (بوه) ، وفي حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٦٩ ، البوه : طائر يشبه البوم ، والانثى بوهة .
(٤٤) في القاموس يسقط .

باب التاء

(١) كذا في القاموس (تلج) .
(٢) كذا في القاموس (تنج) .
(٣) في القاموس (تلد) باسكان اللام وفي الاصل بفتحها .
(٤) في المخصص ٨ / ١٤٧ عنه ، يقال له : التُّلَخ والتُّلذة والتُّلذ .
(٥) كذا في القاموس (تر) .
(٦) كذا في القاموس (تمر) ، وجاء في المرصع ١٠٩ ابن تُمَرة : طائر صغير جداً كاصغر العصافير ، ويقال له : أبو تمرة ، وجمعه : بنات تمرة ، ويقال له أيضاً : تُمَرة ، والجمع : التمامر .
(٧) ما بين الرقمين في المخصص ٨ / ١٦٥ وكله منسوب لابي حاتم .
(٨) في المخصص ٨ / ١٦٥ الزهر .
(٩) قال الاصمعي ليس في المخصص .
(١٠) كذا في القاموس (هبط) .
(١١) كذا في القاموس (تفف) .

(١٢) كذا في القاموس (تفق) ، وكزبرج أغلبها مطموس في الاصل .
(١٣) كفاية المتحفظ ٦٣ .
(١٤) كذا في القاموس (تره) .
(١٥) في القاموس (رخم) اليَرخم واليرخوم والتُرخوم .
(١٦) ليس في مصادري .
(١٧) كذا في القاموس (تلو) .

باب الثاء

(١) كذا في الاصل ولعله تحريف ، وفي القاموس والتاج (ثط) الثُطاء .
(٢) القاموس (خبج) وجاء في المخصص ٨ / ١٦٢ واللسان والتاج ثبج ، من الهام يصيح الليل أجمع كانه يئن ، والجمع : الثبجان .
(٣) كذا في القاموس (ثاط) .
(٤) كذا في القاموس والتاج (ثط) ولم يذكر لها جمع فيهما .
(٥) كذا في القاموس (ثرمل) ، وفي حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٨٦ الثرملة انثى الثعالب ، وقد ذكرها صاحب القاموس أيضاً .
(٦) كذا في القاموس (ثرغل) .
(٧) كذا في القاموس (ثعل) .

باب الجيم

(١) لم أقف عليها في مصادري .
(٢) في الاصل جابر المدرى وهو تحريف ينظر المخصص ٨ / ٢٦ وفيه غير مهموز وجاء في القاموس (جوب) (جابة المدرى لغة في جابئه بالهمز) .
(٣) كذا في القاموس (جرب) .
(٤) في القاموس والتاج (جمب) (الجمب : الكثيبةُ من البقر) ويبدو ان الامر قد اختلط عند السيوطي فقرأ البمر بالمين البقر بالقاف .
(٥) كذا في القاموس (جعب) .
(٦) كذا في القاموس (جلب) .
(٧) كذا في القاموس (جح) .
(٨) كذا في القاموس (جرح) .
(٩) كذا في القاموس (جندخ) وفي الاصل الجنبخ وهو خطا سببه ان مادة (جنبخ) تقدمت مادة (جندخ) في القاموس ومن معاني مادة (جنبخ) الضخم .
(١٠) كذا في القاموس (جدد) .
(١١) كذا في القاموس (جلمد) وفيه أيضاً والقطيع الضخم من الإبل أو المسانُ منها .
(١٢) كذا في القاموس (جلمد) .
(١٣) كذا في القاموس (جذر) .
(١٤) كذا في القاموس (جزر) وجاء في حياة الحيوان ١ / ٣٢٧ الجزور من الضان والمعز خاصة ماخوذة من الجزر ، أي : القطع .
(١٥) كذا في القاموس (جمر) .
(١٦) النص في القاموس (جنبر) (الجنبر كمقعد : الجمل الضخم والقصير وفرخ الحبارى كالجنبُار مثال جنجبار وسمسار) ، وفي حياة الحيوان ١ / ٣٤٣ الجنبر كمقعد : فرخ .
(١٧) كذا في القاموس (جهر) .
(١٨) كذا في القاموس (جهز) .
(١٩) كذا في القاموس (جبس) .
(٢٠) كذا في القاموس (جمس) .
(٢١) كذا في القاموس (جنس) وفي الاصل (الجِنُيس) .
(٢٢) كذا في القاموس (جحمرش) وفي حياة الحيوان ١ / ٣٠٨ الجحمرش : الارنب المرضع ، والعجوز الكبيرة والمرأة الثقيلة السمجة .
(٢٣) كذا في القاموس (جهض) .
(٢٤) كذا في القاموس (جلع) .
(٢٥) كذا في القاموس (جلع) .
(٢٦) كذا في القاموس (جرف) .
(٢٧) كذا في القاموس (جرق) .
(٢٨) كذا في القاموس (جثل) .
(٢٩) كذا في الاصل ، وفي القاموس (جدل) كَسَحابة .. والنمل الصغار ذات القوائم .
(٣٠) في القاموس (جفل) النمل لغة في الجثل ، ولم يذكر له لوناً ، وهو كما وصفه في اللسان (جفل) .
(٣١) ليس في مصادري .
(٣٢) طمس بمقدار كلمة لم أتبينها لعلها الزنبيل .
(٣٣) كذا في القاموس (جول) .
(٣٤) كذا في القاموس (جهبل) .
(٣٥) كذا في القاموس (جحم) .
(٣٦) كذا في القاموس (جدم) .
(٣٧) كذا في القاموس (جرم) وفي نسخة منه الاجرام .. كرمان ، وهو الاصوب .
(٣٨) كذا في القاموس (جلم) .
(٣٩) كذا في القاموس جرن وجاء في حياة الحيوان ١ / ٣٠٦ الجارف : ولد الحية .
(٤٠) كذا في القاموس (جسن) .
(٤١) القول عن صاحب العين في المخصص ٨ / ١٥٤ وليس في مطبوع العين .
(٤٢) في الاصل طائر .
(٤٣) كذا في القاموس (جون) .
(٤٤) كذا في المخصص .
(٤٥) لم استطع تبينها .
(٤٦) كذا في القاموس (جمر) وانظر أيضاً المرصع ١٢٣ وفي حياة الحيوان جمار : الضبع .
(٤٧) كذا في القاموس (جمر) وانظر أيضاً المرصع ١٢٣ .

خاتمة الكتاب

(١) مطموسة بسبب التصوير .
(٢) مطموسة بسبب التصوير .
(٣) كذا في الاصل .
(٤) ما بين الرقمين بخط مغاير .

شعر ابي جعفر بن سعيد الاندلسي

(٥٥٩ هـ)

صنعة
د. احمد حاجم الربيعي
كلية التربية ـ جامعة البصرة

اسمه ونسبه :

ابو جعفر احمد بن عبدالملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن عمّار بن ياسر صاحب رسول الله (ﷺ)[1] . وقد اورد ابن حزم هذا النسب نفسه مع اختلاف يسير ، وهو ابدال كل اسم سعيد بـ (سعد) في سلسلة النسب هذه ، ثم أكملها بقوله : وينسب ياسر الى مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الاكبر بن يام بن عنس ـ ولقب ابو جعفر بالعنسي نسبة الى هذا الجد ـ وعنس هذا ابن مالك بن ادد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبأ في اليمن[2] .

ولادته ونشاته :

لم تذكر لنا المصادر شيئاً عن ولادته ، او عن طفولته المبكرة على الرغم من ان بعض هذه المصادر قداشارت الى تاريخ ولادة اخيه محمد الذي يكبره قليلاً وهو عام ٥١٤ هـ[3] لذا فاننا لا نستطيع ان نذهب بتاريخ ولادته الى ابعد من عام ٥٢٠ هـ وفي قلعة بني سعيد ـ قلعة آبائه واجداده ، وهي لا تبعد كثيراً عن غرناطة ـ ولد ابو جعفر ، وفيها قضى طفولته وصباه .

ثقافته :

نشأ ابو جعفر احمد بن سعيد في بيئة تعتمد على الثقافة الادبية في تكوينها الاجتماعي ، وبين اسرة عريقة في قول المنظوم والمنثور . وقال فيه الملاحي : « وكان من جلّة الطلبة ونبهائهم ، وله حظ بارع من الادب ، وكتابة مفيدة ، وشعره مدون » . وقال فيه ابو الحسن بن سعيد في كتابه المسمى (الطالع السعيد في بني سعيد) نشأ محباً للادب ، حافظاً للشعر ، وذاكراً لنظم الشريف الرضي ، ومهيار ، وابن خفاجة ، وابن الزقاق فرقّت طباعه ، وكثر اختراعه وابداعه »[4] .

وهذا يعني ان ثقافته الادبية كانت منوعة بين ادباء المشرق والاندلس ، فاطلع على دواوينهم جميعاً ، وحفظ الشيء الكثير عنها . وكانت له اول الامر محاولات شعرية ، يخفق فيها مرة وينجح اخرى ، وكان يلقى من والده عبدالملك الاعجاب والتقدير . وكانت المجالس الادبية التي يحضرها كبار الادباء وبعض الفتية المتأدبين مدرسة مفتوحة لصقل المواهب الشعرية ، ومن ابرزها مجلس عمه ابي بكر في غرناطة ، وكان هذا المجلس منتدى يتردد عليه الشعراء من امثال ابي بكر المخزومي ، وابن قزمان ، والكتندي ، والشاعرات من امثال نزهون القلاعية ، ينشد فيه الشعر ، وتتغنى به القيان على نغمات العود ، وتنتشر فيه روائح الند والطيب . وقد دعا ذلك ابا بكر المخزومي الى ان يقول :

دار السعيـــدي ذي ام دار رضـــوان
مـــا تشتهي النفس فيها حـاضـر دان[5]

وكانت وفادة ابي محمد عبدالله بن ابراهيم الحجاري (من وادي الحجارة) في مدة المرابطين على عبدالملك بن سعيد حدثاً كبيراً في تاريخ الاسرة ، فلم يفكر احد من بني سعيد في ان يضع كتاباً يذكر فيه علوم الاندلسيين او ادبهم على الرغم من انهم كانوا اهل ادب وعناية بالعلم ، إلا ان مجيء هذا الاديب قد اتاح لهم الفرصة لكي يقترحوا عليه ان يدوّن شيئاً من علمه ومحفوظاته في كتاب يختلف ترتيبه عما ألفوه في ترتيب الكتب التي سبقته كالذخيرة والقلائد ، فوضعه على هيأة جدول جغرافي ادبي تاريخي ، قسّم فيه الاندلس الى كور وبلدان ، يتناول في كل كورة او بلدة تقسيمها الجغرافي وتاريخها مع ذكر ادبائها ، وشيئاً عن حياتهم ونماذج من شعرهم . فكان كتابه (المسهب في فضائل المغرب)[6] وقيل (المسهب في غرائب المغرب)[7] .

ومهما يكن من ذلك ، فان هذا الكتاب قد استودعه الحجاري صاحبه عبدالملك بن سعيد ومضى الى سبيل حاله ، فاخذ عبدالملك

ومن بعده ابناؤه احمد ـ وهو شاعرنا ـ ومحمد ، ثم موسى بن محمد وابنه علي بن موسى ينظرون في ذلك الكتاب ، فراقهم نظامه ، وهو في الحقيقة نظام مبتكر وطريف ، ولكنهم وجدوا ان الحجاري قد نسي الكثير ، واهمل بعض الشعراء ، فمضوا يكملون ما فاته ، ويمثلون ما فيه ، ويزيدون عليه ، ويحوّرون مادته كيفما اتفق لهم ، حتى اصبح (المسهب) على ايديهم كتاباً آخر يعرف باسم (المغرب في حلى المغرب) ، ولكنهم ـ على اي حال ـ احتفظوا بهيكله العام ، وانصبت اضافاتهم وتعديلاتهم ضمن اطار هذا الهيكل .

وعلى هذا فان ابن سعيد يعده مفخرة للاندلس بعامة ، ولبني سعيد بخاصة بقوله : « يكفي الاندلس في هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة اشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ هـ ، وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ، ويحاضر بحلاه من فنون الادب المختارة »(٨) . وعنها الدكتور علي حمودة « منقبة جليلة لعلها لم تكن لاية اسرة من الاسر الاسلامية بالرغم من ان تاريخ الاسلام قد شاهد مئات من مثل هذه الاسرة التي جعل افرادها العظام الانقطاع لخدمة العلم ديدناً لهم »(٩) .

وانتشرت دعوة الموحدين في المغرب الاقصى ، فدخلوا مراكش اواخر سنة ٥٤١ هـ ، ودخلت في ملكهم اجزاء كثيرة من الاندلس ، فما لبث ان قدم وفد الاندلس على الخليفة عبدالمؤمن وهو بمراكش للبيعة عام ٥٤٢ هـ ، فارسل اليها جيشاً بقصد تمهيدها ، ومدافعة العدو الذي اغتنم فرصة انقلاب الموحدين ، ثم جمع عبدالمؤمن جموعاً عظيمة ، وخرج بهم قاصداً الاندلس ، وعبر البحر حتى نزل الجبل المعروف بجبل طارق ، فسمّاه (جبل الفتح) ، واقام به اشهراً ، وابتنى فيه مدينة ، وصفها الحميري بقوله : « فلاحين ما جاءت مدينة تفوق المدن حسناً وحصانة ، لا يدخل اليها إلّا من موضع واحد ، قد حصّن بسور منيع من البنيان الرفيع ، وسميت بمدينة الفتح ، وقالت الشعراء فيها . ثم جاز اليها في سنة ٥٥٦ هـ ، وورد الوفود عليه هناك فتلقاهم بالتكرمة »(١٠) .

وهنا يحسن ان نورد ما ذكره المراكشي في وصف احتفاله ببيعة اهل الاندلس له ، وهو بجبل الفتح قائلاً : « ووفد عليه في هذا الموضع وجوه الاندلس للبيعة ، كاهل مالقة ، وغرناطة ، ورندة ، وقرطبة ، واشبيلية وما الى هذه البلاد ، وكان له بهذا الجبل يوم عظيم .. واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداء ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك ، انما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم »(١١) .

ومما يرويه ابن الخطيب عن وفد غرناطة ـ وفيهم ابو جعفر ـ على الخليفة عبدالمؤمن قائلاً : « ولما وفدت الاندلس على صاحب امر الموحدين في ذلك الاوان وهو محتل بجبل الفتح ، واحتفل شعراؤها في القصائد ، وخطباؤها في الخطب بين يديه ، كان في وفد غرناطة ابو جعفر وهو (حدث السن) في جملة ابيه واخوته وقومه ، فدخل معهم على الخليفة ، وانشده قصيدة منها قوله :

تكلّم فقد اصغى الى قولك الدهرُ
وما لسواك اليوم نهيٌ ولا أمرُ

قال فلما اتمها اثنى عليه الخليفة ، وقال لعبدالملك ابيه : ايهما خير في بنيك ؟ فقال يا سيدنا : محمد دخل اليكم مع ابطال الاندلس وقوادها ، وهذا مع الشعر ، فانظروا ما يجب ان يكون خيراً عندي . فقال له الخليفة : كل ميسر لما خلق له ، وان كان الانسان متقدماً في صناعة فلا يؤسف عليه ، انما يؤسف على متاخر القدر محروم الحظ »(١٢) .

ووردت القصيدة ايضاً في المغرب لابن سعيد(١٣) ولكن رواية ابن الخطيب قد انفردت بالاشارة الى وفادة ابي جعفر على عبدالمؤمن وهو (حدث السن) ، ومن المعروف ان جواز عبدالمؤمن الى جبل الفتح كان عام ٥٥٦ هـ كما ورد في بعض المصادر(١٤) ، وكانت وفاة ابي جعفر عام ٥٥٩ هـ(١٥) فهل هذا يعني ان حياة ابي جعفر الحافلة بالاحداث بين وفادته ووفاته لا تزيد على ثلاث سنوات ؟ ام ان عبارة (حدث السن) قد وقعت سهواً في رواية ابن الخطيب ولم نجدها في رواية ابن سعيد الذي كان شاعرنا عم والده . اما اذا اخذنا برواية المراكشي الذي يقرر فيها ان عبور عبدالمؤمن الى الاندلس ونزوله بجبل الفتح كان في سنة ٥٣٨ هـ(١٦) فان عبارة حدث السن تصدق عليه لانه على هذه الرواية ابن الثامنة عشر .

ومهما يكن في ذلك فان ابا جعفر كان شاعراً منذ صباه ، وقد شهد له بذلك ابن سعيد على شاعريته بقوله : « لا اعلم في بني سعيد اشعر منه ، بل لا اعلم في بلده »(١٧) وكذلك قدرته على استنباط بعض الاحكام النقدية في الشعر ، فانتقد بعض القصائد التي انشدت امام الخليفة عبدالمؤمن في جبل الفتح . من ذلك قصيدة ابي القاسم اخيل بن ادريس الرندي ، ومطلعها :

ما الفخر إلّا فخر عبدالمؤمن
أثنى عليه كلُّ عبدٍ مؤمنِ

قال ابو جعفر : دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود ، والاولى ان لو قال : (شاد الخلافة وهو اوّل مبتني)(١٨) .

واجتمع ابو جعفر بالشاعر ابي العباس احمد بن سيد الاشبيلي المشهور باللص في وفد اشبيلية ، واستنشده ، فجعل ينشده ما استجفاه لخروجه عن حلاوة منزع ابي جعفر الى ان وصل في انشاده :

«ما أفنى السؤال لكم نوالًا
ولكن جودكم أفنى السؤالا

قال له ابو جعفر : لا جعلك الله في حل من نفسك ، يكون في شعرك مثل هذا ، والله لو لم يكن لك غير هذا البيت ، لكنت به أشعر اهل الاندلس(١٩) .

ولما انشد ابو عبدالله محمد بن غالب الرصافي شاعر الاندلس في اوانه، قصيدته على الخليفة عبدالمؤمن في جبل الفتح ومطلعها :

لو اقتبست الهدى من جانب الطور
اعطيت ما شئت من هدي ومن نور

قال عنه ابو جعفر : انه ابن رومي الاندلس، لما رآه من حسن اختراعه وتوليده[٢٠].

ومر عليه شعر حمدة بنت زياد المؤدب، ولها من الشعر قولها :

ولما أبى الواشون إلّا فراقنا
وما لهم عندي وعندك من ثارِ

قال عنها : هي خنساء المغرب[٢١].

ولا نعلم ان كان هو اول من اطلق هذه الالقاب (ابن رومي الاندلس، خنساء المغرب) على الشعراء المجيدين؟ ام ان هذه الالقاب كانت متداولة وشائعة بين الناس، ومن المرجح انه اول من اطلقها عليهم، وذلك لانها لو كانت متداولة لما ذكرها هنا، او لاضاف الى عبارته كلمة (حقاً) لنتبين منها انها كانت شائعة ومعروفة .

وزارته :

لم يكن ابو جعفر مهيأً لتحمل المسؤولية، او التفكير في القدرة على تصريف امورها، وهو الى جانب كونه شاعراً رقيقاً، واديباً ناثراً صاحب لهو في الحياة، وفلسفة تنم عن ذلك . وحينما استقل ابوه عبدالملك بقلعته بين سقوط المرابطين وظهور الموحدين اتخذه وزيراً، واستنابه في اموره فلم يصبر على ذلك، وطلب اعفاءه فلم يعفه، فعاتبه ابوه قائلاً : افي مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة؟ فكتب اليه ابو جعفر :

مـــــولاي في اي وقت
انـــال في العيش راحـــه

فلما قرأ ابوه الابيات، قال : لا ينفع الله بما لا يكون مركباً في الطبع، مائلة له النفس . ثم وقّع على ظهر ورقته (قد تركنا سراح أنسك، وألحقنا يومك بامسك)[٢٢].

كان ابو جعفر شاعراً موهوباً لم يخلق للوظيفة او الادارة او الحكم، يسعى وراء ملذاته دون قيد، ولكن قد تجني على المرء مواهبه، فلمّا يكد يستقر الامر للموحدين، حتى ولي الخليفة عبدالمؤمن ابنه السيد ابا سعيد عثمان على غرناطة واعمالها، فطلب كاتباً من اهلها ـ وكانت الكتابة في ذلك العصر تعني الوزارة ـ فوصف له فضل ابي جعفر، وحسبه وأدبه وظرفه، فولاه الوزارة، فطلب ابو جعفر منه ان يعفيه، فلم يقبل منه ذلك . ولم يستطع ان يكيّف نفسه مع هذا المنصب، او ان يغير من طريقته العابثة، فضاق بالمنصب، وكره ان يكون كاتباً لمن يراه دونه علماً وادباً .

كان الفرق ظاهراً بين امير قادم من الصحراء، حاد الطبع بدوي الشمائل، وبين شاعر رقيق الحواشي، لطيف المعشر، ظريف النكتة، يهوى الفتنة، ويعشق الجمال . فبدأ يظهر في شعره ما كان مكتوماً في صدره، فقد « شرب يوماً مع خواصه، وخرج ثاني يوم الى الصيد، وكان اليوم ذا غيم وبرد . ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور، وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا، فحملت ابا جعفر بقية السكر على ان قال وهو يصف يومه، ويبوح بما في نفسه :

فقـــل لحريص ان يـــراني مقيـــداً
بخدمته لا يجمل الباز في القفص

ومـــا كنت طوع نفسي فهـــل ارى
مطيعاً لمن عن شاو فخري قد نقص

فكان في اصحابه من حفظ هذين البيتين، ووشى بهما للسيد فعزله أسوأ عزل »[٢٣].

وهو بهذا لم يأسف على ما بدر منه، او ما قد يترتب عليه بعد العزل عن منصبه، وهو الذي كان يتغنى بحريته ويحرص عليها، وهو الذي يرى الهدف الاول والاخير من الحياة انما هو التمتع باطايبها، وليكن بعد ذلك ما يكون .

ابو جعفر وحفصة الركونية :

اوقف المقري في كتابه (نفح الطيب) فصلاً كاملاً على شاعرات الاندلس، إلّا ان ما ذكره عنهن كان مقتضباً، وما استشهد من شعرهن كان قليلاً، وكان من جملة ما ذكره شاعرات من غرناطة كن يحتلن المقام الاول بين شاعرات الاندلس، منهن : حمدة بنت زياد المؤدب، ونزهون القلاعية، والشاعرة حفصة الركونية محبوبة شاعرنا ابي جعفر بن سعيد .

وحفصة بنت الحاج الركونية شاعرة ادبية جمعت بين الجمال والحسب والمال، ورقة النظم والنثر، وعلى الرغم من انها لم تحظ في دراساتنا الحاضرة من عناية وشهرة مثلما حظيت بها ولّادة محبوبة ابن زيدون، إلّا انها لم تكن اقل منها شأناً، فقد طبّقت شهرتها الآفاق بما تنشد من شعر، وتجهر بمكنون الحب، وتتردد على مجالس الادب .

ولا نستطيع ان نذهب الى ما ذهب اليه الدكتور الطاهر احمد مكي حين اعطى للشاعرة دوراً سياسياً هاماً تجاوز نظم النثر الى المشاركة في تدبير ثورة اوشكت ان تعصف بسلطان الموحدين في الاندلس[٢٤] وذلك لامرين : الاول منها : ان سلطان الموحدين كان كبيراً بحيث ان دولتهم كانت تمتد من طرابلس الغرب الى السوس الاقصى واكثر بلاد الاندلس، والاندلس بحد ذاتها ولاية قسمها الخليفة عبدالمؤمن الى ولايات صغيرة جعل عليها اولاده وابناء عمومته، فجعل على ولاية غرناطة مثلاً ابنه السيد ابا سعيد عثمان، ولان هذه الدولة ـ وهي مثل كل

دولة تكون في اول امرها قوية ومتماسكة ـ لا تستطيع اية قوة سياسية ان تعصف بسلطانها مرة واحدة ، فهل من المعقول ان حفصة ومن معها من افراد قلائل تستطيع ان تزعزع اركان تلك الدولة ، وتعصف بسلطانها في الاندلس .

والامر الثاني : ان هذا الرأي ليس جديداً علينا ، فقد اطلق على ابن زيدون من قبل حين جعلوه محرضاً محبوبته ولّادة بنت المستكفي بالله (٤١٤ ـ ٤١٦ هـ) الخليفة الاموي المخلوع للقيام بتدبير ثورة تقوض نظام بني جهور في قرطبة[٢٥] وهو امر ايضاً لا اساس له من الصحة .

ولم يستطع مؤرخو الادب ان يتجاوزوها ، او ان يمرّوا بها مروراً عابراً مثل بقية الشاعرات ، وانما كانوا يتحدثون عنها حديثاً يتراوح بين الايجاز الى الاطناب قليلًا ، فكتب عنها ابن الخطيب قائلًا : « اديبة زمانها وشاعرة اوانها ... فريدة الزمان في الحسن والظرف والادب واللوذعية »[٢٦] وقال عنها ابن دحية : « رخيمة الشعر ، رقيقة النظم والنثر »[٢٧] ، ووصفها كل من الحموي والمقري بكونها : « الشاعرة الاديبة المشهورة بالحسب والادب والجمال والمال »[٢٨] .

ولا نعلم متى ولدت على وجه الدقة ، ولكنها على اقرب تقدير لا تبعد كثيراً عن عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م وانها ولدت في البشرات وعاشت في غرناطة ، وامضت فيها طفولتها وصباها ، وكانت غرناطة في ذلك الوقت تحت حكم المرابطين ـ وهي مثل غيرها ذهبت الى المؤدبات في بعض البيوت ، او جاءتها تلك المؤدبات الى البيت ، فقد كان من عناية الاباء ببناتهم ان يعينوا لهن مؤدبات يعلمنهن اطرافاً من الثقافة الادبية وعلوم الدين .

عاشت حفصة حياتها في غرناطة ، وعاصرت فيها كل الشدائد والمحن التي تعاورتها ما بين سقوط دولة المرابطين الى قيام دولة الموحدين عام ٥٤٩ هـ ، وما رافقها عادة خلال تلك الاحداث من فقدان الامن والاستقرار ، ولا شك ان تلك الاحداث قد تركت في نفسها ـ وهي الاديبة الاريبة ـ رقة في المشاعر ، وعمقاً في الاحساس ، وجرأة على المواقف . وفي هذه الفترة وعمرها يقارب العشرين تلتقي بشاعرنا ابي جعفر احمد بن سعيد ، ولكننا لا نعلم كيف كان لقاؤهما ولا اين ؟ اذا ما علمنا انه من السهل ان يلتقي شاعر وشاعرة في مجتمع يحب الشعر ويجل الشعراء .

وتصل العلاقة بين حفصة وحبيبها الى درجة كبيرة من الهيام والشوق واللهفة والحسرة ، وفي حبه تفقد حفصة تدلل المرأة وتمنعها ، فالمرأة عموماً مهما بلغت بها درجات الشوق وشقت عليها نوازع الحنين فانه ينبغي لها ان تخفي وجدها ، وان تتظاهر بكونها معشوقة لا عاشقة ، ولكن حفصة لا تأبه بذلك ، وتسترسل بشعرها ، وتضع حبيبها بين اختيارين لا ثالث لهما من غير تلميح او اشارة تدعوه لزيارتها ، فان لم يستطع زارته قائلة :

أزورك ام تـــزور فـــان قلبي
الى مـــا ملتمْ ابـــداً يميـــلُ[٢٩]

وتصل الابيات الى ابي جعفر وينظر ما فيها من رغبة وتلهف ، ولكن طبيعته الهادئة تدفعه لان يرد عليها رداً لطيفاً رقيقاً ومنطقياً :

مـــا الـــروض زواراً ولكنمـــا
يـــزوره هب النسيم العليـــل[٣٠]

ولم تقنع حفصة نفسها بهذا الجواب الهادىء الرزين ، وانما تقرر الذهاب بنفسها اليه مقتحمة خلوته مع ابن عمه حاتم وغيره من اقاربه وهم في لهو وطرب ، فتطرق الباب بجرأة وتدفع لجاريته بطاقة كتبت فيها :

زائـــر قـــد اتى بجيد غـــزال
طـــامع من محبّه بـــالوصـــالِ
أتـــراكم بـــإذنكم مسعفيـــه
أم لكم شـــاغـــل من الاشغـــال[٣١]

فلما قرأ ابو جعفر الرقعة قرأها بقلبه قبل عينيه ، وتأملها بعاطفته قبل عقله ، فعلم انها من حفصة فتغمره الغبطة . وفي رواية الحموي وابن الخطيب : بادر الى الباب فلم يجدها[٣٢] ، وفي رواية ابن سعيد : بادر الى الباب فقابلها بما يقابل من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به ، وتفضله بالزيارة دون طلب او انن مسبق[٣٣] . ولكن عندما نريد ان نميز الرواية الاولى من الرواية الثانية نجد الاولى اقرب الى الحقيقة ، واكثر انسجاماً مع الواقع ، وذلك لاسباب نذكرها :

١ ـ لم تعلم حفصة ان حبيبها ابا جعفر كان مع اصحابه في لهو وطرب . وكانت تأمل ان تجده لوحده ، واذا ما تفضلت بزيارته ، فسوف يكون موقفها حرجاً ، لذلك دفعت رقعة لجاريته ، وتراجعت ولم تنتظر جواب تلك الرقعة .

٢ ـ احست حفصة انها قد اطلقت لعاطفتها العنان ، وسمحت لنفسها بزيارته دون دعوة مسبقة ، وانما هي دعت نفسها بنفسها ، فان ذلك يقلل من كبريائها . ولا بد لها من ان تعزز موقفها ولو في اللحظة الاخيرة ، فآثرت ذلك التراجع والانسحاب .

٣ ـ ومما يؤيد تراجعها وعدم مقابلة ابي جعفر لها ، فقد كتب اليها رقعة بعد قراءته رقعتها يطلب اليها الوصال . فلو كان قد التقى بها لانتفى ذلك الطلب ، وهذه الرقعة هي :

أبي شغـــل عن المحب يعـــوق
يا صباحاً قد آن منه الشروق[٣٤]

والتقى العاشقان ، وخرجا الى مروج غرناطة وبساتينها ، وبخلا الى احد منازهها الجميلة ، وهو (حور مؤمّل) وباتا فيه « على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ، ونضارة النعيم »[٣٥] وهو تعبير ظريف يبين العلاقة الحميمة بين الروض (حفصة) وبين النسيم (ابي جعفر) . ولما حان وقت الانفصال قال :

رعى الله ليلًا لم يرع بمذمم
عشية وارانا بحور مؤمل[٣٦]

ولكن هذا اللقاء وما تحقق فيه من ود وصفاء ، كان يفتقر الى عنصر اساس وهو (الامان) الذي لم يستطع العشاق ـ مهما حاولوا ـ ان يلفوه ، فالمحب خائف في كل حين ، وهو خوف طبيعي ناجم عن وجود الرقباء والوشاة والنمامين .

واذا كان الدكتور محمد مجيد السعيد قد صب اللوم كله على حفصة وحدها حين وصفها بانها انسانة انانية ذات رؤية قاتمة مشبعة بالشك والريبة والغل والحسد ، وعلى العكس من حبيبها ابن سعيد الذي لا يرى سوى الغبطة والبشاشة والانفتاح ، ولا يحس في الوجود سوى الخير والمحبة[٣٧] .

وهذا ما لا نرتضيه عنها ، فالشاعرة محقة في ذلك الارتياب ، وهي تنطلق من مبدأ الاحساس بالخطر قبل وقوعه ، ذلك الخطر الذي يحدق بحبها وحبيبها من كل جانب ، فهي تشعر بالوشاة والرقباء من حولها ، ولديها القناعة بأن الحب مهما كبر وازداد ، زادت معه المخاطر ، وهي في هذا على العكس من حبيبها ابي جعفر فهي تشك بحاسة الانثى وترتاب ، وهو يرى بجرأة الرجل وتجاهله لتلك المخاطر ، لذلك كان ردها عليه رداً تشوبه المرارة والاسى :

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا
ولكنه ابدى لنا الغل والحسد[٣٨]

وهكذا فان السعادة التي تنعم بها المحبان لم تدم لهما صافية دون تكدير او تنغيص ، فقد اقتحم عالم حبهما الجميل ـ وبدون تردد ـ امير غرناطة السيد ابو سعيد عثمان بن الخليفة عبدالمؤمن ومعه سلطان الحاكم وبطشه ، يدفعه التنافس مع ابن سعيد للاستيلاء على قلبها ، والانفراد بحبها .

ولا بد ان حفصة عانت كثيراً من محاولات الامير لجعلها اسيرة هواه وحده ، وهي الانسانة الرقيقة التي تعشق الحرية وتحب الحياة ، وفي حياتها حبيب تهواه ولا تستطيع ان تستبدله بآخر ، ولم تكن تخشى ما تخشاه على نفسها من ذلك الامير بقدر ما تخشاه على حبيبها ، فقد كانت تعرف جيداً ما كان بينه وبين الامير من حقد واحتقار كل واحد منهما للآخر ، وما يتمتع به الامير من حرية التصرف بحياة الناس ، وله القدرة على البطش به ، والتخلص منه ان اراد ذلك بسهولة ويسر .

وحاولت كثيراً ان تفهم حبيبها على ان يبتعد عنها ولو لفترة تقارب الشهرين ، وهي فترة قصيرة اذا ما قيست بفترات الحياة المقبلة المتفتحة لهما ، ولكنها ليست بالقليلة لما تصبو اليه نفسيهما من ود وشوق ولقاء . وفيها تستطيع حفصة ان تفهم نفسية الامير جيداً ، وتطلع على ما يبيته لهما . وهي في طلبها قد تجاوزت عواطفها ، وحاولت كبتها ، وهي تعلم ان البعد لن ينسيه حبها .

وتطول فترة الشهرين على ابي جعفر ، واذا به يعلق بجارية سوداء سعت اليه من بعض القصور ، فأقام معها اياماً وليالي بظاهر غرناطة في ظل ممدود ، وبلغ حفصة ما بين حبيبها وبين تلك الجارية ، فكتبت اليه :

يا اظرف الناس قبل حال
اوقعه وسطه القدر
عشقت سوداء مثل ليل
بدائع الحسن قد ستر
بالله قل لي وانت ادرى
بكل من هام في الصور
من الذي حبّ قبلُ روضاً
لا نور فيه ولا زهر[٣٩]

فكتب اليها معتذراً :

عدمت صبحي فاسودّ عشقي
وانعكس الفكر والنظر[٤٠]

ويبدو من هذا ان للجواري السود نصيباً مهماً من غاية العشاق ، وكن هدفاً لما يرمون اليه ، ولعل ميل العشاق الى تلك الجواري السود يدخل من باب اغاظة المحبوب ، فهو يكيدها بميله الى ما هو اقل منها جمالًا . وقد شاركه في هذا الميل شاعر يسبقه بزمن بعيد هو ابن زيدون . وقد مال الى جارية سوداء من جواري محبوبته ولّادة ، فكتبت اليه :

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا
لم تهو جاريتي ولم تتخيّرِ
وتركت غصناً مثمراً بجماله
وجنحت للغصن الذي لم يثمرِ
ولقد علمت بانني بدر السما
لكن ولعت لشقوتي بالمشتري[٤١]

وعند المقارنة بين عتب حفصة على ابي جعفر ، وبين عتب ولّادة على ابن زيدون يتبين لنا ان الفرق كبير بينهما ، فعتب حفصة كله رقة ودلال وذلك لان حفصة تحب ابا جعفر حقاً ، وتصويرها للجارية السوداء فيه ظرف ورقة ، فهي ظاهراً لا تسيء اليها ، وانما تسأله وهو يفهم في تناسق الصور من احب روضاً حالياً من النور والزهر ، وعتبّ ولّادة فيه تعالٍ وخشونة ، وذلك لان ولادة تحب نفسها اولًا ، وهي فيما يبدو متكبرة ، وتتصرف كاميرة حين تعاتب حبيبها ابن زيدون ، فقد ترك غصناً مثمراً بالجمال ومال الى الغصن الذابل الذي لم يثمر .

ولما طال الافتراق على ابي جعفر ، وتمكنت منه الوحشة والسأمة ، استبد به الشوق ، فكتب اليها دون ان يذكر اسمها وحسبه في ذلك حبه علامة بينهما ، فهو يكفيه انه يخاطب حبيباً لا يعدله حبيب ، فقد برحه الشوق واضناه الانتظار ، وطالت عليه الايام حتى حسبها الايام الاخيرة من عمره ، فاخذ يستنجزها ان تفي بما وعدت ، وان تترك ما قطعت عليه اليوم لا غداً ، وإلّا فالياس قد اخذ منه كل ماخذ :

يا من اجانب ذكر اسـ
ـمهِ وحسبي علامة
ما إن ارى الوعد يُقضى

والعمـــر اخشى انصـــرامـــة[٤٢]

ثم وجّه ابياته مع غلامه عصام ، وبقي متلهفاً لمعرفة ردّها عليه .

وعندما وصل حفصة كتاب حبيبها وقرأته ، اجابت عليه بتدلل ، ولكنه ادخل على قلبها الفرح والغبطة ، فتركت الوعد الذي قطعته ، ولكنها لم تستطع ان تبوح بذلك ، وانما اشارت الى ذلك اشارة خفية لا يفهمها غيره :

يـــا مـــدّعي في هـــوى الحســ
ـنِ والغـــرام الامـــامـــة
لـــو كنت تعـــرف عـــذري
كففت غـــرب المـــلامـــة[٤٣]

ووجهت ابياتها مع رسوله الذي لعنته وسبّته زيادة في التمويه ، فانصرف بغاية من الخزي ، وهو لا يعلم لماذا سبته ، ولما اطل على ابي جعفر وهو في انتظاره ، قال له : ما وراءك يا عصام ؟ قال اقرأ الابيات تعلم . فلما قرأها . قال : ما اسخف عقلك . انها وعدتني للقية في جنتي المعروفة بالكمامة . سر بنا ، فبادروا للكمامة فما كان إلّا قليلًا حتى وصلت اليه ، وكان احسن لقاء ..

محنته ومقتله :

ان هذه العلاقة الحميمة بين ابي جعفر بن سعيد وحفصة الركونية لم تدم طويلًا ، فقد تدخل السيد ابو سعيد عثمان بن الخليفة عبدالمؤمن في صراع مع ابي جعفر على حب حفصة والتنافس في هواها ، « فكان كل منهما على مثل الرضف للآخر »[٤٤] ووجد في وزارته عند السيد شيئاً لم يحتمله فضاق بالمنصب ، وكره ان يكون كاتباً عند من ينافسه في حبيبته ، ووجد الحساد والوشاة طريقهم للايقاع بالوزير وتنحيته عن منصبه . وكانت حفصة تعلم بما يبيته الوشاة ضده .

وحاولت حفصة اصلاح الامر فلم تفلح ، ومما زاد الطين بلة ان الوشاة قد نقلوا الى السيد بيتين من الشعر قالها وهو يصف يومه بعد ان خرج مع اصحابه الى الصيد ، فعزله السيد ابو سعيد عن وزارته كما مرّ ولم يأسف لهذا . ثم طلبت حفصة من ابي جعفر ان يبتعد كل منهما عن الآخر مدة شهرين ، لعلها تترضى الامير فيها . وتجتاح ابا جعفر نوبة من القلق والحيرة والغيرة ، فيقول لها محقّراً شان هذا الامير الذي اخذت تتقرب اليه : « ما هذا الغرام الشديد به ؟ أو ما تحبين في ذلك الاسود ، وانا اقدر ان اشتري لك من سوق العبيد بعشرين ديناراً خيراً منه »[٤٥] .

وتبلغ مقولته الامير ، فأسرها في نفسه ، واستشعر ابو جعفر النهاية والسيد يتوسد له المهالك في كل خطوة يخطوها ، ويبحث عن الامن بأي ثمن ، وقد صوّر لنا حالته البائسة بقوله :

من يشتـري مني الحيـاة وطيبهـــا
ووزارتي وتـــأدبي وتهـــذبي[٤٦]

واخذ السيد في امره مع ابيه واخوته ، وكانت فتنة محمد بن مردنيش في شرق الاندلس قائمة ، وبقيت هذه المنطقة تحت امرته منذ عام ٥٤٢ هـ حتى وفاته عام ٥٦٨ هـ ، ولم يستطع الموحدون ان يستولوا على ما في حوزته من ولايات .. فقال عبدالملك لابنيه ابي جعفر ومحمد « إن حركتنا حركة كنا سبباً لهلاك هذا البيت ما بقيت دولة هؤلاء القوم ـ ويعني الموحدين ـ والصبر عاقبته حميدة ، وقد كنا ننهاك عن الممارجة فلم تركب إلّا هواك »[٤٧] .

واخذ ابو جعفر واخوه عبدالرحمن واتفقا على ان يثورا في القلعة باسم ابن مردنيش ، وقد ساعدهما على ذلك قريبهما حاتم بن سعيد ، وخاطبوا ابن مردنيش وصدر لهم جوابه بالمبادرة ووصلت منه خيل ضاربة متوجهة الى القلعة ، وخافوا من ظهور الامر ، فبادر حاتم وعبدالرحمن الى القلعة وتم لهما المراد ، واخّر ابا جعفر التردد ففاتاه ، وتوقع ان يقبض عليه وهو في طريقه الى القلعة ، فقد اصبح الطريق اليها صعباً تتخلله العيون ، وراودته فكرة لعلها تنقذه من هذه المحنة ، وهي أن يتوجه الى مالقة ، ولم تكن مالقة اكثر امناً من الطريق الى القلعة ، فقد وضع السيد العيون في كل جهة . فقبض عليه والقي في السجن .

ووجد اخوه عبدالرحمن ان خطتهما قد فشلت وانتهت فرّ الى امير شرق الاندلس محمد بن مردنيش ، ووجد السيد بذلك سبباً آخر للايقاع بابي جعفر فطـوـلع بـأمره ، وامـر بقتلـه صبـراً سنة ٥٥٩ ـ هـ / ١١٩٨ م .

ولما بلغ حفصة مقتله حزنت عليه كثيراً ، ولبست الحداد علانية ، وبكته جهرة على الرغم من تعرضها الى الاساءة والتهديد بالقتل ، ورثته بابيات منها :

هـددوني من اجـل لبس الحـداد
لحبيب اردوه لي بـــالحـــداد[٤٨]

وعجز السيد ابو سعيد ان يجد الى قلبها طريقاً . وضاقت هي بالحياة في غرناطة ، وقد شهدت فيها مصرع حبيبها ، فارتحلت الى مراكش عاصمة الموحدين ، وقصدت الخليفة عبدالمؤمن ، فانشدته ابياتاً تطلب فيها الامان والمأوى ، وحقق لها الخليفة ما ارادت ، واختارها مؤدبة لبناته ، فوليت تعليم النساء في داره ، وامضت بقية حياتها في مراكش حتى وافاها الاجل عام ٥٨٠ هـ[٤٩] او عام ٥٨٦ هـ[٥٠] .

وبموتها انتهت قصة غرام جريء في مجتمع اسلامي يحرص كثيراً على التقاليد والاعراف المستمدة من الاسلام والقيم العربية ، فقصتهما تتقارب او تتشابه في اكثر من موضع من قصة ولادة وابن زيدون التي ملأت الآفاق شهرة وصيتاً ، ونالت اهتماماً كبيراً من لدن الادباء والدارسين[٥١] .

ولكن حينما نستعرض قصة حفصة وابن سعيد نراها الصورة المعكوسة لقصة ولادة وابن زيدون ، والقصتان تتشابهان لان كلا طرفيهما شاعران ، واذا كانت ولادة قد ارتبطت بالوزير الشاعر ابن زيدون ، فان حفصة هي الاخرى قد ارتبطت بالوزير الشاعر ابن سعيد ، واذا كان ابن

زيدون قد لقي منافساً هو الوزير ابن عبدوس ، فان ابا جعفر قد لقي ابا سعيد بن عثمان بن الخليفة عبدالمؤمن منافساً قوياً ، واذا كان الدهر قد حرم ابن زيدون من ولادة وانقلابها عليه ، واغترابه منفياً عن بلده ، فقد كان ابو جعفر اوفر حظاً من صاحبه ابن زيدون ، فقد ظل معشوقاً ، وكان اكثر وقته مطلوباً[٥٢] لان حفصة كانت اكثر شاعرية من ولادة ، واكثر جرأة في الهجوم على معاني العشق والغيرة والاثارة .

نتاجه الادبي :

ذكر ابو القاسم محمد بن عبدالواحد المعروف بالملاحي ، مؤلف كتاب (تاريخ علماء البيرة) ان شعر ابي جعفر مدون[٥٣] ولكننا لم نعثر على ديوانه ، وانما عثرنا على قصائد ومقطعات مبثوثة في مصادر الادب ، مثل : معجم الادباء للحموي ، والمغرب ، ورايات المبرزين ، والمرقصات والمطربات لابن سعيد ، والاحاطة لابن الخطيب ، ونفح الطيب للمقري ، ولعله كان يقصد الى انه مدون في بعض المصادر .

وقد تحدد هذا الشعر وفق اغراض معينة ، تنسجم ونظرته للحياة وفلسفته فيها . فقد غلب الوصف على شعره ، ولا سيما وصف الطبيعة الاندلسية ودعوات الاخوان الى مجالس الانس والادب ، ويليهما المديح وهو مديح موجّه الى والده والى الخليفة عبدالمؤمن ، وهو في مديحه لا يبتغي النوال وانما التقرب والرضا من السلطان ، فقد كان الشاعر من اسرة ميسورة تشتهر بالرئاسة والوزارة . وياتي الغزل بعد ذلك ، وهو غزل في محبوبته حفصة وتغزل ببعض الظرفاء من الغلمان . وكان يهزل من بعض اصحابه واخوانه ، فامتدت خفته هذه الى اغراضه الاخرى كالعتاب والاعتذار والمساجلات الشعرية ، وغيرها . فبلغت قصائده ومقطعاته اثنتين وسبعين قصيدة ومقطعة وموشحة واحدة[٥٤] .

ولكننا لا نظن ان هذا جل شعره اذا ما علمنا انه كان يرتجل كثيراً من الاشعار ولا سيما تلك التي تتعلق ببعض مجالس الانس والادب ، وما يدور فيها من مساجلات شعرية ، ولقاء المحبين وما يدور فيه من مطارحات شعرية ، وهي تستدعي سرعة الخاطر بعد التأثر بالمواقف التي تثير قريحة الشاعرين .

وشعره من الناحية الفنية يزخر بالصور الشعرية والاستعارات والمجازات ، واوزانه توافق اغراضه ، فالبحر الطويل والكامل استخدما في الوصف ودعوات الاخوان والمديح والاعتذار وهي اغراض جادة ، واستخدم السريع في المواقف التي تثير الانفعالات كالعتاب والاخوانيات والوصف والتهكم . اما الخفيف والمجتث فقد استخدمهما في الغزل والمساجلات الشعرية . وسنفرد دراسة في شعره من الناحية الفنية ان شاء الله .

اما نثره فهو قليل ، ويقتصر على بعض الرسائل في الاعتذار عن مجلس انس او تهنئة او تسلية . وكثيراً ما كان يستشهد فيه بشعراء الجاهليين والاسلاميين والعباسيين . ولعل اسهامه في كتاب المغرب في حلى المغرب دليل على ما يتمتع به من ثقافة وذوق ادبي .

شعره :

ـ حرف الهمزة ـ

(١)

قال ابو جعفر احمد بن عبدالملك بن سعيد : [طويل]

١ ـ ألا هـاتها إن المسرة وَصْلُها
وما الحزن إلّا في تـوالي جفائها

٢ ـ مُداماً بكَى الإبريق عند فراقها
وأضحـكَ ثغر الكاس عند لقائها

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : رايات المبرزين ٩٦ .

ـ حرف الباء ـ

(٢)

وله وهو من حسناته : [سريع]

١ ـ شُقّتْ جيوبٌ فرحاً عندمـا
آبتَ وفي البُعـد تُشقُّ القلوبْ

٢ ـ فقلتُ هذا موقفٌ ما يشقُّ
الجيبَ فيـه غيرُ صبٍّ طروبْ

٣ ـ فابتسمتْ زهواً وقالت كذا الـ
أفق لفَقْد الشمس شقّ الجُيوبْ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٨ .

(٣)

وشرب ليلة مع اصحاب لهم وفيهم وسيم ، فاعرض بجانبه وقطب ، فتكدر المجلس ، فقال ابو جعفر : [سريع]

١ ـ يا مَنْ نأى عنّا الى جانبِ
صدّاً كميل الشمس عند الغروبْ

٢ ـ لا تَزْوِ عنّا وجهَكَ المجتلى
فالشمسُ لا يُعهَد منها قطوبْ

٣ ـ إنْ دامَ هذا الحالُ ما بيننا
فـاننا عمّـا قـريبٍ نتـوبْ

٤ ـ ما نشتكي الدهرَ ولا خطبَه
لولاكَ ما دارت علينـا خطوبْ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٤)

ولما اظلم الليل نظر ابو جعفر وابن سيد الى منارة (شنتبوس) ، وقد عكست مصابيحها في النهر ، والى النجوم قد طلعت فيه : [مجتث]

قال ابن سيد :

اخلعْ على النهرِ ثـوبَ الـ
ـكـرى فـذلـك واجبْ

فقال ابو جعفر :

١ - وانظـرْ الى السُرجِ فيـهِ
كـالـزُهـرِ ذات الـذوائبْ

٢ - وحين صفَّقَ لـلـسـلافـ
ـقِ نقَّطتـه الكـواكبْ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٩٨ .

(٥)

وله يعتذر وقد دعي الى مجلس انس : [طويل]

١ - لئن غبتُ عمّن نورُه نورُ ناظري
فحسبي لـديـه أنْ اغيب عقابا

٢ - وسـوف اوافيـه مقـرّاً بـزلّتي
وفي حملـه أن لا يَطيـلَ حسـابـا

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٩١ .

(٦)

وله : [خفيف]

١ - ما خدمناكمُ لأنْ تشفعوا فيـ
ـنا بدارِ الجزاء يومَ الحسابِ

٢ - ذاك يومٌ أنا وأنتَ سـواء
فيه كلٌ يخـافُ سوء العقابِ

٣ - انّمـا الشانُ الذنبُ في هذه الدنـ
ـيا بسلطانكم عن الاصحـابِ

٤ - واذا ما خذلتموهم بشكوى
وبخلتم عنهم بـردّ الجـوابِ

٥ - فاعذروهم أنْ يطلبوا من سواكم
نصـرةً وارفعوا حجابَ العتابِ

٦ - واذا أرضُ مُجـدِبٍ لفظتْه
فله العذرُ في اتّبـاعِ السحابِ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٣ .

(٧)

فقال ابو جعفر (في الشاعر الرصافي البلنسي وقد اظهر الزهد وترك الخلاعة) : [طويل]

١ - بدا زهده مثل الخضابِ فلم يزلْ
بـه نـاصِلًا حتى بـدا زور كـاذبِ

التخريج :

البيت في : المقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٥ .

(٨)

جعل السيد يتوسد له المهالك ، وابو جعفر يتحفظ كل التحفظ ، وفي حالته تلك يقول : [كامل]

١ - من يشتري مني الحياة وطيبَها
ووزارتي وتـأدّبي وتهـذُّبي

٢ - بمحلُ راعٍ في ذُرىً ملمومةٍ
زُويتْ عن الدنيا باقصى مرتبٍ

٣ - لا حُكم يأخذه بها إلّا لمنْ
يعفـو ويرؤُف دائمـاً بـالمُذنبِ

٤ - فلقـد سئمتُ من الحياة مـع امرىءٍ
مُتغضبٍ مُتغلّبٍ مُتـتـرتّبِ

٥ - الموتُ يلحظُني اذا لاحظته
ويقـوم في فكري اوانَ تجنّبي

٦ - لا اهتدي مع طولِ ما حاولته
لرضاه في الدنيا ولا للمَهـربِ

التخريج :

الابيات في : ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٥ .

- حرف التاء -

(٩)

وقال ابو جعفر يصف صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور رخام يصنع في انبوبة الماء صورة خباء : [طويل]

١ - وراقصةٍ ليست تحرّكُ دون ان

يحركها سيفٌ من الماء مُصلَتُ

٢ ـ يدورُ بها كرهاً فتنضي صوارماً
عليه فلا تعيا ولا هو يُبهتُ

٣ ـ اذا هي دارتْ سرعة خِلتَ انها
الى كلِّ وجهٍ في الرياضِ تلفَّتُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٣ / ٤٩٧ .

ـ حرف الحاء ـ

(١٠)

وقال(*) : [سريع]

١ ـ عرِّج على الخَوْرِ وخيِّمْ بهِ
حيث الاماني ضافيات الجناح

٢ ـ واسبِق له قبل ارتحال الندى
ولا تــزره دون شــادٍ وراحْ

٣ ـ وكنْ مقيماً منه حيث الصَّبا
تمتارُ مسكاً من اريج البطاحْ

٤ ـ والقضبُ مال البعض منها على
بعض كما يثني القدود ارتياحْ

٥ ـ وشقُّ جيبَ الصبح نورٌ كما
شقَّتْ جيوب الطلِّ منها الرياحْ

٦ ـ لم أحصِ كم غاديته ثابتاً
واسترقصَتني الراحُ عند الرواحْ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٧ .

(*) وورد في النفح ايضاً : وعندما قال الشريف الاصم في فحص السرادق من متنزهات قرطبة شعر :

ألا فــدعــوا ذكــر العــذيب وبــارقٍ
ولا تســامــوا من ذكــر فحص الســرادقِ

قال ابو جعفر : فلما سمعت هذا الشعر لم اتمالك من الاستعبار ، وحركني ذلك الى ان قلت في خَوْر مؤمل سيد متنزهات غرناطة ... ولم يذكر هنا ما قاله فيه ، وذكره في موضع آخر . (المقري : نفح الطيب ١ ٤٧٥) .

(١١)

وكتب الى والده يطلب اعفاءه من الوزارة : [مجتث]

١ ـ مــولايَ في أيِّ وقتٍ
أنــالُ في العيش راحَــة

٢ ـ إنْ لم أنلهــا وعمــري
مــا إنْ أنــار صباحَــة

٣ ـ وللمــلاحِ عيــونٌ
تميــل نحــو الملاحَــة

٤ ـ وكــأسُ راحيَ مــا إنْ
تمــلُّ منيَ راحَــة

٥ ـ والخطبُ عنيَ أعمى
لم يقتــرب لي ســاحَــة

٦ ـ وأنت دوني ســـورٌ
من العُــلا والــرجــاحَــة

٧ ـ فــاعْفِني وأقِلني
ممــا رأيتَ صــلاحَــة

٨ ـ مــا في الــوزارةِ حظٌّ
لمنْ يــريــدُ ارتيــاحَــة

٩ ـ كُــلٌّ وقــالٌ وقيــلٌ
ممن يطيــلُ نبــاحَــة

١٠ ـ أنسي أتى مستغيثــاً
فــاتــركْ فُــديتَ ســراحَــة

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٠ .

(١٢)

وله عند اول حضوره أمام عبدالمؤمن : [وافر]

١ ـ عليكَ أحالني داعي النجاحِ
ونحوكَ حثّني هادي الفلاحِ

٢ ـ وكنتُ كساهرٍ ليلاً طويلاً
ترنَّح حين بُشِّــر بالصباحِ

٣ ـ وذي جهدٍ تغلغلَ في قفارٍ
شكــا ظماً فدُلَّ على القَراحِ

٤ ـ دعانا نحو وجهكَ طيبُ ذكرٍ
ويــدعو للــرياضِ شذا الريــاحِ

التخريج :

الابيات في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٤ والمقري : نفح الطيب ٤ / ١٨١ وفي النفح : البيت الاول ـ حادي الفلاح . وفيه : البيت الثالث ـ وذي جهل وفيه ايضاً : البيت الرابع ـ ويذكر للرياض .

ـ حرف الدال ـ

(١٣)

وقوله وقد بلغه ان حاسداً شكره : [مجتث]

١ ـ متى سمعتَ ثنـــــاءً
عمّن غـدا لـك حـاسـد
٢ ـ فكـــان منــك انخداعٌ
بــه فـرأيـكَ فـاسـد
٣ ـ بصـــدره منـك نـارٌ
لهيبُهـا غيـرُ خـامـد
٤ ـ وعلّــه لــك مــا زِدْ
تَ في السعــادة زائــد
٥ ـ وانّمـا ذاك منـــه
كـالحبّ في فـخّ صـائـد

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٩ .

(١٤)

دخل ابو جعفر في احد منازه وادي اشبيلية فاظهر له احد السفهاء صوتاً قبيحاً واعلم ان الشاعر احمد بن سيد المشهور باللص قد املى على السفيه ما قال وصنع ، فكتب اليه معاتباً : [خفيف]

١ ـ يا سميّي وإن أفاد اشتراكٌ
غيرَ ما يرتضيه فضــلٌ ووُدّ
٢ ـ أكـذا يُزدرى الخليلُ بأفقٍ
أنتَ فيــه ولم يكن منكَ ردّ
٣ ـ لا أرى من سلّطتَ ...... ولكنْ
ليس يُخفى عليكَ من هو .....

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٩٣ .

٣ ـ الموضعان المنقوطان يدلان على كلمة قبيحة .

(١٥)

وله يصف ناراً : [طويل]

١ ـ نظرتُ الى نارٍ تصولُ على الدجى
اذا مـا حسبناهـا تـدانت تبعُـدُ
٢ ـ تـرفّعها ايدي الريـاح وتـارةً
تخفّضهـا مثـلَ المكبّر يسجـدُ
٣ ـ وإلّا فمن لا يملك الصبر قلبُه
يقـومُ بـه غيظٌ هنـاك ويقعـدُ
٤ ـ لها ألسنٌ تشكو بها ما اصابها
وقـد جعلتْ من شدّة القُرّ تُرعـدُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٥ .

(١٦)

وعندما قاربت الشمس الغروب ، ومد لها في النهر معصم مخضوب ... [مجتث]

١ ـ قال ابو جعفر :
انظـر الى الشمسِ قـد أل
ـصقتْ على الارض خـدّا
٢ ـ فقال ابن سيد :
هي المـــــراةُ ولكن
من بعـدهـا الافقُ يصـدا
٣ ـ فقال ابو جعفر :
مـدّتْ طـرازاً على النهـ
ـرِ عنـدمـا لاح بُـردا
٤ ـ فقال ابن سيد :
أهـدت لطـرفـكَ منـه
مـا للاكـارم يُهدى
٥ ـ فقال ابو جعفر :
درعُ اللجينِ عليـــــه
سيفُ من التبـر مُـدّا
٦ ـ فقال ابن سيد :
فـاشـربْ عليـه هنيئـاً
وزدْ سـروراً وسعـدا

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(١٧)

ولما طلع الفجر .. [مجزوء الرمل]

١ ـ قال ابو جعفر :
نثـرَ الطـلُ عقـودَهْ
ونضـا الليـلُ بـرودَهْ
٢ ـ قال ابن سيد :
وبـدا الصبـحُ بـوجـهٍ
مُطلِـعٌ فينـا سعـودَهْ
٣ ـ فقال ابو جعفر :

وغــــدا ينشــــرُ لمّـــــا
فتــــرَ الليــــلُ بنـــــوءَهْ

٤ ـ فقال ابن سيد :
فهلمَّ اشـــــربْ وقبّــــلْ
من غـــــدا يُنطقُ عـــــوءَهْ

٥ ـ فقال ابو جعفر :
ثم صـــــافحـــــه على رغـــ
ـمِ النــــوى وافــــركْ ....

٦ ـ فقال ابن سيد :
واجعــــلْ الشكــــر على مــــا
نلتــــه منــــه جحــــوءَهْ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

٥ ـ الموضع المنقوط يدل على كلمة تخرج عن المألوف .

(١٨)

وقوله وقد مرّ بقصر من قصور الخليفة عبدالمؤمن وقد رحل عنه : [بسيط]

١ ـ قصرَ الخلافة لا أخليتَ من كرمٍ
وإنْ خلــوتَ من الاعــداد والعُــدَدِ

٢ ـ جُزْنا عليه فلم تنقص مهابتُــه
والغيْــلُ يخلــو وتبقى هيبــةُ الاســدِ

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٧ والمقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٦ في النفح : البيت الاول ـ قصر الخليفة ، وفيه : البيت الثاني ـ جزنا عليك .

(١٩)

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور ، ومحمد بن عبدالرحمن الكتندي وغيرهما ، فاخذوا يوماً في ان يخرجوا لنجد او حور مؤمل ، فقالوا ما لنا غنى عن ابي جعفر بن سعيد ، فكتبوا له شعراً :

بعثنــا الى ربّ السمــاحــة والمجــدِ
ومن حــاله في ملــة الظرف من نــدّ

.... الابيات .

فكان جوابه لهم : [طويل]

١ ـ هو القول منظوماً او الدرّ في العقدِ
هو الزّهرُ نفّاحُ الصبا ام شذا الودِّ

٢ ـ أتاني وفكري في عقالٍ من الاسىٰ
فحلّ بنفث السحرِ ما حلّ من عقدِ

٣ ـ ومن قبل علمي أين مبعثُ وجههِ
علمت جنابَ الوردِ من نَفَس الوردِ

٤ ـ وأيقنتُ أنّ الــدهرَ ليس بــراجعٍ
لتقــديم عصرٍ او وقــوفٍ عل حــدِّ

٥ ـ فكــلُّ أوانٍ فيــه اعــلامُ فضلــه
تــرادف مــوج البحــر ردّاً الى ردِّ

٦ ـ فكم ضيّهــا من فــائتٍ متــرنّمٍ
يهزّ بما [illegible] معطف الصلدِ

٧ ـ فيا منْ بهم تُزهىٰ المعالي ومن بهم
قياد المعاني ما سوى قصدكم قصدي

٨ ـ فسمعاً وطوعاً للذي قد أمرتمُ
به لا أرى عنه مدى الدهر من بُدِّ

٩ ـ فقوموا على اسم الله نحو حديقةٍ
مقلّــدة الاجيــاد مــوشيّــة البُــردِ

١٠ ـ بها قبّةٌ تُدعىٰ الكمامة فاطلعوا
بهــا زهــراً أذكىٰ نسيمــاً من النــدِّ

١١ ـ وعندي ما يحتــاج كلُّ مــؤمِّلٍ
من الراح والمعشوق والكتْب والنــردِ

١٢ ـ فكلُّ الى ما شاءه لستُ ثانياً
عنــانــاً لما انّ المســاعــد ذو الــودِّ

١٣ ـ ولستُ خليّــاً من تــأنّس قينةٍ
اذا ما شدتْ ضلَّ الخليُّ عن الرشدِ

١٤ ـ لها ولدٌ في حجرها لا تزيله
أوانَ غنــاءٍ ثم تــرميــه بــالبعــدِ

١٥ ـ فيا ليتني قد كنتُ منها مكانه
تُقلّبني مــــا بين خصــرٍ الى نهــدِ

١٦ ـ ضمنتُ لمن قد قال الخيّ زاهدٌ
اذا حلّ عندي ان يحول عن الزهدِ

١٧ ـ فإنْ كان يرجو جنّة الخلد آجلاً
فعنــدي له في ...... جنّةُ الخلــدِ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٤ ـ ٥١٥ .

١٧ ـ الموضع المنقوط كلمة تخرج عن المألوف .

(٢٠)

وله وقد تقدم امامه في ليلة مظلمة احد اصحابه ، فطفىء السراج في يده فقال لوقته : [مجتث]

١ ـ لي من جبينك هادي
في الليل نحو مرادي
٢ ـ فما اريد سراجاً
يدلّني لرشادِ
٣ ـ أنّى وكفّك سحبٌ
يبدو بها ذا اتّقادِ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٤ .

ـ حرف الراء ـ

(٢١)

وكتب ابو جعفر الى حفصة معتذراً بعد اعتكافه مع جارية سوداء اظرف اعتذار : [منسرح]

١ ـ لا حُكمَ إلّا لآمرٍ ناهِ
له من الذنبِ يُعتذرْ
٢ ـ له مُحيّا به حياتي
اعيذُ مجلاه بالسُّورْ
٣ ـ كضحوة العيد في ابتهاجٍ
وطلعةِ الشمس والقمرْ
٤ ـ بسعده لم أمِلْ اليه
إلّا طريفاً له خَبَرْ
٥ ـ عدمتُ صبحي فاسودّ عشقي
وانعكس الفكر والنظرْ
٦ ـ إن لم تلح يا نعيمَ روحي
فكيف لا تفسدُ الفِكَرْ

التخريج :

الابيات في : الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٥٠٠ ـ ٥٠١ في الاحاطة : البيت الاول ـ من ذنبه معتذر . والبيت الثاني ـ اعيذ مداه . والبيت الثالث ـ كصحبة العيد . والبيت الرابع ـ سعده لم امل اليه ...... إلا اطرافاً له خبر .

(٢٢)

وله وقد اجمع رأيه على ان يفد على امير المؤمنين عبدالمؤمن ، فاخذ في ذلك مع اصحاب له ، فجعلوا يثنونه عن ذلك ، وظهر عليهم الحسد له فقال : [سريع]

١ ـ سر نحوَ ما تختارُ لا تسمعنْ
ما قاله زيدٌ ولا عمرُو
٢ ـ كلُّهمُ يحمد ما رمتَهُ
مهما يساعدْ رأيكَ الدهرُ
٣ ـ عجبتُ ممن رام صدرَ العلا
يرومُ أن يصفو له دهرُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٨ .

(٢٣)

ومما قاله في الخليفة عبدالمؤمن وهو محتل بجبل الفتح : [طويل]

١ ـ تكلّم فقد اصغى الى قولك الدهرُ
وما لسواكَ اليومَ نهيٌ ولا أمرُ
٢ ـ ورُمْ كلَّ ما قد شئته فهو كائنٌ
وحاولْ فلا برٌّ يفوت ولا بحرُ
٣ ـ وحسْبُكَ هذا البحرُ فألّا فإنّه
يقبّلُ تُرباً داسه جيشكَ الغمْرُ
٤ ـ وما صوتُه إلّا سلامٌ مُرددٌ
عليك وعن بشْرٍ بقربك يَفتَرُ
٥ ـ بجيش لكي يلقى امامك مَن غدا
يعاند امراً لا يقوم له أمرُ
٦ ـ اطلَّ على ارض الجزيرة سَعدُها
وجدّد فيها ذلك الخَبَرَ الخُبْرُ
٧ ـ فما طارقٌ إلّا لذلك مُطرقٌ
ولابن نُصَيْرٍ لم يكن ذلك النَّصْرُ
٨ ـ هما مهّداها كي تحُلَّ بأرضها
كما حلَّ عند التمّ بالهالةِ البدرُ

ومنها :

٩ ـ ألا إنّ قصراً قد بدا لي بافقه
مُحيّاك اهلٌ ان يخرّ له البدرُ
١٠ ـ اطلّ على البحر المحيط مرفّعاً
فختّمه الشّعرى وتوّجه النَّسْرُ
١١ ـ ووافتْ جيوشُ البحر تلثم عِطفه
مرادِفةً لمّا تناهى به الكِبْرُ
١٢ ـ وما صوتها إلّا سلامٌ مرددٌ

وفي كل قلب من تصعُّدها نعرُ

١٣ ـ ألا قل له يعلو الثريّا فانّـه
اطلّ على بحر وحلّ بـه بحـرُ

١٤ ـ محيطان بالدنيا فليس لفخره
اذا لم يكن طلقَ اللسان به عـذرُ

التخريج :

الابيات من (١ ـ ٨) في : ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤ والبيت الاول والابيات من (٩ ـ ١٤) في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٥ في المغرب : البيت الاول ـ وما لسواك الان .

(٢٤)

وكتب الى ابي جعفر ابو الحكم بن هردوس في يوم بارد بغرناطة ، فوجه بما طلب ، وجاوبه بما كتب : [خفيف]

١ ـ ايها السيد الاجلُّ الوزيرُ
الـذي قـدره مُعلّى خطيـرُ

٢ ـ قد بعثنا بما أشرتَ اليه
دُمتَ لـلانس والسـرور تشيـرُ

٣ ـ كان لغزاً فككتـه دون فكر
إنّ فهمي بمـا تـريـد خبيرُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ٢٠١ .

(٢٥)

وقال في نهر الوادي الكبير (نهر حمص) باشبيلية : [مجزوء الرمل]

١ ـ نهـر حمص لا عـدمنـا
كَ فمـا مثلـك نهـرُ

٢ ـ فيـك يُلتـذُّ ارتيـاحٌ
أبـد الـدهـر وسكـرُ

٣ ـ كلُّ عمرٍ قد خلا منـ
ـك فمـا ذلـك عمـرُ

٤ ـ خصّـه الله بمعنى
فيـه لـلالبـاب سـرُّ

٥ ـ يُلعنُ الانسـان فيـه
وهـو يُصغي ويُسـرُّ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢٦)

وله وهو من آياته : [كامل]

١ ـ إنّي لاحمدُ طيفَها وألومها
والفـرقُ بينهمـا لـديّ كبيـرُ

٢ ـ حي إنْ بدتْ لي شيبةٌ في جفوةٍ
والطيفُ في حين المشيب يزورُ

٣ ـ واذا توالى صدُّها أو بينُها
وافى على أنّ المـزار عسيـرُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٧ .

(٢٧)

وله يستدعي احد ابناء الرؤساء الى يوم اجتماع : (وافر) :

١ ـ تـداركْنا فـإنّا في سـرورٍ
ومـا بسـواكَ يكتمـلُ السـرورُ

٢ ـ أهلّة أنسنا بـك في تمامٍ
أليس تتمُّ بـالشمس البـدورُ

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٦ .

(٢٨)

ومن شعره : [طويل]

١ ـ أتاني كتابٌ منك يحسده الدهرُ
أما حبره ليـلٌ ، أما طرسه فجرُ

٢ ـ به جمع الله الاماني لناظري
وسمعي وفكري فهو سحرٌ ولا سحرُ

٣ ـ ولا غرْوَ إنْ ابدى العجائب ربُّه
وفي ثـوبـه بـرٌّ وفي كفّه بحـرُ

٤ ـ ولا عجبٌ إنْ أينع الزهـرُ طيّه
فما زال صوبُ القطْر يبدو به الزهرُ

التخريج :

الابيات في : ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، والبيت الاول فقط في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٥ .

(٢٩)

وكتب كل من ابي جعفر وحفصة بيتاً عن لدخل الكتندي

بينهما ، ثم سقوطه في حفرة مطمورة ، فابتدأ ابو جعفر : [مجزوء الرجز]

١ - قُــلْ للــذي خلصنــا
منــه الــوقــوع في ......[1]
٢ - ارجــع كمــا شــاء ......
يــــا ابن ...... الى ورا
٣ - وإنْ تعُــدْ يــومــاً الى
وصـــالنـــا ســـوف تـــرى
٤ - يـــا أسقط النـاس ويـا
انـــذلهم بـــلا مـــرا
٥ - هـذا مدى الـدهـر تـلا
قي لـــو اتيت في الكـــرى
٦ - يـا لحية تشفف في الـ
...... وتشنــــا العنبـــرا
٧ - لا قـــرّب الله اجتمـــا
عـــاً بـــك حتى تُقبـــرا

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٧٥ .

(١) المواضع المنقوطة تدل على كلمة قبيحة .

(٣٠)

وقوله في والده وقد شدّ عليه درعاً ، وخرج بجنده غازياً : [طويل]

١ - أيا قائد الابطال في كل وجهةٍ
تطير قاوبُ الاشد فيها من الـذعـرِ
٢ - لقد قلتُ لمّا أنْ رأيتـك دارعاً
أيا حسنَ ما لاح الحبابُ على النحرِ
٣ - وأنشـدتُ والابطال حـولك هـالةٌ
أيا حسنَ ما دار النجومُ على البدرِ
٤ - فسِرْ مثلما سار الصباح الى الدجى
وأبْ مثلمـا آبَ النسيمُ عن الزهـرِ

التخريج :

الابيات في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٧ والابيات الثلاثة الاولى منها في المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٩ .

(٣١)

وقال يصف قلعة بني سعيد : [طويل]

١ - الى القلعة الغرّاء يهفو بي الجوى
كـأنّ فـؤادي طـــائرٌ زُمّ عن وكـرِ
٢ - هي الدار لا ارضٌ سواها وإنْ نأتْ
وحجْبها عني صروفٌ من الدهـرِ
٣ - أليستْ باعلىٰ ما رأيتُ منصّةً
تجلّتْ بحلْيٍ كالعروس على الخـدرِ
٤ - لها البدرُ تاجٌ والثريّـا شُنُوفها
ومـا وَشْمُها إلّا من الانجم الزُّهرِ
٥ - أطلّت على الفحص النضير فكلُّ منْ
رأى وجهةً منها تسلّى عن الفكـرِ

التخريج :

الابيات في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٠ .

(٣٢)

وله في غلام اسود ساقٍ ارتجالًا : [طويل]

١ - ادار علينا الكاسَ ظبيٌ مهفهفٌ
غدا نشره واللـون للمنبر الشحري
٢ - وزاد لنـا حسناً بزهر كـؤوسه
وحسنُ ظـــلام الليل بالانجم الزُهرِ

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٢ .

(٣٣)

وقال ابو جعفر بن سعيد : [طويل]

١ - ولمـا رأيتُ السعدَ لاح بـوجهه
منيراً دعاني مـا رأيتُ الى الذكرِ
٢ - فاقبلَ يُبـدي لي غرائبَ نُطقه
وما كنتُ أدري قبلها منزعَ السحرِ
٣ - فاصغيتُ إصغاءَ الجديبِ الى الحيا
وكـان ثنائي كـالرياض على القطرِ

التخريج :

الابيات في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٥ والمقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٣ في النفح : البيت الاول - لاح بوجهه .. ما رأيت الى الشكر . البيت الثاني - واقبل يبدي .. ادري قبله .

(٣٤)

وله وقد احسن ما شاء : [طويل]

١ - تـركتكمْ لا كارهـاً في جنابكم

ولكنْ أبى ردّي الى بابكم دهري

٢ ـ وطاحت بي الاطماعُ من كل وجهةٍ
تنقّلني من كل سهل الى وعرِ

٣ ـ وما باختيارٍ فارقَ الخلدَ آدمٌ
وما عن مرادٍ لاذ أيوبُ بالصبرِ

٤ ـ ولكنها الايام ليست مقيمةً
على ما اشتهاه مُشتهٍ أمدَ العمرِ

٥ ـ وإنك إنْ فكّرتَ فيما اتيته
تيقّنتَ أن الترك لم يكُ عن غدرِ

٦ ـ ولكنْ لجاجٌ في النفوس اذا انقضى
رجعتُ كما قد عاد طيرٌ الى وكرِ

٧ ـ وإنّي لمنسوبٌ اليكم وإنْ نأتْ
بيَ الدار عنكم والغدير الى القطرِ

٨ ـ وإني لمُثْنٍ بالذي نلتُ منكمُ
مقيمٌ على ما تعلمون من البرِّ

٩ ـ وإن خنتكم يوماً فخانَني المنى
وساء لديكم بعد إحماده ذكري

١٠ ـ على انني أقررتُ انّيَ مذنبٌ
وذو المجد منْ يُغني المقرَّ عن العذرِ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٥ .

(٣٥)

وقوله : [طويل]

١ ـ يقوم على الآداب حقّ قيامها
ويكبر عمّا يظهرون من الكِبْرِ

٢ ـ كصوبِ الحيا إنْ ظلَّ يُسمع وهو إنْ
غدا سامعاً مثل المصيخ الى الشكرِ

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٥ .

(٣٦)

وله في حمّام والنصف الاخير لابن بقي : [بسيط]

١ ـ لا أنسَ ما عشتُ حمّاماً ظفرتُ به
وكان عندي أحلى من جنى الظفرِ

٢ ـ نعمتُ جسمي في ضدّين مفتتناً
(تنعُّمَ الغصن بين الشمس والمطرِ)

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٢ .

ـ حرف السين ـ

(٣٧)

وله في شعاع القمر والشمس على النهر : [طويل]

١ ـ ألا حبّذا نهرٌ اذا ما لحظتَه
ابى أنْ يردَّ اللحظَ عن حسنه الانسُ

٢ ـ ترى القمرين الدهرَ قد غُنيا به
يفضّضه بدرٌ وتُذهبه شمسُ

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٦ ووردا ايضاً في ٤ / ١٨٩ .

ـ حرف الصاد ـ

(٣٨)

وله يصف خروجه الى الصيد في يوم بارد : [طويل]

١ ـ ويومٍ تجلّى الافق فيه بعنبرٍ
من الغيم لُذنا فيه باللهو والقنَصْ

٢ ـ وقد بقيتْ فينا من الامس فضلةٌ
من السكر تُغرينا بمنتهب الفُرَصْ

٣ ـ ركبنا له صبحاً وليلًا وبعضنا
اصيلًا وكلٌّ ان شدا جلجلٌ رقصْ

٤ ـ وشهب بزاةٍ قد رجمنا بشهبها
طيوراً يساغُ اللهوُ إنْ شكّتِ الغُصَصْ

٥ ـ وعن شفق تغري الصباح او الدجى
اذا اوثقتْ ما قد تحرّك او قمصْ

٦ ـ وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا
على قنص اللذات والبردُ قد قرصْ

٧ ـ بخيمة ناطورٍ توسّط عذبُها
جحيمٌ به من كان عذّب قد خلصْ

٨ ـ ادرنا عليه مثله ذهبيةً
دعته الى الكبرى فلم يجب الرخصْ

٩ ـ فقل لحريص انْ يراني مُقيّداً
بخدمته لا يُجعل الباز في القفصْ

١٠ ـ وما كنتُ إلّا طوعَ نفسي فهل ارى
مطيعاً لمن عن شأو فخري قد نقصْ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٠ ـ ١٨١ وورد البيت التاسع فقط في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٤ .

ـ حرف العين ـ

(٣٩)

وقوله : [طويل]

١ ـ ألا حبّذا روضٌ بكرنا له ضحىً
وفي جنبات الروض للطـــلِّ أدمعُ

٢ ـ وقد جعلتْ بين الغصون نسيمةٌ
تمزّق ثوب الطـــلّ منها وترقعُ

٣ ـ ونحن اذا مـــا ظلّت القضبُ ...
نظـــلُّ لهـــا من هـــزّة السكر ...

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٧ .

٣ ـ الموضعان يدلان على كلمة تخرج عن المألوف .

(٤٠)

وله ايضاً : [طويل]

١ ـ أيا لائمي في حمل صحبة جاهلٍ
قَطوب المحيّا سيىء اللحظ والسمعِ

٢ ـ لمنفعةٍ تُرجىٰ لديه صحبتُه
وإن كـــان ذا طبع يخالفه طبعي

٣ ـ كما احتمل الانسان شرب مرارة الـ
ـــدواء لمـــا يرجـــو لديه من النفعِ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٥ .

ـ حرف الفاء ـ

(٤١)

وقوله وهو من بدائعه : [طويل]

١ ـ بـــدا ذنبُ السرحـــان ينبىءُ أنه
تقـــدّم سبقـــاً والغـــزالـــة خلفَـــهُ[1]

٢ ـ ولم تَرَ عيني قبلها من مُتـــابعٍ
لمن لا يـــزال الدهـــرُ يطلب حتفَهُ

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٧ والمقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٥ في النفح : البيت الاول ـ تقدم سبقْ .

(١) ذنب السرحان : الفجر . والغزالة : الشمس . وهما توريتان .

ـ حرف القاف ـ

(٤٢)

وله : [مخلع البسيط]

١ ـ أبصـــره من يلـــوم فيـــه
فقـــال ذا في الجمـــال فـــائقْ

٢ ـ أمـــاترى مـــا دُهيت منه
كـــان عـــذولاً فصـــار عـــاشقْ

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٩ .

(٤٣)

وقوله في غلام اسود وقد لبس بياضاً : [متقارب]

١ ـ وغصنٍ من الابنوس ارتدىٰ
بعـــاجٍ كليـــلٍ عـــلاه فلقْ

٢ ـ يحاكي لنا الكأس في كفّه
صبـــاحٌ بجُنـــحٍ عـــلاه شفقْ

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٢ .

(٤٤)

ولما اجتمع وجهه بوجه ابيه ـ وقد اخرجه عبدالمؤمن من السجن ـ جعل يحمد الله تعالى جهراً ، ويغرّد بهذه الابيات : [طويل]

١ ـ طلعتَ علينا كالغزالة بـــالضحى
وعـــزّك طمّـــاحٌ ووجهـــك مشـــرقُ

٢ ـ فغفـــراً لذنب الدهـــر أجمعَ إنّه
اتى اليومَ من حسناه ما هو أليقُ

٣ ـ فلُحْ في سماء العزّ بالسعدِ طالعاً
وقـــدرك ســـامٍ افقـــه ليس يلحقُ

٤ ـ فقد سرحتْ لما غدوتَ مسرّحاً
قلـــوبٌ وافكـــارٌ وسمـــعٌ ومنطقُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٤٥)

وكتب الى حفصة راغباً في الوصال والانس الموصول [خفيف]

١ - أيُّ شغل عن المحبّ يعوقُ
يا صباحاً قد آن منه الشروقُ

٢ - صِلْ وواصلْ فانت اشهى الينا
من لذيذ المنى فكم ذا نشوقُ ؟

٣ - لا وحبيكِ لا يطيب صبوحٌ
غِبْتِ عنــه ولا يطيبُ غبوقُ

٤ - لا ونلُّ الجفا وعزِّ التلاقي
واجتمــاعٍ اليه عـزَّ الطريقُ

التخريج :

الابيات في : الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٦- ٢٢٧ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٥٠١ في الاحاطة : البيت الاول - عن الحبيب يعوق .. يا صاحباً قد آن . والبيت الثاني - من جميع المنى ... ذا تشوق . والبيت الثالث - بحياة الوصل يطيب صبوح ... عرفاً إن جفوتنا او غبوق . والبيت الرابع - لا وذلّ الهوى .

(٤٦)

وله : [مجتث]

١ - لا تكثــرنَّ عتــابي
إن طــال عنــك فــراقي

٢ - فمــا يضــرُّ بعــادُ
بطــول الــودُّ بــاقي

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٣ .

(٤٧)

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فانبا عن علو قدر، فساله عن بلده ، فقال : اشبيلية ، ففكر ثم قال : [بسيط]

١ - يا سيّداً لم أكن من قبلُ أعرفه
حتى تكلّم مثــل الــروض بــالعبَقِ

٢ - وزادني أنْ غدا في حمصَ منشؤه
لقــد تشاكــل بين البــدر والافقِ

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٦ .

- حرف الكاف -

(٤٨)

وله على لسان انسان اخلقت بردته : [سريع]

١ - مولاي هذي بُردتي أخلقتْ
وليس شــيء دونهــا أملــكُ

٢ - وصرتُ من باسٍ ومن فاقةٍ
ابكي اذا ابصــرتُها تضحــكُ

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٦ .

- حرف اللام -

(٤٩)

وكتب للشاعر الكتندي في ظهر رقعته كلام وذيّله بقوله . [مجزوء الكامل]

١ - سمّــاكَ من اهــواه حــائلْ
إنْ كنتَ بعــد العتبِ واصــلْ

٢ - مــع أنّ لــونَــكَ مزعــجٌ
لــو كنت تحبس بــالســلاسلْ

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٧٥ .

(٥٠)

وقال في جواب حفصة : [سريع]

١ - أحِلّكُمْ ما دام بي نهضةٌ
عن انْ تزوروا إنْ وجدتُ السبيلْ

٢ - ما الروضُ زوّاراً ولكنّما
يــزوره هبُّ النسيمِ العليــلْ

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٦ .

(٥١)

وقال ابو جعفر من ابيات في بسيط غرناطة : [كامل]

١ - يا حُسْنَ يومِ المهرجان وطيبه
يــومٌ كما تهوى أغرُّ محجّلُ

٢ - سرّحْ لحاظكَ حيث شئتَ فإنّه
في كلِّ موقعِ لحظةٍ متــأمّلُ

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٨ وورد البيت الثاني ايضاً في كل من : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٠٣ والمقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٧ .

(٥٢)

وقال له السيد ابو سعيد عثمان بن عبدالمؤمن صاحب

غرناطة ما أنت إلّا حسن الفراسة وافر العقل : [طويل]

١ ـ نسبتُم لمن هذّبتموه فراسةً
وعقلًا ولولاكم لـلازمه الجهلُ

٢ ـ وما هو أهلٌ للثناء وانما
علاكم لتقليد الايادي له أهلُ

٣ ـ وما أنا إلّا منكمُ واليكمُ
وما فيّ من خيرٍ فانتم له أصلُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٣ .

(٥٣)

وله وقد سافر بعض الارائل بماله ، فنكب في سفره ، وعاد فقيراً باسوأ أحواله : [بسيط]

١ ـ اغدُ ولا يغنِ عنك القيل والقالُ
فـالجود مبتسمٌ والفضل يختالُ

٢ ـ قالوا فلانٌ رماه الله في سفرٍ
رآه رأياً بما حالت به الحالُ

٣ ـ فـآب منه سليباً مثل مولده
عليه ذلٌ وتفجيعٌ وإقلالُ

٤ ـ فقلتُ : لا خفّف الرحمن عنه ، فلم
يكن لـديه على القصّاد إقبالُ

٥ ـ فقل له : دام في ذلٍ ومسغبةٍ
ولا اعيدت له في المال آمالُ

٦ ـ قد كان حمقك حسنُ المال يستره
فـاليومَ اصبحتَ لا عقلٌ ولا مالُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٥٤)

وله وقد سافر احد الرؤساء من اصحابه : [متقارب]

١ ـ أيا غائباً لم يغب ذكره
ولا حالَ عن ودّه حائلُ

٢ ـ لئن مال دهري بي عنكمُ
فقلبي نحوكمُ مائلُ

٣ ـ فـإنّي شاهدتُ منكمُ عُلًا
من العجز قُسٌّ بها باقلُ

٤ ـ لئن طال بي البعد عن لحظكم
فما في حياتي انْ طائلُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٨ .

(٥٥)

وله وقد خطر على منزله من اليه له ميل ، وقال : لولا اخاف التثقيل لدخلت وانصرف . فلما علم ابو جعفر كتب اليه : [سريع]

١ ـ مولاي لِمْ تقصدُ تعذيبَ منْ
يهوى وما قصدك مجهولُ

٢ ـ طلبتَ تخفيفاً ببعدٍ وفي
تخفيف من تهواه تثقيلُ

٣ ـ غيرك إنْ زار جنى ضجرةً
ولجَّ منه القالُ والقيلُ

٤ ـ وأنتَ إنْ زرتَ حياةٌ وما الـ
ـعيشُ اذا ما طال مملولُ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٦ .

(٥٦)

وقال : [خفيف]

١ ـ زارها من غدا سقيمَ هواها
وبراه شوقاً اليها النحولُ

٢ ـ وكذا الروضُ لا يزورُ وياتي
ابداً نحوه النسيمُ العليلُ

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٦ .

(٥٧)

ومن شعره ما يجري مجرى المرقص ، وقد اجتمع مع الرصافي والكتندي على راحة ومسمع بجنته : [مجزوء الكامل]

١ ـ لله يومُ مسرّةٍ
أضوى وأقصرُ من ذُبالةْ

٢ ـ لمّا نصبنا للمنى
فيه بـاوتارٍ حبالةْ

٣ ـ طار النهارُ به كمُر
تاعٍ فـاجفلتِ الغزالةْ(١)

٤ ـ فكاننا من بعده ...... الهدايةَ بالضلالة

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٥ وورد في النفح مرة اخرى ٤ / ١٩٢ والابيات الثلاثة الاولى في كل من : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٧ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٧٧ في الاحاطة : البيت الثاني ـ من اوتار . في المغرب : البيت الثالث ـ واجفلت . في الاحاطة : البيت الثالث ـ ظلّ النهار ... واجفلت .

(١) والنهار : ذكر الحبارى واليه اشار بقوله طار النهار . والغزالة : الشمس ولا يخفى حسن التوريتين . وهذا المعنى لم يسبق اليه . ولم يقدر احد ان ينزعه من يديه . (نفح الطيب ٣ / ٥١٥ ، ٤ / ١٩٢) .

٤ ـ الموضع المنقوط يدل على كلمة تخرج عن المالوف .

(٥٨)

وقوله : [خفيف]

١ ـ اسقني مثل ما اناز لعيني
شفق ألبس الصباح جمالَهْ

٢ ـ قبل أن تبصر الغزالة تستد
رج منه على السماء غلالَهْ

٣ ـ وتأمّلْ لعسجدٍ سال نهراً
كرعت فيه أو تقضّى غزالَهْ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٦ .

(٥٩)

وبعد ليلة وصال مع حفصة في بستان بحور مؤمّل ، قال ابو جعفر قبل وقت التفرق : [طويل]

١ ـ رعى الله ليلًا لم يُرَعْ بمذمّمِ
عشيّةَ وارانا بحور مؤمّلِ

٢ ـ وقد خفقتْ من نحو نجدٍ اريجةٌ
اذا نفحتْ جاءت بريّا القرنفلِ

٣ ـ وغرّد قمريٌّ على الدوح وانثنى
قضيبٌ من الريحانِ من فوق جدولِ

٤ ـ يُرى الروضُ مسروراً بما قد بدا له
عناقٌ وضمٌّ وارتشافُ مُقبّلِ

التخريج :

الابيات في : الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢١ ـ ٢٢٢ وابن سعيد : رايات المبرزين ٩٢ ـ ٩٣ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٤٩٩ والمقري : نف الطيب ٣ / ٢١٨ ووردت في النفح مرة اخرى ٤ / ١٧٧ والابيات الاول والثال والرابع في : ابن سعيد : المرقصات والمطربات ٨٨ .

البيت الاول : في الرايات ـ بحُور مؤمل (وهو الاصح لانه ورد هكذا ف اغلب الروايات) . وفي المرقصات ـ لم يرح ..... بجود مؤمّل . وفي الاحاط ـ رعانا ودارانا بخوز مؤمّل . وفي النفح ـ بحور مؤمل . وفي النفح مرة اخر ـ لم يرح ..... بحور مؤمل .

البيت الثاني : في الرايات ـ هبت بريّا . وفي الاحاطة ـ وقد نفحت م نحو .... جاءت بريّا .

البيت الرابع : في الرايات ـ ترى الروض . في المرقصات ـ أترى لروض في النفح ـ ترى الروض .

ـ حرف الميم ـ

(٦٠)

وجلس ابو جعفر وابن سيد في احد منازه الوادي الكبير في اشبيلية ، وأخذا يشربان ولما أظلم الليل : [مجزوء الرمل] :

١ ـ قال ابو جعفر :
سقّني والافقُ بُرْدُ
بنجوم الليلِ مُعْلَمْ

٢ ـ فقال ابن سيد :
وبساطُ النهرِ منها
وهو فضيٌّ مُدرهَمْ

٣ ـ فقال ابو جعفر :
ورواقُ الليلِ مُرخىً
والشذا بالروض قد نمْ

٤ ـ فقال ابن سيد :
والندى في الزهرِ منثو
رٌ على عقدٍ مُنظَّمْ

٥ ـ فقال ابو جعفر :
والصَّبا جرّتْ على ميْـ
ـتِ الطَّلى كفَ ابن مريمْ

٦ ـ فقال ابن سيد :
كان مبهوتاً فلمّا
نفختْ فيه تكلّمْ

٧ ـ فقال ابو جعفر :
وكأنّ الكأس والقهـ
ـوةَ دينارٌ ودرهمْ

٨ ـ فقال ابن سيد :

وبـدا الـدفُّ يُناغي الـ
ـعـودَ والمـزمـارُ هيِّمْ

٩ ـ فقال ابو جعفر :

فـأذاع الانسُ منّـا
كـلَّ مـا قـد كـان مُكتمْ

١٠ ـ فقال ابن سيد :

أيُّ عيشٍ يهتـك المسـ
ـتورَ لـو كـان ابن أدهمْ

١١ ـ فقال ابو جعفر :

هكـذا العيش ودعْني
من زمـانٍ قـد تقـدّمْ

١٢ ـ فقال ابن سيد :

حين لا خمـرَ سـوى مـا
بكـؤوس البيض من دمْ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٦١)

وقوله : [كامل]

١ ـ في الروضِ منكِ مشابهٌ من أجلها
يهفـو لهـا طـرفي وقلبي المغرمُ

٢ ـ الغصنُ قـدٌّ والازاهـرُ حليةٌ
والـوردُ خـدٌّ والاقـاحي مَبسِمُ

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٧ والمقري : نفح الطيب ٣ / ٥١٦ البيت الاول : في النفح ـ يهفو له طرفي .

(٦٢)

وطلب ابو جعفر من حفصة الاجتماع فمطلته شهرين ، فكتب لها : [مجتث]

١ ـ يا مَن اجانبُ ذكـر اسـ
ـمـهِ وحسبي عـلامـة

٢ ـ ما إنْ ارى الوعدَ يُقضى
والعمـرُ أخشى انصرامـة

٣ ـ اليـومَ ارجـوك لا أنْ
تكـون لي في القيـامـة

٤ ـ لـو قـد بصرت بحالي
والليـلُ ارخى ظـلامـة

٥ ـ انـوح وجـداً وشـوقـاً
إذْ تستـريـحُ الحمـامـة

٦ ـ صبٌّ اطـال هـواه
على الحبيب غـرامـة ـ

٧ ـ لمن يتيـه عليـه
ولا يـردُّ سـلامـة

٨ ـ إنْ لم تُنيلي اريحي
فـاليـاسُ يُثني زمـامـة

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٧٣ .

(٦٣)

وكتب ابو جعفر اليها : [رمل]

١ ـ قد أتانا منكِ شعرٌ مثلما
أطلـع الافقُ لنـا أنجمَـهُ

٢ ـ وفمٌ فـاه بـه قـد أقسمتْ
شفتي بـالله أن تلثمَـهُ

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٦ .

(٦٤)

وقوله مما كتب به الى اخيه محمد وقد ورد منه كتاب بانعام : [مجتث]

١ ـ وافى كتـابـكَ يُنبي
عن سـابـغِ الإنعـامِ

٢ ـ فقلتُ دُرٌّ ودَرٌّ
من زاخـرٍ وغمـامِ

التخريج :

البيتان في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٢ .

(٦٥)

وقوله يذم حماماً : [سريع]

١ ـ يا رُبَّ حمّامٍ لعنّـا بـه
أبـدى الينـا كـلَّ حمّـامِ

٢ ـ افقَ لـه قَطْـرُ حميمٍ كما
أصمتْ سهـامٌ من يَدَيْ رامي

٣ - يخرقُ سُحباً للدخان الذي
لاح نعيم العارض الهامي
٤ - وقيّمٍ يجنبني جَنْبَةً
وتارةً يكسر إبهامي
٥ - ويجمع الاوساخ من لؤمه
في عضدي قصداً لإعلامي
٦ - وازدحم الانذالُ فيه وقد
ضجّوا ضجيجاً دون إفهامِ
٧ - وجملةُ الامر دخلنا بني
سامٍ وعدنا كبني حامِ

التخريج :
الابيات في : المقري ؛ نفح ٤ / ١٨٢ .

- حرف النون -

(٦٦)

وله وقد حضر مجلساً مع اخوان له في انبساط ومزاح ، فدخل عليهم احد ظرفاء الغرباء بوجه طلق وبشاشة ، فاهتز لما سمع بينهم ، وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صلة باحسن منزع وانبل مقصد ، فانشد ابو جعفر ارتجالًا : [سريع]

١ - يا سيّداً قد ضمّهُ مجلسٌ
حلّ به للمزح إخوانُ
٢ - لم نلْقَ من غجاتهِ خجلةً
ولا ثنانا عنه كتمانُ
٣ - كأنهُ من جمعنا واحدٌ
لمْ ينبُ منّا عنه انسانُ
٤ - ولم نكن ندريه لكنْ بدا
في وجهه للظرف عنوانُ

التخريج :
الابيات في : المقري ؛ نفح الطيب ٤ / ١٨٧ .

(٦٧)

وله وقد لقي احد اخوانه وكان قد اطال الغيبة عنه ، فدار بينهما ما اوجب ان قال : [كامل]

١ - إنْ لحتَ لم تلمحْ سواكَ الاعينُ
او غبتَ لم تذكر سواكَ الالسنُ
٢ - أنت الذي ما إنْ يُملّ حضوره
ومغيبه السلوان عنه يُؤمنُ

التخريج :
البيتان في : المقري ؛ نفح الطيب ٤ / ١٨٧ .

(٦٨)

وقوله ايضاً : [خفيف]

١ - ولقد قلتُ للذي قال حلّوا
هاهنا : سِرْ فاننا ما سئمنا
٢ - لا تعيّنْ لنا مكاناً ولكنْ
حيثما مالت اللواحظُ مِلنا

التخريج :
البيتان في : المقري ؛ نفح الطيب ٣ / ٥١٧ والبيت الثاني فقط في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٨ .

(٦٩)

ومن نظم ابي جعفر قوله : [كامل]

١ - لو لم يكن شَدْوُ الحمائم فاضلًا
شدوَ القيان لما استخفّ الاغصنا
٢ - طربٌ ثنى حتى الجمادَ ترنّحاً
وأفاض من دمع السحائب أعيُنا

التخريج :
البيتان في : المقري ؛ نفح الطيب ٣ / ٥١٦ .

(٧٠)

وله في ابيه وقد سجنه عبدالمؤمن : [كامل]

١ - مولاي إنْ يحبسك خيرُ خليفة
فبذاكَ فخركَ واعتلاءُ الشانِ
٢ - فالجفنُ يُحبس نوره من غبطةٍ
والمرهفاتُ تصانُ في الاجفانِ
٣ - فابشرْ فنزعُ الدرّ من اصدافه
يُعليه للاسلاكِ والتيجانِ
٤ - ولئن غدا من ظلّ دونك مطلقاً
إنّ القذى ملقىً عن الاجفانِ
٥ - والعينَ تحبس دائماً أجفانُها
وهدايةُ الانسان بالانسانِ
٦ - والطرسُ يختم ما حواه نفاسةً
ويهان ما يبدو من العنوانِ
٧ - فاهنأ به لكنْ مليّاً مكثُه

سجناً لغير مذلة وهوانِ
٨ - فلتعلونْ رغم الاعادي بعده
بذرى الخليفة في ذرى كيوانِ

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٩ - ١٩٠ .

(٧١)

وكتب في ظهر رقعة الكتندي : [مجتث]

١ - يا من اذا ما اتاني
جعلتُه نصبَ عيني
٢ - تراك ترضى جلوساً
بين الحبيب وبيني ؟
٣ - إنْ كان ذاك فماذا
تبغي سوى قُرب حَيْني
٤ - والآن قد حصلتَ لي
بعد المطال بديني
٥ - فإن أتيتَ فدفعاً
منها بكلتا اليدين
٦ - أو ليس تبغي وحاشا
كَ أنْ ترى طيرَ بيْنِ
٧ - وفي مبيتك بالخمـ
ـسِ كل قبح وشينِ
٨ - فليس حقك إلا الـ
ـخلوُ بالقمرين

التخريج :

الابيات في : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٧٤ - ١٧٥ .

(٧٢)

ومن متنزهات غرناطة المشهورة (حور مؤجل ، واللشتة ، والزاوية ، والمشايخ) وقد ذكر ابو جعفر بن سعيد الحَوْر في شعر تقدم انشاده ، وذكره في موشحته البديعة وهي :

ذهّبتْ شمسُ الاصيل فضةَ النهرِ
أيُّ نهرٍ كالمدامة
صيّرَ الظلّ فدامة
نسجته الريحُ لامة
وثنتْ للغصن لامة
فهو كالعضبِ الصقيلِ حُفّ بالشفْرِ

مُضحكاً ثغرَ الكِمامِ
مُبكياً جفنَ الغمامِ
مُنطقاً وُرْقَ الحمامِ
داعياً الى المُدامِ
فلهذا بالقبولِ خُطّ كالسطْرِ
حبّذا بالحَوْرِ مغنى
هي لفظٌ وهو معنى
مُذهِبُ الاشجانِ عنّا
كم درينا كيف سِرْنا
ثمّ في وقت الاصيلِ لم نكن ندري
قلتُ والمزجُ استدارا
بذرى الكأس سوارا
سالباً منّا الوقارا
دائراً من حيث دارا
صاد اطيارَ العقولِ شبكُ الخمرِ
وعدَ الحبُّ فأخلفْ
واشتهى المطلَ فسوّفْ
ورسولي قد تعرّفْ
منه بما ادري فحرّفْ
باللهِ قلْ يا رسولي لِشْ يغبْ بدري

التخريج :

الموشحة في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٠٣ - ١٠٤ .

الهوامش والمصادر :

(١) ابن حزم : جمهرة انساب العرب تحقيق عبدالسلام هارون ط دار المعارف بمصر ١٩٦٢ ، ٤٠٦ .
وابن سعيد : المغرب في حلى المغرب تحقيق د. شوقي ضيف ط دار المعارف بمصر ١٩٦٤ ، ٢ / ١٦١ .
وابن سعيد : رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق د. النعمان عبدالمتعال ، مطابع الاهرام ، القاهرة ١٩٥٩ ، ٩٥ .
وابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، ط دار المعارف بمصر ١٩٥٥ ، ١ / ٢٢٢ .
والمقري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق د. احسان عباس ، ط دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢ / ٣٣٣ .

(٢) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٤٠٥ـ٤٠٦ .
(٣) المقري : نفح الطيب ٢ / ٣٣٥ .
(٤) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٢ـ٢٢٣ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٤٣٣ .
(٦) المقري : النفح ٣ / ١٨٣ .
(٧) ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦١ .
(٨) المقري : النفح ٣ / ١٨٣ .
(٩) د. علي محمد حمودة : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٧ ، ١٢ .
(١٠) الحميري : الروض المعطار (صفة جزيرة الاندلس) نشره ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ ، ١٢١ .
(١١) المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ ، ٢١٣ .
(١٢) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٣ـ٢٢٤ .
(١٣) ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٥ .
(١٤) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٣ ، والحميري : الروض المعطار ١٢١ والناصري : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر الناصري ، الدار البيضاء ١٩٥٤ ، ١ / ١٦٣ .
(١٥) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٧ .
(١٦) المراكشي : المعجب ٢٢٦ .
(١٧) المقري : النفح ٤ / ١٧٩ .
(١٨) المصدر نفسه ٤ / ٢٠٢ .
(١٩) المصدر نفسه ٤ / ٢٠٢ .
(٢٠) ابن سعيد : المغرب ٢ / ٢٤٣ .
(٢١) المصدر نفسه ٢ / ١٤٥ـ١٤٦ .
(٢٢) المقري : النفح ٤ / ١٨٠ .
(٢٣) المصدر نفسه ٤ / ١٨٠ـ١٨١ .
(٢٤) د. الطاهر احمد مكي : دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة ، ط دار المعارف بمصر ١٩٨٠ ، ٩٠ .
(٢٥) د. جودة الركابي : في الادب الاندلسي ، ط دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ١٧٦ .
(٢٦) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٣ ، ٤٩٩ .
(٢٧) ابن دحية : المطرب من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري وآخرين ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩٥٤ ، ١٠ .
(٢٨) الحموي : معجم الادباء نشر د. احمد مزيد ط دار المامون ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ١٠ / ٢١٩ـ٢٢٠ والمقري : نفح الطيب ٤ / ١٧١ .
(٢٩) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٥ وابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٦ والمقري : نفح الطيب ٤ / ١٧٨ .
(٣٠) ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٦ .
(٣١) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٦ وابن سعيد : المغرب ٢ / ١٣٩ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٥٠١ والمقري : نفح الطيب ٤ / ١٧٨
(٣٢) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٦ وابن الخطيب : الاحاط ١ / ٥٠١ .
(٣٣) ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٣٩ .
(٣٤) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٥٠١ .
(٣٥) المقري : نفح الطيب ٣ / ٢١٨ .
(٣٦) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢١ـ٢٢٢ وابن سعيد : راياد المبرزين ٩٢ـ٩٣ وابن سعيد : المرقصات والمطربات نشر دار حما ومكيو ، بيروت ١٩٧٣ ، ٨٨ ، وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٤٩٩ والمقري : نفح الطيب ٣ / ٢١٨ .
(٣٧) د. محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ط وزارة الاعلام بغداد ، ١٩٨٠ ، ١٨١ .
(٣٨) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٢ وابن سعيد : رايات المبرزين ٩٣ وابن سعيد : المرقصات ٨٨ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٥٠٠ والمقري : نفح الطيب ٤ / ١٧٧ ، ٣ / ٢١٨ .
(٣٩) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٥٠٠ .
(٤٠) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٤ وابن الخطيب : الاحاطة : الاحاطة ١ / ٥٠٠ـ٥٠١ .
(٤١) ابراهيم ابو الخشب : تاريخ الادب العربي في الاندلس ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٦٦ ، ٢٢٨ .
(٤٢) المقري : نفح الطيب ٤ / ١٧٣ .
(٤٣) المصدر نفسه ٤ / ١٧٤ .
(٤٤) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٤ . والرضف : الحجارة المحماة ، اي كل منهما شديد الحقد على الاخر .
(٤٥) ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٤ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٥ والمقري : نفح الطيب ٤ / ١٨١ .
(٤٦) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٥
(٤٧) المصدر نفسه ١ / ٢٢٥ والممارجة من المرج ومعناه الفساد والفتنة .
(٤٨) المصدر نفسه ١ / ٢٢٧ .
(٤٩) المصدر نفسه ١ / ٥٠٢ .
(٥٠) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٧ وابن سعيد : المغرب ٢ / ١٣٨ .
(٥١) د. محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ١٨٣ .
(٥٢) د. مصطفى الشكعة : الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ط دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢١٩ .
(٥٣) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٧ .
(٥٤) له قصيدة ومقطوعة لا يليق المقام بنشرهما لخروجهما عن المالوف . احداهما على حرف الراء والثانية على حرف اللام ينظر : المقري : نفح الطيب ٤ / ١٨٤ وابن سعيد : رايات المبرزين ٩٦ .

الشعراء التعليميون والمنظومات التعليمية

ثبت ببليوغرافي

القسم الثالث

اعداد
د. رزوق فرج رزوق
كلية نقابة المعلمين الجامعة

صفي الدين موسى بن جلال الدين علي الموسوي (ـ ١١٥٧ هـ)

٨٩٩ ـ أرجوزة في الفرائض

٩٠٠ ـ أرجوزة في اللغة نظيرة لمنظومة الشاهدي

هدية العارفين ٢ : ٤٨٢

جعفر بن الحسين بن القاسم المهدي الموسوي (ـ ١١٥٨ هـ)

٩٠١ ـ قصيدة ميمية تزيد على ثلاثة آلاف بيت في الآداب والحكم الشرعية

معجم المؤلفين ٣ : ١٣٨

عبدالله المدرس الربنكي الموصلي (ـ ١١٥٩ هـ)

٩٠٢ ـ منظومة في أجناس الحمى وعلاجها

٩٠٣ ـ ضابطة الأشكال ـ أرجوزة

٩٠٤ ـ منظومة في الأشكال الأربعة ـ في المنطق

مخطوطات مكتبة الأوقاف بالموصل

٦ : ٢٢٩ : ٨ : ١٤٩

إيضاح المكنون ٢ : ٥٨٢

عمر بن مصطفى بن أبي اللطف الشهير بابن كرامة (ـ ١١٦٠ هـ)

٩٠٥ ـ نظم متن « السراجية » في الفرائض

معجم المؤلفين ٧ : ٣٢٠

مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري (ـ ١١٦٢ هـ)

٩٠٦ ـ بلغة المريد ـ أرجوزة في التصوف ، في ٢١٣ بيتاً . طبعت

٩٠٧ ـ الألفية الوفية للسادة الصوفية

٩٠٨ ـ فوائد الفرائد ـ منظومة في العقائد

٩٠٩ ـ منظومة الاستغفار ، وشرحها . طبعت

٩١٠ ـ أرجوزة في الشمائل

هدية العارفين ٢ : ٤٤٦

الأعلام ٨ : ١٤١

عبداللطيف بن أحمد بن محمد المعروف بالكتبي (ـ ١١٦٢ هـ)

٩١١ ـ أرجوزة في حل الأعداد ، وشرحها

٩١٢ ـ نخبة التفاحة حاوية قواعد المساحة ـ أرجوزة ضمت مختارات من كتاب « التفاحة في علم المساحة » لأحمد بن محمد بن ابراهيم الأشعري اليمني

بروكلمن ٦ : ٤٢

فهرس المخطوطات العلمية ١ : ٢٣٦

عبدالمجيد بن علي بن محمد الحسني المناوي الزيادي (ـ ١١٦٣ هـ)

٩١٣ ـ منظومة في الفرق بين الظاء والضاد

مخطوطة بدار الكتب المصرية

محمد بن حواء المستغانمي (كان حياً سنة ١١٦٧ هـ)

٩١٤ ـ سبيكة العقيان في من في مستغانم وأحوازها من العلماء الأعيان ـ منظومة

معجم المؤلفين ٩ : ٢٧٥

قاسم بن محمد البكرجي الحنفي (ـ ١١٦٩ هـ)

٩١٥ ـ العقد البديع في مدح النبي الشفيع ـ بديعية ، وشرحها « حلية البديع » . طبعا في حلب

معجم المطبوعات ٥٧٧

محمد بن عبدالله بن علي البحراني (كان حياً سنة ١١٧٠ هـ)

٩١٦ ـ أرجوزة في الرجال في ألف ومئة وخمسين بيتاً . نظمها سنة ١١٧٠ هـ

معجم المؤلفين ١٠ : ٢٢٦

عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي (ـ ١١٧٢ هـ)

٩١٧ ـ منظومة في قواعد فن العربية ـ في واحد وخمسين بيتاً . طبعت

مخطوطة بخزانة يعقوب سركيس ١١٧

موسى بن أسعد بن يحيى المعروف بالمحاسني (ـ ١١٧٣ هـ)

٩١٨ ـ نظم « تلخيص المفتاح » في المعاني والبيان ، للقزويني ، وشرح المنظومة

٩١٩ ـ خلاصة التنوير وذخيرة المحتاج والفقير في نظم « التنوير » في الفروع ، وشرحها

هدية العارفين ٢ : ٢٨٢

عبدالمنعم بن محمد بن عبدالمحسن بن سالم القلعي (ـ ١١٧٦ هـ)

٩٢٠ ـ بديعية ، وشرحها

هدية العارفين ٦ : ١٩٧

خليل بن علي بن اسماعيل البصير (- ١١٧٦ هـ)

٩٢١ - الدرر المنظومة والصرر المختومة - أرجوزة في أحوال حروف الجر، في ثلاث مئة وخمسة أبيات. نشرت بتحقيق د. عماد عبدالسلام رؤوف

٩٢٢ - أرجوزة تاريخية في وصف حصار نادر شاه للموصل سنة ١١٥٦ هـ، واستبسال الموصليين في الذود عن مدينتهم، ودحر العدو. طبعت بتحقيق سعيد الديوجي. مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٥ (١٩٧٤) والمجلد ١٣ (١٩٦٦)

حسن بن علي بن علي بن شمة المكي (- ١١٧٦ هـ)

٩٢٣ - منظومة القلائد الجوهرية في اسماء رجال طريقتي الخلوتية والنقشبندية.

معجم المؤلفين ٣ : ٢٥٧

حسن بن علي بن منصور الفوّي (- ١١٧٦ هـ)

٩٢٤ - الحجج الظاهرة في تاريخ مصر القاهرة - منظومة.

٩٢٥ - نظم « الأزهرية » في النحو.

الأعلام ٢ : ٢٢٣

هدية العارفين ١ : ١٩٩

يوسف بن عبدالكريم الأنصاري المدني (- ١١٧٧ هـ)

٩٢٦ - منظومة في المناسك نظم فيها « المنسك الصغير » لرحمة الله السندي.

الأعلام ٩ : ٣١٦

علي بن سعد البيوسي الأحمدي (كان حياً سنة ١١٧٨ هـ)

٩٢٧ - النفحة الزكية في العمل بالجهة الجيبية.

معجم المؤلفين ٧ : ٩٨

محمد بن أحمد بن جارالله اليمني المعروف بمشحم الكبير (- ١١٨٠ هـ).

٩٢٨ - نظم « نخبة الفكر في علم الاثر » لابن حجر في علوم الحديث، وشرحه.

هدية العارفين ٢ : ٣٣٧

حسن بن محمد بن علي البحراني (كان حياً سنة ١١٨١ هـ)

٩٢٩ - تحفة الباحثين في أصول الدين - منظومة.

٩٣٠ - أرجوزة في إثبات الإمامة والوصية.

معجم المؤلفين ٣ : ٢٨٦

أحمد بن حسن النحوي (- ١١٨٣ هـ)

٩٣١ - أرجوزة نحوية ضمن فيها أبياتاً من ألفية ابن مالك، في مئة وعشرين بيتاً.

شعراء الحلة ١ : ٤٦

علي بن محمد بن علي المغربي الشهير بالسقاط (- ١١٨٣ هـ)

٩٣٢ - أرجوزة في التوحيد.

معجم المؤلفين ٧ : ٢٢٣

مصطفى بن عبدالفتاح التميمي (- ١١٨٣ هـ)

٩٣٣ - منظومة في العقائد.

الأعلام ٨ : ١٣٨

موسى بن جعفر الحداد (- ١١٨٦ هـ)

٩٣٤ - بديعيتان.

الروض النضر ٢ : ٤٠٩

عبدالله بن (محيي الدين) محمد العراسي الصنعاني (- ١١٨٧ هـ)

٩٣٥ - نظم « أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب » للسيوطي.

معجم المؤلفين ٦ : ١٣٢

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (- ١١٨٨ هـ)

٩٣٦ - منظومة في عقيدة السلف، وشرحها.

الاعلام ٦ : ٢٤٠

مصطفى الضرير الموصلي (- ١١٨٨ هـ)

٩٣٧ - غاية المأمول - منظومة في أصول الفقه.

٩٣٨ - منظومة في المنطق.

مخطوطتان بمكتبة الاوقاف بالموصل

علي بن منطلا الدمياطي (كان حياً سنة ١١٩٣ هـ).

٩٣٩ - أسئلة في دقائق من علوم مختلفة - منظومة.

معجم المؤلفين ٧ : ٢٤٧

غلام علي آزاد بن السيد نوح الحسيني (- ١١٩٤ هـ).

٩٤٠ - بديعية.

مجلة المورد، العدد ٤ (١٩٨١)

عبدالله بن يوسف بن عبدالله الحلبي المعروف باليوسفي (- ١١٩٤ هـ).

٩٤١ - بديعية التزم فيها تسمية الانواع، وشرحها.

إيضاح المكنون ١ : ١٧٣

الإسفار ١٤٧

ابراهيم بن محمد بن عبدالسلام (- ١١٩٥ هـ)

٩٤٢ - منظومة في الاوقات.

إيضاح المكنون ٢ : ٥٨٢

عبدالله بن عمر بن خليل اليمني (- ١١٩٦ هـ)

٩٤٣ - منظومة في الاستعارة.

٩٤٤ - منظومة في قواعد القاموس المحيط.

٩٤٥ـ نظم « الرسالة الاثيرية » في المنطق ، وشرحها .
٩٤٦ـ نظم « قواعد الإعراب » وشرحها .
٩٤٧ـ نظم « النخبة » لابن حجر في اصول الحديث .
هدية العارفين ٢ : ٤٨٥

أحمد بن محمد بن محمد الشُجاعي (ـ ١١٩٠ هـ)
٩٤٨ـ منظومة في أسماء الله الحسنى
٩٤٩ـ منظومة في أسماء النبي ﷺ ، وشرحها
٩٥٠ـ منظومة في أولاد المصطفى ﷺ ، وشرحها
٩٥١ـ منظومة في المحال التي تطلب فيها الصلاة على النبي ﷺ .
٩٥٢ـ منظومة في أسماء مكة المكرمة ، وشرحها
٩٥٣ـ منظومة في شروط الإمام والمأموم ، وشرحها « فتح اللطيف القيوم » .
٩٥٤ـ منظومة في شروط تكبيرة الإحرام ، وشرحها .
٩٥٥ـ منظومة في التوحيد ، وشرحها « فتح المجيد »
٩٥٦ـ منظومة تحفة الانام بتوريث ذوي الأرحام ، وشرحها
٩٥٧ـ منظومة في العقود التي تكون من شخصين أو من شخص واحد ، وشرحها .
٩٥٨ـ منظومة في أحكام الخلع
٩٥٩ـ منظومة في الأسماء والأفعال والحروف ، وشرحها
٩٦٠ـ منظومة في إعراب فواتح السور ، وشرحها
٩٦١ـ منظومة في العروض سماها « قلائد النحور في نظم البحور »
٩٦٢ـ منظومة في مهملات البحور
٩٦٣ـ منظومة في المجاز والاستعارة
٩٦٣أـ منظومة في معاني العين ـ وهي ستة عشر معنى استخرجها من القاموس المحيط
معجم المؤلفين ١ : ٥٤ل
العزاوي ٢ : ٩١
الخطط التوفيقية

محمد بن الحسن بن محمد السمنودي (ـ ١١٩٩ هـ)
٩٦٤ـ منظومة في علم الفلك
هدية العارفين ٢ : ٣٤٥

أحمد بن محمد قاطن الصنعاني (ـ ١١٩٩ هـ)
٩٦٥ ـ تحفة الإخوان ـ منظومة في اسناد صحيح البخاري ، وشرحها
إيضاح المكنون ١ : ٢٢٩

عبدالقادر بن صالح بن عبدالرحمن الشهير بالبانقوسي (ـ ١١٩٩ هـ)
٩٦٦ ـ نظم « مراقي الفلاح » في فروع الفقه الحنفي ، لحسن بن عمار الشرنبلاني
هدية العارفين ١ : ٦٠٤

عربي بن عبدالله بن يحيى المساوي (كان حياً سنة ١١٩٩ هـ)
٩٦٧ـ منظومة سراج العلوم
معجم المؤلفين ٦ : ٢٧٧

عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسين السويدي (ـ ١٢٠٠ هـ)
٩٦٨ـ أرجوزة في مئة وخمسة وستين بيتاً ، عارض بها أرجوزة خليل البصير ، تشتمل على حكاية حوادث حصار جيوش نادر شاه لبغداد واستبسال البغداديين في قتالهم وصدّهم مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ١٣

أحمد بن صالح الدرعي المغربي (ـ في حدود ١٢٠٠ هـ)
٩٦٩ ـ المنظومة الطبية في المعالجات والأدوية المرضية
مخطوطة بدار الكتب المصرية

أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالدردير (ـ ١٢٠١ هـ)
٩٧٠ـ الخريدة البهية في التوحيد ـ منظومة
٩٧١ ـ منظومة اسماء الله الحسنى
معجم المؤلفين ٢ : ٦٧
فهرس المكتبة الازهرية ٦ : ٤٠٣

محمد أمين الخطيب العمري (ـ ١٢٠٣ هـ)
٩٧٢ـ منظومة في الاستعارة
٩٧٣ـ نظم بعض أبواب كتاب « فاكهة الخلفاء » لابن عربشاه مع بعض زيادة عليها .
٩٧٤ـ أرجوزة فيما وقع في الحدباء سنة ١١٧٠ وانجماد دجلة
العزاوي ٢ : ١٥٥
مخطوطات مكتبة الاوقاف بالموصل
٥ : ٢٢٥ ؛ ٨ : ١٢٢

فتح الله بن عبدالقادر القادري الموصلي (ـ ١٢٠٤ هـ)
٩٧٥ـ ملحمة الموصل ـ أرجوزة في أربع مئة وثمانية وخمسين بيتاً . تصف دفاع أهل الموصل البطولي عن مدينتهم عندما حاصرها نادر شاه سنة ١١٥٦ هـ ، وفشل الحصار ، وانسحاب الجيش الفارسي مدحوراً
طبعت بتحقيق سعيد الديوجي

محمد بن حجازي بن محمد الحلبي المعروف بابن البرهان (ـ ١٢٠٥ هـ)
٩٧٦ـ العقود البرهانية ـ منظومة في الفرائض
معجم المؤلفين ٩ : ١٧٧

أبو العرفان محمد بن علي الصُبّان (ـ ١٢٠٦ هـ)
٩٧٧ـ منظومة في أسماء أهل بدر والاستغاثة بهم
مخطوطة بالمكتبة الأزهرية ٦ : ٤٠٣

عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر الكوكباني (ـ ١٢٠٧ هـ)

٩٧٨ - تحفة الناظر - نظم « الروض الناضر في آداب المناظر »
مجلة المورد ٣ (١٩٧٣) ٣١٩

علي بن عبدالله المصري الأزهري المعروف بالطحان (- ١٢٠٧ هـ)
٩٧٩ - منظومتان في التوحيد - صغرى وكبرى
٩٨٠ - منظومة في الفقه
٩٨١ - منظومة في المنطق
٩٨٢ - منظومة في الطب
٩٨٣ - منظومة في علم البيان
٩٨٤ - منظومة في العروض

هدية العارفين ١ : ٧٧١

سليمان بن عبدالله الشاوي (- ١٢٠٩ هـ)
٩٨٥ - نظم « الرسالة الوضعية العضدية » في علم الوضع لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الايجي .
٩٨٦ - نظم « قطر الندى وبلّ الصدى » في النحو لابن هشام
العزاوي ٢ : ١١٣ ، ١٣٢
معجم المؤلفين ٤ : ٢٦٧

التهامي بن عبدالله الحسني (- ١٢١٠ هـ)
٩٨٧ - أرجوزة في النسبة العلوية
معجم المؤلفين ٣ : ٩٤

عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي (- ١٢١٠ أو ١٢١١ هـ)
٩٨٨ - نظم « الكافي في علمي العروض والقوافي » لابي العباس أحمد بن شعيب الشهير بالخواص ، في ٣٢٧ بيتاً ، وشرحها « الوافي بحل الكافي »
٩٨٩ - نظم كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر » لاحمد بن محمد بن حجر الهيتمي ، أرجوزة في ٧٢٩ بيتاً ، سماها « حديقة السرائر في نظم الكبائر » ، وشرحها « طريقة البصائر الى حديقة السرائر » .
٩٩٠ - المكفّرات - أرجوزة في ٤٩ بيتاً ، وشرحها « المبشّرات »
٩٩١ - كفاية المعاني - أرجوزة في بيان حروف المعاني ، في ٦٧٢ بيتا . طبعت باستانبول سنة ١٢٨٩ هـ ، وشرحها « الحفاية بتوضيح الكفاية » ومختصر هذا الشرح « صرف العناية بكشف الكفاية » . طبع بمصر سنة ١٩٢٢ م .
٩٩٢ - أرجوزة في بيان الافعال التي استوى فيها اللزوم والتعدي . في ٥٥ بيتاً ، وشرحها .
٩٩٣ - أرجوزة في بيان الأفعال التي أتت واوية ويائية ، في ٧٧ بيتاً ، وشرحها .
٩٩٤ - منظومة في مثلثات الأسماء والأفعال ، في ٧٨ بيتاً ، وشرحها
٩٩٥ - الموائد المبسوطة في الفوائد الملقوطة - أرجوزة تتضمن فوائد شتى نقلها من كتب معتمدة كدرة الغواص للحريري والدستور للنطنزي والمزهر للسيوطي والقاموس والصحاح وشرح بانت سعاد لابن هشام .
٩٩٦ - أرجوزة في بيان المؤنثات السماعية ، في ٣٥ بيتاً
٩٩٧ - منظومة في بيان المصادر الشاذة ، في ١٥ بيتاً
٩٩٨ - منظومة في تعداد المعاني من الاحادية الى الخماسية ، في ١٣ بيتاً
٩٩٩ - منظومة في خصائص الاسماء ، في ١٢ بيتاً
١٠٠٠ - منظومة في كيفية كتابة لفظ (ابن) ، في ١٢ بيتاً
١٠٠١ - مقطوعة في بيان علامة الأفعال ، في ٥ أبيات
١٠٠٢ - مقطوعة في بيان أسماء الخيل التي تجمع للسباق ، في ٧ أبيات
١٠٠٣ - مقطوعة في بيان أسماء الضيافات ، في ٤ أبيات
١٠٠٤ - مقطوعة في بيان المواقع التي يحبب فيها استتار الضمير . في ٥ أبيات
١٠٠٥ - مقطوعة في بيان ما جاء مؤنثه على فعلانة ، في ٦ أبيات
١٠٠٦ - مقطوعة في بيان صيغ العموم ، في ٨ أبيات
١٠٠٧ - منظومة في بيان بعض خصائص النبي ﷺ ، في ١٤ بيتاً
١٠٠٨ - ألغاز وأحاج منظومة ، في النحو وغيره
١٠٠٩ - تواريخ شعرية حسابية
البيتوشي لمحمد الخال ٩٥ - ١٣١

محمد مهدي بن مرتضى الملقب ببحر العلوم (- ١٢١٢ هـ)
١٠١٠ - الأرجوزة السنية في فضل الرمان أو القصيدة الرمانية . في ١٤٦ بيتاً . طبعت
١٠١١ - الدرة المنظومة
١٠١٢ - الدرة البهية - منظومة في الفقه
هدية العارفين ٢ : ٦١
مصادر النباتات الطبية عند العرب ٥٤

أحمد بن موسى بن أحمد البيلي (- ١٢١٣ هـ)
١٠١٣ - مورد الظمآن في صناعة البيان - منظومة
معجم المؤلفين ٢ : ١٨٦

ابراهيم بن يحيى المخزومي الطيبي (- ١٢١٤ هـ)
١٠١٤ - الدرة المضيئة - منظومة في الكلام
١٠١٥ - منظومة في علمي الكلام والاصول
معجم المؤلفين ١ : ١٢٧

أحمد بن محمد الحسني العطار البغدادي (- ١٢١٥ هـ)
١٠١٦ - منظومة في الرجال

معجم المؤلفين ٢ : ١٣١

علي بن محمد بن عثمان الشهير بابن الشمعة (ـ ١٢١٩ هـ)

١٠١٧ ـ نظم مفردات قواعد الإعراب

معجم المؤلفين ٧ : ٢١٣

عبدالقادر بن أحمد بن العربي المعروف بابن شقْرون (ـ ١٢١٩ هـ)

١٠١٨ ـ أرجوزة في الطب ـ تسمى الشقرونية ، في ٦٦٧ بيتاً
مخطوطة برباط الفتح

محمد بن بدر بن محمد المقدسي المعروف بابن بدير (ـ ١٢٢٠ هـ)

١٠١٩ ـ منظومة في أسماء أهل بدر
مخطوطة بمكتبة المتحف العراقي

عبدالصمد بن حسن بن محمد البرزنجي (ـ ١٢٢٠ هـ)

١٠٢٠ ـ منظومة في مثلثات قطرب

١٠٢١ ـ منظومة تحفة الصلاة

١٠٢٢ ـ منظومة في مشايخ الطريقة القادرية

هدية العارفين ١ : ٥٧٥

صالح بن الحسن بن أحمد البُهُوتي المصري (ـ ١٢٢١ هـ)

١٠٢٣ ـ ألفية في الفقه الشافعي

١٠٢٤ ـ عمدة كل فارض ـ ألفية في الفرائض جامعة للمذاهب الاربعة

١٠٢٥ ـ نظم « الكافي »

١٠٢٦ ـ وسيلة الراغب لنيل المأرب ـ منظومة . نظم بها كتاب « العمدة » في الفقه الحنبلي

هدية العارفين ١ : ٤٢٤

الاعلام ٣ : ٢٧٥

علي بن أحمد بن تقي الدين النُّجّاري (ـ ١٢٢١ هـ)

١٠٢٧ ـ بديعية سمّاها « مراقي الفرج في مدح عالي الدرج » ، وشرحها .

١٠٢٨ ـ منظومة في علم الكَلام

معجم المؤلفين ٧ : ١٢

يوسف بن عدون (ـ ١٢٢٣ هـ)

١٠٢٩ ـ أرجوزة في بضعة آلاف بيت في الشريعة وأسرارها

معجم أعلام الجزائر ٢٠٦

علي بن عبدالله بن أحمد الجلال الحسني (ـ ١٢٢٥ هـ)

١٠٣٠ ـ منظومة في المنطق

معجم المؤلفين ٧ : ١٣٠

أحمد بن عبداللطيف بن أحمد المعروف بالبربير (ـ ١٢٢٦ هـ)

١٠٣١ ـ بديعية البربير

الإسفار ١٤٧

محمد الطيب بن عبدالمجيد بن عبدالسلام بن كيْران (ـ ١٢٢٧ هـ)

١٠٣٢ ـ منظومة في المجاز والاستعارة . طبعت معجم المؤلفين ١٠ : ١٠٩

أحمد بن أحمد بن أحمد الالبستاني (ـ ١٢٢٩ هـ)

١٠٣٣ ـ منظومة الحياتي ـ في الآداب

إيضاح المكنون ٢ : ٥٨١

محمد كاظم بن محمد صادق بن محمد رضا (كان حياً سنة ١٢٣٠ هـ)

١٠٣٤ ـ الارجوزة القاسمية في المنطق

١٠٣٥ ـ زبدة البيان في علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع

معجم المؤلفين ١١ : ١٥٧

عبدالله بن ابراهيم بن عطاءالله الشنقيطي (ـ في حدود ١٢٣٠ هـ)

١٠٣٦ ـ نور الاقاح ـ منظومة في علم البيان ، وشرحها

١٠٣٧ ـ طلعة الانوار ـ منظومة في مصطلح الحديث ، وشرحها

معجم المؤلفين ٦ : ١٨

مختار بن بونة الشنقيطي المغربي الجكني (ـ ١٢٣٠ هـ)

١٠٣٨ ـ أرجوزة في البيان

١٠٣٩ ـ أرجوزة وسيلة السعادة في التوحيد . طبعت

١٠٤٠ ـ منظومة في المنطق

١٠٤١ ـ منظومة في جمل النحو

١٠٤٢ ـ نظم « جمع الجوامع في الاصول »

١٠٤٣ ـ قصيدة في مسائل من العقائد حاجى بها الشيخ مولود بن أحمد الجواد . طبعت

هدية العارفين ٢ : ٤٢٣

معجم المطبوعات ١١٤٨

مصطفى بن محمد الصفوي المصري (ـ ١٢٣٠ هـ)

١٠٤٤ ـ نظم « التهذيب » في المنطق ، لمسعود بن عمر التفتازاني

١٠٤٥ ـ منظومة في آداب البحث

هدية العارفين ٢ : ٤٥٥

محمد بن عبدالقادر بن محمد المعروف بابن قدور (ـ ١٢٣١ هـ)

١٠٤٦ ـ منظومة العقائد المندرجة تحت كلمة الإخلاص

معجم المؤلفين ١٠ : ١٨٤

حمدون بن عبدالرحمن بن حمدون الشهير بابن الحاج (ـ ١٢٣٢ هـ)

١٠٤٧ ـ منظومة في السيرة

١٠٤٨ ـ منظومة في المنطق

١٠٤٩ ـ مقصورة في علمي العروض والقوافي

١٠٥٠ ـ نظم « الحكم العطائية » لابن عطاءالله الاسكندراني الشاذلي ، في التصوف

معجم المؤلف ٤ : ٧٦

محمد بن علي بن حسين الزبيدي النجفي الأغسم (ـ ١٢٣٣ هـ)
١٠٥١ـ خمس منظومات في الفقه . طبعت
معجم المؤلفين ١٠ : ٣١٩
محمد بن الحسن القعي الملقب بالفاضل الجيلاني (ـ ١٢٣٣ هـ)
١٠٥٢ـ منظومة في المعاني والبيان
معجم المؤلفين ٩ : ٢١٠
عبدالله بن ابراهيم الشنقيطي (ـ ١٢٣٥ هـ)
١٠٥٣ـ مراقي السعود ـ ألفية في أصول الفقه ، وشرحها « نشر البنود »
١٠٥٤ ـ نور الاقاح ـ منظومة في علم البيان ، وشرحها « فيض الفتاح »
١٠٥٥ ـ طلعة الانوار ـ منظومة في مصطلح الحديث ، وشرحها
الاعلام ٤ : ١٨٨
معجم المؤلفين ٦ : ١٨
معين الدين بن جرجس المعروف بذي النون الموصلي (ـ ١٢٣٥ هـ)
١٠٥٦ ـ أرجوزة في تجويد القرآن ، سمّاها « سراج الاذهان » ، وشرحها
الاعلام ٨ : ١٩٥
محمد رائف بن محمد بسيم الشهير بملّا جَق زاده اسحاق الرومي (ـ ١٢٤٠ هـ)
١٠٥٧ ـ نظم الفرائض
إيضاح المكنون ٢ : ٦٦٠
حسين بن محمد بن علي بن ابراهيم عيثان البحراني (ـ قبل ١٢٤٠ هـ)
١٠٥٨ ـ أرجوزة في الاجتهاد والاخبار
معجم المؤلفين ٤ : ٥٥
مصطفى بن أبي بكر السيواسي (ـ ١٢٤٠ هـ)
١٠٥٩ ـ ألفية في النحو
١٠٦٠ ـ منظومة في اللغة في الالسنة الثلاثة
هدية العارفين ٢ : ٤٥٥
عبدالله بن محمد بن اسماعيل الامير (ـ ١٢٤٢ هـ)
١٠٦١ ـ نظم « عمدة الأحكام عن سيد الانام » للمقدسي ، في الحديث
١٠٦٢ ـ نظم « بلوغ المرام من أحاديث الأحكام » لابن حجر العسقلاني
١٠٦٣ ـ منظومة فتح السلام
معجم المؤلفين ٦ : ١١٠
عثمان بن سند البصري (ـ ١٢٤٢ هـ)
١٠٦٤ ـ نظم « مغني اللبيب » لابن هشام في النحو
١٠٦٥ ـ نظم « الورقات » لإمام الحرمين في الأصول
١٠٦٦ ـ نظم « قواعد الإعراب » أو « الإعراب عن قواعد الإعراب » لابن هشام
١٠٦٧ ـ نظم « الأزهرية »
١٠٦٨ ـ هدية الحيران في نظم عوامل الجرجاني
١٠٦٩ ـ جيد العروض ـ منظومة في العروض ، وشرحها
١٠٧٠ ـ منظومة في الحساب
١٠٧١ ـ منظومة في البلاغة
١٠٧٢ ـ منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة
الاعلام ٤ : ٢٦٧ ؛ ١٠ : ١٤١
العزاوي ٢ : ١٣٦ ، ١٥٥
غالي بن المختار الشنقيطي (ـ ١٢٤٣ هـ)
١٠٧٣ ـ منظومة في أسماء النبي
١٠٧٤ ـ منظومة في أسماء أمهات المؤمنين وأنسابهن
الاعلام ٥ : ٣٠٥
صالح بن أحمد بن يحيى الموصلي (ـ ١٢٤٥ هـ)
١٠٧٥ ـ منظومة في رسم الخط ، وشرحها
١٠٧٦ ـ منظومة في الصرف ، وشرحها .
العزاوي ٢ : ١٣٧
خليل بن أحمد الرجبي (كان حياً سنة ١٢٤٥ هـ)
١٠٧٧ ـ وسيلة المريد في علم التوحيد ـ ارجوزة
معجم المؤلفين ٤ : ١١١
سليمان بن داود بن سليمان الحلي (ـ ١٢٤٧ هـ)
١٠٧٨ ـ أرجوزة نظم الجمل وشرحها
معجم المؤلفين ٤ : ٢٦٣
عبدالحميد بن عبدالله الرحبي (ـ ١٢٤٧ هـ)
١٠٧٩ ـ نظم « السراجية » للسجاوندي في علم الفرائض
مجلة المورد ٦ (١٩٧٧) ٢٤٩
الحسين بن يحيى بن ابراهيم الذماري اليمني (ـ ١٢٤٩ هـ)
١٠٨٠ ـ منظومة في الاسماء الحسنى
١٠٨١ ـ نظم « نخبة الاثر » لابن حجر في علم الاثر ، وشرحها بكتاب سماه « الفوائد »
معجم المؤلفين ٤ : ٦٨
حسن بن محمد العطار (ـ ١٢٥٠ هـ)
١٠٨٢ ـ نظم « الرسالة العضدية » لعضد الدين الايجي في علم الوضع
١٠٨٣ ـ منظومة في النحو . شرحها تلميذه حسن قويدر شرحاً طويلاً
العزاوي ٢ : ١١٤

معجم المطبوعات ١٣٢٧

أحمد بن بابا بن عثمان الشنقيطي (- بعد ١٢٥٠ هـ)

١٠٨٤ - نظم « الورقات » لإمام الحرمين - أرجوزة

معجم المؤلفين ١ : ١٧٢

ذو النون بن جرجيس الموصلي (- ١٢٥٠ هـ)

١٠٨٥ - منظومة « عقيدة الموحد »

مخطوطة بمكتبة الأوقاف العامة بالموصل

١٠٨٦ - هبة المنّان في مشكلات أوجه القرآن

معجم المؤلفين ١٠ : ١٠٣

يوسف بن خليل بن محمد الحلبي المعروف بالقارلقي (- ١٢٥١ هـ)

١٠٨٧ - منظومة في الموسيقى والانغام وأحول التم والتك

١٠٨٨ - منظومة في الطبائع الاربع

١٠٨٩ - منظومة في الفقه على المذاهب الاربعة . في ١١٦٥ بيتاً

١٠٩٠ - منظومة في اسماء الله الحسنى

الأعلام ٩ : ٣٠٥

أحمد الطيب بن محمد الصالح بن سليمان العيسوي (- ١٢٥١ هـ)

١٠٩١ - الدرة المكنونة في عقائد التوحيد - منظومة

١٠٩٢ - مفتاح الاحكام - منظومة في أحكام الفتوى ، وشرحها « تذكرة الاحكام »

١٠٩٣ - نصرة الاخوان في احتجاج الفقهاء بالبرهان - منظومة

معجم المؤلفين ١ : ٢٥٦

محمد أمين بن عمر الدمشقي الشهير بابن عابدين (- ١٢٥٢ هـ)

١٠٩٤ - مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور - منظومة

ايضاح المكنون ٢ : ٥٦٤

صالح بن يحيى السعدي الموصلي (- ١٢٥٢ هـ)

١٠٩٥ - أرجوزة في علم الخط وشرحها

١٠٩٦ - منظومة في النحو

هدية العارفين ١ : ٤٢٤

محمد بن زين العابدين بن محمد الشيبي (- ١٢٥٣ هـ)

١٠٩٧ - مناسك الحج على مذهب الشافعي - منظومة

الاعلام ٦ : ٢٦٨

ابراهيم بن أحمد الشيوي (كان حياً سنة ١٢٥٤ هـ)

١٠٩٨ - معينة المعاني في صناعة الطب - منظومة تبلغ نحو ألفي بيت . طبعت

معجم المطبوعات ١٧٧٧

معجم المؤلفين ١ : ٥

محمد معروف بن مصطفى بن أحمد النودهي البرزنجي

(- ١٢٥٤ هـ)

١٠٩٩ - الإعراب في نظم قواعد الإعراب

١١٠٠ - ترصيف المباني في نظم « تصريف الزنجاني »

١١٠١ - عقد الدرر في مصطلح أهل الاثر

١١٠٢ - قطر العارض في علم الفرائض

١١٠٣ - كفاية الطالب في نظم « كافية ابن الحاجب »

١١٠٤ - نظم « الرسالة العضدية » لعضدالدين عبدالرحمن بن أحمد ، في الوضع

١١٠٥ - نظم العروض

١١٠٦ - عمل الصياغة في علم البلاغة

١١٠٧ - غيث الربيع في علم البديع

١١٠٨ - الفوائد في العقائد

هدية العارفين ٢ : ٣٦٩

ايضاح المكنون ٢ : ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٥٢ ، ٢٠٩

عبدالنبي بن علي بن أحمد الكاظمي (- ١٢٥٦ هـ)

١١٠٩ - منظومة في أصول العقائد

معجم المؤلفين ٦ : ٢٠٠

الفاطمي بن محمد بن سمية بن القادر الادريسي (- ١٢٥٦ هـ)

١١١٠ - أرجوزة جمع فيها فروع شرفائهم الشبيهيين

معجم المؤلفين ٧ : ٤٦

محمد - فتحاً - بن علي الونيس (- ١٢٦٠ هـ)

١١١١ - أرجوزة في التوحيد - وشرحان لها

١١١٢ - منظومة في التصريف

معجم أعلام الجزائر ١٦٨

التجاني بن باب بن أحمد (- بعد ١٢٦٠ هـ)

١١١٣ - منظومة في أزواج النبي (ﷺ) ، وشرحها

١١١٤ - نظم « الورقات » لإمام الحرمين - أرجوزة

معجم المؤلفين ٣ : ٩٠

محمد بن رمضان المرزوقي (- ١٢٦١ هـ)

١١١٥ - منظومة في الصرف

الأعلام ٦ : ٢٦٣

حسن بن علي قويدر الخليلي (- ١٢٦٢ هـ)

١١١٦ - نيل الارب في نظم مثلثات العرب - أرجوزة . طبعت ببولاق . وطبعت مع ترجمة ايطالية ببيروت

معجم المطبوعات ١٥٣٤

محمد بن جعفر بن سيف الدين الاسترابادي (- ١٢٦٣ هـ)

١١١٧ - مصابيح الدجى - منظومة في سبعين ألف بيت تقريباً

١١١٨ - موائد العوائد في القواعد والفوائد الاصولية - منظومة في

أربعين ألف بيت
معجم المؤلفين ٩ : ١٥٢
ابراهيم بن أحمد اليماني المعروف بالزمزمي (- ١٢٦٣ هـ)
١١١٩ - نظام كتاب « الدرر البهية » للشوكاني ، في الفقه
معجم المؤلفين ١ : ١١
جرجس بن يوسف المقدسي طرّازي (- ١٢٦٣ هـ)
١١٢٠ - أرجوزة في الطب
معجم المؤلفين ٣ : ١٢٢
نسيب حمزة (- ١٢٦٥ هـ)
١١٢١ - بديعية ، ضمنها قصة المولد النبوي . طبعت
الأعلام ٧ : ٣٤٦
محمد بن هادي النائيني (كان حياً سنة ١٢٦٥ هـ)
١١٢٢ - اللؤلؤة البهية - أرجوزة في الكلام ، في ٩٢٤ بيتاً
الذريعة ١٨ : ٣٨٠
سليمان بن أحمد بن الحسين القطيفي (- ١٢٦٦ هـ)
١١٢٣ - أرجوزة في اصول الفقه
١١٢٤ - جواهر الأفكار - منظومة في المنطق
الأعلام ٣ : ١٨٢
محسن بن عبدالكريم بن أحمد الحسني الصنعاني (- ١٢٦٦ هـ)
١١٢٥ - نظم الباب الأول من « مغني اللبيب » في النحو ، وشرحه « جمع المفردات »
معجم المؤلفين ٨ : ١٨٣
محمد بن عبدالقادر بن أحمد الشهير بالكردودي (- ١٢٦٨ هـ)
١١٢٦ - حلية العروس - نظم « اضاءة الادموس » لاحمد بن عبدالعزيز المغربي الشهير بالهلالي أو الغيلالي السجلماسي
مقدمة الصحاح لعطار ص ١٧١
أحمد بن علي بن دعيج (- ١٢٦٨ هـ)
١١٢٧ - منظومة في المواريث
١١٢٨ - ألفية في النحو - لم تكمل
١١٢٩ - أرجوزة سر بها الأحداث التاريخية ابان حملة ابراهيم باشا (١٢٠٤ - ١٢٦٤ هـ) على نجد
معجم المؤلفين ١١ : ٥١
مجلة الدارة العدد ٤ (١٩٨٣)
محمود بن عبدالله بن محمود الآلوسي (- ١٢٧٠ هـ)
١١٣٠ - نظم « درة الغواص في قلائد عرائس المناص »
هدية العارفين ٢ : ٤١٩
عبدالحسين بن قاسم محيي الدين (- ١٢٧١ هـ)
١١٣١ - منظومة في النحو

العزاوي ٢ : ٣٢٢
محمد بن حمدون السلمي المرداسي المعروف بابن الحاج (- ١٢٧٤ هـ)
١١٣٢ - نظم « أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك » ، في النحو
معجم المؤلفين ٩ : ٢٧٠
محمد علي بن محمد بن صالح الموسوي (- ١٢٧٤ هـ)
١١٣٣ - منظومة في المواريث
١١٣٤ - ألفية في النحو - لم تكمل
معجم المؤلفين ١١ : ٥١
حسن بن سليم بن سلامة الدجاني (- ١٢٧٤ هـ)
١١٣٥ - تحفة المريد - منظومة في [illegible] والتصوف
١١٣٦ - درة التوحيد - منظومة في العقائد
١١٣٧ - الشافية من الاسقام في أسماء أهل بدر الكرام - منظومة
هدية العارفين ١ : ٣٣٠
مارون النقاش (- ١٢٧٥ هـ)
١١٣٨ - منظومة في علمي العروض والقوافي
معجم المؤلفين ٨ : ١٦٤
أحمد بن سليمان الاروادي الطرابلسي (- نحو ١٢٧٥ هـ)
١١٣٩ - ألفية في علوم الأدب
١١٤٠ - منظومة في أسماء الله الحسنى
معجم المؤلفين ١ : ٢٣٦
قاسم بن محمد بن أحمد الحائري الشهير بالهز (- ١٢٧٦ هـ)
١١٤١ - أراجيز في علم العربية
العزاوي ٢ : ٣٢٤
محمد بن عبدالرحمن النابلي المغربي (كان حياً سنة ١٢٧٧ هـ)
١١٤٢ - تحفة الإخوان في الميقات - منظومة
معجم المؤلفين ١٠ : ١٥٧
أحمد بن قاسم شنون الشهير بالحجّار (- ١٢٧٨ هـ)
١١٤٣ - مخدرات الحور في الحل والكسور - منظومة
١١٤٤ - نظم « مختصر المنار » في أصول الفقه الحنفي
١١٤٥ - نظم « الرسالة الفتحية في الربع المجيب »
١١٤٦ - منظومة في الرمل
١١٤٧ - منظومة في معفوات الصلاة ، وشرحها ، على مذهب الشافعي
معجم المؤلفين ٢ : ٤٨
حسين بن علي بن محمد الفتوني العاملي (- بعد ١٢٧٨ هـ)
١١٤٨ - الدوحة النبوية في تواريخ المعصومين عليهم السلام - منظومة
معجم المؤلفين ٣ : ٣٦

محمد بيرم الرابع ابن محمد بيرم الثالث ابن محمد بيرم الثاني (ـ ١٢٧٨ هـ)
١١٤٩ ـ نظم ذيّل به على نظم جده في سلاطين آل عثمان المسمى بعقد الدر والمرجان . وصل فيه الى سلطان زمانه عبدالمجيد
تراجم المؤلفين التونسيين ١ : ١٨٩

خليل بن علي بن ابراهيم الرازي النجفي (ـ ١٢٨٠ هـ)
١١٥٠ ـ أرجوزة في نصيحة الأطباء
معجم المؤلفين ٤ : ١٢٤

محمد تقي بن عبدالله المشهدي (ـ ١٢٨٠ هـ)
١١٥١ ـ المنظومة الفقهية
١١٥٢ ـ المنظومة النحوية
معجم المؤلفين ٩ : ١٣١

أحمد بن محمد بن رمضان المرزوقي (كان حياً سنة ١٢٨١ هـ)
١١٥٣ ـ عقيدة العوام ـ منظومة ، وشرحها « تحصيل نيل المرام »
إيضاح المكنون ٢ : ١١٦

عبدالرحيم بن الشيخ علي القادري الأسكوبي (ـ ١٢٨٢ هـ)
١١٥٤ ـ منظومة في الفرائض
١١٥٥ ـ منظومة في العقائد
١١٥٦ ـ منظومة في القواعد النحوية
١١٥٧ ـ منظومة في اللغة العربية
هدية العارفين ١ : ٥٦٥

مصطفى بن محمد بن عزّوز الحسني (ـ ١٢٨٢ هـ)
١١٥٨ ـ بهجة الشائقين وروضة الأنوار للعارفين ـ منظومة في التصوف
إيضاح المكنون ١ : ٢٠١

محمود الفخري الموصلي (ـ ١٢٨٥ هـ)
١١٥٩ ـ نظم الغرر في علم الميراث ـ منظومة في ٢٢٣ بيتاً
مخطوطة بمكتبة الأوقاف بالموصل

محمد صالح الوغليسي الجزائري (ـ ١٢٨٥ هـ)
١١٦٠ ـ منظومة في الفقه والعبادات على مذهب الإمام مالك ، وشرحها
هدية العارفين ٢ : ٣٧٨

محمد بن مصطفى بن حسن الدمياطي المعروف بالخُضَري (ـ ١٢٨٧ هـ)
١١٦١ ـ منظومة في مشابهات القرآن
معجم المؤلفين ١٢ : ٢٧

ناصيف بن عبدالله اليازجي (ـ ١٢٨٧ هـ)
١١٦٢ ـ جوف الفرا ـ أرجوزة في النحو ، وشرحها « نار القرى » . طبع
١١٦٣ ـ الخزانة ـ أرجوزة في الصرف ، وشرحها « الجمانة » . طبع
١١٦٤ ـ الطراز المعلم ـ أرجوزة مختصرة في علم البيان . طبعت
معجم المطبوعات ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩

محمد الدمنهوري (ـ ١٢٨٨ هـ)
١١٦٥ ـ كنز المباني في حروف المعاني ـ منظومة . طبعت
معجم المؤلفين ٩ : ٣٠١

هادي بن مهدي السبزواري (ـ ١٢٨٩ هـ)
١١٦٦ ـ النبراس ـ أرجوزة في الفقه
معجم المؤلفين ١٣ : ١٢٧

علي نقي بن حسن الطباطبائي الحائري (ـ ١٢٨٩ هـ)
١١٦٧ ـ منظومة مزيج الاحتياج في حكم منسك الحاج
معجم المؤلفين ٧ : ٢٥٥

باقر بن حيدر بن ابراهيم الحسني الكاظمي (ـ ١٢٩٠ هـ)
١١٦٨ ـ نظم « قطر الندى » في النحو
١١٦٩ ـ نظم « الخلاصة » في النحو
معجم المؤلفين ٣ : ٣٥

محمد تقي الشيرازي المعروف بآغا بابا (ـ ١٢٩٠ هـ)
١١٧٠ ـ الكليات المنظومة ـ في الطب
معجم المؤلفين ٩ : ١٣٠

علي رضا بن طالب الهندي البشاوري (كان حياً في حدود ١٢٩٠ هـ)
١١٧١ ـ منظومة في الكلام على الطبيعيات
١١٧٢ ـ منظومة في المنطق سمّاها « رامزة الميزان »
معجم المؤلفين ٧ : ٩٣

ابراهيم بن محمد سعيد الفتّه المكي (ـ ١٢٩٠ هـ)
١١٧٣ ـ الخريدة والدرة النضيدة في مثلثات الألفاظ ـ أرجوزة
الأعلام ١ : ٦٧

رفاعة رافع الطهطاوي (ـ ١٢٩٠ هـ)
١١٧٤ ـ جمال الآجرومية ـ منظومة نحوية
هدية العارفين ١ : ٣٧٠

عبدالعلي بن هبةالله بن عبدالرحيم الهندي (ـ كان حياً سنة ١٢٩١ هـ)
١١٧٥ ـ فرائد البحور الموازن لمنظوم قلائد النحور ـ منظومة . فرغ من نظمها سنة ١٢٩١ هـ
معجم المؤلفين ٥ : ٢٦٦

خليل بن ابراهيم الثمين (ـ ١٢٩٣ هـ)
١١٧٦ ـ أرجوزة في الفرائض
الأعلام ٢ : ٣٦٢

مصطفى بن محمد الألبستاني المتخلص بكامل ، المعروف بابن يمليخا

(- ١٢٩٤ هـ)
١١٧٧- ألفية في الأصول
١١٧٨ - رائية في العقائد
١١٧٩ - المنظومة الحسينية في الآداب، وشرحها
١١٨٠ - نظم الفنون في سبعة علوم
هدية العارفين ٢ : ٤٦٠

علي بن عبدالحق الحجاجي القوصي (- ١٢٩٤ هـ)
١١٨١ - نغمة الناي في نفحة الشاي - منظومة في ثلاثة وخمسين بيتاً. ذكر فيها فوائد الشاي الصحية، وشرحها « ذكرى مس الطائف في لطائف تقوي شاربي الشاي بالطائف »
فهرس المكتبة الأزهرية ٦ : ١١٢

أبو السعود عبدالله بن عبدالله (- ١٢٩٥ هـ)
١١٨٢ - أرجوزة في سيرة محمد علي في نحو ألف بيت
تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٤ : ٢٤٧

عبدالمعطي بن عبدالقادر البابي الحلبي (- ١٢٩٦ هـ)
١١٨٣- نظم الآجرومية للعمريطي في النحو
معجم المؤلفين ٦ : ١٧٧

رزق الله بن نعمة الله حسون الحلبي (- ١٢٩٧ هـ)
١١٨٤ - أشعر الشعر. نظم به ستة أسفار من التوراة
١١٨٥ - النفثات. ضمنه أربعين مثلاً من أمثال كاتب روسي يدعى أندريفتش كرلوف. نقلها الى العربية ونظمها شعراً وألحقها ببعض مقاطيع شعرية من نظمه
الآداب العربية لشيخو ٢ : ٤٨

محمود صفوت الساعاتي المصري (- ١٢٩٨ هـ)
١١٨٦ - بديعية الساعاتي. وردت في ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٢٧٨ هـ
الإسفار ١٤٧
معجم المطبوعات ٩٩٦

داود بن سليمان النقشبندي البغدادي (- ١٢٩٩ هـ)
١١٨٧ - الفوائد الجلية في نظم الرسالة الوضعية
معجم المؤلفين ٤ : ١٣٦

أسعد بن أحمد بن مصطفى العظم (- ١٢٩٩ هـ)
١١٨٨ - بديعية. أوردها في ديوانه المطبوع « القلائد المنظمية والفرائد العظمية »
الإسفار ١٤٧
معجم المطبوعات ١٣٤٣

إبراهيم الحوراني (- ١٣٠٠ هـ)
١١٨٩ - البديعة في علم الطبيعة - أرجوزة
مصادر الدراسة الأدبية ٢ : ٣٥١

عبدالقادر بن عمر بن صالح الحبّال (- ١٣٠٠ هـ)
١١٩٠ - تنوير الأبصار، في فروع الفقه الحنفي - منظومة، وشرحها
معجم المؤلفين ٥ : ٢٩٥

زين بن أحمد بن زين المرصفي (- ١٣٠١ هـ)
١١٩١ - عنوان المسرة لشرح محاسن « الدرة » - أي درة الغواص للحريري - منظومة
١١٩٢ - التحفة الحسينية في القواعد النحوية - منظومة. طبعت
١١٩٣ - منظومة في آداب البحث. طبعت
معجم [illegible] ٤ : ١٩١

محمد اسماعيل (كان حياً قبل ١٣٠١)
١١٩٤ - منظومة شحن العربية ببعض اللغات الأجنبية

أحمد بن عبدالرحيم الطُهطاوي (- ١٣٠٢ هـ)
١١٩٥ - نظم كتاب « المقصود » في الصرف
الغزاوي ٢ : ١٤٩

الياس بن موسى بن سمعان بن صالح (- ١٣٠٢ هـ)
١١٩٦ - بهجة الضمير في نظم المزامير. طبعت
معجم المطبوعات ١١٨٣

محمد بن عبدالوهاب بن داود الكاظمي (- ١٣٠٣ هـ)
١١٩٧ - الزهرة البارقة - منظومة في اللغة
معجم المؤلفين ١٠ : ٢٦٨

أبو المحاسن محمد بن عبدالوهاب بن شعبان الكاظمي (- ١٣٠٣ هـ
١١٩٨ - عصمة الأذهان - أرجوزة في المنطق
١١٩٩ - أرجوزة في تاريخ سلاطين تركيا العثمانيين
معجم المؤلفين ١٠ : ٢٧٠

موسى بن أمين شرارة العاملي (- ١٣٠٤ هـ)
١٢٠٠ - أرجوزة في أصول الفقه
١٢٠١ - أرجوزة في الإرث
الأعلام ٨ : ٢٦٨

ابراهيم بن ادريس السنوسي (- ١٣٠٤ هـ)
١٢٠٢ - سيف النصر بالسادة الكرام أهل بدر - نظم أسماء أهل بدر. طبع
هدية العارفين ١ : ٤٤
معجم المطبوعات ١٠٥٨

عبدالهادي نجا بن رضوان نجا الابياري (- ١٣٠٥ هـ)
١٢٠٣ - نفحة الاكمام في مثلثات الكلام - منظومة. طبعت
١٢٠٤ - حسن البيان في نظم مشترك القرآن - منظومة. طبعت

١٢٠٥ ـ طرفة الربيع في نظم أنواع البديع ـ منظومة . طبعت
١٢٠٦ ـ الكواكب الحدرية في نظم الضوابط العلمية ـ منظومة ، وشرحها . طبع
١٢٠٧ ـ دورق الأنداد في أسماء الاضداد ـ منظومة
١٢٠٨ ـ بديعية
معجم المطبوعات ٣٥٨ ـ ٣٦١

بطرس المكرزل (ـ ١٣٠٥ هـ)
١٢٠٩ ـ نظم سفر نشيد الاناشيد
معجم المؤلفين ٣ : ٥٣

محمود بن محمد نسيب بن حمزة الدمشقي (ـ ١٣٠٥ هـ)
١٢١٠ ـ نظم « مرقاة الوصول » لملا خسرو ، في علم الاصول
١٢١١ ـ نظم « الجامع الصغير » للشيباني في الفقه
١٢١٢ ـ أرجوزة في الفراسة
هدية العارفين ٢ : ٤٢٠

مصطفى بن محمود القناوي (ـ ١٣٠٧ هـ)
١٢١٣ ـ التحفة البهية في العقائد الدينية ـ أرجوزة عدد أبياتها ٤٨ بيتاً . طبعت
١٢١٤ ـ خلاصة التصريف ـ أرجوزة عدد أبياتها ٤٠٤ أبيات . طبعت
١٢١٥ ـ اللآلىء الفريدة ـ أرجوزة في النحو عدد أبياتها ٣٠٤ أبيات . طبعت
معجم المطبوعات ١٥٢٨ ـ ١٥٢٩

الشريف القاسم بن محمد بن علي الخيراني الجزائري (ـ ١٣٠٧ هـ)
١٢١٦ ـ العقيدة القاسمية ـ منظومة في كلمتي الشهادة ، وشرحها
هدية العارفين ١ : ٨٣٤

ابراهيم بن السيد علي الأحدب (ـ ١٣٠٨ هـ)
١٢١٧ ـ فرائد الآل في مجمع الأمثال ـ نظماً وشرحاً . نظم « مجمع الأمثال » للميداني ، في نحو ستة آلاف بيت . طبع في جزأين
معجم المطبوعات ٣٦٧

محمد بن رفاعة بن عنبر الطهطاوي (كان حياً سنة ١٣٠٨ هـ)
١٢١٨ ـ جامع البحار وروضة العقول والأنظار في علمي العروض والقوافي ـ منظومة
معجم المؤلفين ٩ : ٣١٩

محمد بن عبدالسلام الطاهري (ـ ١٣٠٩ هـ)
١٢١٩ ـ نظم « رسالة الوضع »
معجم المؤلفين ١٠ : ١٦٩

عبدالعظيم مصطفى (كان حياً سنة ١٣٠٩ هـ)
١٢٢٠ ـ الكواكب الدرية في نظم القواعد الدينية ـ طبعت
معجم المؤلفين ٥ : ٢٦٥

عبدالله الفيضي الموصلي (ـ ١٣٠٩ هـ)
١٢٢١ ـ معينة الطلاب على اكتساب صنعة الإعراب ـ أرجوزة في نظم متن « قطر الندى »
كتاب مخطوطات الموصل ٢٨٤

مفيد بن محمد المتخلص بداور الشيرازي (ـ ١٣١٠ هـ)
١٢٢٢ ـ منظومة في أحكام العهود الشرعية ، وشرحها
١٢٢٣ ـ منظومة في علم الكلام ، وشرحها
١٢٢٤ ـ منظومة في الفقه
هدية العارفين ٢ : ٤٦٩

أحمد بن مرزوق رشدي (ـ ١٣١٢ هـ)
١٢٢٥ ـ المنظومة الدرية في القواعد النحوية . طبعت
معجم المطبوعات ١٧٣١

محمد أحمد الأزهري الشهير بالمبلّط (كان حياً سنة ١٣١٣ هـ)
١٢٢٦ ـ الخلاصة المرضية على متن « الشاطبية » المسماة بحرز المعاني ـ منظومة
معجم المؤلفين ٨ : ٢٣١

محمد متولي (ـ ١٣١٣ هـ)
١٢٢٧ ـ نظم متن رسالة ورش ـ منظومة في القراءات والتجويد في ٢٣٤ بيتاً . طبعت
١٢٢٨ ـ منظومة في رواية قالون
معجم المطبوعات ١٦١٧
مجلة المورد ، العدد ٤ (١٩٨٢) ١٢٢

محمد باقر بن زيد العابدين بن جعفر الموسوي (ـ ١٣١٣ هـ)
١٢٢٩ ـ ارجوزة في أصول الدين
معجم المؤلفين ٩ : ٨٧

أحمد بن ملا حسين التفريشي (كان حياً سنة ١٣١٣ هـ)
١٢٣٠ ـ نخبة المقال في علم الرجال ـ منظومة فرغ من نظمها سنة ١٣١٣ هـ
معجم المؤلفين ١ : ٢٠١

عبدالرحمن بن العباس العراقي (ـ ١٣١٤ هـ)
١٢٣١ ـ منظومة في اداء الدعاء وشروطه
١٢٣٢ ـ منظومة في التوحيد
١٢٣٣ ـ منظومة في شمائل المصطفى
معجم المؤلفين ٥ : ١٤٢

مهدي بن ابراهيم بن راضي الكافي الأعرجي (ـ ١٣١٤ هـ)
١٢٣٤ ـ منظومة في أصول الدين
معجم المؤلفين ١٣ : ٢٥

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم اللبابيدي (ـ ١٣١٤ هـ)

١٢٣٥ ـ القول المتين في اختيار مسائل من كتاب « احياء علوم الدين » للغزالي ـ منظومة في أربعة آلاف بيت ، وشرحها « الضياء المبين شرح القول المتين »
معجم المؤلفين ١ : ٨٢

محمد بن أحمد بن حيدر الحسني البغدادي (ـ ١٣١٥ هـ)
١٢٣٦ ـ منظومة في الأصول
الأعلام ٦ : ٢٤٧

محمد نووي بن عمر بن عربي الجاوي (ـ ١٣١٥ هـ)
١٢٣٧ ـ نظم « الاجرومية » للنبراوي
١٢٣٨ ـ نقاوة العقيدة ـ منظومة
هدية العارفين ٢ : ٢٩٨

أمين بن ابراهيم شميل (ـ ١٣١٥ هـ)
١٢٣٩ ـ المبتكر ـ فيه خمس مقامات أدبية وست وعشرون قصيدة مؤلفة من ألف واثنين وتسعين بيتاً في شرح درجات حياة الانسان من حين تصويره في الرحم الى حين تواريه في التراب . فرغ من تأليفه في ليفربول بانكلترا سنة ١٨٦٧ . طبع ببيروت سنة ١٨٦٩
فهرس المكتبة الأزهرية ٥ : ٢٣١

محمد بن أحمد بن حيدر الحسني الكاظمي (ـ ١٣١٥ هـ)
١٢٤٠ ـ حاشية المعالم ـ منظومة في الأصول
١٢٤١ ـ منظومة الدر النظيم ـ في الأصول
معجم المؤلفين ٨ : ٢٥٦

علي بن عبدالله بن محمد النجفي (ـ ١٣١٦ هـ)
١٢٤٢ ـ أراجيز في الفقه والأصول
معجم المؤلفين ٧ : ١٣٩

أحمد بن شرقاوي الخلفي الخلوتي (ـ ١٣١٦ هـ)
١٢٤٣ ـ المورد الرحماني في علمي التصوف والتوحيد . طبع
١٢٤٤ ـ الوسيلة الحسنا في نظم أسماء الله الحسنى . طبع
١٢٤٥ ـ الوسيلة الحسنا في نظم أسماء الله الحسنى . طبعت
معجم المطبوعات ٣٧٣

محمد عثمان جلال (ـ ١٣١٦ هـ)
١٢٤٦ ـ السياحة الخديوية ـ أرجوزة وصف بها رحلة للخديوي توفيق في جهات القطر المصري . طبعت
١٢٤٧ ـ العيون اليواقظ ـ منظومة ترجم بها أمثال لافونتين عن الفرنسية . وهي تشتمل على مئة حكاية مستخلصة من حكايات ايسوب . طبعت عدة طبعات
١٢٤٨ ـ قواعد في فن الشعر ـ أرجوزة نشر القسم الأول منها في مجلة « روضة المدارس » (س ٦ ، ع ٧ ، القاهرة ١٨٧٥) وقد نظم بها منظومة بوالو الناقد والشاعر الفرنسي عن فن الشعر ، بتصرف
كتاب روضة المدارس ـ نشأتها واتجاهاتها
معجم المطبوعات ١٣٠٧

فائق بن صالح المناستري (ـ ١٣١٧ هـ)
١٢٤٩ ـ الألفية السنية في الآداب الاحمدية
معجم المؤلفين ٨ : ٤٦

محمد رضا بن علي تقي الهمداني (ـ ١٣١٨ هـ)
١٢٥٠ ـ منظومة التجريد ، وشرحها
١٢٥١ ـ منظومة في النحو
معجم المؤلفين ٩ : ٣١٥

محمد بن عبدالجواد القاياتي المصري (ـ ١٣٢٠ هـ)
١٢٥٢ ـ وسيلة الوصول في الفقه والتوحيد والاصول ـ منظومة
إيضاح المكنون ٢ : ٧٠٩

العربي بن ادريس العلمي اللحياني المعروف بالموساوي (ـ ١٣٢٠ هـ)
١٢٥٣ ـ منحة الإخوان في الطريقة التيجانية
معجم المؤلفين ٦ : ٢٧٦

محمد هادي بن محمد أمين (ـ ١٣٢١ هـ)
١٢٥٤ ـ منظومة في الكلام
معجم المؤلفين ١٢ : ٨٤

جواد بن علي بن قاسم الحارثي النجفي (ـ ١٣٢٢ هـ)
١٢٥٥ ـ أرجوزة في أحكام الشك
معجم المؤلفين ٣ : ١٦٧

محمد بن هاشم الهندي النجفي (ـ ١٣٢٣ هـ)
١٢٥٦ ـ اللآلىء الناظمة في أحكام اللازمة ـ منظومة في الفقه
١٢٥٧ ـ نظم اللآلىء ـ أرجوزة
معجم المؤلفين ١٢ : ٨٦

عباس بن حسن بن جعفر كاشف الغطاء (ـ ١٣٢٣ هـ)
١٢٥٨ ـ شرح « الدرة البهية » للسيد مهدي بحر العلوم في الفقه . نظم مزجي يمزج أبيات المتن بأبيات الشرح
الذريعة ١٢ : ٢٣٨

أبو الحسن قاسم بن محمد الكستي البيروتي (ـ ١٣٢٤ هـ)
١٢٥٩ ـ أرجوزة في مدح القرآن الشريف . طبعت ببيروت
معجم المطبوعات ١٥٥٩

محمد بن عبدالرحمن (ـ ١٣٢٥ هـ)
١٢٦٠ ـ منظومة في الجمل سماها « الزهرة المقتطفة » وشرحها
معجم المؤلفين ١٠ : ١٣٣

محمد سعيد بن أحمد بن محمد الحضراوي (ـ ١٣٢٦ هـ)

١٢٦١ـ ألفية في السيرة النبوية
الاعلام ٧ : ١٤

عبدالملك بن عبدالوهاب بن صالح الفتني (ـ ١٣٢٧ هـ)
١٢٦٢ـ خلاصة الفرائض
معجم المؤلفين ٦ : ١٨٦

أحمد بن محمد حسين الكاظمي (ـ ١٣٢٨ هـ)
١٢٦٣ ـ منظومة في علم الكلام
معجم المؤلفين ١٣ : ٢٦٧

مصطفى محمد فاضل ماء العينين (ـ ١٣٢٨ هـ)
١٢٦٤ـ منظومة في التوحيد ـ طبعت
١٢٦٥ـ ثمار المزهر ـ نظم من « المزهر » للسيوطي . طبعت
١٢٦٦ ـ حجة المريد في الجهر بالذكر على المريد
١٢٦٧ ـ هداية المبتدئين وتفقه المنتهين ـ أرجوزة في النحو
معجم المطبوعات ١٦٠١ ـ ١٦٠٢
معجم المؤلفين ١٢ : ٢٨١

محمد علي السهوري (ـ ١٣٢٨ هـ)
١٢٦٨ـ عدة الخلف في عد السلف ـ أرجوزة في الرجال
معجم المؤلفين ١١ : ١٤

أبو الفتوح محمد بن خليل الهجرسي الأزهري (ـ ١٣٢٨ هـ)
١٢٦٩ ـ سلوان النائي في الفعل الواوي اليائي ـ قصيدة رتبها على حروف المعجم
فهرس المكتبة الأزهرية ٤ : ١٥

علي أكبر بن علي بن أبي القاسم قائم مقام الحسيني (ـ ١٣٢٩ هـ)
١٢٧٠ـ لمع الانوار ـ منظوم في الحكمة
١٢٧١ ـ اللؤلؤ المكنون ـ منظوم في المنطق
الذريعة ١٨ : ٣٤٨ ، ٣٨٥

أبو الخير محمد بن خير الطباع (ـ ١٣٢٩ هـ)
١٢٧٢ـ أرجوزة في النحو . طبعت
١٢٧٣ـ أرجوزة في الصرف . طبعت
الأعلام ٦ : ٣٥٤

عبدالهادي شليلة البغدادي النجفي (ـ ١٣٣١ هـ)
١٢٧٤ ـ أرجوزة في المواريث
معجم المؤلفين ٦ : ٢٠٣

مصطفى القباني (ـ ١٣٣٢ هـ)
١٢٧٥ ـ أرجوزة في علم التوحيد من حاشيتي « الجوهرة » و « السنوسية » للبيجوري
معجم المؤلفين ١٢ : ٢٧١

محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش (ـ ١٣٣٢ هـ)
١٢٧٦ـ نظم « المغني » لابن هشام ـ أرجوزة في خمسة آلاف بيت ، في النحو
١٢٧٧ـ أرجوزة في القراءات
معجم أعلام الجزائر ١٩١

عبدالله بن حميد السالمي (ـ ١٣٣٢ هـ)
١٢٧٨ ـ طلعة الشمس ـ ألفية في أصول الفقه ، وشرحها
١٢٧٩ ـ جوهر النظام في علمي الاديان والأحكام ـ أرجوزة . طبعت
١٢٨٠ ـ أنوار العقول ـ أرجوزة في اصول الدين ، وشرحها « بهجة الانوار » .
١٢٨١ ـ بلوغ الأمل ـ منظومة في أحكام الجمل في الإعراب
الاعلام ٤ : ٢١٤ ـ ٢١٥

محمد بن علي بن محمد النجفي (ـ ١٣٣٣ هـ)
١٢٨٢ ـ أرجوزة في الإرث
١٢٨٣ـ أرجوزة في الاطعمة
١٢٨٤ـ أرجوزة في الرضاع
١٢٨٥ـ أرجوزة في العدد
معجم المؤلفين ١١ : ٦٠

محمد صالح بن أحمد بن صالح القطيفي (ـ ١٣٣٣ هـ)
١٢٨٦ ـ منظومة الدرة في التوحيد
معجم المؤلفين ١٠ : ٨٠

باقر بن علي بن محمد علي بن حيدر البطائحي (ـ ١٣٣٣ هـ)
١٢٨٧ ـ أراجيز في الفقه والاصول والمنطق
معجم المؤلفين ٣ : ٣٦

أحمد بن ابراهيم الصابوني (ـ ١٣٣٣ هـ)
١٢٨٨ـ أحسن الاسباب في نظم قواعد الاعراب ـ أرجوزة
١٢٨٩ ـ الاصباح نظم نور الايضاح ـ في الفقه ، لحسن بن عمار الشرنبلالي
الاعلام ١٠ : ١١

حسن العطار المصري (ـ ١٣٣٤ هـ)
١٢٩٠ـ منظومة في التشريح
الأعلام ٦ : ٢٦٦ ـ ٢٦٧

علوي بن أحمد بن عبدالرحمن (ـ ١٣٣٥ هـ)
١٢٩١ ـ مجموعة منظومة في معرفة الوقت والقبلة
معجم المؤلفين ٦ : ٢٩٥

محمد بن المهدي بن الحسن القزويني الحلي (ـ ١٣٣٥ هـ)
١٢٩٢ ـ منظومة في المواريث
معجم المؤلفين ١٢ : ٥٧

هارون بن عبدالرزاق بن حسن البنجاوي المصري (ـ ١٣٣٦ هـ)

١٢٩٣ - عنوان الظرف في علم الصرف - منظومة

ايضاح المكنون ٢ : ١٢٨

إدريس بن محمد بن أحمد الفاسي المعروف بالمنجرة (- ١٣٣٧ هـ)

١٢٩٤ - منظومة في اختلاف القراء السبعة

معجم المؤلفين ١ : ٢١٨

محمد صادق بن محمد الطباطبائي الحسني الحائري (- ١٣٣٧ هـ)

١٢٩٥ - تقريظ الأسماع في نظم مسائل الرضاع

١٢٩٦ - أحسن العدد في نظم أحكام العدد

١٢٩٧ - الروض المطلول في نظم مسائل الأصول

معجم المؤلفين ١٠ : ٧٨

محمد بن عبدالله المسوتي (- ١٣٣٨ هـ)

١٢٩٨ - الايضاح والتبيين في حرمة التدخين - منظومة

١٢٩٩ - عقود الجواهر الحسان في بيان حرمة التبغ المشهور بالدخان - ارجوزة . طبعت

الأعلام ٧ : ١٣٧

مصادر النباتات الطبية عند العرب ٧٤

بشير بن هلال الالاجاتي الغزي (- ١٣٣٩ هـ)

١٣٠٠ - نظم « الشمسية » في الفقه

الاعلام ٢ : ٣٠

علي بن نعمان بن محمود الالوسي (- ١٣٤٠ هـ)

١٣٠١ - نظم « الاجرومية » في النحو

معجم المؤلفين ٧ : ٢٥٤

محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن المغربي الجزائري (- ١٣٤٠ هـ)

١٣٠٢ - منظومة في التوحيد سماها « عقد الجيد » وشرحها

١٣٠٣ - منظومة في العقيدة الفريدة

١٣٠٤ - نظم « الورقات » في الاصول ، سماه « سلم الوصول » ، وشرحه

معجم المؤلفين ٦ : ٢٨١

علي بن حسن بن علي آل حاجي البلادي (- ١٣٤٠ هـ)

١٣٠٥ - منظومة التوحيد

١٣٠٦ - منظومة مواليد الأئمة عليهم السلام

معجم المؤلفين ٧ : ٦٥

منير الدين بن جمال بن علي البروجردي (- ١٣٤١ هـ)

١٣٠٧ - الالفية في تراجم اساتذته وسير العلماء

١٣٠٨ - منظومة في تراجم عدة من الرواة في أصحاب الإجماع

معجم المؤلفين ١٣ : ٢٥

أبو بكر بن عبدالرحمن المعروف بابن شهاب (- ١٣٤١ هـ)

١٣٠٩ - نظام المنطق - أرجوزة . طبعت ، وشرحها « تحفة المحقق بشرح نظام المنطق » . طبع

١٣١٠ - حدائق نريعة الناهض الى تعلم أحكام الفرائض - منظومة

معجم المطبوعات ١ : ١٤١

عثمان بن عبدالله بن فتحي المولوي الموصلي (- ١٣٤١ هـ)

١٣١١ - المنظومة الموصلية العثمانية في اسماء السور القرآنية - طبعت

معجم المطبوعات ١٧٩١

عبدالمسيح بن فتح الله الانطاكي (- ١٣٤١ هـ)

١٣١٢ - القصيدة العلوية أو تاريخ شعري لصدر الاسلام

معجم المؤلفين ٦ : ١٧٥

محمد منيب بن محمود بن مصطفى الجعفري (- ١٣٤٣ هـ)

١٣١٣ - نظم متن « تنوير الأبصار » في الفقه

١٣١٤ - نظم متن « السنوسية »

معجم المؤلفين ١٢ : ٥٤

أحمد بن أحمد بن عبدالقادر الصديقي (- ١٣٤٣ هـ)

١٣١٥ - نظم متن « دليل الطالب - في منهب الحنابلة » في ثلاثة آلاف بيت

معجم المؤلفين ١ : ١٥٠

خضر بن محمد بن خضر (- ١٣٤٥ هـ)

١٣١٦ - المنظومة العمروطية في النحو

الاعلام ٢ : ٣٥٤

أحمد بن شهيد بن محمد الدار عزاني (- ١٣٤٥ هـ)

١٣١٧ - منظومة في علم الفراسة

معجم المؤلفين ١ : ٢٤٦

زلف علي بن عبد مناف بن محمد معصوم الديزجي (- ١٣٤٥ هـ)

١٣١٨ - أرجوزة في الفقه

معجم المؤلفين ٤ : ١٨٥

محمد رضا بن أبي القاسم بن فتح الله الحسيني (- ١٣٤٦ هـ)

١٣١٩ - منظومة في علم الكلام

معجم المؤلفين ٩ : ٣١٦

أحمد بن المامون بن الطيب البلغيثي (- ١٣٤٨ هـ)

١٣٢٠ - منظومة في علم التوحيد

الاعلام ١ : ١٩١

مصطفى بن محيي الدين بن مصطفى بن نجا (- ١٣٥٠ هـ)

١٣٢١ - أرجوزة في التربية والتعليم

الاعلام ٨ : ١٤٧

محمد بن ابراهيم بن عبدالوهاب الاسراري (كان حياً في حدود ١٣٥٠ هـ)

١٣٢٢ - منظومة في أصول الفقه ، وشرحها

١٣٢٣ ـ منظومة في الحساب ، وشرحها
معجم المؤلفين ٨ : ٢٠٨

أحمد شوقي ، أمير الشعراء (ـ ١٣٥١ هـ)
١٣٢٤ ـ دول العرب وعظماء الاسلام ـ ارجوزة تاريخية يربو عدد أبياتها على ١٧٠٠بيت. نظمها في الاندلس وطبعت سنة ١٩٣٣ بعد وفاته .
١٣٢٥ ـ قصيدة تاريخية في أهم الحوادث الحاصلة في وادي النيل من اقدم الزمان الى زماننا .
معجم المطبوعات ١١٥٨

حسين بن محسن العلوي المشهور بالحاج ميرزا حسين الكبير (ـ ١٣٥٢ هـ)
١٣٢٦ ـ أرجوزة في الفلسفة العالية
معجم المؤلفين ٤ : ٤٣

مشكور بن محمد جواد الحولاوي النجفي (ـ ١٣٥٣ هـ)
١٣٢٧ ـ أرجوزة في صلاة المسافر
١٣٢٨ ـ أرجوزة في الصيد والذباحة
الاعلام ٨ : ١٣٧

أسعد خليل داغر (ـ ١٣٥٤ هـ)
١٣٢٩ ـ تاريخ الحرب الكبرى شعرا ـ يتضمن ٣٦ قصيدة تحتوي على ١٥٠٠ بيت تقريباً
مصدر الدراسة الادبية ٢ : ٣٥١

جميل صدقي الزهاوي (ـ ١٣٥٤ هـ)
١٣٣٠ ـ الدفع عوض الجذب ـ قصيدة في ١٧ بيتاً ضمنها آراء فلكية أهمها نظريته في الدفع التي تلقض بها نظرية نيوتن في الجذب .
ديوان الزهاوي ، بيروت
المجلد ١ ص ٥٩

يوسف بن جرجس شبلي (ـ ١٣٥٥ هـ)
١٣٣١ ـ نظم أربعين مزموراً من مزامير داود
معجم المؤلفين ١٣ : ٢٨٥

محمد الحسين بن كاظم المعروف بالكيشوان (ـ ١٣٥٨ هـ)
١٣٣٢ ـ منظومة في الحساب
١٣٣٣ ـ منظومة في الهندسة
١٣٣٤ ـ تحفة الخليل ـ أرجوزة في العروض والقافية . طبعت بشرح عبدالحميد الراضي
شرح تحفة الخليل

محمد الجواد بن موسى بن حسين بن علي بن محفوظ (ـ ١٣٥٨ هـ)
١٣٣٥ ـ أرجوزة في النحو
معجم المؤلفين ٩ : ٦٦

قُسطاكي بن يوسف بن بطرس الحمصي (ـ ١٣٦٠ هـ)
١٣٣٦ ـ منظومة طويلة تربو على ألف وخمس مئة بيت نظم فيها طرفاً من كتاب الاقتداء بالمسيح ونخباً من مزامير النبي داود
مجلة المقتطف ١ (١٩٤١) ص ٣٦

عبدالقادر القصاب (ـ ١٣٦٠ هـ)
١٣٣٧ ـ نظم متن الدليل في فروع الفقه الحنبلي
معجم المؤلفين ٥ : ٢٩٨

محمد حبيب الله بن عبدالله الشنقيطي (ـ ١٣٦٣ هـ)
١٣٣٨ ـ دليل السالك الى موطأ مالك ـ منظومة . طبعت
الأعلام ٦ : ٣٠٧

نجيب خلف اللبناني (ـ ١٣٦٣ هـ)
١٣٣٩ ـ أرجوزة في نظم قانون الجزاء
معجم المؤلفين ١٣ : ٧٨

محمد الطيب بن اسحاق بن الزبير الانصاري (ـ ١٣٦٣ هـ)
١٣٤٠ ـ الدرة اليتيمة ـ نظم « شذور الذهب » لابن هشام ، في النحو .
١٣٤١ ـ البراهين الموضحات في نظم « كشف الشبهات » في التوحيد
الأعلام ٧ : ٤٧

معروف الرصافي (ـ ١٣٦٤ هـ)
١٣٤٢ ـ الكونيات : الباب الأول من « ديوان الرصافي » . تغلب عليه السمة التعليمية . قال شارح الديوان : « النظر النافذ الذي ألقاه الشاعر على الحياة ، وتفكره في الكائنات ، ووقوفه على ما رأى فيها الفلاسفة وعلماء الطبيعة من آراء مختلفة ، واعجابه بما أنتج العلم من مخترعات ومكتشفات . كل اولئك أوحى اليه بقصائده التي سلكها في باب (الكونيات) . »
ديوان الرصافي (شرح مصطفى علي)
١ : ٧٩ ـ ٨٧

محمد بن خالد الانصاري الحمصي (ـ ١٣٦٤ هـ)
١٣٤٣ ـ نظم « نور الإيضاح » لحسن بن عمار الشرنبلاني ، في الفقه
معجم المؤلفين ٩ : ٢٧٦

أحمد محرم (ـ ١٣٦٤ هـ)
١٣٤٤ ـ الإلياذة الاسلامية في تاريخ الاسلام شعراً
١٣٤٥ ـ نظم « قصة بول وفرجيني » بكاملها . وهي للكاتب الفرنسي برناردين دي سان بيير ـ طبع
الأعلام ١ : ١٩٢
مجلة الجامعة (الاسكندرية ١٩٠٢)

ص ٦٥٧ - ٦٦١

أحمد بن ذي الفقار بن عمر الكاشف (- ١٣٦٧ هـ)

١٣٤٦ - نظم قصة بول وفرجيني مختصرة - طبع

مجلة الجامعة (الاسكندرية ٢ ١٩٠٢)

ص ٦٥٦ - ٦٦١

حسن بن محمود بن علي الأمين (- ١٣٦٨ هـ)

١٣٤٧ - فصيلة اليراع في مسائل الرضاع - منظومة

١٣٤٨ - منظومة في الاجتهاد والتقليد

معجم المؤلفين ٣ ٢٩٣

عبدالفتاح عبدالغني القاضي (- ١٤٠٣ هـ)

١٣٤٩ - النظم الجامع لقراءة الإمام نافع - منظومة ، وشرحها

١٣٥٠ - نفائس البيان في عدد آي القرآن - منظومة

١٣٥١ - منظومة في المواريث

مجلة الفيصل ، العدد ٧٠ (١٩٨٣)

هلال ناجي

١٣٥٢ - موضحة الطريق الى صوى مناهج التحقيق - أرجوزة رائدة في قواعد تحقيق النصوص التراثية ، في مئتين وستة وخمسين بيتاً . أتم نظمها في منتصف سنة ١٩٨٠ .

المورد ، العدد ٣ (١٩٨٦) ١٦٩ - ١٨٢

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة





الطير في حياة الحيوان للدميري

« من منشورات دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ١٩٨٦ »

تحقيق
الاستاذ عزيز العلي العزي

عرض
عادل محمد علي الشيخ حسين
عضو اتحاد المؤرخين العرب

كان من المؤمل أن يقوم الاساتذة هلال ناجي وعزيز العلي العزي والدكتور جليل ابو الحب بتحقيق كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري بكل فصوله من لبائن واسماك وطيور وبرمائيات وحشرات وغير ذلك . إلا انه مع الاسف لم تتحقق هذه الامنية التي طالما انتظرها عشاق التراث العلمي العربي الاسلامي .

وبعد فترة تربو على السنتين ونيف ، صدر تحقيق قيم لفصل واحد من هذا الكتاب من قبل الاستاذ الفاضل عزيز العلي العزي الذي اتحف المكتبة العربية بالمزيد من الدراسات والبحوث الرصينة وبالاخص في مجال تحليل وابراز الوجه المشرق من تراثنا العلمي العربي الاسلامي . وتناولت هذه الدراسة المحققة الطيور التي ذكرها الدميري في كتابه حياة الحيوان بشكل تحليل وتحقيق ممتاز .

واتماماً للفائدة اثبت هنا بعض الهنات التي فاتت استاذنا العزي مع اعتذاري له وهي لا تقلل من اهمية هذه الدراسة الجادة في جسم تراثنا العلمي العربي الزاهر .

١ ـ كان المفروض أن يعرف الاستاذ العزي القارىء العزيز بالعصر الذي عاش فيه الدميري وهو ما يجهله الكثير . فالمصادر التاريخية تشير الى ان الدميري عاش في فترة حكم سلاطين المماليك الشراكسة (١٣٨٢ ـ ١٥١٧ م) .

٢ ـ ما دام المحقق قد تناول سيرة الدميري بشكل مفصل فكان ينبغي أن يشير لمآثره في علم الحيوان بشكل مختصر على أقل تقدير ـ ففي اوروبا عامة والمانيا خاصة يعتبر الفيلسوف الالماني (جيته) اباً لعلم (التكافل ـ Symbiosa) لمجرد عبارة عارضة جاءت في مؤلفه « فاوست » ومضمونها « ان روحين يسكنان صدري » ، ولا يكاد يصدر كتاب الماني في هذا العلم إلا وهو يحمل على صدره هذا الشعار دلالة على اسبقية الشعب الالماني وفضله في وجود علم التكافل هذا . وللدميري فضل السبق في الحديث عن هذا العلم ، وهو لم يذكره بعبارة عارضة ، بل سجل ما يثبت وجود هذه الظاهرة التكافلية بما لا يحتمل تاويلًا .. ولهذا فهو جدير بأن يتبوأ مكان الصدارة ومنزلة السبق في الكشف عن هذا العلم الحديث ، لانه سجله قبل الفيلسوف الالماني بمئات السنين .

ويقول الدكتور حسين فرج زين الدين العالم الحياتي المصري : اذا كان (جيته) هو رائد علم التكافل ، فان الدميري هو الرائد الأول ، وصاحب الفضل الاسبق ، ولهذا فمن حق العلماء أن يزينوا صدور كتبهم في هذا العلم بكلمة الدميري « ان بين الضب والعقارب مودة » . ومن آثار الدميري في علوم التطور ودراسة البيئة ، ما اورده في كتابه عن تحريم أكل التمساح من قوله « ان الشرع يبيح أكل لحوم الكائنات البحرية قاطبة ، إلا ان التمساح ليس من هذه الكائنات ؛ اذ انه من اللواحم الارضية (أكلات اللحوم) التي عادت الى الماء . واللواحم الارضية لا يؤكل لحمها » وهو بذلك يشير هنا الى أحد الاطوار البائدة من حياة التمساح . والتي لم يعرفها العلم إلا حديثاً .

٣ ـ لم يوضح الاستاذ الكريم العزي أثر كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري على الحضارة الانسانية ، في كتابه الذي بين ايدينا . ويمكن تحديدها بعدة نقاط منهجية علمية تطابق المنهاج العلمي الحديث فيما يتعلق بعلوم الحيوان هي كما يلي :

أ ـ انه اول من تناول الحيوان من زوايا متعددة ، سواء من الناحية اللغوية والعلمية والادبية والدينية كل ذلك في مؤلف واحد ، هو موسوعة شاملة فريدة في نوعها .

ب ـ اهتم الدميري فيما يتصل بعلم الاحياء الجغرافي ، فقال مثلًا عن الحيوان المعروف باسم (الشيخ اليهودي) أو انسان الماء ، انه حيوان يوجد ببحرالشام.وقال عن السمك الطيار « السمك الخطاف » انه سمكة ببحر سبته لها جناحان سوداوان على ظهرها ، تخرج من الماء وتطير في الهواء وثم تعود الى البحر . وهذه الامثلة توضح ان المطلع يستطيع أن يتبين منه موطن الحيوان سواء من الوصف أو

من النوادر والامثال .

ت ـ عنى الدميري ببيئة الحيوان وطباعه وغذائه . وذكر الحيوانات التي تنشط في النهار وتاثير ذلك على ابصارها . وتحدث عن الحيوانات التي تعيش في البيئات المختلفة كالصحارى وفي الاراضي المنزرعة والجبال والصخور وفي الانهار والبحار .

تكلم عن الخفاش ووصفه بانه : « حيوان ليلي ضعيف البصر يتغذى بالهوام » . وقال عن القنفذ : « حيوان شوكي يتغذى بالحيات والحشرات » . وقال عن البوم « انها طائر ليلي يصيد الفار » . ووصف النعامة : « بانها جمل الصحراء ولها ساقان طويلان وخفاً يساعداها على العدو السريع وتتغذى بالحشائش » . وذكر الدميري السبات الشتوي فقال عن الدب : « فاذا جاء الشتاء دخل وجاره الذي اتخذه في الغيران ولا يخرج حتى يطيب الهواء » .

جـ ـ تمكن الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى من تعريف كل حيوان ، وقد جعله في موضعه الصحيح من الشجرة الحيوانية .. فقسم الثدييات والطيور والزواحف والاسماك . كما قسم هذه الاقسام الى فروعها الصحيحة كما في التصنيف الحديث ... وبذلك فقد سبق كارل لينوس الذي قيل انه أول من وضع التصنيف الحديث للحيوان والنبات .

ح ـ زود الدميري المكتبة العربية لعلم الحيوان بثروة من الاسماء السليمة سواء في ذلك الحيوان البالغ أو صغاره واسماء الذكر والانثى كما افاض في تسمية الانواع ، مثل ما ورد تحت مواد الاسد والابل والخيل والحية وغيرها . وقد تضمن بعض الاسماء الغريبة التي سارت جنباً لجنب مع العلم الحديث مثل كلمة : (الجلكي) التي تطلق على نوع من الاسماك اللافكية يتطفل على الاسماك . ومثل كلمة الارنب البحري على ضرب ، من الحيوانات الرخوة ، يزحف على الاعشاب البحرية التي يتغذى بها ، ويتميز بأن قرنيه الاماميين « ويعرفان بالملماسين » كبيران ويشبهان اذني الارنب ومن هنا اشتق اسم الحيوان ... ومثل كلمة تفلق على طائر من طيور الماء وأخذها عنه احمد فارس الشدياق والدكتور جورج بوست ، والدكتور امين المعلوف في تعريف هذا الطائر .

د ـ استعان بكتابه هذا كثير من علماء الاجناس البشرية الاوربيين من امثال (هومل) في تحديد مواطن الجنس السامي في الشرق حسب توزيع الحيوان الجغرافي .

و ـ نتيجة لتقدير علماء الغرب للعالم العربي الدميري فقد اطلق العديد منهم اسماء على مؤلفاتهم مشابهة لاسم كتاب حياة الحيوان مثل العالم الالماني « بريم » الذي اطلق على موسوعته التي اخذ فيها عن الدميري (Tieresieben) أو حياة الحيوان ، وهو نفس الاسم الذي اطلقه الدميري على كتابه ، كما ان دائرة المعارف البريطانية وغيرها من الموسوعات الاوروبية والاميركية ، ترجمت للدميري وكتابه ، اعترافاً بفضله وتقديراً لعلمه .

ي ـ سطر لنا الدميري في كتابه هذا مادة علمية غزيرة عن الحيوانات التي بحث ودرس عنها . لقد شمل كتابه تقريباً جميع المجاميع من الحيوانات المألوفة التي نعرفها اليوم ما عدا المجهرية والغريبة جداً منها والتي لم يكشف العلم عنها إلا بعد ثلاثة قرون من وضع الدميري كتابه .

٤ ـ وحول أهم الدراسات العربية للدميري وكتابه لم يذكر الاستاذ العزي إلا مقدمة محمد الحانق في كتابه المختصر المختار من كتاب الحيوان . ودراسات الاستاذ المؤرخ العراقي الدكتور جليل ابوالحب في حين غفل عن ذكر الاستاذ العالم المصري الدكتور حسين فرج زين الدين (١٨٩٧ ـ ١٩٧٢) الذي كان أول من وضع دراسات وبحوث عن الدميري وكتابه حياة الحيوان فقد اشرف سنة ١٩٦٦ على اصدار موسوعة الدميري بأجزاء متسلسلة من سلسلة كتاب التحرير ، ووضع فهرساً علمياً لما جاء في كتاب الدميري من اسماء الحيوانات المختلفة لما يقابل العربية بالانكليزية واللاتينية ، وكان زين الدين قد تناول سيرة الدميري وكتابه حياة الحيوان الكبرى ضمن كتابه دراسات في علم الحيوان ورواد التاريخ الطبيعي ص (٢٥٠ ـ ٢٦٥) .

كما تناول بالتحليل التكافل عند الدميري في دائرة معارف الشعب من سلسلة كتاب الشعب المصرية التي صدرت في القاهرة سنة ١٩٦٠ .

وكان الدكتور محمد رشاد الطوبي قد درس كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري في سلسلة تراث الانسانية التي كانت تصدر في القاهرة في مج ٣ ، سنة ١٩٦٥ .

وسبق كل هؤلاء دراسة عن الدميري وكتابه للاستاذ المرحوم مصطفى الدمياطي على صفحات مجلة المقتطف المحتجبة في مج ٦٥ ، القاهرة ، سنة ١٩٢٤ .

وكذلك أعد صاحب هذه السطور دراسة موسعة عن الدميري وكتابه بعنوان « حياة الحيوان الكبرى للدميري واثره في علم الحيوان الحديث » نشرت في مجلة الجامعة التي تصدرها جامعة الموصل ، العدد ١٨ ، السنة ٤ ، سنة ١٩٧٤ .

٥ ـ في ص ٤٦ من كتاب الطير اعتبر الاستاذ العزي الباقعة هي

الدغرة . في حين جاء في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء ١ ، ص ١٢٤) ان الباقعة (moor-fowl) هي كل طائر يرد المستنقعات دون المشارع .

في ص ٥١ ذكر العزي ان البغاث نوع من النسور ، هذا صحيح حيث ذكر ادور غالب في الموسوعة في علوم الطبيعة ، الجزء الأول ، ص ١٥٤ ما يلي : « البغاث : Catharista , Urubü » جنس طير من الكواسر ينتمي الى فصيلة النسريات . أنواعه قليلة جميعها كبيرة الجثة ، صلعاء الرؤوس ، مستطيلة المناسر ا:منعقفة البهرة ـ ارساغها ومخالبها عارية ، سواقطها كبيرة الحجم سمراء اللون . أشهر أنواع البغاث الاسود (Urubu atrata , Catharista atrata) والبغاث الرشيق (Urubu aura , Catharista aura) .

في صفحة ٥٦ لم يعطينا الاستاذ العزي معلومات وافية عن البوه مع انه كان مصيباً فيما ذهب اليه من انها نوع من البوميات . وفي الموسوعة في علوم الطبيعة الجزء ١ ، ص ١٧٩ : « البوه : جنس طير من البوميات (Hornedsowls , Bnbo) وعماره البوهيات . أنواع عديدة منتشرة في جميع اقطار العالم وهي أكبر أنواع كواسر الليل حجماً تتميز بمناسرها الصلبة القوية ومناشقها المستديرة الفسيحة وسواقطها الضعيفة واذنابها القص. ' .بساغها ومخالبها القوية العارية . أشهرها البـوة (maximus , Great horned owı , Eagle - owel) وبوه فيرجينية (Bubo virg..ianus , Virginian horned owl) .

وفي صفحة ٨٤ ، اعتقد استاذنا العزي ان وصف الدميري لهذا الطير المبالغ فيه هو طير اسطوري . بينما يذكر ادوار غالب في موسوعة علوم الطبيعة (الجزء ٢ ، ص ٢٩٩) ما نصه « الخثق (قشعام أكلف) Gyps fulvus . طائر من القشعام طوله نحو ١٢٠ سم . بسطته ٢٧٠ سم . ثونه الى الكلفة الغبراء تزهو في الظهر وتعبق في البطن . سقطه رافل كبير تعترضه خطوط بيض . توزيعه فسيح الارجاء تمتد من الهند الى اوروبا وافريقية الشمالية والشرقية . يضع اوكاره في صدوع الصخور الشاهقة الموحشة . الانثى تبيض بيضة واحدة أو بيضتان تحضنها بمناوبة الذكر نحو اربعة اسابيع . وهو من الطيور القواطع .

في صفحة ١٠١ ، اعتبر الاستاذ العزي الدقيش هو نفسه الدغناش (الدقناش) .

بينما في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء الاول ، ص ٤٠٩) اعتبر الدقيش جنساً آخر قال : الدقيش ـ Tanysiptera جنس طير من المازوريات (Daceloniens) ، أنواعها قليلة العدد . اجسامها متوسطة الحجم . أثوابها متراكبة الالوان . رؤوسها واجنحتها الى الزرقة الزاهية . محاسرها وظهورها وجوانب اعناقها سود . صدورها وبطونها الى الصهبة الربداء . افانيكها وثبج ظهورها بيض . وهي تألف الاحراج والغابات قوتها الحشرات .

وفي الصفحة ١١٦ ، ابو زيدان فان الدميري ربما خلط ما بين هذا المصطلح أي اعتبره طير في حين كل المصادر تشير الى انه نبات وقد جاء في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء ١ ، ص ١٢) ان ابو زيدان (Anchonium , Anconium) نبات عشبي نجمي بري معمر من فصيلة الصليبيات . مهده بلاد الشرق الادنى . يقال انه من النباتات الطبية التي يتداوى بها والتي تقوي المعدة والامعاء . وهو من نباتات جرود لبنان الطوعية ، يوجد من ارتفاع ١٥٠٠ ـ ٢٥٠٠ م . نجمته كوكبية فرعاء . اوراقها جذرية الانتشاب مستطيلة الشكل ، نصلها خملي البشرة ، مسنن الحافة . ازهارها حرشفية الكاس ، ارجوانية البتلات . بذورها ضخمة .

في الصفحة ١٤٤ . لم يهتد الاستاذ العزي الى طائر الصعب . وقد بحثت عنه في كثير من المراجع والمصادر فلم أجد غير مصدر واحد هو الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء الثاني ، ص ٦١) قال : « الصعب (Quelea) جنس طير من فصيلة التنوطيات . انواعه المعروفة ثلاثة موطنها افريقية الشرقية من شواطىء بحر القلزم (الاحمر) الى ما وراء الحبشة . اجسامها صغيرة الحجم طولهايتراوح من ١٢ ـ ١٥ سم . اثوابها قليلة الاختلاف عن بعضها ، يكثر فيها الاحمر العنابي رؤوسها واعناقها واجنحتها سود . حتار قوادمها واباهرها صفر . مناقيرها سود أو حمر . ارساغها الى السمرة الحنطية قوتها الحبوب والبذور والهوام . تعيش في الادغال . اعشاشها محبوكة القش ، كروية الشكل ، مقطومة المدخل . اناثها تضع من ٥ ـ ٧ بيضات تحضنها بمناوبة الذكور نحو اسبوعين . الجمع صعاب .

في الصفحة ١٥٤ . ذكر الاستاذ العزي انه يعتقد انه البومة الانثاء أو البوهة . لكن الاستاذ ادوار غالب ذكره في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء ٢ ، ص ٩٣) . قال « الطبطاب (Megacephalos) جنس طير من فصيلة الشقبانيات (Megapodiidae) . أنواعه قليلة تتميز باعتدال اجسامها . رؤوسها صلع تعلوها خوذ سود قرنية التركيب . إذ انها كبيرة الحجم . ظاهر اثوابها الى السمرة العابقة يعلوها مواج زيتوني باطن اثوابها وبطونها واذنابها الى السمرة الوردية . اجنحتها مستديرة الشكل ، متوسطة الحجم . اذنابها صغيرة فرقة . ارساغها قوية لونها الى السواد ، تألف الاحراج القريبة من الشواطىء . تعيش ذكراً وانثى كالحمام . اسرابها تعد من ٧ ـ ١٥ زوجاً . قوتها الحبوب على اختلافها . اناثها تبيض في افحوص كبير الحجم قطرهيتراوحبين ١٢٠ و ١٥٠ سم . وعمقه من ٣٠ ـ ٦٠ سم . تحفره مع ذكورها ورفيقاتها من السرب الواحد في رمال الشاطىء على حدود مرمى المد . وهي لا تحضن بيضها بل تضعه في الافحوص وتغطيه بطبقة من الرمل سماكتها نحو ٢ سم ، فينقفء بعد اسبوعين . وهي تبيض في موسمها من ٨ ـ ١٠ بيضات ، تضعها بالتتابع حيث ينقضي بين الواحدة والتي تليها ١٢ ـ ١٤ يوماً . والبيضة كبيرة الحجم مستطيلة الشكل تبدو عند

وضعها قرميدية اللون ثم تنحرف الى الصفرة وتستقر على البياض . الفرخ يقف كاسياً نشيطاً مستغنياً عن خضانة امه التي يجهلها ولا تعرفه .

في الصفحة ١٩٦ . اعتبر الاستاذ العزي هذا المصطلح الذي ذكره الدميري نوعاً من الجراد الكبير وشكك في الاسم فيما بعد باعتباره القبيط كما سمته سامية مراد المترجمة لكتاب الطيور المصرية من تاليف ويمبر . لكنه جاء في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء ٢ ، ص ٢٧٤) ما يلي : « القبيط ـ Asiaticpea - Cock , Polylectron » جنس طير من فصيلة التدرجيات انواعه المعروفة عشرة جميعها من طيور الزابج والهند الصينية . تالف المناطق الحرجية الجبلية . أجسامها قريبة من التدرج ، أذيالها مستطيلة منفشة كاذيال الطاووس تتميز بصيص ارساغها التي يتراوح عددها بين ٢ و ٦ . قنابرها تاجية منتصبة . اثوابها عديدة الالوان يكثر فيها الاخضر الاسفع والاربد الحنطي الافلوسي التبقيج والتوشيم . اناثها تضع من ١٢ ـ ١٦ بيضة تحضنها وحدها في افاحيص ترصعها بالقش والورق اليابس بين الادغال الكثيفة .

في الصفحة ٢٤٠ لم يهتد الاستاذ العزي الى تعريف هذا الطائر الذي ذكره الدميري بصورة مبهمة .

وجاء في الجزء الثاني ، ص ٥٦٦ من الموسوعة في علوم الطبيعة ما نصه : « النعبول ـ Spilornis ، جنس طير من السقاوات وفصيلة الصقريات . أنواعه عديدة جميعها من اوابد المناطق الحارة . اجسامها ربعة ، اثوابها مختلفة الالوان المتركبة . تتميز برؤوسها المتوجة بكشة قفنية الارتكاز . تعيش في الجبال الجرداء وفي الفيافي القاحلة . غذاؤها القواضم والزواحف والافاعي والحشرات ـ أشهر انواعها نعبول باشا ـ Spilornis bacha » .

المراجع

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ، القاهرة ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ـ ١٩٦٦ (كتاب التحرير) ، (١ ـ ٢) .
(٢) الطير في حياة الحيوان للدميري ، تحقيق الاستاذ عزيز العلي العزي ، بغداد ـ ١٩٨٦ .
(٣) الطيور العراقية . للاستاذ المرحوم بشير اللوس ، بغداد ـ (١ ـ ٣) . ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢ .
(٤) الموسوعة في علوم الطبيعة، للاستاذ ادوار غالب ، بيروت ١٩٦٦ (١ ـ ٣) .
(٥) الطيور الليبية ، اوجستوتوسكي ، ترجمة : عياد موسى العوامي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ـ طرابلس ، ١٩٨١ .
(٦) دائرة المعارف الزراعية . اصدار المجلة الزراعية العربية ، القاهرة ، (١٩٦٠ ـ ١٩٧٧) ، الاجزاء من (١ ـ ٨) .